

تفسير القرآن الكريم

المستخرج
من آثار الإمام الخميني



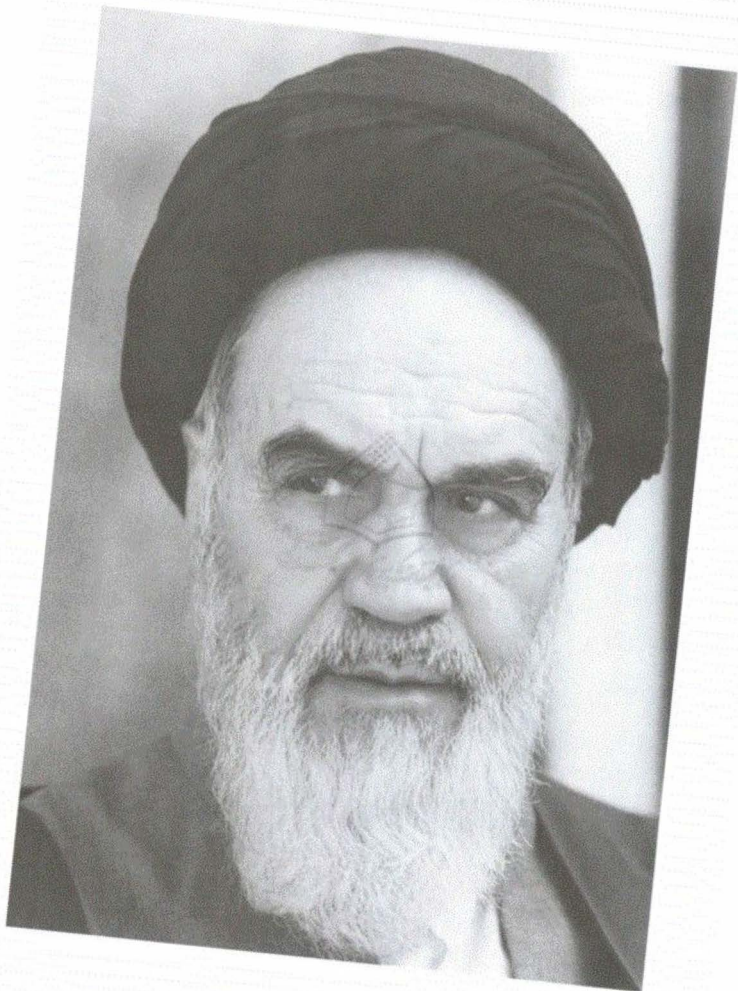
المجلد الرابع

من تفسير سورة ابراهيم - إلى تفسير سورة ص

المقدمة، والتحقيق والتعليق: السيد محمد علي ايازي

الله أكبر







تفسير القرآن الكريم

المستخرج

من آثار الإمام الخميني

المجلد الرابع

من تفسير سورة ابراهيم - إلى تفسير سورة ص

شبكة كتب الشيعة

المقدمة، والتحقيق والتعليق

السيد محمد علي ايازي

سرشناسه	: ابازی، محمدعلی، ۱۳۳۳-.
عنوان قراردادی	: تفسیر قرآن مجید برگرفته از آثار امام خمینی(س). عربی.
عنوان ونام پدیدآور	: تفسیر القرآن الکریم المستخرج من آثار الامام الخميني (ج.۴) / تألیف وترجمه محمدعلی ابازی.
مشخصات نشر	: تهران: مؤسسه تنظیم و نشر آثار امام خمینی(س)، مؤسسه چاپ و نشر عروج، ۱۳۹۲.
مشخصات ظاهری	: ج. ۵ - (ج. ۴: ۶۰۶ ص.)
شابک	: (دوره) 7 - 324 - 212 - 964 - 978 - 5 - 328 - 212 - 964 - 978
وضعیت فهرستویی	: فیا
بادهداشت	: عربی. کتابنامه: به صورت زیرنویس.
مندرجات	: ج. ۱. مقدمه درباره تفسیر و مفسر. ج. ۲. تفسیر سوره حمد - سوره نساء. ج. ۳. تفسیر سوره نساء (آیه ۵۶) - سوره وعد. ج. ۴. تفسیر سوره ابراهیم - سوره ص. ج. ۵. تفسیر سوره زمر - سوره ناس.
موضوع	: خمینی، روح‌الله، رهبر انقلاب و بنیانگذار جمهوری اسلامی ایران. ۱۲۷۹-۱۳۶۸ -- نظریه درباره قرآن / تفسیر شیعه -- قرن ۱۴ / تفسیر عرفانی -- قرن ۱۴ / تاول.
شناسه افزوده	: مؤسسه تنظیم و نشر آثار امام خمینی(س)، معاونت بین‌الملل. مؤسسه چاپ و نشر عروج.
رده‌بندی کنگره	: ۷۰۲۲ ت ۴ ق / ۵ / DSR ۱۵۷۲
رده‌بندی دیویی	: ۹۵۵ / ۰۸۴۲۰۹۲
شماره کتابشناسی ملی	: ۳۲۶۲۲۰۹

کد / م ۲۸۶۴



مؤسسه چاپ و نشر عروج

تفسیر القرآن الکریم المستخرج من آثار الإمام الخميني (المجلد الرابع)

✓ الناشر: مؤسسة العروج (التابعة لمؤسسة تنظیم و نشر آثار الإمام الخميني(س))

✓ تألیف وترجمه: محمدعلی ابازی

✓ الطبعة الأولى: ۱۴۳۵ هـ / ۲۰۱۴ م

✓ عدد النسخ: ۱۰۰۰ نسخه

✓ السعر الدورة: ۱۳۰۰۰۰۰ ریال

✓ العنوان: الجمهورية الإسلامية الإيرانية - طهران - شارع الشهيد باهنر - شارع ياسر -

زقاق سوده - رقم ۵، الرمز البريدي: ۱۹۷۷۶، صندوق البريد: ۶۱۴ - ۱۹۵۷۵

✓ الهاتف: ۰۲۲۲۹۰۱۹۱-۵ ، ۲۲۲۸۳۱۳۸ (۰۰۹۸۲۱)

✓ الفاكس: ۲۲۲۹۰۴۷۸ ، ۲۲۲۸۴۰۷۲ (۰۰۹۸۲۱)

✓ البريد الإلكتروني: international-dept@imam-khomeini.ir

(کتاب "تفسیر قرآن مجید/ ج. ۴" به زبان عربی)



الفهرس



٩.....	سورة ابراهيم
٢٧.....	سورة الحجر
٤٧.....	سورة النحل
١٤٥.....	سورة الكهف
١٧٧.....	سورة مريم
١٨٧.....	سورة طه
٢٢٩.....	سورة الأنبياء
٢٤٩.....	سورة الحج
٢٨١.....	سورة المؤمنون
٣٠١.....	سورة النور
٣٥٣.....	سورة الفرقان
٣٧٥.....	سورة الشعراء
٣٨٩.....	سورة النمل
٤٠٥.....	سورة القصص
٤٢٥.....	سورة العنكبوت
٤٣٥.....	سورة الروم

سورة لقمان..... ٤٦٧

سورة السجدة..... ٤٧٣

سورة الأحزاب..... ٤٧٧

سورة سبأ..... ٤٩٣

سورة فاطر..... ٥١٩

سورة يس..... ٥٤١

سورة الصافات..... ٥٥٣

سورة ص..... ٥٦٥



بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي
مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ٤

[اللغة وتعليم الوحي ذو مراتب]

إن الإنبياء والتعليم بحسب نشآت الوجود ومقامات الغيب والشهود مختلف المراتب؛ فإن لكل قوم لسانا: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ﴾. فلهما مراتب شتى تجمعها حقيقة الإنبياء والتعليم. فمرتبة منهما ما وقع لأصحاب سجن الطبيعة وأرباب القبور المظلمة في عالم الطبيعة. ومرتبة منهما ما وقع لأهل السر من الروحانيين والملائكة المقربين^١.

[رؤية العزة والذات في صورة التوحيد الفعلي]

الذين سلكوا طريق السير الى الغيب وهم في حركة نحو مرتبة عالم الغيب ويطوون مراحل السير الى الله ويحظون بالتأييدات الحقّة، بمجرد ان يضعوا اقدمهم خارج عالم الكثرة، تفرغ قلوبهم من هذه التكثرات، ويتجاوزون اعتبار الفعل والتأثير لهذا وذاك الذي يقول أنا فعلت، وهو فعل، وذات أعطى، وهذا بذل، وهذا انقذ، ويتجلّى التوحيد الفعلي في قلوبهم: "لا حول ولا قوة إلا بالله"، ﴿فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾^١.

انهم يعتبرون العزة والذلة والصحة والسلامة والفقر والسلطنة منه. ومع انهم يقولون بملائكة الهداية مثل جبرائيل وميكائيل وغيرهما، وملائكة الإضلال كالشيطان واتباعه، الا انهم لا يرون في هذه الملائكة إلا وسائط. ولا يعتبرون الأفعال من هؤلاء الفاعلين، بل يرون أنّ في هذا العالم فاعل واحد وهو الله، وينظرون الى هذا العالم بأنه فعل الله وتحت تصرّفه. وبعدهما يرتقون من هذه المرحلة الى عالم الغيب، وبعدهما تصطبغ قلوبهم - لا عقولهم - بالتوحيد الفعلي؛ لأن الفارق بيننا وبين السائرين الى الله هو ان عقولنا تؤمن بالتوحيد الفعلي والصفات والذاتي ولكن قلوبنا خالية منه؛ ولهذا نتصور ان النفع والضرر والعز والذل بيد الناس، ونرى ان لهم تأثير في هذه الامور ولهذا نطرق باب هذا وذاك. ولكن إذا انتقلنا من مرحلة الايمان العقلي الى الايمان القلبي، لأصبحنا ممن تؤمن قلوبهم بالتوحيد الفعلي ويتجلّى الفعل الإلهي على قلوبهم.

وعلى العموم: حين يرتقي القلب من مرحلة التوحيد الفعلي ويبلغ مرتبة تتجلّى فيها الأسماء والصفات، ويرى في عالم التجلّي الرحمة والكرم والغفارية

والنعمة، ويرى في عالم الحقيقة كلَّ صفة تتجلى في القلب وتكون للقلب
سخرية معها.

في مسير استكمال القلب، هناك قلب مسانخ لاسم الحكمة وقلب مسانخ
لاسم الرحمانية. وربما يكون هناك قلب مستكمل تام تتجلى فيه جميع الصفات،
وقلب يتجلى فيه اسم الله الجامع لكل الأسماء والصفات. السائر إلى الله حين
يتخطى الأسماء والصفات ويبلغ مرتبة أكمل، لا يرى بعدئذ تجليات أسمانية
وصفائية، وإنما يكون في هذه المرحلة التجلي الذاتي فقط.^١

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ
بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ ه

[نكر أيام الله ودوره في بناء المجتمع]

﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ ان التذكير بايام الله الذي يأمر به الله تعالى هو تهذيب
للانسان لان الاحداث التي وقعت في ايام الله تعتبر عبرة للتاريخ والناس على
طول التاريخ، كما ان الاحداث التاريخية العظيمة التي أشار القرآن المجيد الى
بعضها تعتبر قدوة مباركة لبناء المجتمعات وتهذيب الناس وقد شاهد مجتمعنا
الثوري الحالي وايران الثورية الكثير من الاحداث العظيمة التي ينبغي اعتبارها
من ايام الله.^٢



١. تقارير فلسفة الإمام الخميني، ج ٢، ص ٢٤٥ - ٢٤٦.

٢. صحيفة الإمام، ج ١٦، ص ٤٨٥.

[أهمية ذكر أيام الله]

يقول الله تعالى في كتابه العزيز أننا أرسلنا موسى إلى قومه: ﴿أَنْ أَخْرِجَ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكَرَهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ فالله تعالى أمر موسى بأمرين الأول: أن يخرج الناس من الظلمات إلى النور، والثاني: ﴿وَذَكَرَهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾^١.

[المأمورية الأولى لموسى]

أمر موسى (ع) ﴿أَنْ أَخْرِجَ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾، لقد كانت هذه مسؤوليته ومسؤولية كل الأنبياء، وهي إخراج قومهم من الظلمات، ومن تلك الأمور المخالفة لمسيرة الإنسانية ومخالفة لهوية الأمة، إلى النور، نور الوحي وجعلهم نورانيين.^٢

[نماذج من أيام الله]

الأمر الثاني الذي أمر به الله تبارك وتعالى النبي موسى (ع): ﴿وَذَكَرَهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ كل الأيام لله ولكن لبعض الأيام خصوصية معينة ولهذا دعيت بـ ﴿أَيَّامِ اللَّهِ﴾^٣، مثل اليوم الذي هاجر فيه النبي الأكرم إلى المدينة، ويوم فتح مكة. ومن

١. المصدر السابق، ج ٩، ص ٤٥٩.

٢. المصدر السابق، ج ٩، ص ٤٦٤.

٣. لسماحة الامام الخميني تفسير آخر للآية الشريفة "مالك يوم الدين" أفصح عنه في موضع آخر وقال فيه: ان أيام الله تلك الأيام التي يعامل فيها الله قوماً بالقهر والتسلط. ويوم القيامة هو يوم الله وهو أيضاً يوم الدين، وذلك لأنه يوم تجسيد السلطة الالهية ويوم بروز حقيقة دين الله.

أيام الله أيضاً اليوم الذي تجلت فيه قدرة الله على ذلك اليتيم، حيث رفضه الجميع ولم يستطع أن يعيش في وطنه أو بيته وبعد مدة كان فتح مكة على يده. وكل أولئك الجبارين الظلمة والأغنياء وأصحاب النفوذ أصبحوا تحت سلطته، وقال لهم قوله المشهورة: «اذهبوا فأنتم الطلقاء». ومن أيام الله أيضاً اليوم الذي سل أمير المؤمنين سيفه في وجه الخوارج المفسدين في الأرض، الذين كانوا بمثابة الغدة السرطانية في المجتمع، وفرق جمعهم. ومظاهر القداسة التي كانت تجلهم والثغرات على جباههم من أثر السجود، لم تحل دون ضلالهم وتخبطهم في الغي. وبعد أن كانوا في جيش أمير المؤمنين قاموا ضده وأقدموا على قتله (ع). ومن أجل تلك الوقائع التي حدثت في صفين، رأى أمير المؤمنين (ع) أنه إذا بقي هؤلاء، فإنهم سيفسدون على الناس رأيهم لذا قام بقتلهم جميعاً، إلا من لاذ بالفرار. الأيام التي ينزل الله فيها عقابه على الأمم لتنتهيها، كأن يصيبهم بالزلزلة أو يبعث عليهم السيل أو يفرقهم بالطوفان، يريد بذلك أن يسوقهم لطريق الإنسانية، هي من أيام الله، ومرتبطة به سبحانه وتعالى.

١٥ خرداد كان من أيام الله، حيث استطاع الشعب الإيراني الأعزل أن يواجه قوة الشاه ويضطرها لإعلان الأحكام العرفية لمدة خمسة أشهر. إن الشعب الذي لم يملك أي قدرة ولم يكن منظماً ولا واعياً بعد. انهزم في هذا اليوم، ولكن الهزيمة كانت ظاهرية فحسب، وإلا فإن هذا اليوم شكل الانطلاقة لانتصار هذا الشعب. وفي مثل هذا اليوم - ١٧ شهريور - من السنة الماضية خرج الشعب بنسائه ورجاله بشبابه وشيبه من أجل إحقاق الحق. قاوم وضحي بدمه. لقد كان هذا اليوم - ١٧ شهريور - من أيام الله أيضاً، فلتذكروا هذه الأيام ولا تغب عن ذهنتكم، فهذه الأيام هي التي صنعت الرجال، وأخرجت شبابنا من بيوت الدعارة

والفحشاء إلى ميدان القتال. هذه الأيام الإلهية نهت شعبنا وأذرتة بالخطر المحقق به، فاستيقظ ووعى ما يجري حوله. يأمر الله تعالى: ﴿ذَكَرْتُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ اذكروا هذه الأيام ولا تنسوها. هذه الأيام الكبيرة التي مرت على شعبنا، ﴿أَيَّامِ اللَّهِ﴾ مثل ١٥ خرداد و١٧ شهريور. وذلك اليوم الذي فرّ فيه الخبيث^١ كان من أيام الله أيضاً، اليوم الذي هزم فيه الشعب الأعزل قوة مدججة بالسلاح، ولم تقم لها بعد ذلك قائمة. لم تكن قوة الشاه وحدها وإنما قوة الدنيا كلها وقفت معه ضدكم وأنا كنت عارفاً بذلك ... كان ذلك أيضاً من أيام الله.

وأحد أيام الله الكبار تلك الليلة التي انقلبوا فيها على الحكم. ^٢ كنا وقتئذ في طهران وأعلن حظر التجوال وأصدرت الأحكام العرفية ولم يخرج أحد من بيته، وفي تلك الليلة خطط المسؤولون الكبار - كما اعترفوا لاحقاً - أن يقتلوا كل من يثور عليهم، حتى يتزجر الشعب ويرتدع عن الشعب - لا سمح الله - ولكن تلك الانتفاضة الشعبية والنهضة النورية، أدت إلى أن تلتحق قوى النظام بصفوفنا، لقد كانت المسألة مسألة إلهية ومن أيام الله. ويجب أن لا يغيب عن بالكم أنهم جمعوا كل ما عندهم وكادوا كيدهم من أجل أن يقوموا بانقلاب ويقتلوا كل من يشكون في نواياه تجاههم، ويرجع الشعب إلى ما كان عليه - لا سمح الله - ولكنكم أنتم الشعب الشريف الذي نور الله قلبه وملاه بالإيمان، نزلتم إلى الشوارع على الرغم من إصدار الأحكام العرفية وأحبطتم ما كانوا يخططون له...

١. ٥٧/١٠/٢٦، يوم فرار الشاه محمد رضا بهلوي من إيران.

٢. المقصود هنا هو مؤامرة نوجه التي وقعت في عام ١٤٠١هـ ش ضد الثورة الإسلامية في إيران. (ويبدو ان هناك خطأ لأن الكلام يدور هنا حول وقائع ما قبل انتصار الثورة الإسلامية، حيث كانت البلاد في حالة الاحكام العرفية وليس مؤامرة نوجه التي وقعت بعد انتصار الثورة الإسلامية. فتأمل.

فقد شملتكم عناية الله ونصركم على القوى العظمى وقطع أيدي الأجانب من بلدكم، وستبقى دائماً مقطوعة بإذن الله. اذكروا هذه الأيام ولا تجعلوها طي النسيان، فلتبقى هذه الأيام الإلهية الكبيرة في ذاكرتكم.^١

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ ٧

[في معنى الشكر]

إعلم أن «الشكر» عبارة عن تقدير نعمة المنعم. وتظهر آثار هذا التقدير في القلب في صورة. وعلى اللسان في صورة أخرى، وفي الأفعال والأعمال بصورة
ثالثة.

أما آثاره القلبية فهي من قبيل الخضوع والخشوع والمحبة والخشية وأمثالها. وأما آثاره على اللسان، فالثناء والمدح والحمد، وأما آثاره في الأعضاء فالطاعة واستعمال الجوارح في رضا المنعم وأمثاله.

ونقل عن الراغب^٢ «الشكر تصور النعمة وإظهارها. قيل وهو مقلوب عن «الكشر» أي «الكشف» ويضاده «الكفر» وهو نسيان النعمة وسترها، ودابة شكور مظهر بسمه إسداء صاحبه إليه...

«فالشكر» على هذا هو الامتلاء من ذكر المنعم عليه. والشكر ثلاثة أضرب: «شكر بالقلب، وهو تصور النعمة. وشكر باللسان وهو الثناء على المنعم. وشكر

١. صحيفة الإمام، ج ٩، ص ٤٦٥ - ٤٦٨.

٢. الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الإصفهاني (المتوفى عام ٥٦٥ أو ٥٠٢ هـ) كان متبحراً في اللغة والشعر والكلام وعلوم القرآن. له مصنفات كثيرة منها: المفردات في غريب القرآن، الذريعة إلى مكارم الشريعة، مقدمة التفسير للقرآن، تحقيق البيان في تأويل القرآن.

بسانر الجوارح وهو مكافأة النعمة بقدر استحقاقها». انتهى.

وقال العارف المحقق الخواجه الأنصاري «الشكر اسم المعرفة والنعمة، لأنها طريق لمعرفة المنعم»^١.

وقال الشارح المحقق «إن تصور النعمة من المنعم، ومعرفة أن هذه النعمة منه، هو الشكر بعينه...»^٢

يقول الكاتب: إن ما ذكره المحققون في الشكر مبني على المجاز والمسامحة، لأن الشكر لا يكون نفس المعرفة بالقلب، والإظهار باللسان، والعمل بالأعضاء والجوارح، بل هو حالة نفسية ناجمة عن معرفة المنعم والنعمة وأن هذه النعمة من المنعم، وتنتج من هذه الحال الأعمال القلبية والقلبية- العمل بالجوارح ...

إن من آثار الشكر، زيادة النعمة ووفورها، كما صرح بذلك الكتاب الكريم: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾. وفي كتاب الكافي الشريف عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: «مَنْ أَعْطِيَ الشُّكْرَ أَعْطِيَ الزِّيَادَةَ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾!»^٣

﴿قَالَتْ رَسُولُهُمْ أَلَيْسَ اللَّهُ شَكًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخَوِّعَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ ١٠

١. المفردات في غريب القرآن، ص ٢٦٠ في باب الشكر.

٢. منازل السائرين، ص ٤١، قسم الأخلاق، باب الشكر.

٣. شرح منازل السائرين، ص ٩١، قسم الأخلاق، باب الشكر.

٤. أصول الكافي، ج ٢، ص ٩٥، كتاب الإيمان والكفر، باب الشكر، ح ٨.

٥. شرح الأربعون حديثاً، ص ٣٤٣ - ٣٤٩ (بتصرف).

[الدعوة إلى التفكر في اتقان الصنع وخالق الكون]

إن التفكر في لطائف الصنعة ودقائقها وفي اتقان نظام الخليقة، من العلوم النافعة، ومن أفضل الأعمال القلبية، وخير من جميع العبادات، لأن نتيجته أشرف نتيجة. وعلى الرغم من أن النتيجة الأصلية لجميع العبادات والسر الحقيقي لها هو الحصول على المعرفة. فإن كشف هذا السر والحصول على تلك النتيجة ليسا متيسرين للجميع، بل إن لذلك أهلاً تكون لهم في كل عبادة بذرة لمشاهدة أو لمشاهدات. وعلى أي حالاً أن الإطلاع على لطائف الصنعة وأسرار الخليقة بحسب الحقيقة والواقع لم يتيسر للبشر، حتى الآن. إن أساس الخليقة ونظامها يكون من الدقة والاستحكام ومن الجمال والكمال في مستوى لو أن الإنسان أمعن النظر في أي كائن مهما كان حقيراً، مستخدماً كل علومه التي اكتسبها خلال قرون، لما استطاع أن يطلع على نسبة واحد بالألف، من ذلك، فكيف له أن يتمكن من إدراك النظام الكلي الجميل، ساعياً عن طريق الأفكار البشرية الجزئية الناقصة، لفهم بدائعه ودقائقه...

فليفكر المرء في خلقه هو، على قدر طاقته وسعة علمه: أولاً في الحواس الظاهرة التي صنعت وفق المدركات والمحسوسات، إذ أن لكل مجموعة من المدركات، التي توجد في هذا العالم، قوة مدركة بأدق ما تكون من الدقة والترتيب المحيّر للعقول.

والأمور المعنوية، التي لا تدرك بالحواس الظاهرة، تدرك على ضوء الحواس الباطنية. دع عنك علم الروح والقوى الروحية للنفس، مما تقصر مدارك الإنسان عن فهمها، واتجه بنظرك إلى علم الأبدان وتشريحها وبنائها الطبيعي، وخصائص كل عضو من الأعضاء الظاهرة والباطنة. انظر ما أغرب هذا النظام وما أعجب هذا الترتيب؟! على الرغم من أن علم البشر لم يبلغ حتى الآن، ولن يبلغ حتى بعد

مائة قرن، إلى معرفة واحد بالألف منه، حسب الاعتراف الصريح بأفصح لسان من جميع العلماء بعجزهم، مع أن جسم الإنسان بالنسبة إلى كائنات الأرض الأخرى، لا يزيد على مجرد ذرة تافهة، وأن الأرض وجميع كائناتها، لاتعدل شيئاً إزاء المنظومة الشمسية، وأن كل منظومتنا الشمسية لا وزن لها إزاء المنظومات الشمسية الأخرى، وأن كل هذه المنظومات، الكبيرة منها والصغيرة، مبنية وفق ترتيب منظم، ونظام مرتب، بحيث أن أيّ نقد لا يمكن أن يوجّه إلى أتفه ذرة فيها، وأن عقول البشر كافة عاجزة عن فهم دقيقة من دقائقها.

فهل بعد هذا التفكير يحتاج عقلك إلى دليل آخر ليذعن بأن كائناً عالمياً، حكيماً، لا يشبه الكائنات الأخرى، هو الذي أوجد هذه الكائنات بكل حكمة ونظام وترتيب واتقان؟

﴿أَلَمْ يَلِهِ اللهُ شَكَّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

إن كل هذا الخلق المتقن الذي يعجز عقل الإنسان عن فهمه، لم يظهر عبثاً وتلقائياً! فلتعمّ عين القلب التي لاترى الله، ولاتشاهد جمال جميله في هذه المخلوقات! ولیمحق الذي يبقى في الشك والتردد بعد كل هذه الآيات والآثار؟ ولكن ما الذي يستطيع هذا الإنسان المسكين عمله بالأوهام؟.

لو أنك عرضت مسبحتك وزعمت أن حَبَاتِهَا قد انتظمت تلقائياً من دون أن ينظمها منظم، لاستهزأت بك البشرية. والأدهى من ذلك لو أخرجت ساعتك من جييبك وزعمت نفس الزعم نفسه أيضاً بالنسبة إليها، ألا يخرجونك من زمرة العقلاء؟ وألا يرميك كل عقلاء العالم بالجنون؟ فإذا وُصِفَ الذي يُخْرِجُ نظام هذه الساعة من قاعدة العلة والمعلول، بأنه مجنون ويجب أن يحرم من حقوق العقلاء فما الوصف المناسب الذي يجب أن يوصف به من يزعم أن نظام هذا العالم، لابل هذا الإنسان ونظام روحه وجسمه قد ظهر تلقائياً؟ هل يجب إبقاؤه

في زمرة العقلاء؟ ترى أي بله أشد من هذا؟ ﴿قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ﴾^١.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ ٢٤ ﴿تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ يَأْذِنُ رَبُّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ٢٥ ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ ٢٦

[العلاقة بين القلب وقول وفعل الإنسان في النور والظلمة]

اعلم ان كلام اي متكلم هو تجلٍ لذاته بحسب مقام الظهور، وبرز لملكاته الباطنية في مرآة الالفاظ بمقدار استعداد نسيج الالفاظ. فإذا كان القلب نورانياً نقياً من أدران عالم الطبيعة وكدوراته، يكون كلامه نورانياً بل نوراً ايضاً، فنورانية القلب تلك تتجلى في رداء الالفاظ وقد ورد في شأن أئمة الهدى (عليهم السلام): «كلامكم نور»^٢. وورد ايضاً: «لقد تجلّى الله في كلامه لعباده»^٣. وفي نهج البلاغة ورد قوله (عليه السلام): «إنما كلامه فعله»^٤. فالفعلُ تجلي ذات الفاعل دون كلام. اما اذا كان القلب ظلمانياً كدرأ، كان فعله وقوله ظلمانياً كدرأ ايضاً فمثل ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ...﴾ ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ

١. عبس (٨٠): ١٧.

٢. شرح الأربعون حديثاً، ص ١٩٦ - ١٩٨.

٣. مقطع من الزيارة الجامعة الكبيرة، راجع: عيون اخبار الرضا، ج ٢، ص ٢٧٧.

٤. راجع: بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ١٠٧.

٥. نهج البلاغة: الخطبة ٢٢٨، ص ٧٣٧.

الأرضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ^١.

﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ

كَفَّارٌ﴾ ٣٤

[مراتب ودرجات النعم الإلهية]

يقول الشيخ الجليل البهائي (قدس سره) في رسالة العروة الوثقى: «... ونعم الله ﴿سبحانه﴾ وإن جلت عن أن يحيط بها نطاق الإحصاء، كما قال جل شأنه: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾. إلا أنها جنسان دنيوي وأخروي، وكل منهما إما موهبي أو كسبي، وكل منهما إما روحاني أو جسماني؛ فهذه ثمانية أقسام... والمراد - هنا - الأربعة الأخيرة، وما يكون إلى نيلها من الأربعة الأول، انتهى كلام الشيخ (قدس سره). وتقسيمات الشيخ هذه وإن كانت لطيفة، إلا أنها لا تعدُّ كاملة، فأهم النعم الإلهية واعظم مقاصد الكتاب الإلهي الشريف، سقطت من قلم الشيخ الجليل، وقد اكتفى بذكر نعم الناقصين أو المتوسطين... على آية حال، هناك غير النعم المتعلقة بالذات الحيوانية والحفظ النفسانية، مما ذكره الشيخ الجليل، نعم أخرى أهمها ثلاث:

الاولى: نعمة معرفة الذات والتوحيد الذاتي، وأصلها السلوك إلى الله ونتيجتها «جنة اللقاء»، والسالك لو كان هادفاً إلى تحقيق هذه النتيجة فسلكه ناقص؛ لأن هذا المقام هو مقام ترك الذات ولذاتها، في حين ان التوجه نحو الحصول على النتيجة هو توجه نحو الذات، وهذا عبادة للنفس، لا عبادة لله، وتكثير لا توحيد،

١. آداب الصلاة، ص ٣٠٨ - ٣٠٩.

٢. رسالة العروة الوثقى للشيخ البهائي: في تفسير سورة الحمد، ص ١٢٨ - ١٢٩ طبعة دار القرآن

وتليس لا تجريد.

الثانية: نعمة معرفة الاسماء، وهي نعمة تشعب بحسب الكثرة الاسمائية، تبلغ - اذا أحصيت مفرداتها - الألف، ويخرج الأمر عن حدّ الاحصاء اذا أحصيت مع عدّ تركيباتها: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾.

والتوحيد الاسمائي في هذا المقام، هو نعمة معرفة الاسم الاعظم وهو مقام احدى جمع الاسماء، ونتيجته «جنة الاسماء» ولكلّ بما يتناسب مع معرفته لاسم او عدة أسماء مفردة او مجتمعة.

الثالثة: نعمة المعرفة الافعالية، والتي تنفرع هي الاخرى الى شعب كثيرة لا متناهية. ومقام التوحيد في هذه المرتبة هو احدى جمع التجليات الافعالية، وهو مقام «الفيض المقدس» ومقام «الولاية المطلقة»، ونتيجته «الجنة الافعالية» حيث حصول التجليات الافعالية للحق في قلب السالك. ولعلّ التجلّي لموسى بن عمران في بداية الأمر وحيث قال: ﴿آنَسْتُ نَارًا﴾، كان بالتجلّي الافعالي، اما التجلي المشار اليه بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعْقًا﴾ فقد كان من التجليات الاسمائية او الذاتية.^٢

١. طه (٢٠): ١٠، النمل (٢٧): ٧، القصص (٢٨): ٢٩.

٢. اعراف (٧): ١٤٣.

٣. آداب الصلاة، ص ٢٩٤ - ٢٩٦.

[العلاقة بين أسماء الله ونعمه التي لا تحصى]

المرتبة الأولى من حضور القلب في المعبود أن يعلم بالعلم البرهاني أن العالم محضر للربوبية، ويرى عبادته وجميع حركات باطنه وظاهره عين الحضور ونفس المحضر. ومن المعلوم أن الثناء من مثل هذا الشخص الذي يرى نفسه بشائه في المحضر يفترق عن ثناء المحجوبين بفروق كثيرة.

والمرتبة الثانية لحضور القلب في التجلّي الفعلي مرتبة الإيمان والاطمئنان التي تحصل من تذكّر الحبيب في السرّ والعلن ومن مناجاة ذاته المقدسة والخلوة معها، وعند ذلك تزداد نورانية العبادة وينكشف لقلب العابد سرّ من أسرار العبادة وبعد الرياضات والمجاهدات ودوام التذكير والعشق بالحضور والخلوة والتضرّع والانقطاع التام للسالك يتجاوز مرتبة الاطمئنان والعرفان ويصل إلى مرتبة الشهود والعيان. ويتجلّى الحق لسرّ قلبه بالتجلّي الفعلي المناسب لقلبه فيجد لذة الحضور ويعشق الحق، فيغفل عن العبادة بلذة فيض الحضور، فيحتجب عن نفسه وعن العبادة ويفنى عن العالم ويشغل بالتجلّي الفعلي. وإذا وصلت هذه الحالة إلى حد التمكين وخرجت عن التلوين فيظهر على قلب السالك بالتدرّج نموذج من التجليات الأسمائية التي هي المرتبة الأخرى من حضور القلب في المعبود أي مقام التجليات الأسمائية.

ولهذا المقام مضافاً إلى مشاركته المقامات في المراتب السابقة ذكرها تفصيلاً مراتب كثيرة أخرى تعجز الطاقة البشرية عن إحصاء كليّاتها فكيف بجزئياتها.

ونموذج تلك المقامات أن الإنسان حيث إنه مراتب الاسم الجامع ومربوب للاسم الأعظم فيمكن له أن يكون جامعاً لجميع التجليات الأسمائية جمعاً وفاقاً فبطريق الفرق تكون للأسماء الكلية الإلهية وهي ألف اسم تجلّ على قلبه جمعاً فيمكن أن يكون لكلّ من الأسماء مزدوجاً باسم آخر أو اسمين أو أسماء ثلاثة

وهكذا إلى آخر الأسماء وكذلك المراتب المتصورة للتركيبات الأسمائية في هذه الأسماء الألف الكلية على حسب التركيب تجلّ على قلبه. وأيضاً إن قلب الإنسان الذي هو قابل لهذه التجليات هو بنفسه مظهر لجميع الأسماء وبالطريق الكلي مظهر لألف اسم، فتختلف التجليات له باعتبار مظهره لكل من الأسماء جمعاً وتفريقاً وفي مراتب الجمع على الترتيب الذي ذكرنا ولا بد أن يقال لمثل هذا العدد أنه خارج عن مجال الإحصاء ﴿وَإِنْ تُعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾^١ والحديث المروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «علمني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند وفاته ألف باب من العلم يفتح من كل باب ألف باب»^٢ لعله إشارة إلى التجليات الفرعية.^٣ وبعد التجليات الأسمائية تحصل التجليات الذاتية التي هي آخر مرتبة حضور القلب في المعبود ولها أيضاً مراتب.^٤

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ ٤٨

[تأويل الأرض بقلب الإنسان وتبديله عن حالته السابقة]

إيهاً عزيزي، شمر عن سواعد الهمة وتمنطق بالعزيمة، مادامت الفرصة سانحة، وما دام العمر - ثروتك الغالية - أمامك وطريق السلوك مهدة لك وأبواب رحمة الحق مشرعة بوجهك، والأعضاء سالمة والقوى موفورة، ومزرعة عالم الملك لم يئنّ جني محصولها بعد، ولتعرف قدر هذه النعم الإلهية ولتستفد منها،

١. إبراهيم (١٤): ٣٤.

٢. الصدوق، الخصال؛ ج ٢، ص ٦٤٢، ح ٢١ تا ٥٣؛ بحار الأنوار، ج ٢٢، ص ٤٦٣، تاريخ نبينا، ابواب ما يتعلّق بارتحاله ٩٩٩ إلى عالم البقاء، الباب ١، ح ١٤.

٣. المقصود بالتجليات الفرعية وفتحها هو ان السالك يدرك المظاهر الالهية بتمايز، وهذه التجليات ليست بصورة مبهمه وكلية.

٤. سر الصلاة، ص ٢٢ - ٢٣.

واسعاً لتحصيل الكمالات الروحية والسعادات الأزلية الأبدية، ولتنتفع من كلِّ تلك المعارف التي قدّمها لك القرآن السماوي المجيد واهل بيت العصمة (عليهم السلام) على بساط ارض الطبيعة المظلمة فأثاروا العالم بالانوار الإلهية الساطعة.

فلتشرق ارض طبيعتك المظلمة انت ايضاً بالنور الإلهي، وليتنور بصرك وسمعك ولسانك وسائر قواك الظاهرة والباطنة بنور الحق تعالى، ولتستبدل هذه الارض الظلمانية بـ «الأرض النورانية» بل بالسماء العقلانية، واعلم ان هناك ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾، ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾، فإذا لم تبدل ارضك في ذلك اليوم بـ «غير هذه الارض» ولم تشرق بنور ربها، فإن أمامك ظلمات وشدائد وأشكالاً من الخوف والضغط والذلة والعذاب.

إن قوانا الظاهرة والباطنة الآن مظلمة بالظلمات الشيطانية، والخوف - لو بقينا على هذه الحال - أن تتحول الأرض الهولانية المنورة بنور الفطرة تدريجياً الى أرض «سجينية» مظلمة وخالية من نور الفطرة، محجوبة عن جميع احكام الفطرة الإلهية وهو شقاء لا سعادة بعده، وظلمة لا نور يجليها، وهلع لا اطمئنان معه، وعذاب مقيم لا تلوه راحة ف ﴿مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾. اعوذ بالله تعالى من أشكال الغرور الشيطاني والنفس الأمارة بالسوء.

إن مقصد الأنبياء العظام اساساً، والمراد من تشريع الشرائع وسنن الاحكام ونزول الكتب السماوية - خصوصاً القرآن المجيد، الكتاب الجامع الذي فوّض وكوشف به النور المطهر للرسول الخاتم (صلى الله عليه وآله) - انما هو نشرُ التوحيد والمعارف الإلهية واستئصال جذور الكفر والشرك والازدواجية في النظرة والعبادة. فالسرُّ الساري والجاري في جميع العبادات القلبية والقالية، انما

هو التوحيد والتجريد، بل «إن هذه العبادات هو جعل التوحيد جارياً من باطن القلب الى ملك البدن بأسره» كما يقول الشيخ العارف الكامل الشاه آبادي (روحي فداء).^١

[المراد من تبديل الأرض]

ان الحس المشترك في الواقع حس واحد، ولكن واردات كل الحواس الظاهرة تكون هناك، وهناك تقع الرؤية والسمع واللمس حقيقة، وهكذا يكون الحال أيضاً في حالة ترقي الوجود والاستخلاص من دار الطبيعة وتبدل النشأة الى نشأة اخرى ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾،^٢ لان تبدل الارض الى شيء آخر، كأن تصير سماء مثلاً، وإنما تبدل الارض الى أرض، ولكن ليس مثل تلك الارض الأولى، وإنما تصير أرضاً اخرى غيرها، ولن تكون نظيرتها في مثل هذه النشأة، بل في مرتبة الخيال أيضاً يتحقق السمع والرؤية وغيرهما حقيقة.^٣



١. آداب الصلاة، ص ١٥٢ - ١٥٣.

٢. ابراهيم (١٤): ٤٨.

٣. تقارير فلسفة الإمام الخميني، ج ٣، ص ٥٨٢.





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُهُمُ الْأَمْلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ ٣

[نتيجة عدم الانتباه إلى حجاب الباطن، العبثية واللهو]

فلو افترض هذا إنسان محجوب (لا سمح الله) لا بل حيوان على صورة إنسان، بسبب مرض قلبه الذي هو منشأ لجميع الأمراض الباطنية، فهو خارج عن الفطرة الإنسانية، ولا بد له من العلاج القطعي لهذا المرض الباطني. هذا هو الميت الذي هو حي بصورته والذي يقول الله تعالى، في حقه مخاطباً الرسول العزيز في سورة فاطر آية ٢٢ ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَن لَّمِ الْقُبُورِ﴾. هذا هو الحيوان الذي يرتع في مراتع الطبيعة ويأكل منها، الذي يقول

تعالى في حقه: ﴿ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُهُمُ الْأَمْلُ﴾^١!

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ٩

١. سورة الحجر (١٥): ٣.

٢. شرح حديث جنود العقل والجهل، ص ١٢٢.

[العظمة وعدم التحريف، من خصائص القرآن]

من الآداب الهامة في قراءة الكتاب الإلهي العظيم، والذي يتساوى فيه العارف والعامي، والمؤدي الى ظهور أطيب النتائج، والموجب لنورانية القلب وحياة الباطن، هو (التعظيم). ويتوقف تحققه على فهم عظمة الكتاب الإلهي وجلاله وكبريائه.

وهذا المعنى في حقيقته خارج عن نطاق البيان ويفوق طاقة البشر لتوقف فهم عظمة أي أمر على إدراك حقيقته، وحقيقة القرآن الإلهي المجيد قبل تنزله الى المنازل الخلقية وارتدائه أودية الفعلية من الشؤون الذاتية والحقائق العلمية في «الحضرة الواحدية» وتلك حقيقة «الكلام النفسي» المتمثلة في «المقارعة الذاتية» في «الحضرات الاسمائية»، وهي حقيقة لا يحصل عليها أحد بالعلوم المتعارفة ولا بالمعارف القلبية ولا بالمكاشفة الغيبية عدا ما حصل بالمكاشفة الإلهية التامة للذات المباركة للنبي الخاتم (صلى الله عليه وآله) في محفل أنس «قَاب قَوْسِينَ» بل في محل خلوة سرّ مقام «أو أدنى». وآمال الأسرة الانسانية قاصرة عن بلوغ ذلك باستثناء الخَلص من أولياء الله (عليهم السلام) الذين اشتركوا مع روحانية ذات النبي الخاتم (صلى الله عليه وآله) المقدسة بحسب الأنوار المعنوية والحقائق الإلهية، وفنوا في تلك الحضرة بالتبعية التامة، فهم يتلقون علوم المكاشفة بالوراثة عنه (صلى الله عليه وآله)، فانعكست حقيقة القرآن في قلوبهم بنفس تلك النورانية والكمال اللذين تجلّت حقيقة القرآن بهما

في قلبه المبارك (صلى الله عليه وآله) دون أن تنزل بالمنازل او ترتدي أردية الاطوار وهذا هو القرآن الخالص من التحريف والتغيير، المأخوذ مباشرة من كتاب الوحي الالهي.

[عدم نيل الجميع لكل معارف القرآن]

وإن من يستطيع تحمّل هذا القرآن هو الوجود الشريف لوليّ الله المطلق علي بن أبي طالب (عليه السلام) والآخرون لا يقدرّون على الحصول على هذه الحقيقة إلا بعد تنزلها من مقام الغيب الى الشهادة ومرورها عبر الاطوار الملكية والاكساء بكسوة الالفاظ والحروف الدنيوية، الأمر الذي يمثل واحداً من معاني « التغيير المعنوي » الواقع في جميع الكتب الإلهية وفي القرآن الشريف.

فالآيات الكريمة بتمامها ووضعت في متناول البشر وهي تنطوي على بعض التغييرات، بل تنطوي على تحريفات كثيرة تناسب مع المنازل والمراحل التي طوتها في سيرها من حضرة الاسماء حتى ادنى موضع لها في عوالم الشهادة والملك.

ومراتب التغيير المعنى تنطبق مع مراتب بطون القرآن الكريم - حذو النعل بالنعل - مع فارق أنّ التغيير: تنزل من الغيب المطلق الى الشهادات المطلقة وبحسب مراتب العوالم، في حين إن البطون: رجوع من الشهادات المطلقة الى الغيب المطلق. وعليه فمبدأ تغيير المعنى ومبدأ البطون متعاكسان في الاتجاه، والسالك الى الله يتخلّص - بوصوله كلّ مرتبة من البطون - من مرتبة من التغيير المعنى، حتى اذا وصل البطن المطلق - وهو البطن السابع بحسب المراتب العامة - تخلّص من تغيير المعنى تماماً.

إذن فقد يكون القرآن الكريم - بالنسبة لشخص ما - تفسيراً بجميع انواع التحريف، وبيعض مراتب التحريف بالنسبة لآخر، وليس محرفاً اصلاً بالنسبة لثالث وهكذا^١.



[شواهد على عظمة القرآن]

ولا بأس بالإشارة هنا - رغم ما أسلفنا من القول بأن فهم عظمة القرآن خارج عن نطاق الإدراك - وبشكل إجمالي الى عظمة هذا الكتاب المنزّل والموجود في متناول الناس جميعاً، فإن في ذلك فوائد جمة:

إعلم أيها العزيز أن عظمة كلام وكتاب تنشأ إما عن عظمة قائله وكتابه أو عن عظمة المرسل اليه وحامله، او عن عظمة حافظه وحارسه، أو عن عظمة شارحه ومفسره، وإما عن عظمة الوقت الذي أرسل فيه وكيفيته.

فبعض هذه الأمور لها دور في تشكيل تلك العظمة ذاتاً وجوهرأ، وبعضها الآخر عرضاً أو بالواسطة «بشكل مباشر وغير مباشر»، وبعضها يلعب دور الكاشف لتلك العظمة؛ وهي - بعد ذلك - متحققة على أتم وجه وأوفاه في القرآن الكريم - هذه الصحيفة النورانية - بل هي من مختصاته لا يشاركه فيها

١. لا يقصد الامام الخميني هنا التحريف بمعناه الاصطلاحي والتحريف في الفاظ القرآن؛ وذلك لأنه قد فُتد هذا المعنى وانكره في كتبه الاصولية والكلامية بل المراد التحريف المعنوي كما صرح: فالآيات الكريمة بشامها وُضعت في متناول البشر وهي تنطوي على بعض التحريفات. في هذا المجال راجع: انوار الهداية، ج ١، ص ٢٤٣، السبحاني (تقاريرات دروس الإمام)؛ تهذيب الاصول، ج ٢، ص ٩٦، مؤسسة النشر الإسلامي؛ صحيفة الإمام؛ ج ٤، ص ١٩١، ج ١٨، ص ٤٢٣ - ٤٢٢؛ كشف الاسرار، ص ١٣٠ - ١٣٢. ومقصوده التحريف المعنوي وعدم التوصل الى ما في ثنايا القرآن وما بين بطونه من معارف، وذلك بسبب الحجب والموانع الاخرى.

كتاب آخر أما بشكل مطلق أو أنه لا يشاركه فيها بجميع المراتب.

أما عظمة القرآن بلحاظ قائله ومُنشئه وصاحبه، فهو تعالى العظيم المطلق، وكل ما يمكن تصويره من أشكال العظمة في الملك والملكوت وجميع القدرات المنزلة في عالم الغيب والشهادة، كلها لا تمثل سوى رشحات من تجليات عظمة فعله جلّ وعلا. والحقّ تعالى لا يمكن أن يتجلى لأحد بتجلياته وعظمته إلا بعد آلاف الحجب والستائر، كما في الحديث الشريف: «إنّ لله سبعين ألف حجاب [من نور وظلمة لو كُشفت لأحرقت سُبحات وجهه من دونه]»، وهذا الكتاب قد صدر - كما يرى اهل المعرفة - عن الحق تعالى بمبدئية جميع الشؤون الذاتية والصفائية والافعالية وبجميع التجليات الجمالية والجلالية وهو بهذا أرفع منزلة من سائر الكتب السماوية. وأما عظمة القرآن بلحاظ عظمة محتوياته ومقاصده وأهدافه، فالأمر يستلزم لبحثه عقد فصل مستقل بل فصولاً وأبواباً ورسالةً وكتاباً مستقلاً، حتى يتضح جانب منه، وسوف نخصص فصلاً مستقلاً للإشارة الى هذا الموضوع اجمالاً مؤكداً عظمة القرآن بلحاظ نتائجه وثمراته. واما عظمته بلحاظ رسول الوحي وواسطة الإيصال، فهو جبرئيل الأمين والروح الأعظم الذي يتصل به الرسول الاكرم (صلى الله عليه وآله) بعد خروجه من جلباب البشرية وتوجيهه شطر القلب الى حضرة الجبروت. وجبرئيل أحد أركان دار التحقق الأربعة، وهو أعظمها وأشرف انواعها، إذ إنه - وهو الذات الشريفة النورانية - الملك الموكل بالعلم والحكمة وصاحب الارزاق المعنوية والاطعمة الروحانية، ونظرة الى ما ورد في كتاب الله وفي الاحاديث الشريفة تكفي لإدراك مدى الإجلال

١. بحار الأنوار، ج ٥٨، ص ٤٤ وفيه، دون الله سبعون الف حجاب من نور وظلمة ما يسمع من نفس تلك الحجب الأزهقت نفسه. وفي ص ٤٥ عن جبرئيل (عليه السلام) قال: لله من دون العرش سبعون حجاباً لو دوننا من أحدها لأحرقنا سبحات وجه ربنا.

والتعظيم الذي حُبي به جبرئيل وكيف انه مقدم على سائر الملائكة^١.
 واما عظمة القرآن بلحاظ عظمة المرسل اليه والحامل له، فهو القلب النقيُّ
 النقيُّ الأحمدى الأحدي الجمعي المحمدي، الذي تجلى فيه الحق تعالى بجميع
 الشؤون الذاتية والصفاتية والاسمائية والافعالية. وهو (صلى الله عليه وآله)
 صاحب ختم النبوة والولاية المطلقة وأكرم البرية وأعظم الخليفة وخلاصة
 الكون وجوهرة الوجود وعصارة دار التحقق واللينة الاخيرة وصاحب «البرزخية»
 الكبرى والخلافة العظمى.

وأما عظمته بلحاظ حافظه وحارسه، فهو الذات المقدسة للحق جل جلاله،
 كما يقول في الآية الكريمة المباركة: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُزَلُّنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.
 وأما بلحاظ شارحه ومبينه فهم المعصومون المطهرون بدءاً برسول الله (صلى
 الله عليه وآله) وانتهاءً بحجة العصر (عجل الله تعالى فرجه)، وهم مفاتيح الوجود
 ومخازن الكبرياء ومعادن الحكمة والوحي واصول المعارف والعوارف
 واصحاب مقام الجمع والتفصيل. وأما وقت الوحي، فهو ليلة القدر وهي أعظم
 الليالي فهي: ﴿وَمَا أَذْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾^٢، وأشدُّ الأزمنة نورانية، وفي الحقيقة
 فهي وقت وصول الولي المطلق والرسول الخاتم (صلى الله عليه وآله). وأما كيفية
 الوحي ومراسمه، فهو مما يضيق المجال ببيانه ومما يطول البحث فيه ويتشعب^٣.

١. الشعراء (٢٦): ١٩٣؛ النجم (٥٣): ٥-٩؛ التكويم (٨١): ١٩-٢٤؛ بحار الأنوار؛ ج ٥٦، ص ٢٥٨.

٢. كتاب السماء و العالم، ابواب الملائكة، باب آخر في وصف الملائكة المقربين، ح ٢٣، ٢٤.

٣. القدر (٩٧): ٢.

٣. آداب الصلاة، ص ١٨٠ - ١٨٤.

[الشكر على حفظ القرآن]

نقدم له آلاف التحية والثناء إذ جعلنا من أمة خاتم النبيين محمد المصطفى (ص) أفضل وأشرف الموجودات. ومن أتباع القرآن المجيد أشرف الكتب المقدسة الذي حفظت صورته المكتوبة الحاوية لكل الكمالات وصينت من تلاعب شياطين الإنس والجن، فقال عز من قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُزَلُّنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾؛ ذلك الكتاب الذي لم يزد ولم ينقص حرفاً واحداً.

إنه كتاب كريم رسم لنا أسلوب تعامل الأنبياء العظام مع المستكبرين والمتغطرسين في العالم على مر التاريخ، وأطلعنا على نهج خاتم الرسل (ص) في تعاطيه مع المشركين والجبارين والكفار والمنافقين، وإن هذا النهج خالد وأزلي في كل عصر ومصر.^١

[تطبيق الدين على القرآن وتفسير آخر لذكر القرآن]

وهكذا فإن الدين يبقى على الدوام راسخاً وحيّاً، ولكن انتم دعاة الفتن واصحاب المغامرات تبقون على مخالفتكم لبقاء الاسلام واستمراره،^٢ وستدفن حشراتكم وامنياتكم معكم. فالذين جاء بهذا الدين المبين الذي يتصف بهذا الرسوخ والثبات، هو الذي يتولى حفظه. ﴿إِنَّا نَحْنُ نُزَلُّنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

هذه الآية تجعل عروش سلاطين العالم نعوشاً لهم. لا بد انكم اصحاب الرقص والطرب، في المعهد الدكتاتوري المظلم كنتم تظنون ان الدين قد ولى وذهب.

١. صحيفة الإمام، ج ٢٠، ص ٣١٢. البيان الموجّه الى الحجاج الصادر بتاريخ ١٤٠٧/١٢/١.

٢. يشير سماحته هنا الى مؤلف كتاب اسرار هزار ساله (= أسرار ألف سنة) وهو حكيم زاده.

ولكن اعلموا ان الدين

باق والآلاف من امثال رضا خان بهلوي ينتهون الى غياهب الذل والمهانة.^١

﴿إِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتَ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ ٢٩

[شرف الإنسان بنفخة الروح الإلهية فيه]

يتبين إذا أن الانسان موجود شريف وأسمى من الأجسام والماديات. فمن غاية التشريفات انه قال: ﴿إِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتَ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾.^٢ ومن التشريف طبعاً انه نسب التسوية الى نفسه. فلو قدم شخص شريف مثلاً فان من شرفه ان يتولى صاحب المنزل القيام بأعماله، ومن شرف الفعل وأهميته ان يقوم به السيد بنفسه. وكذلك من التشريف أيضاً نسبة الروح الى نفسه بقوله: ﴿وَنَفَخْتَ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾، وعدم رضاه بنسبة النفخ الى أحد آخر كالملائكة؛ لأن الروح مظهر الالهوية ومن صقع الربوبية وآيتها. وهذا الجانب إذا لاحظته الانسان في ذاته ينسى طبيعته. فكل من يرى الجانب الطيني (الارضي) من ذاته فهو من جنس الشيطان؛ لأن الشيطان رأى طينه آدم عليه السلام فرفع عقيرته بالاعتراض قائلاً بان طينتي من نار ولا يليق أن أسجد لمن طينته من تراب. وليس المعنى طبعاً ان الشيطان كان يرى ذلك الأثر الإلهي، بل انه لم يكن يراه أصلاً. وهذا دليل على عدم العرفان؛ وذلك لأن العرفان هو ان يرى العارف الأثر الإلهي في أنزل مرتبة في الوجود. ولهذا فان أكمل الشرائع هي التي تجيز السجود على التراب. أي ان أدنى الموجودات التي توطأ بالأقدام وهو التراب، ينبغي ان تُتخذ مساجد.

١. اشارة الى مناهضة رضا خان بهلوي للدين والتدين في ايران.

٢. كشف الاسرار، ص ١٩٦.

٣. الحجر (١٥): ٢٩.

ويُفترض بالعارف أن يرى الأثر الإلهي في تلك المساجد أيضاً، وان يسجد لما فيها من وجهة إلهية. إذا فالشيطان لم يكن على درجة عالية من العرفان وان كثرة عرفانه هي التي منعته من السجود لآدم؛ على اعتبار انه كان لا يرى جواز السجود لغير الله، كما زعم بعض الزاعمين.

إذا فالشيطان لم يرَ في آدم المَعْلَمَ أو الجانب الإلهي، وما نسبه الله الى نفسه تشريفاً وقال: ﴿وَتَفَخَّتْ لِيهِ مِنْ رُوحِي﴾، وهو الجانب الذي رآه كلّ الملائكة وسجدوا على أثره لآدم، خلافاً للشيطان الذي رأى الطبيعة الترابية لآدم وأبدى اعتراضه على الأمر الصادر إليه. طبعاً الشيطان لم يخطئ في كبرى المسألة حين قال: لا يجوز للشريف ان يسجد لما هو دونه؛ فأنا من نار وهو من تراب، والنار أطف من التراب، ولكنه رأى الجانب الترابي وقامه بعنصره الناري وأبدى ذلك الاعتراض. إذا فالشيطان لم يُخطئ في كبرى هذه المسألة وهي ان الأشرف لا ينبغي أن يسجد لغيره، وإنما وقع خطأه في صغرى المسألة وهو انه رأى عنصر الطين، وكلّ من يرى العنصر الطيني فهو من جنس الشيطان. ومن الصعب جداً الارتقاء بمستوى التربة الى الحد الذي يجعلهم يشاهدون الشيء الذي يحمل المعالم الإلهية؛ لأنه مادامت أبصارهم قد انشَدت الى الطبيعة الطينية، يصبح من الصعب لفت انظارهم الى الآيات والمعالم الإلهية.

ولهذا اصبحنا في حاجة الى اقامة البرهان بالنسبة الى الوجود التجرّدي، وهو الشيء الذي في ذاتنا، ونسينا أنفسنا، وجئنا نلتمس ذاتنا من كتاب الأسفار. ولكن العارفين على خلاف هذا طبعاً. فلو شئنا ان نبين لهم بأن لهم عدا تلك المنفوخة الإلهية جانب طيني، فلا بد ان نجلس ونبرهن لهم بالتدرّج على أننا موجودات ترابية وانتم ترائيون أيضاً، مثلما سعى آخرون محاولين ان يثبتوا بالبرهان اننا مجردون، في حين أن أنفسنا في ذاتنا وذلك هو باطننا، بل اننا عبارة عنه هو؛ ولكن لأن هناك حجب وغشاوات تستر حقيقتنا، وقد وقعنا نحن فيها،

لذلك علينا ان نرى أنفسنا في كتاب الأسفار ونتعرف عليها عن هذا الطريق. ولهذا فنحن نفتح الأسفار ونحاول العثور على طريق الى ذواتنا بالبراهين. في حين ان المعارف يرى تلك الآيات والدلائل الإلهية في ذاته ولا يرى الخلقة من الطين، بل يرى تجلّي الحق في جميع الموجودات ويفعل عن جانبها الظلماني. وإذا أراد احدٌ تفهيم هذه الظلمانية لهم فلا بد له ان يقيم عليها الاستدلال والبرهان.

إذا فالشيء الذي كان في آدم ولأجله نُسب الى الله هو تشريف الإنسان الذي قال عنه الله عزّ وجلّ: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ وسجد ملائكة الله للإنسان من حيث كونه منسوباً الى الله وأجلى مظهره.^١

[تفسير الروح بالنفس الرحمانية والفيض المستنبط]

ان سلسلة الوجود من عوالم الغيب والشهود من تعينات المشيئة ومظاهرها؛ ونسبتها الى جميعها نسبة واحدة، وان كانت نسبة المتعينات اليها مختلفة. وهي أولى الصوادر على طريقة العرفاء الشامخين، رضوان الله عليهم؛ وسائر المراتب موجودة بتوسطها؛ كما في رواية الكافي عن ابي عبد الله، عليه السلام، قال: «خلق الله المشيئة بنفسها ثم خلق الأشياء بالمشيئة».^٢

بل التدقيق في مضمون الرواية والتحقيق عند اصحاب السر والحقيقة وارياب السلوك والطريقة [هو] ان لا موجود في المراتب الخلقية إلا المشيئة المطلقة الإلهية. وهي الموجودة بالذات والمجردة عن كل التعينات والتعلقات؛ ولها الوحدة الحقّة الظليّة ظلّ الوحدة الحقّة الحقيقية. واما التعينات فلم تستشم رائحة

١. تقارير فلسفة الإمام الخميني، ج ٣، ص ٤٣ - ٤٥.

٢. الكليني، الكافي، ج ١، ص ١١٠، كتاب التوحيد، ح ٤.

الوجود، بل كسراب بقية يحسبه الظمان ماء: ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَتْمَمَ
وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾^١ و﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾...

و اذ تحقق لك ان الموجودات على مراتبها العالية والسافلة وتخالفها في
الشرف والخسة، وتغايرها في الأفعال والذوات وتباينها في الآثار والصفات
يجمعها حقيقة واحدة الهية هي المشيئة المطلقة الإلهية، والموجودات بدرجاتها
المختلفة وطبقاتها المتفاوتة مستهلكة في عين المشيئة، وهي مع غاية بساطتها
وكمال وحدتها وأحديتها كل الأشياء، وبالتكسر الاعتباري لا ينثلم وحدتها بل
[هذا] يؤكدها، وينفذ نورها في الأرضين السفلى والسموات العلاء، ولا شأن
لحقيقة من الحقائق إلا شأنها ولا طور إلا طورها... وأن لا واسطة بين
المخلوقات وخالقها، وأن فعله مشيئته وقوله وقدرته وادارته ايجاده، وبالمشيئة
ظهر الوجود، وهي اسم الله الأعظم؛ كما قال محيي الدين:

«ظهر الوجود بيسم الله الرحمن الرحيم»^٢ وهي الحبل المتين بين سماء الإلهية
و الأراضي الخلقية، و العروة الوثقى المتدلية من سماء الواحدية. و المتحقق
بمقامها و الذي أفقه أفقها، هو السبب المتصل بين السماء و الارض الذي به فتح
الله و به يختم، و هو الحقيقة المحمدية و العلوية، صلوات الله عليهما، و خليفة
الله على اعيان المهيئات، و مقام الولاية المطلقة و الاضافة الاشرافية التي بها
شروق الاراضي المظلمة، و الفيض المقدس الذي به الافاضة على المستعدات
الغاسقة، و ماء الحياة الساري: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾، و الماء الطهور
الذي لا ينجسه شيء من الأرجاس الطبيعية و الأنجاس الظلمانية و القذارات
الإمكانية. و هو نور السماوات و الأرض: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾؛ و له

١. يوسف: ٤٠.

٢. ابن عربي، الفتوحات المكية، ج ٢، ص ١٣٣، السفر الثاني من الباب الخامس.

مقام الإلهية: ﴿هُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَ فِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾ و هو الهبولى الأولى و مع السماء سماء و مع الأرض ارض؛ و هو مقام القيومية المطلقة على الأشياء: ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾؛ و النفس الرحمانية: ﴿وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾؛ و الفيض المنبسط، و الوجود المطلق، و مقام قاب قوسين و مقام التدلي، و الأفق الأعلى، و التجلي الساري، و النور المرشوش، و الرق المشور، و الكلام المذكور، و الكتاب المسطور، و كلمة «كن» الوجودي، و وجه الله الباقي: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ. وَ يَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَ الْإِكْرَامِ﴾؛ إلى غير ذلك من الألقاب و الإشارات.^١

[السِّرّ فِي نِسْبَةِ رُوحِ الْإِنْسَانِ إِلَى اللَّهِ]

إن الإنسان الكامل الذي يكون آدم أبو البشر فرداً منه، أكبر آية ومظهر لأسماء وصفات الحق سبحانه، وأنه مثل الحق المتعالي وآيته. ولا بد من تنزيه الله سبحانه وتقديسه عن المثل بمعنى الشبه ولا يلزم تنزيه ذاته المقدسة عن المثل الذي هو بمعنى الآية والعلامة.

﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾!

إن كافة ذرات الكون، آيات ومرآة تجلي ذاك الجمال الجميل عزوجل كل حسب حجمه ومنزلته الوجودية. ولكن لا يكون شيء آية للاسم الأعظم الجامع أي «الله» عدا الكون الجامع، والبرزخية الكبرى المقدسة جلّت عظمته بعظمة باريه.

فَاللَّهُ تَعَالَى خَلَقَ الْإِنْسَانَ الْكَامِلَ وَالْأَدَمَ الْأَوَّلَ عَلَى صُورَتِهِ الْجَامِعَةِ وَجَعَلَهُ

١. شرح دعاء السحر، ص ١٨٧ - ١٨٨.

٢. الروم (٣٠): ٢٧.

مِرَّةَ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ...

وتبين من بحثنا هذا السالف الذكر، السبب في إصطفاء وإختيار الحق المتعالي للصورة الجامعة الإنسانية من كل الصور المختلفة للكائنات بأسرها. كما تبين السرّ في تفضيل الحق سبحانه لآدم (عليه السلام) على الملائكة، وتكريمه دون كافة المخلوقات وفلسفة نسبة روحه إليه في الآية الكريمة ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾. وحيث أن هذا الكتاب قد التزم على نفسه الاختصار، غرضنا الطرف عن بيان حقيقة النفخة الإلهية، وكيفيتها في آدم، وسبب اختصاصها به دون الموجودات الأخرى.^١

[تفسير الروح في عرف الاطباء والحكماء]

إن الروح لدى الأطباء عبارة عن البخار اللطيف الناجم عن حرارة دم الحيوان في القلب... وقد تطلق الروح على الدم المتجمع في الكبد، والذي يمشي في الأوردة، ويسمى «بالروح الطبيعية» كما أنه قد تستعمل «الروح» في مصطلح الحكماء، في الروح النفسية التي تنبعث من الدماغ، وتجري في الأعصاب، وتكون مظهراً ومرتبة نازلة من الروح المجرد، التي هي السرّ السبحاني، وروح الله المشار إليها بقوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾.^٢

﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ٣٩

[حجاب الأنانية سبب لتصور التفوق على الآخرين]

فيا أيها المشرك المتحل التوحيد، ويا ابن آدم، إنك ترث هذا كله من ابليس

١. شرح الأربعمون حديثاً، ص ٦٣٦.

٢. شرح الأربعمون حديثاً، ص ٦٣٤.

اللعين، الذي يرى نفسه ذا سلطة ويضجُّ بالقول: ﴿لَا غُورِيَّتَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ والحال أنه بانس شقي واقعٌ في حُجُب الشرك والعجب.

إن أولئك الذين يرون للعالم ولأنفسهم وجوداً مستقلاً غير مستظل، ويرون مالكيها لا مملوكيها إنما ورنوا شيطنة ابليس، فلتستيقظ أنت من هذا السبات العميق.^١

﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ٣٩﴾ ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾ ٤٠

[لزوم التخلص من مكر الشيطان والوصول إلى درجة الاخلاص]

لو أردتم أن تصل أعمالكم التي عملتموها لله إلى النتيجة المطلوبة فعليكم أن تتخلّوا عن الأهواء النفسية، فالشيطان لا يتخلى عن الإنسان لأنه قد تحدّى الله وأقسم بأنه لا يترك العباد وشأنهم بل سيغويهم أجمعين ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾، فأنتم تواجهون مثل هذا العدو اللدود^٢ فاتجهوا لمحاربهته.^٣

﴿وَكُنزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ ٤٧

١. آداب الصلاة، ص ١٧٢.

٢. يبدو حسب رأي الامام ان هذا النقل وصمت القرآن عن قَسَم الشيطان يفيد ان الله عز وجل قد قبل قسمه وأقره، خاصة انه في ذيل الآية الشريفة (إِنَّ عِبَادِي لَكُنْ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا) ينسب العباد الى نفسه، وهؤلاء العباد هم الذين بلغوا درجة الاخلاص.

٣. صحيفة الإمام، ج ١٩، ص ٤٨٥.

[الغاية من العذاب الإلهي في القيامة]

ومهما يكن من أمر فإنَّ الانسان في هذا العالم - الذي هو عالم التبدل والتغير ومنزل الهول والاسعداد - يستطيع اصلاح ذاته حتى وان كان بالتعب والمشقة. ومهما بلغت العيو النفسية درجة من الرسوخ، فمع ذلك يمكن اقتلاعها. وما من عيب من العيو النفسية الا ويستطيع الانسان اصلاحه مادام في هذا العالم، حتى وان تغلغل في اعماق النفس وضرب بجذوره فيها وأصبح ملكة راسخة. غاية ما في الأمر ان درجة ومدى الرياضات النفسية تختلف وكلما كانت اصعب واشد وتحتاج الى مشقة بدنية ورياضة روحية، كانت ذات قيمة اعظم؛ وذلك لأنه مهما يكن الأمر فإنها تبقى تحت تصرف الانسان في هذه النشأة، وخاضعة لارادته وتحصل بالأعمال العبادية وأمثالها.

ولكن لو ان الانسان - لا سمح الله - انتقل الى العالم الآخر بملكات فاسدة واوصاف خبيثة، وكان نور الفطرة والايان محفوظاً في باطن ذاته أيضاً. فان الاصلاح والتزكية وتهذيب النفس يخرج من اختياره، بل انه يُسلب الاختيار حتى قبل خروج الروح من البدن. وتستعمل عند ذلك طرق اخرى لاصلاحه، مثل المصاعب والعناء الذي يكابده عند الاحتضار وقبض الروح، ورهبة رؤية الملائكة الموكلين بهذا العمل - وهم ملائكة غلاظ شداد^١ وكظلمات القبر وضغطه، بل مختلف صفوف عذاب القبر... واذا كانت هذه الضغوط والمشقة وهذا الألم والعناء والعذاب البرزخي الذي يواجهه الانسان في القبر، يؤدي الى تهذيب النفس وتنقيتها مما لحق بها من الشوائب وألوان الامور الغريبة عن الفطرة، فانه ينال السعادة في القيامة، ويصل الى مقامه الكريم الموعود بفضل

١. ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ﴾ (التحريم (٦٦): ٦).

شفاعة الشافعين عليهم السلام. ولكن اذا لم تقتلع جذور الاخلاق الفاسدة ولم تنجل الظلمات وتبدد الشوائب فانه يقع في احوال القيامة وعذابها ومواقفها الخمسة، ويلقى المزيد من الضغوط والعذاب، بل عسى ان لا ينتهي به الحال الى شديد عذاب جهنم.

وفي هذه المواقف المروعة اذا لم يغلب نور الفطرة، ينتهي به الحال الى جهنم؛ حيث قيل في هذا المجال ان: «أَخِرُّ الدُّوَاءِ أَلْكَى»^١.
فيحبس في طبقات جهنم في أنواع العذاب حتى تطهر النفس، والفطرة من الغل والغش، ويظهر ذهبها الخالص اللائق بدار كرامة الحق تعالى، ويكون مبرأ من الأجناس الغريبة: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾^٢.
وتختلف كيفية هذا النزاع عند الأشخاص تبعاً لاختلاف كمال ملكاتهم أو نقصها.^٣



[أهل الجنة مثل اعلاء المؤمنين في الدنيا]

الاسلام يريد أن يعيد هؤلاء المنحرفين ومن يعيش حالة التخبط والحيرة إلى سواء الطريق، إلى طريق السلامة، وان يكون الجميع اخوة، تربطهم علاقات مودة

١. راجع: بحار الأنوار، ج ٧، ص ١٢٦؛ كتاب العدل و المعاد، الباب ٦، ح ٣، ٥.

٢. نهج البلاغة؛ الخطبة ١٦٨. هذا المقطع عبارة عن حكمة يطلقها أمير المؤمنين ويعتبر فيها الكي آخر السبل لمعاينة المتخلف. ويرى الامام الخميني ان العقاب في الآخرة سبيل لتبديد الذنوب وتطهير المذنبين، ويجعل هذه المسألة هي الحكمة من وراء العقاب.

٣. سورة الحجر (١٥): ٤٧.

٤. شرح حديث جنود العقل والجهل، ص ١٥٧ - ١٦٠.

ومحبة على غرار اهل الجنة: ﴿إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾. يعيشون كالأخوة لا يوجد بينهم حقد ولا حسد، تم تطهيرهم، وإذا كنا - لا سمح الله - من اصحاب جهنم فسيجري تطهيرنا في جهنم فجهمم هي طريق الجنة.^١

[الاخوة والمحبة احدى صفات أهل الجنة]

﴿تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾^٢ وهو عذاب يواجهه أهل جهنم. ﴿إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾^٣ وهي نعمة ينعم بها أهل الجنة. أي أن الأخوة والمحبة هي نعم أنعم الله بها على أهل الجنة والخصام بين أهل جهنم هو عذاب عظيم أعده الله لهم. يقول أهل المعرفة: إن كل ما في الجنة والنار هو من صنع الإنسان نفسه ويعكس عمل الإنسان، وتقول رواية: «أن أرض الجنة والنار قاع مسطح لا شيء فيها»^٤.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ ٨٧

[احد اسماء سورة الحمد، السبع المثاني]

روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِي: يَا مُحَمَّدُ، ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾، فأفرد الامتان عليّ بفاتحة الكتاب وجعلها بإزاء القرآن. وإن فاتحة

١. صحيفة الإمام، ج ١٢، ص ٥٠٨.

٢. هذا المعنى مقتبس من الآية الشريفة: ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ (ص (٣٨): ٦٤).

٣. الحجر (١٥): ٤٧: ﴿وَوَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾.

٤. صحيفة الإمام، ج ١٣، ص ١٠٠.

الكتاب أشرف ما في كنوز العرش، وإن الله خصَّ محمداً وشرفه بها، ولم يشرك فيها أحداً ما خلا سليمان، فإنه أعطاه منها: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

ألا تراه يحكي عن بلقيس حين قالت: ﴿إِنِّي أَلْقِي إِلَيْكَ كِتَابَ كَرِيمٍ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾! ...

وعن أبي بن كعب قال: «قرأت على رسول الله فاتحة الكتاب، فقال: والذي نفسي بيده ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلها، هي أم الكتاب وهي السبع المثاني، وهي مقسومة بين الله وعبده، ولعبده ما سأل»!^٢

﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ ٩٩

[مجيء اليقين بمعنى مجيء الموت]

ويقول بعض اهل المعرفة:

إذا قسم الحمد بين العبد وربّه - كما جاء في الحديث النبوي الشريف،^١ سيكون من اول سورة الحمد والى قوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ لله، وقوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ مشترك بين الرب والعبد، ومن بعد هذا الى آخر السورة خاص بالعبد. وهكذا تُقسم الصلاة على هذا المنوال أيضاً. وإذا يكون السجود خاصاً لله وحده؛ وذلك لأن العبد فان، والقيام للعبد؛ لأنه واقف في خدمة المولى. والركوع حالة

١. النمل (٢٧): ٢٩ - ٣٠.

٢. مجمع البيان، ج ١، ص ١٧.

٣. آداب الصلاة، ص ٢٩٩ - ٣٠٠.

٤. راجع: بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ٢٢٦، كتاب القرآن، الباب ٢٩، ح ٣.

مشتركة حيث تظهر فيها في موطن العبد الانوار الالهية^١.

يقول الكاتب: ومادام العبد في كسوة العبودية أيضاً، فالصلاة وكل أعمالها للعبد. وإذا فنى في الله، تصبغ كل اعماله لله، وليس له تصرف فيها. وإذا بلغ حالة الصحو بعد المحو والبقاء بعد الفناء تكون العبادة لله في مرآة العبد. وهذا ليس اشتراكاً وإنما هو امر بين الأمرين.

ومادام العبد سالكاً لعبادته له، وإذا وصل لعبادته لله. وهذا هو معنى انقطاع العبادة بعد الوصول: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾؛ أي الموت. وإذا حصل الموت الكلّي والفناء المطلق، يكون الحق العابد ولا حكم على العبد، لا انه لا يعبد بل عليه ان يعبد: وكان الله سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ وَلِسَانَهُ^٢.

وأما ما ظنه بعض الجهلة المتصنفون فهو بسبب قصورهم. وإذا عاد العبد الى رشده تكون العبادة لله وتحصل في مرآة العبد، ويصبح العبد سمع الله ولسان الله^٣.



١. اسرار العبادات، ص ٤٧.

٢. راجع: اصول الكافي، ج ٢، ص ٣٥٢، كتاب الايمان والكفر، باب من اذى المسلمين واحقرهم،

ح ٧، ٨

٣. اسرار الصلاة، ص ٨٢ - ٨٣





سورة النحل

١٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ ٢٩

[وصف موضع المتكبرين]

عن محمد بن يعقوب، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن بكير، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «إِنَّ فِي جَهَنَّمَ كَوَادِيًا لِلْمُتَكَبِّرِينَ يُقَالُ لَهُ «سَقَرٌ»، شَكِيَ إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ شِدَّةَ حَرِّهِ وَسَأَلَهُ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ أَنْ يَتَنَفَّسَ، فَتَنَفَّسَ فَأَحْرَقَ جَهَنَّمَ!»^١

والحديث في غاية الاعتبار «من حيث السند»؛ بل هو كالصحيح.^٢

[عوامل شدة العذاب وتخفيفه]

أعوذ بالله من مكان رغم كونه دار عذاب، يشكو حرارته، فيتنفس فتحترق جهنم من جراء تنفسه. إننا لانستطيع أن ندرك شدة حرارة نار الآخرة في هذا

١. اصول الكافي، ج ٢، ص ٣١٠، كتاب الإيمان والكفر، باب الكبير، ح ١٠. ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، ص ٢٦٥، عقاب المتكبرين، ح ٧.

٢. قال الامام في وصف وتقييم هذا الحديث انه كالصحيح ولم يصفه بالصحيح، والسبب في ذلك يعود الى وجود ابراهيم بن هاشم في سنده، وليس في المصادر الرجالية توثيق صريح لهذا الراوي، ولكن اعتبروا خبره صحيحاً لشواهد اخرى. ولهذا وصفه بعارة «كالصحيح».

العالم، إذ أن أسباب شدة العذاب وضعفه:

من جهة، تتبع قوة الإدراك وضعفه؛ إذ كلما كان المدرك أقوى والإدراك أتم وأنقى كان إدراك الألم والعذاب أكثر.

ومن جهة أخرى، تعتمد على اختلاف المواد التي يقوم بها الحس في تقبيل الحرارة، لأن المواد تختلف من حيث تقبيل الحرارة. فالذهب والحديد، مثلاً، يتقبلان الحرارة أكثر من الرصاص والقصدير، وهذان يتقبلانها أكثر من الخشب والفحم، وهذان أكثر من الجلد واللحم.

كما أن لمستوى ارتباط قوة الإدراك بالموضع المقابل للحرارة أثراً في شدة وضعف العذاب، فمثلاً المخ الذي يكون تقبله للحرارة، أقل من العظام، يكون تأثيره أشد، لأن قوة الإدراك فيه أكبر. وأن للحرارة نفسها من حيث كمالها ونقصانها، دوراً في الشدة والضعف فالحرارة التي تصل إلى مائة درجة تؤلم أكثر من الحرارة التي تصل إلى درجة خمسين.

كما أن لمدى ارتباط المادة الحرارية الفاعلة بالمادة المتقبلة لها سبباً في تخفيف أو تشديد العذاب. فمثلاً، إذا كانت النار قريبة من اليد كان الاحتراق أخف مما إذا التصقت النار باليد.

جميع هذه الأسباب الخمسة المذكورة تكون في هذه الدنيا في منتهى النقص، وفي الآخرة في منتهى كمال القوة والتامة. إن جميع إدراكاتنا في هذا العالم ناقصة وضعيفة ومحجوبة بحجب كثيرة لا يتسع المجال لذكرها ولاتناسبه. إن أعيننا لا ترى اليوم الملائكة ولا جهنم، وآذاننا لا تسمع الأصوات العجيبة والغريبة التي تصدر من البرزخ وأصحابه ومن القيامة وأهلها، وحواسنا لا تحس

بالحرارة هناك، كل ذلك لأنها ناقصة جميعاً^١ إن الآيات والأخبار الواردة عن أهل البيت صلوات الله عليهم مشحونة بذكر هذا الأمر، تلويحاً وتصريحاً^٢ كما انه مطابق للبرهان في محله^٣ إن جسم الإنسان في هذا العالم لا يتحمل الحرارة، إذ لو بقي ساعة واحدة في النار الباردة من الدنيا لاستحال إلى رماد. ولكن الله القادر يجعل هذا الجسم يوم القيامة بحيث إنه في نار جهنم - التي شهد جبرائيل بأنه لو جيء بحلقة واحدة من سلاسل جهنم التي طول الواحدة منها سبعون ذراعاً إلى هذه الدنيا لأذابت جميع الجبال من شدة حرارتها^٤ - يبقى ولا يذوب. فقابلية جسم الإنسان للحرارة يوم القيامة لاتقاس بقابليته لها في دار الدنيا.

أما ارتباط النفس بالجسد في هذه الدنيا فضعيف وناقص، ففي هذا العالم يستعصى على النفس أن تظهر فيه بكامل قواها، أما الآخرة فهي عالم ظهور النفس. إن نسبة النفس إلى الجسد نسبة الفاعلية والخلاقية، كما هو ثابت في محله^٥ وهي أتم مراتب النسبة والارتباط.

ونار هذه الدنيا نار باردة ذاوية وعرضية ومشوبة بمواد خارجية غير خالصة. أما نار جهنم، فنار خالصة لاتشوبها شائبة، وجوهر قائم بذاته حي. ذو إرادة

١. لأننا محجوبون بحجب دنيوية وحواسنا منعمكة في اشياء اخرى، وهذا ما يجعلنا عاجزين عن ادراك تلك الاصوات والروائح والمشاهد.

٢. في هذا المجال، راجع: المجلسي، بحار الأنوار، ج ٨، ص ٢٥٠ فما بعدها حول اوصاف جهنم.

٣. المصدر السابق، ص ٣٢٠، ح ٩٩، نقلاً عن الاختصاص للشيخ المفيد.

٤. ولو أن ذراعاً في السلسلة التي ذكرها الله تعالى في كتابه وضع على جميع جبال الدنيا لذابت عن آخرها. بحار الأنوار، ج ٨، ص ٣٠٥، كتاب العدل والمعاد، باب النار، ح ٦٤؛ تفسير البرهان، ج

٤، ص ٣٧٩، تفسير الآية ٣٢ من سورة الحاقة.

٥. الأسفار الأربعة، ج ٨، ص ١٣٧، ١٤٣، ١٥٤، ١٥٥، السفر الرابع أو الثالث، الفصل ١١ و ١٥.

يحرق أهله بإدراك وإرادة، ويشدد الضغط عليهم بقدر الإمكان. ولقد سمعت الصادق المصدق الأمين جبرائيل، وهو يصفها. والقرآن والأخبار مليئة بوصفها.^٢ أما إرتباط نار جهنم والتصاقها بالجسم فلاشبه له في هذا العالم، ولو تجمعت جميع نيران العالم وأحاطت بإنسان لما أحاطت بغير سطح جسمه. أما نار جهنم، فتحيط بالظاهر والباطن وبالحواس المدركة وما يتعلق بها. إنها نار تحرق القلب والروح والقوى، وتحد بها بنحو لانظير له في هذا العالم.

فيتين مما ذكر أن هذا العالم لاتوافر فيه وسائل العذاب بأي شكل من الأشكال، فلامواده - العالم - جديرة بالتقبل، ولامصادره الحرارية تامة الفاعلية، ولا الإدراك، تام. إن النار التي تستطيع أن تحرق جهنم بنفس منها، لا يمكن أن نتصورها ولا أن ندرکها، إلا إذا كنا - لاسمح الله - من المتكبرين، ومنتقل من هذا العالم إلى الآخرة قبل أن نظهر أنفسنا من هذا المخلوق القبيح، فراها رأي العين^٣ ﴿فَلْيَنْسَ مَنَ الْتَكْبِيرِينَ﴾!^٤

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ قَالَُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ
وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ ٣٠

١. في بعض الآيات يتحدث الله عن النار قائلاً أنها تطلب المزيد: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلْ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ (ق (٥٠): ٣٠). كما ان هذه النار يكون وقودها احياناً بنو الانسان: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ (البقرة (٢): ٢٤). جاء تفصيل هذا البحث في كتاب الأسفار الأربعة، ج ٩، ص ٣٤٢ - ٣٦٥ و الفتوحات المكية، الباب ٦١، ج ٢، ص ٢٩٧.

٢. حول مجموع هذه الآيات التي تشير الى وصف جهنم والنار، راجع: بحار الأنوار، ج ٨، ص ٢٢٢.

٣. اي بالعين والرؤية وشاهد تجسم أعمالهم عن كتب وعلى نحو ملموس شكلاً.

٤. شرح الأربعون حديثاً، ص ٨٧ - ٨٩.

[أسباب رجحان دار الآخرة]

إن الدنيا مرة تطلق على نشأة الوجود النازلة والتي هي دار تصرّم وتغيّر ومجازاً، والآخرة تطلق على الرجوع من هذه النشأة إلى ملكوت الإنسان وباطنه والتي هي دار بقاء وخلود وقرار. وهاتان النشأتان متحقتان لكل نفس من النفوس وشخص من الأشخاص. وعلى العموم، لكل كائن مقام ظهور وملك وشهود. وتلك هي مرتبته النازلة الدنيوية. ومقام باطني، وملكوت غيبي، وهي النشأة الصاعدة الأخروية. وهذه النشأة النازلة الدنيوية وإن كانت ناقصة بذاتها وإنها آخر مراتب الوجود، ولكن لما كانت مهد تربية النفوس القدسية، ودار تحصيل المقامات العالية، ومزرعة الآخرة، فإنها من أحسن مشاهد الوجود وأعزّ النشآت، وهي المغنم الأفضل عند الأولياء وأهل سلوك الآخرة. ولولا هذه الأمور الملكية والتغييرات والحركات الجوهرية، الطبيعية والإرادية، ولولا أن يسלט الله تعالى على هذه النشأة التبدلات والتصرفات، لما وصل أحد من ذوي النفوس الناقصة إلى حد كماله الموعود ودار قراره وثباته، ولحصل النقص الكلي في الملك والملكوت.

إن ما ورد في القرآن والأحاديث عن ذم هذه الدنيا، لا يكون عائداً في الحقيقة إلى الدنيا من حيث نوعها أو كثرتها، بل يعود إلى التوجه نحوها وانشداد القلب بها ومحبتها.^٢

١. النشأة بمعنى الخلق وغالباً ما تأتي مضافة إلى الدنيا والبرزخ والآخرة أو موصوفة بواحدة منها، وتجعل بدلاً من العالم.

٢. تصرّم بمعنى الانتهاء وهو من باب المجاز، لأن عالم الثبات والبقاء هو عالم الآخرة، وهو حقيّة وما يقابله يسمى عالم المجاز.

٣. حول ذم الدنيا، راجع: الكليني، أصول الكافي، ج ٢، ص ١٢٨، باب ذم الدنيا.

وعليه، يتبين من ذلك أن أمام الإنسان دنياين: دنيا ممدوحة ودنيا مذمومة. فالمدح هو الحصول في هذه النشأة وهي دار التربية ودار التحصيل ومحل التجارة لنيل المقامات واكتساب الكمالات والإعداد لحياة أبدية سعيدة، مما لا يمكن الحصول عليه دون الدخول إلى هذه الدنيا، كما جاء في خطبة لمولى الموحدين أمير المؤمنين (عليه السلام) ردّاً على من ذم الدنيا:

«... إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ صِدْقٍ لِمَنْ صَدَقَهَا، وَدَارُ عَاقِبَةٍ لِمَنْ فَهَمَّ عَنْهَا، وَدَارُ غِنَى لِمَنْ تَزَوَّدَ مِنْهَا، وَدَارُ مَوْعِظَةٍ لِمَنْ اتَّعَظَ بِهَا. مَسْجِدُ أَحِبَّاءِ اللَّهِ، وَمَصَلَى مَلَائِكَةِ اللَّهِ، وَمَهْبِطُ وَحْيِ اللَّهِ، وَمَتَجَرُّ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ. اكْتَسَبُوا فِيهَا الرَّحْمَةَ، وَرَبِحُوا فِيهَا الْجَنَّةَ...»^١
وقال الله تعالى: ﴿... وَلِنَعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ حسب ما ورد في تفسير العياشي عن الإمام الباقر (عليه السلام) هي دار الدنيا^٢. وعليه، فإن عالم الملك، وهو مظهر الجمال والجلال وحضرة الشهادة المطلقة، ليس مذموماً بهذا المعنى، بل المذموم هو دنيا الإنسان نفسه، أي التوجه إليها والتعلق بها وجبها، وهذا هو منشأ كل المفسد والخطايا القلبية والظاهرية^٣.

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِرُّوا لِمِ الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ﴾^{٣٦}

[لزوم اسقاط القوى الطاغوتية]

علينا بمحاربة حكم الطاغوت، لأن الله تعالى قد أمر بذلك ونهى عن طاعة

١. نهج البلاغة، صبحي الصالح، الحكمة رقم ١٣١.

٢. تفسير العياشي، ج ٢، ص ٢٥٨.

٣. شرح الأربعون حديثاً، ص ١٢٠ - ١٢١.

الطاغوت والسير في ركابه. وعلى السلطات غير العادلة ان تخلي مكانها لمؤسسات الخدمات العامة الإسلامية، لتقوم تدريجياً بحكومة شرعية مستقرة. وقد ندبنا الله في كتابه الكريم الى الوقوف: ﴿صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُيُوتٌ مَّرْصُورَةٌ﴾ (الصف: ٤) في وجه سلاطين الجور، وأمر موسى بمعارضة فرعون ومقاومته. ووردت في ذلك أحاديث كثيرة^١.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ٤٣

[المصداق الاكمل لأهل الذكر]

وردت عن أهل السنة ثمة ثلاثة أحاديث تقول بأن المقصود من أهل الذكر هو علي ابن أبي طالب^٢.

﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ

١. من هذا الباب روايات تدعو الى نصيحة ائمة المسلمين، راجع: اصول الكافي، ج ٢، ص ١٦٣ وتعتبر أفضل الجهاد كلمة عدل عند امام جائر، وترى ان التطبيق التام للامر بالمعروف والنهي عن المنكر يتجسد في محاربة الطواغيت والظلمة. في هذا المجال، راجع: نهج البلاغة، الخطبة ١٦٤، ٢٠٥، الكلمات القصار ٣٧٤؛ أو الامر بمحاربة البدع. مثل الخطبة ١٥١، ١٦٤ وروايات اخرى وردت في كتاب بحار الأنوار.

٢. ولاية الفقيه، ص ١٣٨.

٣. الحاكم الحسكاني، عبيد الله بن عبد الله، شواهد التنزيل، المجلد ١، ص ٤٣٢، ح ٤٥٩، ٤٦٣، ٤٦٥. جاء في بعض الروايات ان أهل الذكر، هم أهل بيت النبي، وهذا يعني انها تشير الى بيان المصداق الأكمل.

٤. كشف الاسرار، ص ١٣٩.

يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾

[أهمية التفكير]

قد أكثر القرآن المجيد من الدعوة الى التفكير ومدحه والحث عليه، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^١.

ففي هذه الآية الكريمة مدح عظيم للتفكير، حيث إنها جعلت من «احتمال التفكير» الغاية من انزال هذا الكتاب السماوي العظيم والصحيفة النورانية العظمى، وهذا دليل على شدة الاهتمام بالتفكير، ذلك لأن الآية عدت مجرد احتمالاً موجباً لمثل هذه الكرامة العظيمة.

ويقول تعالى: ﴿فَأَقْصَصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^٢. وهناك كثير من الآيات التي تعضد هذا المعنى او تقترب منه؛ أضف إلى ذلك الكثير مما ورد من الأحاديث حول موضوع التفكير.

رُوي أن الرسول الخاتم (صلى الله عليه وآله) عندما نزلت الآية الكريمة: ﴿إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ آيَاتٍ﴾^٣ قال: «ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها»!

على أية حال، فإن مما لا شك فيه أن التفكير ممدوح في القرآن والسنة، غير أن المهم هنا هو أن يعرف الانسان نوع التفكير الممدوح، وافضل ما ورد في توضيح ذلك هو قول الخواجه عبدالله الأنصاري (قدس سره) إذ يقول: «إعلم أن

١. النحل (١٦): ٤٤.

٢. الاعراف (٧): ١٧٦.

٣. آل عمران (٣): ١٩٠.

٤. مثله في نور الثقلين: ج ١، ص ٣٥٠ بتفاوت يسير.

التفكر تلمسُ البصيرة لاستدراك البغية^١.

أي إنه بحث البصيرة - وهي عين القلب - سعياً في الوصول الى المقصود والنتيجة - وهي غاية كماله - ومعلوم ان المقصد والمقصود هو السعادة المطلقة التي تُستحصل بالكمال العلمي والعملية.

[المراد من التفكير]

اذن، على الانسان ان يحصل على السعادة وهي نتيجة الانسانية ومقصودها من آيات الكتاب الالهي الكريم وقصصه وحكاياته. ولما كانت السعادة تتحقق ببلوغ السلامة المطلقة وعالم النور والصراط المستقيم، وجب على الانسان البحث عن سبل السلامة ومعدن النور المطلق والطريق القويم، من القرآن الكريم، كما تشير الى ذلك الآية الكريمة المتقدمة. فإذا عثر القارئ للقرآن على المقصد، صار يسعى في تحصيله على بصيرة، وتمهدت له سبيل الاستفادة من القرآن الكريم، وشرعت له ابواب رحمة الحق، فلا يضيق عمره القصير العزيز ورأسماله في البحث عن السعادة في الأمور التي لا تستهدفها الرسالة، ويجتنب النافل من البحث والكلام في مثل هذا الأمر المهم^١.

[تعيين المقصد والغاية من انزال الكتاب]

ان علينا - فضلاً عن البحث العقلي البرهاني الذي يوصلنا الى فهم الهدف من التنزيل - ان نستل هذا الهدف من الكتاب ذاته، فمصنف الكتاب اعرف بأهدافه ومقاصده، فلنتأمل قليلاً الآن فيما يقوله المصنف بما يرتبط بشؤون القرآن.

١. منازل السائرين: قسم البدايات - باب التفكير.

٢. آداب الصلاة، ص ٢٠٤ - ٢٠٥.

يقول تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾^١ فقد وصفه بأنه كتاب هداية. ويقول تعالى في سورة قصيرة: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّذَكِّرٍ﴾^٢. ويقول: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^٣. ويقول: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^٤ الى غير ذلك من الآيات الكريمة التي يطول ذكرها.^٥

﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ

يَسْمَعُونَ﴾ ٦٥

[الماء النازل، تأويل لوجه الحق النوراني]

إنّ لمراتب الموجودات من مطالع عوالم الأنوار المشرقة إلى غواسق صياصي الأقطار المظلمة - ظلًا نورانيًا ووجهاً حقيقيًا إلى عالم القدس و الطهارة، و ظلًا ظلمانيًا ووجهاً شيطانيًا إلى معدن الخسة و الكدورة:

أما الوجه النوراني فهو الذي افيض من حضرة الجمع بالفيض المقدس الإطلاقي^٥ و الظل الممتد الرحماني... قال عز من قائل: ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ

١. البقرة (٢): ٢.

٢. القمر (٥٤): ١٧.

٣. ص (٣٨): ٢٩.

٤. آداب الصلاة، ص ١٩٣ - ١٩٤.

٥. المراد من الفيض المقدس الإطلاقي هو الفيض الذي يحصل على اثر الارتباط المباشر للموجودات، والموجودات التي لا يتورها نقص أو محدودية، تكتسب عند الارتباط مع الحق تعالى ومع الوجود الصرف، نورانية؛ ومن هنا تغدو هذه الموجودات ظلًا ممتدًا للحق تعالى، وتصبح بكل وجودها ووجهاً لله. وفي هذه الحالة تضيء على الموجودات الاخرى الحياة. في هذا المجال راجع: شرح الأربعون حديثاً، ص ٦٤٦.

مَاءً فَاحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴿٦٧﴾

فالماء النازل من سماء الإلهية إلى أرض الخلقية لإحياء الأموات، و الظلّ الممدود إلى هياكل الممكّنات، و الهوية الآخذة بناصية الهالكات، هو وجه الله الباقي المُشار إليه بقوله عزّ شأنه: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾^١!

﴿وَأَرْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾
﴿ثُمَّ كُلِّي مِنْ كُلِّ النَّمْرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلًّا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾

[كُونِ الْعَسَلِ شِفَاءً لَا يَمْنَعُ مِنْ مَرَاجَعَةِ الطَّبِيبِ]

لو أن طلب الشفاء يعدُّ - بصورة مطلقة - شركاً، فإن الله نفسه يكون قد دعا إلى الشرك عندما قال تعالى:

﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^٢

إننا إذاً لو طلبنا الشفاء من العسل الذي تحدث عنه الله هنا، فإننا نكون من المشركين،^٤ ويكون الله الذي أرسل رسله لنشر التوحيد قد فتح بنفسه باب الشرك ودعا إليه، إن المروجين هم الذين يفسرون ذلك حتى يصموا المتدينين بالخرافات.

١. القصص (٢٨): ٨٨

٢. تعلية على الفوائد الرضوية، ص ٦٦.

٣. النحل (١٦): ٦٩.

٤. ويمكن أن أقول: أن التداوي بالعسل يُعد طلباً للاستشفاء بالعسل، ومن الأسباب المشروعة للتداوي بنص القرآن والسنة، وإن كان طلب الشفاء حقيقياً يكون من الله كما قال الله: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ الشعراء (٢٦): ٨٠

وهنا اقاويل ماكرة يرددها الكتاب المتحذلقون ويقولون فيها انكم تزعمون ان تربة الامام شفاء من كل سقم وامان من كل بلاء، فلماذا لا تأمرون جميع المستشفيات والصيدليات وكليات الطب لاتخاذها دواءً؟
وجواب هذه المغالطة هو بناءً على اقاويلكم ان كان القرآن صادقاً، فليضع كل احد في داره حباً من العسل ليتخلص به من شر الطيب والأدوية. وان كان في العسل شفاءً من كل داء، فلتوصي به كل المستشفيات وكليات الطب والصيدليات.^١

[الحكمة من الدعاء والتوسل بدلاً من الأخذ بأسباب الطبيعة]

انكم تطلقون هذه السفاسف والترهات لانكم تجهلون موضع استعمال هذا الدواء الالهي. فكل الادوية الالهية والتوسل بالامور الغيبية يحين دورها بعدما تتوقف وتعجز الطبيعة والأسباب الطبيعية التي تستمد كلها من مصنع إلهي، وبعدها يتوقف عمال القدرة الالهية عن العمل والتأثير وتكفل سبل الاستعانة بالأسباب الظاهرية، وتصبح معالجة الاطباء والادوية عديمة الجدوى، هناك يفتح الله امام عباده نافذة أمل لكي لا يياسوا كلياً من الله ومن الاسباب الغيبية، ولا يغلقوا ابواب قلوبهم اغلاقاً تاماً بوجه الطبيعة وآثارها، ولكي لا يغفلوا عن

١. هذا ردّ على شبهة يثيرها من يتصورون ان في العسل شفاء لكل الامراض وفي كل مكان، استناداً الى ما وصف به الله العسل بأنه شفاء للناس، في حين ان هذه الآية لا تصف بمثل هذه الشمولية ولا تريد القول بالاستغناء عن الاطباء والادوية والمستشفيات بفضل وجود العسل، وانما تبين ان للعسل خواصاً وتأثيرات مهمة في السلامة وفي معالجة الامراض. والانتباه الى هذه النعمة الالهية التي تأتي من حشرة صغيرة، تحمل توجيهاً ارشادياً الى احدى آيات الله.

ذكر رب العالمين وبارئ الخلائق أجمعين.^١

[الشيخوخة استدراج وامهال احيانا]

ولما بلغت المشيب ابتليت بكل خطوة منه بالاستدراج حتى اشتعل الرأس شيئا وأخذت منى الكهولة مأخذاً: «ومنكم من يُرَدُّ الى أرذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئاً» وبما أن ابنتي^٢ تفصلها أميال عن هذه المرحلة ولم تذق طعمها... وأنت يا ابنتي العزيزة - حيث تطلبين النهاية ولم تبدأي بعد - لو فرطتي بمرحلة الشباب على هذا المنوال من اللهو والتسلية أو أكثر من هذا فسوف يفوتك ركب العشاق الى الله، وسوف تجلين على نفسك عبأ ثقيلاً من التأسف والندم. فاستمعي لهذا العجوز البائس الذي انحنى ظهره من هذا الحمل الثقيل، ولا تكتفي بهذه المصطلحات التي هي عبارة عن فخ إبليس، وتحري عنه جل وعلا؛ مرحلة الشباب واللهو واللعب سريعة الانقضاء جداً وقد طويتها جميعاً وأحاق بي الآن عذاب جهنم، ولم يتركني الشيطان الباطني لحظة واحدة حتى يوجه ضربته النهائية - والعياذ بالله -^٣

﴿وَيَوْمَ نُبْعَثُ لِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَتَرْنَا عَلَىٰكَ الْكِتَابَ بَيِّنًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ ٨٩

١. كشف الاسرار، ص ٤١ - ٤٢.

٢. المقصود هنا هي السيدة فاطمة الطباطبائي زوجة السيد احمد الخميني.

٣. صحيفة الإمام، ج ٢٠، ص ١٦٥ - ١٦٦.

[جامعية القرآن]

القرآن المجيد، والسنة الشريفة، يحتويان على جميع الأحكام والأنظمة التي تسعد البشر، وتنحو به نحو الكمال.

يوجد في كتاب «الكافي»^١ فصل تحت عنوان: «بيان جميع ما يحتاج الناس في الكتاب والسنة»^٢، وفي الكتاب: «تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ»، والإمام يقسم - كما ورد ذلك في بعض الأحاديث - أن جميع ما يحتاجه الناس موجود في الكتاب والسنة من غير شك^٣.

[أهمية التوجه إلى القرآن الجامع]

أطلب من جميع العلماء الاعلام وأبناء القرآن ألا يغفلوا عن هذا الكتاب المقدس الذي أنزل «تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ»^٤.
فربما يهجر هذا الكتاب السماوي الالهي - والعياذ بالله - وهو يحتوي على

١. الكافي في الحديث، وهو الكتاب المشهور بالكافي. أحد الكتب الاربعة لدى الشيعة. تأليف محمد بن يعقوب الكليني. تبلغ أحاديثه نحو ستة عشر ألف حديث.
٢. اصول الكافي، ج ١، ص ٧٦ - ٨٠، كتاب فضل العلم، باب الرد الى الكتاب والسنة... وجميع ما يحتاج الناس اليه إلا وقد جاء فيه كتاب أو سنة.
٣. عن مرازم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله تبارك وتعالى أنزل في القرآن تبيان كل شيء، حتى والله ما ترك الله شيئاً يحتاج اليه العباد حتى لا يستطيع عبد يقول: لو كان هذا أنزل في القرآن إلا وقد أنزل الله فيه.
٤. ولاية الفقيه، ص ٢٩.
٥. المرأ بالنور نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذي قال: «أول ما خلق الله نوري»، وكذلك المقصود من ظهور جمع الجمع، هو أيضاً؛ لأنه جمع الجمع مرتبة الأحدية، وهو ظهور هذه المرتبة.

جميع الأسماء والصفات والآيات البيّنات بصورة حسية وخطية، ونعجز عن درك منازل الغيبية، ولا يحيط بأسراره سوى الوجود الجامع المقدس أي «مَنْ خُوطِبَ بِهِ». فأدرك خُلص أولياء الله العظام كنه ذلك ببركة تلك الذات المقدسة وبفضل تعليمه، واستفاد خُلص أهل المعرفة بشعاع منه بقدر استعدادهم ومراتب سيرهم ببركة المجاهدة والرياضة القلبية، والآن نمتلك نسخته الخطية بعدما نزل على لسان الوحي بدون أي زيادة أو نقيصة في حرف منه.^١

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتَسْأَلُنَّ

عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ٩٣



١. اشارة الى الحديث الشريف: «إِنَّمَا يَعْرِفُ الْقُرْآنَ مَنْ خُوطِبَ بِهِ»، بحار الأنوار؛ ج ٤٦، ص ٣٤٩. حيث قال في موضع آخر بان الغاية من هذه الرواية انها جاءت في باب تأويل القرآن. (صحيفه الامام، ج ١٨، ص ٤٢١) وعبر عن ذلك في موضع بتعبير لباب الآيات. والا فهو يصرح باننا نعرف ظواهره. (تفسير آية البسملة، ص ١٣٨)، كما انه يصرح في موضع آخر بأن المقصود مقام آخر، والا فان بعض الآيات المتعلقة بالاحكام الظاهرية وتلك التي فيها نصائح وارشادات، مفهومة لدى الجميع (صحيفة الامام، ج ١٨، ص ٢٦٢). ولهذا فانه لا يأخذ هذه الرواية بمعنى نفي فهم القرآن وعدم جواز التفسير، والنحو الذي اخذ به بعض الاخباريين. وقد استشهد سماحة الامام بهذه الرواية مرات ومرات وبين المعنى في بعض المرات بالنحو الذي يفيد بأن القرآن يستعصي على الفهم ولا يمكن ادراكه. (وللاطلاع على مزيد من التفاصيل في هذا المجال، راجع ما جاء في بيان الآية الاولى من سورة الحديد). وتبند هذه الشبهة عند الرجوع الى التوضيحات التي جاءت في الفصل الخامس من الباب الثالث من المجلد الأول من هذا التفسير، وهو المجلد الذي يعتبر بمثابة مقدمة لهذا التفسير.

٢. صحيفه الإمام، ج ٢٠، ص ٩٢؛ في بيان موجه الى الشعب الايراني المسلم والعالم وحجاج بيت الله الحرام.

إبما ان جميع مراتب الوجود مظاهر لجمال وجلال الحق، فهو الهادي والمُضِلّ

لابد من معرفة أن جميع مراتب الوجود، من منتهى قمة عالم الملكوت وذروة عالم الجيروت إلى أسفل السافلين من عالم الظلمات والهيولى تكون مظاهر جمال الحق سبحانه وجلاله، ومراتب تجليات الربّ عزوجل، وإن جميع الكائنات غير مستقلة في ذاتها، وإنما هي تعلق صرف، وربط محض، وعين الفقر والتدلي بالذات المقدسة للحق، وإن الموجودات كافة مسخرات بأمر الحق، ومطيعات للأوامر الإلهية. كما أن الآيات القرآنية التي أشارت إلى ذلك كثيرة.^١ قال تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾!

إن هذا الإثبات والنفي - ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ - إشارة إلى مقام «الأمر بين الأمرين»^٢ بمعنى أنك رميت، وفي نفس الوقت أنك لم ترم بقدرتك المستقلة، بل إنما حصل الرمي بواسطة ظهور قدرة الحق في مرآتك، ونفوذ قدرته في عالم ملكك وملكوتك. فإذن أنت تكون رامياً، وفي نفس اللحظة يكون الحق جلّ وعلا رامياً. وتضاهي تلك الآية المجيدة، الآيات الشريفة المذكورة في سورة «الكهف» المباركة عند بيان قصة الخضر وموسى (عليهما السلام)^٣... فإن النبي

١. ومن هذه الآيات ما جاء في السور التالية: الأعراف (٧): ٥٤ التحل (١٦): ١٢ و ١٧٩ البقرة (٢):

١٦٤؛ المنكوت (٢٩): ٦١؛ لقمان (٣١): ٢١؛ فاطر (٣٥): ١٣؛ الجانية (٤٥): ١٣.

٢. الأنفال (٨): ١٧.

٣. إشارة الى روايات وردت عن اهل البيت في مقام الجبر والاختيار وقالوا فيها: لا جبر ولا تفويض ولكن امر بين الامرين (ح ١٢، كتاب التوحيد، باب الجبر والقدر) راجع: الكليني، اصول الكافي،

ج ١، ١٥٥-١٦٠.

٤. الكهف (١٨): ٧٩-٨٢.

الخضر (عليه السلام) كشف أسرار عمله لموسى (عليه السلام) ونسب مورد العمل الناقص والمعيب إلى نفسه قائلاً: ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ وفي مورد آخر، مورد الكمال نسب العمل إلى الحق سبحانه ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَهَا﴾ وفي مورد ثالث نسب العمل إلى الطرفين قائلاً: ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبَّهُمَا﴾ وكل ذلك يكون صحيحاً.^١

ومن أمثال الآيات المباركات قول الله تعالى حيث يقول: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ مع أن ملك الموت هو المسؤول عن توفي النفوس.

وقوله تعالى: ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ فالله تعالى هو الهادي والمضل. مع أن جبرائيل يكون هادياً، والرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) يكون هادياً ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾^٢ وإن الشيطان يكون مضلاً. وهكذا النفخة الإلهية من صور إسرافيل إلى نفس النفخة الإسرافيلية حيث توجد التعددية - نفخة إلهية ونفخة إسرافيلية - من جهة والاشترك والوحدة من جهة أخرى حيث أن الجميع منه وإليه. فمن منظار لا يكون كل من إسرافيل وعزرائيل وجبرائيل ومحمد (صلى الله عليه وآله) وكافة الأنبياء وكل من هو في دار التحقق، شيئاً - وهذا هو منظار الوحدة - فلا ينسب إليهم أمراً، في مقابل ملك

١. المقصود هو الآية الشريفة: ﴿وَإِنَّمَا الْجِدَارُ فَكَانَ لِلْفِلْسِينِ﴾ (الكهف: ١٨): (٨٢) حول بناء الجدار وحفظ الكثر للغلامين الصغيرين، حيث نسب فيها العمل إلى الله: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا﴾ حتى انه يؤكد بأنه لم يفعل ذلك من تلقاء نفسه. ولكن حين يتحدث عن نقيه للسفينة وهو على ما يبدو عمل سلمي، فهو ينسب هذا العمل إلى نفسه ولكن نظراً إلى حساسية الموضوع وحرجة الموقف وما يتضمنه ذلك العمل من ثنائية، فقد نسه إلى نفسه وإلى الله: ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ (الكهف: ١٨): (٧٩)؛ وذلك لأن هذا العمل ينقسم إلى شقين: أحدهما القتل، والآخر استبداله بآخر. فالقتل من فعله، والاستبدال بابن آخر يُنسب إلى الله.

٢. الزمر (٣٩): ٤٢.

٣. الرعد (١٣): ٧.

الملك بشكل مطلق، ومقابل إرادة الحق النافذة، إن جميع الأشياء مظاهر قدرة الحق وإرادته ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾.

ومن منظار آخر وهو منظار الكثرة والانتباه إلى الأسباب والمسببات، تكون جميع الأسباب صحيحة وذات دور فاعل، ويكون النظام الكوني الأتم قائماً على أساس نظم وتنسيق بين الأسباب والمسببات، بحيث لو تعطل سبب وواسطة في تسلسل الأسباب والوسائط في هذا الكون لتوقفت عجلة الوجود، وإذا لم يرتبط الحادث بالقديم، عبر الوسائط والأسباب المقررة، لتوقف الفيض وتعطلت الرحمة. ولو أن شخصاً بواسطة المنطلقات والمقدمات المقررة في مظانها - خاصة كتب العرفاء الشامخين وكتب صدر الحكماء والفلاسفة وأفضل الحكماء الإسلاميين^١ من كتب الفلاسفة - أدرك هذا المشرب الإيمان العذب، وأدخله في مقام قلبه، لانفتحت عليه هذه الأبواب، ولعرف بأن هذه النسب صحيحة وحقيقية ولا يخامرهم التسامح والمجاز نهائياً لدى دراساته الدقيقة العرفانية.^٢

وعندما يرى بعض الملائكة الموكلين بنفوس المؤمنين وبقبض أرواحهم المقدسة، مقام المؤمنين لدى محضر الحق المقدس المتعالي، ويرون من جانب آخر أن المؤمنين يكرهون الموت، انتابتهم حالة من التزلزل والتردد. وقد نسب سبحانه هذه الحال إلى نفسه «وَمَا تَرَدَّدْتُ فِي شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ كَتَرَدُّدِي فِي وَفَاءِ الْمُؤْمِنِينَ».^٣ كما نسب إلى نفسه التوفي، والهداية والإضلال. وكما أن تلك النسب

١. الزخرف (٤٣): ٨٤.

٢. المراد به صدر المتألهين الشيرازي (الملا صدرا).

٣. لتوضيح هذا المعنى، راجع: صدر المتألهين الشيرازي، الأسفار الأربعة، ج ٦، ص ٣٧٣ - ٣٧٤.

٤. إشارة إلى رواية نقلها الصدوق في علل الشرايع: و ما ترددت عن شيء أنا فاعله ما ترددت في قبض نفس المؤمن يكره الموت (بحار الأنوار، ج ٥، ص ٢٨٣). للاطلاع على المزيد من التفاصيل حول هذا البحث، راجع: الأسفار الأربعة، ج ٦، ص ٣٩٥ - ٣٩٨. وكذلك كتب المرحوم المجلسي

إلى الحق المتعالي صحيحة على مسلك العرفاء، تكون نسبة التردد إليه عز وجل أيضاً صحيحة.

ولكن استيعاب هذا المشرب يحتاج إلى قريحة حسنة ولطيفة، وذوق سليم والله العالم والهادي.^١

[يَحْتَمَلُ أَنْ هِيَ الْهَدَايَةُ وَالضَّلَالَةُ الَّتِي تَنْسَبُ إِلَى اللَّهِ تَحْصُلُ بِسَبَبِ حِجَابِ الْوَحْدَةِ وَالْكَثْرَةِ]

... نور الهداية الفطرية، وقد تقدمت الإشارة إليه في المبحث السابق، ويكون «الصراف المستقيم» في هذه المرتبة من الهداية، عبارة عن السلوك إلى الله دون الاحتجاب بالحجب المُلْكِيَّةِ أو الملكوتية أو دون الاحتجاب بحجب المعاصي القالبيَّةِ أو القلبية، أو دون الاحتجاب بحجب الغلو أو التقصير، أو دون الاحتجاب بالحجب النورانية أو الظلمانية، أو دون الاحتجاب بحجب الوحدة، أو الكثرة، ولعل الآية الكريمة: ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ تشير إلى هذه المرتبة من الهداية وإلى الاحتجابات التي ذكرناها، الأمرين اللذين يقدران

بحثاً حول نسبة هذا التردد إلى الله، نقلًا عن الشيخ البهائي، راجع: بحار الأنوار، ج ٥، ص ٢٨٤.

راجع: بحار الأنوار، ج ٥، ص ٢٨٤.

١. شرح الأربعون حديثاً، ص ٥٨٥ - ٥٨٧.

٢. المقصود هو السلوك إلى الله وأتباع الصراف المستقيم بعيداً عن أي حجاب ظاهري أو باطني، ولا مُلْكِي ولا ملكوتي. أو اختيار الطريق والسير عليه بلا مانع أو عوائق من ذنوب خارجية وعينية (قالية) أو معاصر قلبية (كالشرك والرياء). وفي هذه الحالة يكون لأتباع الطريق المستقيم للسالك بنور الهداية الفطرية مقام ومرتبة خاصة به.

٣. المقصود هو حينما ينسب الله الاضلال والهداية إلى نفسه، فهذا في مرتبة من احتجابات الوحدة والكثرة. فنور الهداية في مرتبة الوحدة يعبر عن مشيئة الحق في الهداية، وفي مرتبة الكثرة يتبدل

بالتجلي بحضرات الالهيان الثابتة في «حضرة القدر»^١ وهي عندنا «مرتبة الواحدية»^٢.

﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ٩٦

[توجه الإنسان إلى نفسه زائل، وتوجهه إلى الله باق]

جميع آمالنا هذه ستقبر وتنتهي جميع أشكال الاهتمام بالنفس ستنتهي وبالاضرار بنا والذي يبقى هو المتعلق بالله: ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾. لدى الإنسان "ما عندكم" وللإنسان "ما عند الله"، فما دوام متوجها مهتما بالنفس فهو من جنس: ﴿مَا عِنْدَكُمْ﴾ وكله سيفني وينتهي ولكن المتعلق بالله فهو باق باسمه لا ينفد.^٤

هذا الحجاب الى ضلالة، ولهذا ينسبه الله الى نفسه. ولكن اذا ابتلي السالك في مسيرته وفي معرفته بالعلو، او اذا توانى في كسب المعارف، يحصل عند ذلك حجاب الغلو والتقصير.

١. المراد من حضرة القدر هي مرتبة الواحدية التي هي مرتبة التجلي ومقام ظهور الأسماء والصفات الالهية، هي المرتبة التي تكون فيها الارادة الالهية قاهرة لجميع الارادات، ويكون الحق عز وجل فاعلاً على الاطلاق ومسبب الأسباب. وفي هذا المقام ينكشف دور تجليات الله في ظهور الأسماء والصفات الالهية، ويتضح متى استعداد ومؤهلات كل شخص. وفي هذه المرتبة، مرتبة التوحيد ولا يحصل جبر. راجع: شرح الأربعون حديثاً، ص ٥٣.

٢. آداب الصلاة، ص ٢٨٩ - ٢٩٠.

٣. النحل (١٦): ٩٦.

٤. تفسير آية البسمة، ص ١٣٠.

[لا اعتبار لمعطيات الدنيا]

عليهم أن لا يعتقدوا أن الدنيا باقية، تدوم عدة أيام، ثم تزول. لا يدوم إلا ما كان لله تعالى.

﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾، ما عند الله هو ما ينجز في سبيله.^١

[ما يكون لله ويقدم له، باق]

ان الحق تعالى يشهدنا في جميع الأمور، وفي جميع الأعمال التي نقوم بها، وفي جميع الأفكار التي ترد، فجميع العالم محضر له، وهو يشهد حتى ما يعمل في القلوب. ونحن نحمل على عاتقنا مسؤولية كبيرة أمام الله تبارك وتعالى في كل أمر نديره^٢ وفي كل مسؤولية نضطلع بها في هذا البلد. فجميع الأشخاص الذين يحاربون في الجبهات وجميع الأشخاص الذين يضحون بأرواحهم للإسلام، جميعهم في محضر الله تبارك وتعالى وسوف لا يضيع أجر أي انسان. فما كان من اجل الله، يبقى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾. فكل شيء يعود لنا زائل، وما كان لله وما كان مقدماً لله، باق.^٣

﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

١. صحيفة الإمام، ج ٢٠، ص ٢٠٦؛ صحيفه النور، ج ٢٠، ص ٦٥.

٢. لا يعتبر البقاء والفناء رهيناً بأعمال الانسان في هذا العالم فقط، وانما يفهم من الآية مفاداً أشمل وينطبق حتى على الافكار وخلجات الذهن. ونتيجة لتلك الافكار والنوايا التي تعبر عن الجوانب النفسية والميول الشخصية للأفراد والتفتاً الى الذات والى نوازعها، يؤدي الى ضرر الانسان وهو زائل. واما الذي لله، فهو يعود اليه ويبقى بقاء اسمه.

٣. صحيفة الإمام، ج ١٦، ص ٤١٠؛ صحيفه النور، ج ١٦، ص ٢٤٢.

[العمل الذي يتناسب مع الإنسانية والحياة الطيبة، عمل

[مخلص

السعادة هي ادراك وتعقل الوجود، وهذا ما يستدعي ادراك نظام الوجود وتعقله على نحو يكون فيه المبدأ والمعاد. وهذه جهة واحدة مما يتطلبه الانسان لنيل السعادة. وأما الجهة الثانية فهي ان يكون العقل عملياً؛ أي ان تؤدي الاعضاء والجوارح أعمالاً صالحة وهي الاعمال التي تتناسب مع الوجود الانساني. وفي الحقيقة ان تتطهر القوى والجوارح والاحتجابات. وان تكون أعمال الجوارح والقوى أعمالاً متناسبة مع الروح والنفس الانسانية؛ لأن مثل العمل الصالح كمثل الدواء الصالح؛ والدواء الصالح هو ذلك الدواء الذي ينسجم مع المزاج، والعمل الصالح أيضاً هو ذلك العمل الذي ينسجم مع روح الانسان.

قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾^١ وحسب رأيي ان الوجه والسبب في ذكر العمل الصالح بصيغة المفرد هو انه ليس هناك عمل يتناسب مع المقام الانساني إلا عمل واحد وهو عبارة عن العمل لله، كما ان الآية الشريفة: ﴿إِنَّمَا أُعْطِكُمْ بِوَاحِدَةٍ﴾^٢ شاهد على ذلك. كما ان هذا المعنى قد ورد أيضاً في قول أمير المؤمنين عليه السلام في دعاء كميل: "حتى تكون أعمالي وأورادي كلها ورداً واحداً؛^٣ أي ان تكون ذات وردد واحد. إذ إن كان الانسان في كثرة فهو ليس في عمل صالح؛ لأن الأوراد المتعددة لا تتناسب مع الانسان.

نحن حالياً واقعون في الكثرة، وحتى عبادتنا تشوبها أهواء كثيرة؛ فلدينا هوى

١. النحل (١٦): ٩٧.

٢. سبأ (٣٤): ٤٦.

٣. مصباح المتهجد، ص ١٧٨٠ مفاتيح الجنان، دعاء كميل.

الأملاك، وهوى الشخص والبروز، ولدينا هوى التقدم، ولدينا هوى الزوجة والأولاد، وبعضنا انخرط في سلك الروحانية رغبة في الدعة والراحة، وبعضنا الآخر اختار هذا العمل انطلاقاً من حب التفوق على الآخرين، وبعضنا الآخر نصب فخاخ التظاهر بالتقديس من أجل استغلال المساكين من العوام.

وعلى العموم لدينا أهواء متعددة، ولدينا أوراد مختلفة؛ لدينا ورد صحة البدن، وورد البطن، ولدينا ورد جمع المريدن، وورد الجاه والدولة والمال والمنال، وورد الأفرشة والسجاد والمساند، وورد البيت والدار والمسكن، وورد الجلوس في صدر المجلس واطاعة الناس لنا، وورد الاستعلاء ونفوذ الكلمة. وهذه الأوراد المختلفة والأهواء المتعددة لا تنسجم مع الإنسان، بل تعيقه عن بلوغ السعادة. والشئ الذي ينسجم مع الانسان هو العمل الصالح، وهو طبعاً عمل واحد.

لا يمكن سلوك طريق التوحيد بقبلتين

فأما رضا الحبيب وأما رضا النفس^١

إن أهواءنا متعددة أيضاً؛ فللعين هوى وللذائقة هوى وآخر، وللاذن هوى غيره، واللسان يميل الى هوى آخر، والبطن لها هواها أيضاً، الحسد له هواه، والطمع يحمل هوى آخر، كما ان للخيال والوهم هوى غير تلك الأهواء. والويل من هذه الأوراد والأهواء! ولو استطاع أحد تحطيم هذه القيود بالعمل، وتمكّن من ارجاع الأعمال الى عمل صالح واحد، وارجاع الأوراد كلّها الى ورد واحد، ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾^٢. يقول الله تعالى: اننا نحبي العامل بهذا العمل الصالح حياة طيبة وطاهرة. ولا يظن أحد أنه لا يوجد لمثل هذا الشخص حياة طيبة وطاهرة

١. ديوان سنائي الغزنوي.

٢. النحل (١٦): ٩٧.

في هذا العالم، لا بل ان العامل إذا صلح؛ فإنه يحيى في هذا العالم حياة طيبة وطاهرة. قد يتوهم البعض ان من يتحنى جانباً ولكنه يتلَهف الى المغريات الدنيوية كالذهب والجواهر كمن تبدو في نظره وكأنها رمال وحصى، وهذا وهم باطل طبعاً؛ لأن نظر مثل هذا الشخص أسمى منها وهو يعبر أهمية وقيمة لرضا الله. وأما من يعطي قيمة وأهمية للذهب والمجوهرات، فتسقط في نظره قيمة الأشياء ذات الأهمية.

وعلى العموم هناك جانبان لازمان لنيل السعادة؛ أحدهما وصول العقل الهولاني الى مرتبة العقل بالفعل، والآخر العمل الصالح للعقل العملي؛ أي ينبغي ان يصل العقل النظري الى ادراك حقيقة الأشياء كما هي، أي ان يصل الى ادراكها كما هي اظلال ومستظلات، والعقل العملي بالعمل والتصفية يساعد القوى الجسمانية، وحقيقة الانسان كالمرآة الملفوفة في غلاف؛ اذ لا بد من صفاء المرآة من ناحية، ولا بد من اخراجها من الغلاف من ناحية اخرى، لكي ترسم فيها الصور، إذاً لا بد أولاً ان يكون للانسان صفاء المعنى، وثانياً عليه ان يتجرد من الغلاف والقشر والعلائق البدنية والدنيوية. وإذا رُفِع هذان المانعان، أي ان يتكوّن لديه صفاء روحي وتزول عنه الكدورات البدنية، يحصل له اتصال بالعالم العلوي.^١

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ ٩٨

[أهمية الاستعاذة بالله من شر الشيطان]

من آداب القراءة الهامة - لاسيما القراءة في الصلاة التي تمثل السفر المعنوي

الى الله والمعراج الحقيقي ومرقاة وصول اهل الله^١ - أدب الاستعاذة^٢ من الشيطان الرجيم، شوكة طريق المعرفة وعقبة السير والسلوك الى الله^٣، باعترافه هو على ما يخبر به الله تعالى في سورة الاعراف إذ يقول: ﴿فِيمَا أُغْوِيْتَنِي لِأَفْقُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾!

فلقد أقسم الشيطان على القعود لذرية آدم على الصراط المستقيم ليصدّهم عنه، ولذا لا يمكن تحقيق الأمان من شرّ قاطع الطريق هذا في الصلاة - وهي طريق الانسانية المستقيم ومعراج الوصول الى الله تعالى - دون الاستعاذة بالله واللجوء الى حصن اللوهية الحصين.



١. المرقاة تعود الى الصلاة وليس الى القراءة. وسماحة الامام يقصد بهذه العبارة الاشارة الى حديث: الصلاة معراج المؤمن. والمرقاة بمعنى السُّلْم والمدرَج. والمقصود هنا ان القراءة في الصلاة سفر روحي وهي سُلْم ووسيلة لارتقاء المؤمن وعروجه ووصوله الى الله. فهو يصعد ويرتقي الى الله فشيئاً فشيئاً بما يقرأه من ادعية وكلمات.

٢. راجع: ذيل الأعراف (٧): ٢٠٠.

٣. المقصود هنا الشيطان الذي يمثل شوكة على طريق المعرفة، ويجب الابتعاد عنه بالاستعاذة. وليست الاستعاذة نفسها شوكة على الطريق كما يوحي به ظاهر العبارة التي يبدو منها وكأن الاستعاذة والالتجاء الى الله من شر الشيطان شوك على طريق المعرفة ومانع يحول دون الوصول الى الله. (راجع: آداب الصلاة، ص ٢٢٠). وان لم يكن ذلك خطأ مطبعياً أو كان سبق لسان، فالمقصود منه وبقرينة العبارات التالية، هو اغواء الشيطان والوقوع تحت تسلط الشيطان الذي يمنع السير الملكوّتي والسلوك الى الله ويصبح شوكة على طريق المعرفة. ولهذا السبب تمسك بما ورد في الآية ١٦ من سورة الاعراف، بأنه تبارك وتعالى ذكر نقلاً عن لسان الشيطان قوله: ﴿فِيمَا أُغْوِيْتَنِي لِأَفْقُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾. وقد ورد الكثير من التفصيل حول هذا البحث في ذيل الآية الشريفة: ﴿وَإِنَّمَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ (الاعراف (٧): ٢٠٠) حيث يمكن المراجعة اليها والاطلاع عليها.

٤. الاعراف (٧): ١٦.

[الاستعاذة ليست بقلقلة اللسان والصورة الخالية من

[الروح]

وهذه الاستعاذة وهذا التحصن لا يتحققان - كما هو واضح - بمجرد لقلقة اللسان وبالصورة المجردة من الروح وبالذات دون الآخرة، فهناك من راحوا يرددون الاستعاذة بالله أربعين أو خمسين عاماً دون ان يحققوا لانفسهم النجاة من شر قاطع الطريق هذا، بل على العكس أصبحوا تابعين مقلدين له في الاخلاق والاعمال، بل في العقائد القلبية.

فلو أننا كنا صادقين في طلب الاستعاذة بالله من شر هذا الخبيث لكان الحق تعالى - وهو تقدست ذاته الفياض المطلق وصاحب الرحمة الواسعة والقدرة الكاملة والعلم المحيط والكرم الشامل - قد أعادنا، ولصلح ايماننا وسَمَت أخلاقنا وأعمالنا.

اذن، ينبغي لنا الالتفات الى أن أيّ تخلف يصيبنا في هذا السير الملكوتي والسلوك الإلهي انما هو نتيجة إغواء الشيطان، والوقوع تحت السلطة الشيطانية، بسبب قصورنا وتقصيرنا في إقامة الآداب المعنوية والشروط القلبية لهذا السير الملكوتي. وهي العلة الخفية نفسها في عدم حصولنا على النتائج المعنوية والآثار الظاهرية والباطنية لسائر الاذكار والأوراد والعبادات^١.

﴿وَإِذَا بَدَأْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنزَلُ قَالُوا إِنَّمَا آتَتْ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ١٠١ ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدْسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ ١٠٢ ﴿وَلَقَدْ نَعَلِمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ ١٠٣ ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ

اللَّهُ لَا يَهْدِيهِمْ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ ١٠٥

[في ذم الكذب وحرمته]

وعن دعوات الراوندي^١، قال رجل له (صلى الله عليه وآله وسلم): المؤمن يزني؟ قال: «قد يكون ذلك» قال: المؤمن يسرق؟ قال: «قد يكون ذلك» قال: يا رسول الله، المؤمن يكذب؟ قال: «لا»، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

وعن تفسير العياشي عن العباس بن هلال، عن أبي الحسن الرضا - عليه السلام - أنه ذكر رجلاً كذاباً، ثم قال: «قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾» إلى غير ذلك.

مفاد آية: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ...﴾

ولمّا استشهد بالآية الكريمة في الأخيرتين فالأولى صرف الكلام إلى مفادها مع قطع النظر عن الروايات. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾.

يمكن تقريبها للمدعى بأن يقال: إنها وإن وردت بعد قوله تعالى: ﴿وَوَ إِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُرْسَلُ فَالْوَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وبعد

١. الدعوات، ١١٨، ح ٢٧٥؛ وعنه في مستدرک وسائل الشيعة، ج ٩، ص ٨٦، كتاب الحج، الباب ١٢ من أبواب أحكام العشرة، ح ١٣. وما نقله الأستاذ - قدس سره - موافق لما في المستدرک، ج ٢، ص ١٠٠ من الطبعة القديمة.

٢. تفسير العياشي، ج ٢، ص ٢٧١، ح ٧١؛ وعنه في المستدرک، ج ٩، ص ٨٥، كتاب الحج، الباب ١٢ من أبواب أحكام العشرة، ح ١٠.

قوله: ﴿وَلَقَدْ نَعَلِمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّكُنْهٖ بَصَدَدٌ بَيَانٌ كَبِيرٌ كَلِيَّةٌ، وَهِيَ أَنَّ اخْتِلَاقَ الْكُذْبِ مَقْصُورَةٌ عَلَى ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ مِنْ غَيْرِ اخْتِصَاصٍ بِالْكَذْبِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى. وَيُؤَكِّدُ التَّعْمِيمَ قَوْلُهُ: ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾، لظهوره في أَنَّ الْكَاذِبَ مَقْصُورٌ عَلَى غَيْرِ الْمُؤْمِنِ، وَأَنَّ غَيْرَ الْمُؤْمِنِ بِآيَاتِ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ مَنْحَصَرًا.

فيظهر منه أَنَّ الْكُذْبَ مُطْلَقًا مِنْ خَوَاصِّ غَيْرِ الْمُؤْمِنِ.

ولمَّا كَانَ فِي مَقَامِ تَعْظِيمِ الْكُذْبِ وَتَكْبِيرِهِ، وَلَوْ بَدَعُوا أَنَّ الْكَاذِبِينَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ، يَفْهَمُ مِنْهُ أَنَّهُ عَظِيمَةٌ كَبِيرَةٌ، وَإِلَّا لَمَا صَحَّتِ الدَّعْوَى.

[احتمالات اخرى في ذم الكذب]

وهنا احتمال آخر فيها، وهو أنها بصدد ردّ القائلين بإنشاء ذمهم، لا الإخبار بأمر واقعي حتى يحتاج في تصحيحها إلى التأول والدعوى، نظير ما نسب إلى زينب الكبرى - عليها السلام - في جواب عبيد الله - لعنه الله - حيث قال: الحمد لله... قالت: «إنما يفتضح الفاجر، وهو غيرنا!». فإنه ظاهر في إنشاء الذم، لا الإخبار عن واقعة. ونظير قولك في ردّ من قال لك: أنت بخيل «إن البخيل من يأكل مال الناس» فإن ذلك ردّ قوله بإنشاء ذمّ بالجملة الخبرية، لا الإخبار بأن أكل مال الناس بخيل.

فيكون المقصود من قوله: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكُذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ردّ قولهم بإنشاء ذمّ لهم.

وهنا احتمال ثالث، وهو أنّ الآية بصدد ردّهم بجملة إخبارية، وهي أنّ الذين يقولون بأنك مفتر، ويقولون يعلمه بشر، هم يفترون الكذب في انتساب الافتراء

إليك، وإنهم الكاذبون.

ولا يبعد أن يكون الاحتمال الثاني أقرب إلى الذوق في المقام.

ثم إنه لو سلم رجحان الاحتمال الأول - ولو بضميمة الروايتين المتقدمتين - يكون في دلالتها على حرمة الكذب مجال مناقشة، لإمكان أن يكون المراد بدعوى قصر الكذب على غير المؤمن ونفي أتصاف المؤمنين به، هو أن الكذب لما كان صفة خبيثة دنية يناسب أراذل الناس، والمؤمن شريف كامل لا يناسب صدوره منه، فسلب الصفة عنه ليس لكونه معصية كبيرة، بل لكونه صفة رديئة قبيحة قدرة لاتناسب مقام المؤمن. وعليه لاتدل على كونه محرماً، نظير قوله: «المؤمن لا يخلف الوعد»، وآته لفي شغل عن اللهو، والمؤمنون: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ (المؤمنون: ٣). إلى غير ذلك. وما ذكرناه من الاحتمال، جار في جميع الروايات التي تكون بهذا المضمون، وقد مرت جملة منها، ولعل في بعضها شهادة على ما ذكرناه، فراجع. مع أن في كل منها نحو مناقشة يظهر بالتأمل فيها!

﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ

بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ١٠٦

في حالة الإكراه، ترفع الأحكام الوضعية والتكليفية

[للسبب]

فلا شبهة في أن «ما أكرهوا عليه» أعم من الوضعيات؛ بملاحظة ما ورد في

الأخبار وكلمات المفسرين في شأن نزول: ﴿الْأَمِّنُ أَكْرَهُ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ من أنها نزلت في قضية عمار بن ياسر، حيث أكرهه الكفار على سب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)¹.

وما ورد في رواية عمرو بن مروان، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي أَرْبَعُ خِصَالٍ: خَطَايَاهَا، وَنَسْيَانُهَا، وَمَا أَكْرَهُوا عَلَيْهِ، وَمَا لَمْ يَطِيقُوا، وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا...﴾»² إلى أن قال: وقوله تعالى: ﴿الْأَمِّنُ أَكْرَهُ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾³.

فيظهر منه أن قضية عمار - التي هي شأن نزول الآية - أصل لقول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «رفع... وما أكرهوا عليه».

ومن المعلوم: أن سب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والبراءة منه، له أحكام تكليفية ووضعية، كالكفر ونجاسة البدن وغيرهما، وقد ورد في روايات عن أمير المؤمنين (عليه السلام) الأمر بسبّه إذا أكره عليه⁴.

١. تفسير الدر المنثور، ج ٤، ص ١٣٢، تنوير المقباس، ضمن الدر المنثور، ج ٣، ص ١١٩، تفسير العياشي، ج ٢، ص ٢٧٢، ج ٧٦، أنظر وسائل الشيعة، ج ١٦، ص ٢٣٠، كتاب الأمر والنهي، الباب ٢٩، ح ١٣، البرهان في تفسير القرآن ٢، ص ٣٨٦، ج ٨.

٢. البقرة (٢): ٢٨٦.

٣. أصول الكافي ٢، ص ٤٦٢، ج ١، وسائل الشيعة، ج ١٥، ص ٣٦٩، كتاب الجهاد، أبواب جهاد النفس، الباب ٥٦، ح ٢.

٤. أصول الكافي ٢، ص ٢١٩، ج ١٠، وسائل الشيعة، ج ١٦، ص ٢٢٥ و ٢٢٧ و ٢٢٨ و ٢٣٢، كتاب الأمر والنهي، الباب ٢٩، ح ٢ و ٨ و ٩ و ١٠ و ٢١.

٥. كتاب البيع، ج ٢، ص ٧٩ - ٨٠.

[هل دليل جواز الدخول بالإكراه في ولاية الجائر يشمل حق الناس أيضاً]

هل لدليل جواز الدخول بالإكراه إطلاق بالنسبة إلى حقّ الناس أم لا؟
الأوّل: كما يباح بالإكراه نفس الولاية المحرّمة، يباح به ما يلزمها من المحرّمات الأخر، سواء كانت لازمة لمنصبها ممّا لا تنفك عنه، أو يقع الإكراه بخصوصها. وهذا على الإجمال ممّا لا إشكال فيه.

إنّما الإشكال في أنّ الأدلّة الدالّة على الجواز كحديث الرفع وغيره هل لها إطلاق بالنسبة إلى جميع المحرّمات، سواء كانت حقّ الله محضاً، أم من حقوق الناس أيضاً، دماً كان أو عرضاً أو مالاً.

أو تختصّ بخصوص حقّ الله ولا تشمل حقّ الناس ولو كان قليلاً وكان الإيعاد على كثير.

أو يفصلّ بين العظام والمهمّات وغيرها، سواء كانت من حقّ الله - تعالى - أو حقّ الناس.

أو يفصلّ بين المهمّات وغيرها في حقّ الله مع الاختصاص بخصوصه.
أو يفصلّ بين ما إذا كان الضرر الذي أوعده المكره أعظم ممّا أكرهه عليه فيرتفع وبين غيره؟

قد يقال باختصاص الأدلّة بحقّ الله محضاً وعدم شمولها لحقّ الناس.
ويتشبّث له تارة بأنّ الاستفادة من أدلّة الإكراه أنّ تشريعه لدفع الضرر فلا يجوز دفعه بالإضرار بالغير ولو كان الإضرار أدون.

وأخرى، بأنّ حديث الرفع مسوق للامتنان على جنس الأمة، ولا حسن في الامتنان على بعضهم بترخيص الإضرار ببعض آخر، فإذا توقّف دفع الضرر عن نفسه بالإضرار بالغير لم يجز:

وثالثة، بأن دليل الإكراه لو عمّ للإكراه على الإضرار بالغير، لعمّ نفي الاضطرار له أيضاً، فإنّ سياقهما واحد، ولا وجه للافتراق بينهما، والتالي باطل، لقيح تشريع الإضرار بالغير لدفع ضرر نفسه، ولهذا لم يجوز أحد هتك أعراض الناس ونهب أموالهم إذا توقّف عليه صون عرضه وماله، مع أنه يجوز ارتكاب المحرّمات وترك الواجبات لذلك.

ورابعة، بقوله: «إنّما جعل التقيّة ليحقن بها الدم، فإذا بلغ الدم فليس تقيّة»^١ بتقريب أنّ المستفاد منه أنه كلّ ما شرّعت التقيّة لحفظه إذا بلغته فلا تقيّة، ومن المعلوم أنّ التقيّة كما شرّعت لحقن الدماء شرّعت لحفظ الأعراض والأموال أيضاً، ومقتضاه أنه إذا بلغت هتك الأعراض ونهب الأموال فليس تقيّة»^١.

[استفادة الاطلاق من آية الاكراه والاحاديث]

ويرد على الأوّل والثاني بل على الجميع أنّ الاختصاص بغير ما تعلق به حقّ الناس مخالف لمورد نزول قوله - تعالى - ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُم أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ فإنه بحسب قول المفسّرين^٢ وبعض الروايات المعتمدة^٣ نزل في قضية عمّار، حيث

١. وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٤٨٣، كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الباب ٣١ من أبواب الأمر والنهي، ح ١.

٢. راجع: المكاسب، ٥٧، المسألة السادسة والعشرون من النوع الرابع، في الولاية من قبل الجائر، التنبيه الأوّل من التنيّهات؛ وحاشية المكاسب للفاضل الإيرواني، ٤٥، ذيل قوله: وجهان....

٣. مثل الطبرسي في مجمع البيان ٦ - ٥، ص ٥٩٧؛ والشيخ في التبيان ٦، ص ٤٢٨؛ والزمخشري في الكشف ج ٢، ص ٣٤٥؛ وأبي الفتوح في تفسيره ٧، ص ١٤٩.

٤. مثل ما في وسائل الشيعة، ج ١١، ص ٤٧٦، كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الباب ٢٩ من أبواب الأمر والنهي... الحديثان ٢ و ٣.

أكره على البراءة من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وسبّه وشتّمه، ففي مجمع البيان: «أعظامهم عمّار بلسانه ما أرادوا منه» ثم قال: «وجاء عمّار إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو يبكي فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): «ما وراءك؟» فقال: شرّ يا رسول الله، ما تركت حتّى قلت منك وذكرت آلهتهم بخير، فجعل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يمسح عينيه ويقول: «إن عادوا لك فعد لهم بما قلت»، فنزلت الآية، عن ابن عباس وقتادة، انتهى.

وتدلّ عليه رواية مسعدة الآتية، وشأن نزول الآية لا يوجب تقييد إطلاقها أو تخصيص عمومها، فقوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْكُمْ﴾ مطلق شامل لمطلق الإكراه، ولا وجه لاختصاصه بخصوص الإبعاد على القتل وإن كان شأن نزوله خاصاً، كما أن الحال كذلك في سائر الآيات.

فلا ينبغي الإشكال في إطلاقه، سيّما مع كون العناية بهذه الفقرة، أي الاستثناء، كما دلّت عليه الرواية الآتية وكلمات المفسرين. بل الاختصاص بحقّ الله مخالف لظاهر الآية، سواء كان قوله: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾ مرئياً بما سبق من الآيات، وهو قوله - تعالى -: ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾ إلى أن قال: ﴿وَلَقَدْ نَعَلِمُ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ بِشَرِّهِمْ إِذْ يُفْتَرُونَ الْكُذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ * مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ...﴾، ويكون محصل المعنى: من قال: إنك مفتر وكاذب، هو مفتر وكاذب وكافر، إلا من أكرهه. والظاهر منه أن كلّ مكره ليس

١. في المصدر: نلت، بدل، قلت.

٢. مجمع البيان، ج ٥-٦، ص ٥٩٧.

٣. وسائل الشيعة، ج ١١، ص ٤٧٦، كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الباب ٢٩ من أبواب

الأمر والنهي...، ح ٢.

٤. سورة النحل (١٦): ١٠١-١٠٦.

عليه بأس ولا يكون مورد ذم الله - تعالى - في الافتراء على رسول الله وتكذيبه، وهو واضح.

أو كان أول الكلام، ويكون محصل المعنى: أن من كفر بالله بعد إيمانه بالارتداد وإيجاد أسبابه من القول والفعل، فعليه غضب من الله وعذاب عظيم إلا من أكره بإيجادها.

وعلى هذا الاحتمال لابد من أن يراد بالكفر في قوله: ﴿مَنْ كَفَرَ﴾ خصوص أسبابه، أي من أوجد أسبابه، أو الأعم منها حتى يصح الاستثناء، فإن الإكراه على الكفر الباطني والاعتقادي غير ممكن، وعلى فرضه غير معفو، كما أن في الآية تقييداً بقوله: ﴿وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾، فالمراد بالإكراه الإكراه على الأسباب، ومقتضى إطلاقه جواز كل ما يوجب الكفر من تكذيب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وسبه وشتمه والعياذ بالله مع كونه مكرهاً كما تدل عليه الروايات.

وتدل على إطلاقها أيضاً رواية عمرو بن مروان - ولا يبعد أن تكون معتمدة - عن أبي عبد الله - عليه السلام - قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) رفع عن أمّتي أربع خصال: خطأها، ونسيانها، وما أكرهوا عليه، وما لم يطيقوا، وذلك قول الله عز وجل ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا﴾' إلى أن قال: «وقوله: ﴿الْأَمْنُ أَكْثَرُ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾»^٢. وعن العياشي عنه - عليه السلام - نحوها.

حيث تدل على أنه تعالى رفع عن الأمة ما أكرهوا عليه مطلقاً بمقتضى الآية

١. في سند الرواية معلّى بن محمّد البصري، مضطرب الحديث والمذهب، ولكن عدّه في تنقيح

المقال ٣، ص ٢٣٣ من حسني الرواية.

٢. سورة البقرة (٢): ٢٨٦.

٣. وسائل الشيعة، ج ١١، ص ٢٩٥، كتاب الجهاد، الباب ٥٦ من أبواب جهاد النفس، ح ٢.

٤. تفسير العياشي، ج ٢، ص ٢٧٢، ح ٧٥؛ وعنه في وسائل الشيعة، ج ١١، ص ٤٧٠، كتاب الأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر، الباب ٢٥ من أبواب الأمر والنهي، ح ١٠.

الكريمة.

ويمكن تقريب دلالة الآية أيضاً على رفع مطلق ما أكرهوا عليه بأن الإكراه إذا صار موجباً لرفع الحرمة عن هتك عرض النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وتكذيبه في نبوته وكتابه، وهو من أعظم المحرمات، وموجباً لرفع هدر دمه الذي من الوضعيات من جهة، صار موجباً لرفع حرمة هتك سائر الأعراض، فضلاً عن الأموال التي هي دون الأعراض، ولرفع سائر الوضعيات أيضاً.

وتدلّ على عدم الاختصاص أيضاً رواية مسعد بن صدقة - المعتمدة بل لا يبعد أن تكون موثقة^١ - قال: قيل لأبي عبد الله - عليه السلام - إن الناس يروون أن علياً - عليه السلام - قال على منبر الكوفة: «ستدعون إلى سبّي، فسبوني، ثم تدعون إلى البراءة منّي فلا تبرأوا منّي»؟ فقال: «ما أكثر ما يكذب الناس على عليّ - عليه السلام -». ثم قال: «إنما قال: ستدعون إلى سبّي فسبوني ثم تدعون إلى البراءة منّي وإني لعليّ دين محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم يقل: ولا تبرأوا منّي». فقال له السائل: أرأيت إن اختار القتل دون البراءة؟ فقال: «والله ما ذلك عليه، وماله إلا ماضى عليه عمّار بن ياسر، حيث أكرهه أهل مكة وقلبه مطمئن بالإيمان، فأنزل الله عزّ وجلّ فيه: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِشِرْكَائِهِمْ هُمْ حَرُّوا أَعْيُنَ عِمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ وَأَبِي بَكْرٍ وَعَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَآلِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْلَ الْبَيْتِ﴾» فقال له النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «يا عمّار، إن عادوا فعد فقد أنزل الله عذرك وأمرك أن تعود إن عادوا»!

ومعلوم أن الظاهر منها أن الآية لا تختص بقضية عمّار أو قضية نحو قضيته.

هذا.

١. لوجود مسعدة بن صدقة العامي الثقة.

٢. الكافي ٢، ص ٢١٩، كتاب الإيمان والكفر، باب التقيّة، ح ٤١٠، وعنه في وسائل الشيعة، ج ١١، ص

٤٧٦، كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الباب ٢٩ من أبواب الأمر والنهي، ح ٢، مع

اختلاف يسير في النص.

مع أن إطلاق قوله: «ستدعون إلى سبِّي فسبوني»، وكذا إطلاق الإجازة بالبراءة يقتضي جوازهما بمجرد الدعوة ممن يخاف سوطه أو سيفه من غير اختصاص بالإيعاد على القتل، وكلامه هذا ليس ظاهراً في كونه على وجه الإخبار بالغيب، بل الظاهر قيام القرائن عليه، لأن له - عليه السلام - كان أعداء علم من عداوتهم ذلك عادةً، فلا معنى للحمل على موضوع خاص علمه - عليه السلام - من طريق الغيب^١ ولا حجة على رفع اليد عن إطلاق الدليل بمحض ذلك الاحتمال.^٢

وتدل عليه أيضاً صحيحة بكر بن محمد، عن أبي عبد الله - عليه السلام -، قال: «إن التقية تُرس المؤمن، ولا إيمان لمن لا تقية له». فقلت له: جعلت فداك قول الله - تبارك وتعالى - ﴿الْأَمِّنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾؟ قال: «وهل التقية إلا هذا»^٣. ورواية الجعفریات عن علي بن أبي طالب - عليه السلام -، قال: «قلت: يا رسول الله، الرجل يؤخذ يريدون عذابه، قال: يتقى عذابه بما يرضيه باللسان ويكرهه بالقلب، قال (صلى الله عليه وآله وسلم): هو قول الله - تبارك وتعالى - : ﴿الْأَمِّنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾!»

١. راجع: مرآة العقول، ج ٩، ص ١٧٣، كتاب الإيمان والكفر، باب التقية، ذيل ح ١٠.

٢. لأنه ان كان كلامه طبقاً لحسابات عقلانية، فان الحكم برفع حرمة السب وكذلك حرمة البراءة يتطابق مع ذلك الاحتمال العقلائي. واما اذا كان في كلامه اخبار عن غيب وكأنه يعلم بأنه سواء رفع حرمة السب ام لم يرفعها، فان الناس سيضطرون مجبرين الى سب البراءة منه. وفي تلك الحالة لا يمكن تسرية مثل هذا الأمر الخاص والقضية في واقعة معينة، الى المواقف والحالات الأخرى.

٣. وسائل الشيعة، ج ١١، ص ٤٧٧، كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الباب ٢٩ من أبواب الأمر والنهي، ح ٦.

٤. الجعفریات، ص ١٨٠ وعنه في مستدرک وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٦٩، كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الباب ٢٨ من أبواب الأمر والنهي، ح ١.

ورواية عبد الله بن عجلان عن أبي عبد الله - عليه السلام - قال: سألته فقلت له: إن الضحّاك قد ظهر بالكوفة، ويوشك أن ندعى إلى البراءة من عليّ - عليه السلام - فكيف نصنع؟ قال: «فأبرأوا منه». قلت: أيهما أحب إليك؟ قال: «أن تمضوا على ما مضى عليه عمّار بن ياسر، أخذ بمكّة فقالوا له: أبرأ من رسول الله، فبرئ منه، فأنزل الله - عزّ وجلّ - عذره ﴿الْأَمْرُ أَكْرَهُ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾» إلى غير ذلك.

فحصل مما ذكر عدم الاختصاص بحق الله - تعالى - محضاً، وكذا بالإيعاد بالقتل، وبفضية عمّار أو نحوها.

وإن شئت قلت: مقتضى إطلاق حديث الرفع وإطلاقات التقيّة وعموماتها عدم الاختصاص. وإنما نشأت دعوى الاختصاص من مجرد استبعاد، أو وجوه ظنيّة، ومع فرض شمولها بما تقدّم لبعض الأعراس المهمة التي من حقوق الناس يرفع هذا الاستبعاد وتدفع تلك الوجوه.

مضافاً إلى أن دعوى كون حديث الرفع منّة أو شرع ذلك لدفع الضرر، فلا وجه لشموله ما هو خلاف المنّة أو موجب للضرر مدفوعة بأن ما ذكر من قبيل نكته التشريع لا علة الحكم، نظير جعل العدة لنكته عدم تداخل المياه، وفي مثله يتبع إطلاق الدليل. ودعوى الانصراف ممنوعة، سيّما بعد كون الآية في مورد.



١. وسائل الشيعة، ج ١١، ص ٤٧٩، كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الباب ٢٩ من أبواب الأمر والنهي، ح ١٣.
٢. راجع: حاشية المكاسب للفاضل الإيرواني، ٤٦.
٣. المصدر السابق.
٤. المكاسب المحرمة، ج ٢، ص ٢٠٨ - ٢١٤.

[التقية ترخيص من القرآن]

﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾^١

لقد نزلت هذه الآية بحق عمار بن ياسر، الذي كان الكفار قد أجبروه على الكفر، فظاهر بذلك، وقال ما أرادوه منه من شتائم، ثم ذهب إلى النبي باكياً، فنزلت بحقه هذه الآية بحوزة التقية.^٢

[الإكراه كالاضطرار يوجب رفع التكليف]

الاضطرار موجب لرفع التكليف، كما أن الإكراه موجب له وإن لم يصل إلى حدّ الاضطرار والإلجاء، كما هو ظاهر دليل الرفع، و آية: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ فإنّ الإكراه - بحسب شأن نزولها على ما في التفاسير والأخبار^٣ - كان على سبب النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قضية عمار بن ياسر.

و الحمل على الاضطرار الحاصل من الإكراه، خلاف ظاهر الآية و الروايات؛

١. النحل (١٦): ١٠٦.

٢. تفسير العياشي، ج ٢، ص ٢٧٢، ح ١٧٦ وسائل الشيعة، ج ١٦، ص ٢٣٠، كتاب الامر و النهي، الباب ٢٩، ح ١١٣، نور الثقلين، ج ٣، ص ٨٨ - ٩٠.

٣. كشف الاسرار، ص ١٢٩.

٤. المقصود من دليل الرفع، هو حديث الرفع المنقول عن النبي وجاء فيه رفع الحكم الشرعي في مواطن الإكراه. ودليل الرفع هذا يتخذ عنواناً لقاعدة فقهية يستدل بها الفقهاء. والحديث هو: رفع عن امتي تسع... و ما استكروها عليه. راجع: وسائل الشيعة، ج ١٥، ص ٣٦٩، كتاب الجهاد، ابواب جهاد النفس، الباب ٥٦، ح ١ و ٢؛ الكليني، اصول الكافي، ج ٢، ص ٣٣٣، ح ١.

٥. تفسير العياشي، ج ٢، ص ٢٧٢، ح ١٧٦ وسائل الشيعة، ج ١٦، ص ٢٣٠، كتاب الامر و النهي، الباب ٢٩، ح ١١٣، نور الثقلين، ج ٣، ص ٨٨ - ٩٠.

حيث علق الحكم فيها على عنوان «الإكراه» و جعل الإكراه في الروايات قبيل
الاضطرار.^١





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي
بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ١

[معنى الإسراء في الآية]

بناءً على أن الإسراء هو السير في الليل، يكون تقييده بالليل في الآية الشريفة:
﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ لأجل إفهام الناس بأن فترة الإسراء كانت
قصيرة مع أن المسافة بين مسجد الحرام والمسجد الأقصى تستغرق أربعين يوماً
مشياً على الأقدام، كما قاله الشيخ البهائي^١. وذلك إما بواسطة تنكير «لَيْلًا». وإما
من جهة تجريد «لَيْلًا» من الألف واللام.
و«أَسْرَى بِالنَّبِيِّ» لقد حذفت بقية الأمور المرتبطة بالإسراء، لمعرفتها
ومعهوديتها فالمعنى: أسْرَى بِهِ إِلَى مَقَامِ الْقُرْبِ، مثلاً^٢.

١. في هذا المجال، راجع: البروسوي، تفسير روح البيان، ج ٥، ص ١٠٣.

٢. شرح الأربعون حديثاً، ح ٣٥، ص ٢٩٦.

٣. شرح الأربعون حديثاً، ص ٥٨٢.

[مفهوم العبودية للحق تعالى وتأثيره في تحقق الرسالة والمعراج]

وإذا حصل للسالك مقام الإسمية^١ فيرى نفسه مستغرقاً في الألوهية «العبودية جوهرية كنهها الربوبية»^٢ فيرى نفسه اسم الله وعلامة الله وفانياً في الله ويرى سائر الموجودات أيضاً كذلك وإن كان ولياً كاملاً يتحقق بالاسم المطلق وتحصل له العبودية المطلقة ويكون عبد الله الحقيقي^٣. ويمكن أن يكون التعبير بالعبد في الآية الشريفة: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾^٤ لأن العروج إلى معراج القرب وافق القدس ومحفل الأنس إنما يكون بقدوم العبودية والفقر ورفض غبار الإثنية^٥ والنفسية والاستقلال. والشهادة بالرسالة أيضاً في التشهد بعد الشهادة بالعبودية لأن العبودية مرعاة الرسالة^٦.

١. ان مقام الاسمية حيث يُطرح التجلّي الاسمي وظهور الكثرة، هو المقام الذي يتّصف فيه العبد باسم الله وصفاته والفناء فيه، وبالنتيجة يذوب في الالهية وينغمس فيها. انها عبودية لله ولكن جوهرها الربوبية؛ لأن في كل ما يفعله تكون يده بمثابة يد الله ولسانه لسان الله، وما الى ذلك. وفي هذه الحالة، يصبح - مع كونه عبداً - مرآة يتجلّى فيها الله. ومن جهة اخرى لانه مرآة للحق تعالى يغدو موضع قبول فيوضات الحق عز وجل؛ ولهذا يتّصف بمقام الاسمية له تعالى.

٢. مصباح الشريعة، الباب ١٠٠.

٣. لأن الوصول الى مقام العبودية المطلقة يعني بلوغ مرتبة ودرجة كمال الانسان. وهذه الدرجة لا ينالها الانسان الكامل. واذا وصلت الى الاولياء الكمل فهذا من باب التبعية. ولهذا السبب يصل الى مقام عبد الله الحقيقي الذي لا يرى اي شيء آخر سوى العبودية.

٤. الإسراء (١٧): ١.

٥. غبار الآثية هو ان يرى الانسان نفسه كياناً مستقلاً ويظن ان له في عالم الوجود استقلالية وهوية ذاتية، في حين ان السالك يجب ان يضع نصب عينيه على الدوام انه وجميع الموجودات ظل الله وفتاؤهم فيه.

٦. اشارة الى التشهد في الصلاة حيث يُقال في البداية: اشهد ان محمداً عبده، ثم من بعدها يُقال: ورسوله؛ وذلك لأن العبودية مرعاة ومقدّمة للرسالة وطريق للوصول الى مقام الارتباط بالله.

وفي الصلاة معراج المؤمنين ومظهر معراج النبوة يكون الشروع بعد رفع الحجب بيسم الله الذي هو حقيقة العبودية فسبحان الذي أسرى بنيه بمراقبة العبودية المطلقة^١ وجذبه إلى أفق الأودية بقدوم العبودية وأطلقه من مملكة الملك والملكوت والجبروت واللاهوت وبلغ سائر العباد المستظل بظل ذلك النور الطاهر بسمة من سمات الله ومراقبة التحقق باسم الله الذي باطنه العبودية إلى معراج القرب.^٢

[المعراج الحقيقي ممكن بقدوم العبودية فقط]

[ايضاً قال:] ورد في «مصباح الشريعة» أن الصادق (عليه السلام) قال: «العبودية جوهرةً كنهها الربوبية، فما فقد من العبودية وُجد في الربوبية، وما خُفي من الربوبية أصيب في العبودية»^٣.

فمن يسير بخطى العبودية ويكوي ناصيته بجمر ذلّ العبودية يصل الى عزّ الربوبية، فالوصول الى حقائق الربوبية إنما يكون بالسير في مدارج العبودية. وكلُّ ما يُفقد من الإنية والأنانية في العبودية، يُدرك في ظل حماية الربوبية، وحتى بلوغ ذلك المقام الذي يكون الحق تعالى فيه هو السمع والبصر واليد والرجل، كما أشار الى ذلك الحديث الصحيح المشهور بين الفريقين^٤.

١. لم نثر على هذه العبارة في المصادر الحديثية. ولم نجد لها في عبارات ابن عربي وتلاميذه.

٢. سير الصلاة، ص ٨٩ - ٩٠.

٣. مصباح الشريعة: في حقيقة العبودية، - الباب ١٠٠.

٤. إشارة الى حديث، قرب النوافل، القدسي: ... وإنه ليتقرب إليّ بالنافلة حتى أحبه، فإذا أحبته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به، ويده التي يبطش بها، إن

أما إذا ارتقى السالك مرتبةً أعلى وتخلّى عن صلاحياته وفوّض أمر حكومة وجوده بالكامل الى الحق تعالى، وأوكل أمر البيت لصاحب البيت وفني في عزّ الربوبية، فإن صاحب بيته سيصبح هو المتصرف في الأمور، وعندها ستكون تصرفات السالك تصرفات إلهية، فتصبح عينه إلهيةً فينظر بعين الحق، وأذنه إلهيةً فيسمع بأذن الحق.

والعكس صحيح كذلك، فكلما كانت ربوبية النفس كاملةً، وكلما كان عزّها مأخوذاً في الاعتبار، قلّ ونقص عزُّ الربوبية بالمقدار نفسه، فهما نقيضان «الدنيا والآخرة ضرّتان».

إذن فمن الضروري للسالك الى الله أن يدرك مقام ذلّ نفسه، وأن يجعل «ذلّ العبودية وعزّ الربوبية» نُصب عينيه يتأمل فيه، فكلما ترسّخ لديه الاعتقاد بهذا الشعار، ازدادت عبادته روحانية، وقويت روح العبادة فيه، حتى إذا تمكن - بمعونة الحق تعالى وأوليائه الكمل (عليهم السلام) - من الوصول الى حقيقة العبودية وكنهها، نال نفعةً من سرّ العبادة.

وجميع العبادات - خصوصاً الصلاة التي لها صفة الشمول بالنسبة لباقي العبادات والتي لها بين سائر العبادات منزلة الإنسان الكامل ومنزلة الإسم الأعظم بل إنها الإسم الأعظم ذاته - تنطوي على هذين المقامين - مقام عزّ الربوبية «وهو الحقيقة» ومقام ذلّ العبودية «وهو أمة تلك الحقيقة ووصيفتها». - وبشكل اختصاً

دعاني أجبته، وإن سألني أعطيته.... يُراجع: اصول الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب من آذى المسلمين واحترمهم، ج ٤، ص ٥٣.

١. نهج البلاغة: قصار الحكم، الحكمة ١٠٣ وفيها: ... إن الدنيا والآخرة عدوان متفاوتان، وسيلان مختلفان، فمن أحب الدنيا وتولاها أبغض الآخرة وعادها، وهما بمنزلة المشرق والمغرب وماش بينهما، كلما قرب من واحد بعد من الآخر، وهما بعدُ ضرّتان.

٢. ذل العبودية في الحقيقة عزّ الربوبية؛ وذلك الموجود هو عزّ الربوبية، والعبودية كامنة في الربوبية.

فيه بالقنوت من الصلوات المستحبة وبالسجدة من الصلوات الواجبة، وسوف نشير الى تفصيل ذلك لاحقاً إن شاء الله.

وهنا لا بدّ من الإشارة الى أن العبودية المطلقة هي من أعلى مراتب الكمال ومن أرفع مقامات الإنسانية، ولا نصيب لأحد من البشر منها سوى أكمل خلق الله محمد (صلى الله عليه وآله) أصالةً وسائر الأولياء الكمل (عليهم السلام) تبعاً له. أما من سواهم فقدم عبوديتهم عرجاء وعبادتهم وعبوديتهم معللة بأسباب أخرى^١ ولما كان من غير الممكن الوصول الى المعراج الحقيقي المطلق إلاّ بقدّم العبودية، نرى أن قدم العبودية وجذبة الربوبية هي التي أسرت بتلك الذات المقدسة الى معراج القرب والوصول، لذا قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ...﴾^٢.

﴿مَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ

أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ ١٥

[الاستدلال على البراءة بآيات القرآن]

استدلّ على البراءة^١ بالأدلة الأربعة: أما الكتاب فبآيات:

١. سبق توضيح المعنى المراد بالعبودية المطلقة، وهو الحال الذي لا يرى فيه غير الله.
٢. معنى المعلن، المريض والعليل؛ أي ان العبادة والعبودية معللة، بمعنى معيوبة وناقصة.
٣. آداب الصلاة، ص ٨ - ١٠.
٤. احد الاصول العملية في مقام الاستنباط، اصل البراءة. ويُطرح اصل البراءة في الحالات التي تُبحث فيها الموضوعات والاحكام، ولا تُشخص الوظيفة. وفي هذه الحالة وطبقاً لهذا الاصل يثبت عدم وجود تكليف. ويسري هذا الاصل على الاشخاص عدا الاصل الحقوقي.

الآية الأولى

منها: قوله - تعالى - : ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾.

وتقريب الاستدلال بها على وجه يدفع الإشكالات عنها أن يقال: إنه لا إشكال في أن المتفاهم العرفي من الآية الشريفة - ولو بمناسبة الحكم والموضوع - أن بعث الرسل يكون طريقاً إلى إيصال التكاليف [إلى] العباد، لا أن له جهة موضوعية - خصوصاً مع انتخاب لفظ الرسول المناسب للرسالة والتبليغ - فلو فرضنا أنه - تعالى - بعث رسولاً، لكنه لم يُبَلِّغ الأحكام إلى العباد في شطر من الزمان لجهة من الجهات ومصالحة من المصالح، لا يمكن أن يقال: إنه - تعالى - يُعَذِّبُهُمْ لأنه بعث الرسول؛ ضرورة أن المتفاهم من الآية أن البعث لأجل التبليغ وإتمام الحجّة يكون غاية لعدم التعذيب، وهذا واضح.

وكذا لو فرضنا أنه بلغ بعض الأحكام دون بعض، كان التعذيب بالنسبة إلى ما لا يبلغه مخالفاً للوعد في الآية الشريفة، وكذا لو فرض أنه بلغ إلى أهل بلد خاصّ دون سائر البلدان، وانقطع بالنسبة إليها لأجل حوادث، أو بلغ جميع الأحكام إلى جميع البلدان في عصره، ثمّ عرض الاشتباه، وانقطع وصول التبليغ على ما هو عليه بالنسبة إلى سائر الأعصار، فإنّ في جميع تلك الصور يُفهم عرفاً من الآية الشريفة: أن الغاية - التي هي إيصال الأحكام إلى العباد وإتمام الحجّة عليهم - لم. تحصل، فكما أن مجرد وجود الرسول بين الأمة قبل تبليغه الأحكام لا يصحّ العقاب، كذلك التبليغ الغير الواصل إلى العباد في حكم عدم التبليغ في ذلك عند العقل والعرف.

فإذا اشتبه حكم موضوع، وعمل العبد ما تقتضي وظيفته من التفتيش والفحص، ولم يصل إلى حكم المولى، ولم يكن له علم إجماليّ أو تفصيليّ بالإلزام، يكون مشمولاً لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾؛ لما

عرفت من أن البعث ليس له جهة موضوعية، بل هو لأجل إيصال الحكم إلى العباد جعل غاية للوعد بحسب الفهم العرفي.

[نقد النائيين لدلالة الآية على البراءة]

فما أفاده بعض أعظم العصر - قدس سره - من أن مفاد الآية أجنبي عن البراءة؛ فإن مفادها الإخبار بنفي التعذيب قبل إتمام الحجّة؛ فلا دلالة لها على حكم مشته الحكم من حيث إنه مشته^١

[رد على اشكال النائيين بالغاء الخصوصية]

ليس في محلّه؛ لأن المشته الذي لم يصل حكمه من الله - تعالى - إلى العباد بعد الفحص مشمول للآية؛ إمّا بما ذكرنا من أن البعث كناية عن إيصال الحكم، أو بالغاء الخصوصية بنظر العرف بمناسبة الحكم والموضوع.

ثمّ اعلم أن التعبير بقوله: ﴿مَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ﴾ - دون قوله: ما عَذَّبْنَا - ممّا يشير إلى معنى آخر بحسب المتفاهم العرفي: وهو أن التعذيب قبل البيان مناف لمقام الربوبية، وأنه - تعالى - أجلّ من أن يعذب قبل تبليغ الحكم إلى العباد وإتمام الحجّة عليهم، فكأنه - تعالى - قال: ما كُنَّا مرتكبين لهذا الأمر الذي ينافي مقامنا الأرفع وجنابنا الأرفع.

ومن هذا التركيب والبيان: إمّا أن يفهم عرفاً أن التعذيب قبل البيان مناف لمقام عدله، ويكون أمراً قبيحاً مستكراً منه - تعالى - كما لا يبعد، وإمّا أن يفهم أنه مناف لمقام رحمته ولطفه بالعباد.

فعلى الأول: يفهم منه عدم الاستحقاق أيضاً؛ فإنه مع الاستحقاق لا يكون التعذيب منكرًا منافياً لعدله - تعالى - . وحينئذ يكون الاستدلال بها للبراءة ممّا لا إشكال فيه.

وعلى الثاني: لا يفهم منه إلا رفع فعلية العقاب، وهو لا ينافي الاستحقاق.

[اشكالات على دلالة الآية على البراءة]

فأورد على الاستدلال بها:

تارة: بأنها مربوطة بنفي تعذيب الأمم السالفة قبل بعث الرسل 'فهي أجنبية عما نحن فيه.

وأخرى: بأن الاستدلال بها لما نحن فيه متقوم بكونها في مقام نفي الاستحقاق، لانفي الفعلية؛ لأن النزاع في البراءة إنما هو في استحقاق العقاب على ارتكاب المشتهه وعدمه، لا في فعلية العقاب!

[ردّ على اشكالات الاستدلال على البراءة]

هذا، ويرد على الإشكال الأول:

أولاً: يمنع كونها مربوطة بالأمم السالفة، بل الظاهر من الآيات المتقدمة عليها أنه عند الحساب يقال للإنسان الذي ألزم طائره في عنقه: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾^١ وترى أن الجزاء على ميزان العدل، من غير أن تزر وازرة وزر أخرى، ومن غير أن يكون التعذيب بلا تمامية التبليغ وإرسال الرسول

١. فرائد الأصول، ص ١٩٣ السطر الأخير.

٢. الفصول، ص ٣٥٣ السطر ٧ - ٨.

٣. الإسراء (١٧): ١٤.

وإيصال التكليف، فلا دلالة فيها على كونها راجعة إلى الأمم. ولا دلالة لقوله: ﴿هَآكُنَا﴾ بصيغة الماضي على ذلك، فإن النظر إلى يوم الحساب، ويعتبر الماضي بالنسبة إليه، ولذا قال: ﴿وَكُلُّ إِنسَانٍ أَلزَمْنَاهُ طَائِرَهُ﴾ مع أن زمان صدور الآية لم يكن كذلك إلا بتأويل.

وثانياً: لو سَلِمَ بأن موردها نفي تعذيب الأمم السالفة، لكن يُفهم منها - ولو بمناسبة الحكم والموضوع، وكيفية التعبير - أن التعذيب قبل البيان منافع لمقامه الشامخ، وهو منة ثابتة وسنة جارية إلى نفع الصور، فهل ترى أنه - تعالى - رفع العقوبة الدنيوية - من مثل تسليط الوزغة في أيام معدودة محدودة - منة على عباده، ثم أخبر بأن ذلك أي هذه التعذيبات السيرة مُنافية لمقام رحمته وإفضاله، ثم عذّب العباد قبل البيان بالنار التي تطلع على الأفئدة وبأنواع العقوبات العجيبة الخالدة الأخروية؟!

وبالجملة: يفهم من الآية - ولو بإلقاء الخصوصية ومؤنة مناسبة الحكم والموضوع - أن التعذيب قبل البيان لم يقع، ولا يقع أبداً.

[مناقشة الإشكال الثاني بالنسبة إلى البراءة]

وعلى الإشكال الثاني: أن توقّف الاستدلال بها على ما ذكر - وكون النزاع في البراءة إنما هو في استحقاق العقوبة لافعليتها - غير مُسَلَّم، فإن نزاع الأصولي والأخباري إنما هو في لزوم الاحتياط في الشبهات وعدمه، وبعد ثبوت المؤمن من قبل الله لانرى بأساً في ارتكابها، فشرب التنن المشتبه حرمة؛ إذا كان

ارتكابه مما لاعقاب فيه - ولو بمؤمن شرعي وترخيص إلهي - ليس في ارتكابه محذور عند العقل.

وبالجملة: رفع العقوبة الفعلية وحصول المؤمن من عذاب الله يكفي القائل بالبراءة في تجويز ارتكاب الشبهات وإن لم يثبت بها الإباحة، ولذا ترى يستدلون بحديث الرفع وأمثاله للبراءة ولو مع تسليم كون مفاده رفع المؤاخظة^١. وبما ذكرنا من تقريب الاستدلال يظهر: أنه لا وقع لما زعمه الأخباريون من دلالتها على نفي الملازمة بين حكم العقل والشرع؛ بل لا وقع لكثير مما ذكر في المقام إشكالاً ودفعاً، تدبر.

كما يظهر - مما قرّبنا [به] وجه الدلالة - أنها أظهر الآيات التي استدل بها في المقام.

نعم لا يزيد دلالة الآية هذه - كما أفاد الشيخ الأعظم^٢ - على حكم العقل، فلو دل دليل على لزوم التوقف أو الاحتياط يكون وارداً عليها، كما لا يخفى^٣.



[عدم لزوم سعادة أو شقاء جميع أفراد بني الإنسان]

الذين بقيت ألواح أنفسهم بسيطة، لا يمكن القول لماذا لم يرسل إليهم الرسل ليقبوا هكذا؟ لأننا نقول: وما الداعي لكي نقول بأن الجميع يجب ان يدخلوا في

١. أنظر فرائد الأصول، ١٩٦ - ١٩٧؛ درر الفوائد، ج ٢، ١٠٤؛ مقالات الأصول، ج ٢، ٥٨ - ٥٩؛ نهاية

الأفكار - القسم الثاني من الجزء الثالث، ٢٢٥ السطر ٥ - ٨.

٢. أنظر فرائد الأصول، ١٩٤ السطر ١ - ٢؛ القوانين ٢، ٥ السطر ٧ - ١٠.

٣. فرائد الأصول، ١٩٤ السطر ١٣ - ١٦ و ١٩٥ السطر ٥ - ١٠.

٤. انوار الهداية، ج ٢، ص ٢١ - ٢٦.

جهنم، أو يُحشروا في النار؛ لأن هذه القضية متفرعة عن اتصال المعارف الإلهية إليهم وتبليغها لهم. وما الاشكال في ان تكون هناك طائفة تجيء وتروح مثل الحيوانات؟

إن هناك من يقول كما يقول الاصوليون بأن كل من يموت يؤتى به ويُنصب له ميزان تُقاس به أعماله وتوزن، فلا بد ان هذه الطائفة من الناس تؤخذ استناداً الى هذا القول - وتُلقي في نار جهنم.

ولكن هذا غير ممكن؛ لأن هؤلاء السادة يظنون ان الآية الشريفة: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾^١ أمر تعارفي وانه كان من الممكن ان يلقيهم في جهنم قبل ارسال الرسل ولكنه لم يفعل، وانه قد وعد من باب المجاملة انه سيفعل ذلك بعد ارسال الأنبياء.

ولكن الأمر ليس كذلك لأن القضية عقلية وهي ان الله عز وجل عادل وهو يحكم بالعدل أيضاً. وهذا كله بالنسبة الى من لم ينالوا أية معارف ولم تخطر فكرة المبدأ والمعاد على أذهانهم أصلاً.^٢

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفْ وَلَا تَنْهَرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾^{٢٣}

١. الإسراء (١٧): ١٥.

٢. تقريرات فلسفة الإمام الخميني، ج ٣، ص ٤٨٤.

[هل القضاء في الآية قضاء تكويني]

ان البعض يتصور أن: ﴿وَلَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ هو قضاء تكويني، قضاء الله بأن لا يعبد غيره. يتصورون بأنهم يسجدون للوثن، يمدحون الإنسان، يمدحون الشمس. ولكن المدح منه كله. وان الجميع يمدحونه وهم لا يفقهون. كما أن معاناة الإنسان في العالم الآخر هي بسبب عدم الفهم هذا. ولهذا ثمة حجاب بين الإنسان والحقائق؛ فلو تمعن الإنسان قليلاً حتى في هذا العالم المادي، في هذا الموجود في عالم المادة، وفي حدود ما تصل إليه يد الإنسان، سوف يدرك مدى قدراته على الفهم والاستيعاب، فكيف الأمر إذن بالنسبة إلى ذلك الذي لم تصل إليه يد الإنسان... إن هذا العالم المادي الذي وصلت إليه يد الإنسان حتى الآن، ليس في ذروته ولا في حضيضه. فالإنسان بما لديه من أجهزة

١. القضاء التكويني بمعنى ان موجودات العالم وخاصة بني الانسان مهما كانت عقيدتهم وعلى اي مسلك كانوا في هذا العالم، فهم في اطار نظرة اشمل، يعبدون الله، وفقاً لما نصّ عليه الحكم التكويني الالهي، وهم يتوجهون إليه من حيث لا يشعرون، رغم ان الذي يعبد الصنم يرى في ذلك الصنم دلالة عليه. ولكنه في واقع الحال اخطأ في الاستدلال عليه بالصنم؛ فصار يعبد الصنم بدلاً من عبادة الله. واما الذي يعبد الشمس فيرى فيها واحدة من مظاهر وجود الله. ولو رُفعت الحجب وألقيت نظرة على موجودات العالم من زاوية اخرى؛ لأتضح ان كل كائنات العالم التكويني متّجهة إليه وتعبده، ولكن باختلاف في الاسماء والاوصاف. مثلما هو الحال عندما ندعو الله في بعض الاوقات لينزل علينا الرزق؛ فنحن في الحقيقة ندعوه باسم رازقته. واما من يدعوه للشفاء من مرض فهو يدعوه لكونه الشافي وما شابه ذلك. والقضاء التكويني يكون في مقابل القضاء التشريعي وهو ما أمرنا به وما ألقى الينا من تعاليم لعبادته وحده، ودعائه من غير ان نجعل اي شيء آخر شريكاً له. وقد اشار سماحته الى انه قد نقل هذا الرأي عن البعض ولكنه لم يُسمَّ احداً ويحتمل ان يكون المقصود هو ابن عربي. في هذا المجال، راجع: محمود الغراب، رحمة من الرحمن في تفسير و اشارات القرآن، ج ٢، ص ٥٢٧؛ حقي البروسوي، تفسير روح البيان، ج ٥، ص ١٤٦.

٢. الحجاب والستار الذي يحصل في عالم الكثرة وبسبب الانشغال بالعوالم.

دقيقة يستطيع رؤية الذرات المتناهية في الصغر ولكنه غير قادر على فهم ما دون ذلك... إن ضعف الإنسان يتجلى في انانيته وعبادته للمنصب والمقام. فكم الإنسان ضعيف كي تستحوذ عليه أنانيته في هذه الدنيا. وكم الإنسان جاهل حتى ينظر إلى كل هذه الأمور ويعتبرها منصباً وجاهاً. ولكننا عندما ننظر إلى أصحاب المقامات الروحية والمعنوية، عندما ننظر إلى ادعيتهم نراهم أكثر عجزاً منا لأنهم أدركوا حقيقة الأمر. فأنتم عندما تقرأون دعاء كميل، عندما تقرأون المناجاة الشعبانية والأدعية الأخرى الواردة عن المعصومين - عليهم السلام - ترون أن لغة هؤلاء غير لغتنا العامة نحن الذين إذا ما علمنا مسألة فقهية تصورنا أننا أصبحنا شيئاً. ولو تسلمنا مقاليد الأمور في بلد تصورنا بأن ذلك أمر مهم. ولو حصلنا على مقام معنوي تصورنا أننا حققنا كل شيء.

ولكن عندما ينظر الإنسان إلى أقوال أولئك الذين وصلوا إلى هذه المقامات التي يعجز عن الوصول إليها الآخرون، يجدها لا تكف عن تصوير عجزهم من أولها إلى آخرها، ويجب أن تكون كذلك لأنهم لم يصلوا ولن يصلوا أبداً. ولكننا ملزمون بأن ندعو، أمرنا بأن ندعو وان نحمد وان نسبح، أمرنا بالصلاة^١.

[كل نكر نكر الله]

ان نطق أولياؤه بكلمة أو حديث فمنه لا من غيره، ولا يستطيع أحد التمرد عن ذكره، فكل ذكر يعود إليه. ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾؛ و﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، ويحتمل أن يكون هذا خطاب منه تعالى لكافة الموجودات: ﴿وإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَّا تُفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُ﴾^١.

١. صحيفة الإمام، ج ١٧، ص ٥٢٦.

٢. الإسراء (١٧): ٤٤. سيأتي توضيح هذا المطلب في الآية التالية.

وهذا بلسان الكثرة أيضاً وإلا فهو الحمد والحمد والحمد والمحمود: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يُصَلِّيُ﴾^١، ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^٢.

[معنى القضاء في العبادة]

كلّ الناس لهم حبّ واحد ومحبوب واحد، بل كلّ العالم له محبوب واحد وتعدد المحبوب مُحال. حبّ واحد ومحبوب واحد وهو الكمال الأتمّ الأكمل غير المحدود. إلا أن ذرة من ذلك الكمال انبسطت على هذه السلسلة من النظام، وعندما يرى عاشق الكلّ أثر المعشوق، يصبح عاشقاً للظل وللأثر وللآيات؛ وذلك لأن ذرة من الكمال المطلق قد اشرفت على سلسلة نظام العالم، وهذه العلوم آية من ذلك العلم غير المحدود؛ ولهذا يعشق الإنسان هذه العلوم. وفي عين الحال الذي يكون فيه عاشقاً ذاتاً، يكون أيضاً مستاءً لوجود النقص والتقييد. وبالجملة: الحبّ واحد، والمحبوب واحد، والكلّ لزاماً يبحثون عن ذلك المحبوب. ولعلّ هذا المعنى المنقول عن ابن عباس^٥ في تفسير الآية الشريفة:

١. سيأتي توضيح هذا المطلب في آيات سورة الحشر، والآية ٤٤ من هذه السورة.

٢. اصول الكافي؛ ج ١، ص ٤٤٢، كتاب الحجّة، باب مولد النبي (ص) ووفاته، ح ١٣.

٣. النور (٢٤): ٣٥.

٤. صحيفه الإمام، ج ٢٠، ص ١٥٧، رسالة بعثها الى ولده السيد احمد الخميني بتاريخ ١٥/٣/١٤٠٧.

٥. عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، ابن عمّ النبي صلى الله عليه وآله وسلّم وأمير المؤمنين (عليه السلام). ولد في مكّة قبل الهجرة بثلاث سنوات. وهو من خواص تلاميذ وشيعة علي (عليه السلام). يُلقَّب بحبر الامة وترجمان القرآن. يعد في عداد الطبقة الأولى من المفسرين المسلمين، وله منزلة شامخة في الحديث، والفقه، والشعر، وأnsاب العرب. توفي عام ٦٨هـ في الطائف، وصلى عليه محمد بن الحنفية.

﴿وَلَقَدْ رَئَيْكَ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا آيَاتَهُ﴾^١ يفيد ان تبدل الفطرة محال بالاستحالة العقلية، والكل مجبرون على التعبد للكمال المطلق واطاعته. ^٢ "وبه تطمئن القلوب" وكل على باب عكوف وهو غاية الغايات، غير ان التقصير يكون في تمييز ذلك الكمال الأكمل والأتم.

وعلى العموم، فان فطرة حب الكمال مفروسة في جبلّة بني الإنسان. وإن كانت الأخبار قد عبرت عنها بفطرة التوحيد وفطرة الإسلام، ^٣ فكل هذه التعابير صحيحة.^٤

﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأُولَٰئِكَ بِالْعَهْدِ إِنَ الْعَهْدِ
كَانَ مَسْئُولًا﴾ ٣٤

[شرط جواز التصرف في مال اليتيم رعاية المصلحة]

ثم إنه هل يعتبر في تصرفات غير الأب و الجد ملاحظة القبطة و المصلحة، أو لا يعتبر إلا عدم المفسدة؟ وجهان، مقتضى الأصل الأولي ذلك، لكن مقتضى أدلة ولاية الفقيه عدم اعتبار المصلحة، كما كان الأمر كذلك للأولياء الأصل. فالعمدة هي الأدلة الخاصة، كعموم قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِاتِّبَاعِ

١. الاسراء (١٧): ٢٣.

٢. راجع: تفسير الدر المنثور، ج ٤، ص ١٧٠.

٣. راجع: تفسير نور الثقلين، ج ٤، ص ١٨٢ - ١٨٥.

٤. تقارير فلسفة الإمام الخميني، ج ٢، ص ٥٤ - ٥٥.

هِيَ أَحْسَنُ»^١ ولا بأس بصرف الكلام في مفاده بقدر اقتضاء المقام تبعاً للمشايخ.



[حول مفاد الآية: "ولا تقربوا مال اليتيم"]

فنقول: بعد القطع بأن المراد من «القرب» المنهَى عنه ليس معناه الحقيقي، بل هو كناية عن معنى آخر، يحتمل أن يكون كناية عن التصرفات الخارجيّة الوجوديّة، كالأكل و الشرب وغيرهما. أو عن التصرفات الاعتباريّة، كالبيع و الإجارة و نحوهما، أو عنهما. أو عن التصرفات الخارجيّة و تركها. أو عن التصرفات الاعتباريّة و تركها، أو عنهما و عن تركها. أو عن أمرٍ ثبوتيّ جامع لجميع التصرفات و نحوها، حتّى نحو الإبقاء تحت اليد الملازم لترك التصرف، فإنّه أيضاً ثبوتيّ، هذا بحسب الاحتمال. لكن لا يعقل الجمع بين التصرفات و تركها؛ لعدم الجامع بين الفعل و الترك، و عدم إمكان الكناية عن الفعل و الترك؛ أي الشيء و نقيضه أو ضده، ضرورة عدم إمكان استلزام شيءٍ لهما، و عدم إمكان الانتقال إلى الشيء و نقيضه أو ضده بكناية واحدة. فاحتمال إرادة التصرفات الخارجيّة و تركها، أو الاعتباريّة و تركها، أو هما و تركهما، ساقط و يبقى الباقي. و لازم الاحتمال الأوّل كون النهي تكليفيّاً، و لازم الثاني كونه إرشاداً إلى البطلان. و لازم الثالث التكليف في التصرفات الخارجيّة، و الإرشاد في الاعتباريّة، لا بمعنى استعمال النهي في التكليف، أو الوضع، أو فيهما، بل بما تبّهنا عليه مراراً: من أنّ النواهي و الأوامر لم تستعمل إلّا في معانيها؛ أي الزجر و البعث، لكن لازم الزجر عن معنى نفسيّ هو المنع عنه بنفسه، فيعلم منه التكليف،

و عن معنى آليّ أو مترقّب منه الصّحة و الفساد هو الإرشاد إلى البطلان. فقولهُ صلى الله عليه و آله و سلم: «لا تبع ما ليس عندك» زجر يفهم منه الإرشاد إلى عدم الصّحة عرفاً، و قوله: «لا تشرب الخمر» زجر تفهم منه مبعوضيّة الشرب، فإذا جمع بين الموضوعين يفهم التكليف فيما يناسبه، و الوضع كذلك.

ثمّ إنّ «القرب» المنهية عنه المأخوذ كناية، إنّ كان القرب المكانيّ، فالمعنى الكنائيّ لا بدّ و أنّ يكون مناسباً له حتّى ينتقل منه إليه، و هو التصرفات الخارجيّة الملازمة للقرب المكانيّ، كالأكل و الشرب و الركوب و نحوها، دون التصرفات الاعتباريّة، فإنّها غير مناسبة للقرب و البعد المكانيّين. و لو اريد به الكناية عن التصرفات الاعتباريّة، لا بدّ فيه من تأويل، كتزليلها منزلة التصرفات الخارجيّة الملازمة للقرب المكانيّ. و إنّ اريد ب «القرب» معنى أعمّ من المكانيّ - كالمنسوب إلى المعاني و المجردات، فيقال: «العبد قريب من ربّه، و هو تعالى أقرب إليه من جبل الوريد، و المعنى الكذائيّ قريب إلى الفهم، أو بعيد عنه...» إلى غير ذلك - فهل تصحّ الكناية به عن التصرفات الاعتباريّة المحضّة، كعقد البيع و الإجارة من الفضوليّ مع عدم تماسّه مع العين؛ بأن يقال: العقد نحو قرب، و التصرف الاعتباريّ نحو قرب، أو لا؟ و هذا أوجه؛ لأنّ كون القرب موضوعاً لمعنى عامّ، أو مراداً به معنى عامّ، ليس معناه أنّه - نظير الشيء - من الامور العامّة الصادقة على كلّ موجود و وجود؛ ضرورة لزوم اعتبار نحو من القرب بين الشئين حتّى يقال: «إنّه قريب منه» و كذا البعد. فهما من المعاني الإضافيّة و النسبيّة، فلا يطلقان إلّا في مورد يكون بين الشئين نحو قرب و بعد، كقرب المكانة، و قرب النسب، و أمّا مجرد إجراء عقد غير مؤثّر في العوضين،

١. مسند احمد، ج ٣، ص ٤٠٢، السطر ٥؛ سنن ابن ماجه، ج ٢، ص ٧٢٧، ح ٢١٨٧؛ السنن الكبرى، البيهقي، ج ٥، ص ٩٣٩؛ وسائل الشيعة، ج ١٨، ص ٤٧، كتاب التجارة، ابواب احكام العقود، الباب ٧، ح ٢ و ٥.

فليس قرباً، و لا مقابله بعداً، فلا يطلق عليه «القرب» و لو بمعناه العام إلاً بتأويل، كتنزيل ذلك منزلة التصرف الخارجي. بل لا يصدق على مجرد العقد «التصرف في العين» أيضاً، و إلا لزمته حرمة؛ لحرمة التصرف في مال الغير، بإطلاق «التصرف» على الاعتباريات - في مثل الفضولي - مبني على مسامحة و تأويل، فالعقد على مال اليتيم ليس قرباً منه بوجه و لو فرض وضعه لمعنى أعم من القرب المكاني. مع أن الظاهر أن صدق «القرب و البعد» على غير المكاني و الزماني مبني على تشبيه و تأويل.

[المراد من معنى القرب، التصرف العيني]

و لو اغمض عن ذلك، فلا شبهة في أن المتبادر منهما إلى الأذهان العرقية - مع عدم القرينة - هو المكاني أو الزماني و لو لأجل الانصراف، فلا بد من حمل الكلام مع عدم القرينة على ذلك، و لما لم يكن للقرب الزماني هاهنا وجه، فهو محمول على المكاني، فيكون ذلك قرينة على أن المكنى عنه هو التصرفات الخارجية الملازمة للقرب المكاني. هذا مضافاً إلى أن القرائن الكثيرة الموجودة في المقام، تجعل الكلام ظاهراً في التصرفات العينية: منها: أن المتعلق هو الأعيان الخارجية، و هو مال اليتيم، و القرب و البعد عن الأعيان ظاهر في المكاني منه، فإذا قال: «لا تقرب بيت اليتيم أو ثوبه» لا يفهم منه إلاً النهي عن القرب المكاني، و ﴿مَالَ الْيَتِيمِ﴾ أمر منتزع من الأعيان كالبيت و الثوب، و عنوان لها. و توهم: أن عنوان: ﴿الْمَالِ﴾ مناسب للتصرفات الاعتبارية، ساقط لا يعتنى به كما لا يخفى. و منها: أن النهي إذا تعلق بعنوان له نفسية - كعنوان «الخمر» و «الفقاع» و نحوهما - يكون ظاهراً في الحرمة التكميلية، و مال اليتيم له نفسية، فالنهي المتعلق به ظاهر

في التكليفية، فلا بد من كون المراد به التصرفات الخارجية؛ فإن مجرد العقد على مال اليتيم ليس بحرام جزماً، كما أن العقد الفضولي ليس بحرام. ومنها: أن الآيات التي وقعت تلك الآية الشريفة خلالها كلها محرّمات نفسية، وفيها بعض الواجبات النفسية، والظهور السياقي نحو ظهور معتبر. ومنها: أن قوله تعالى في صدر الآيات في سورة الأنعام: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾^١ ظاهر بلا ريب في المحرمات التكليفية عند الإطلاق، فبدل ذلك على أن المتلو كله من المحرمات التكليفية. ولا شبهة في أن مجرد بيع مال اليتيم وإجارته ونحوهما لا تكون محرّمة، فيستكشف منه أن المراد هو التصرفات الخارجية التي هي محرّمة تكليفاً. ومنها: أن تلك الآية الكريمة وقعت في سورة الإسراء في خلال آيات المحرمات والواجبات والمواعظ والحكم، وفي ذيلها قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾^٢.

[شواهد على كون النهي عن الاقتراب في مال اليتيم تكليفاً]

والظاهر أن الإشارة متوجهة إلى جميع المذكورات التي هي من الحكم والنصائح، وهو يدل على أن النهي تكليفي لا إرشادي؛ فإن نحو قوله: «لا يصح البيع» و«بطلت الإجارة» ونحو ذلك، ليس من الحكم والنصائح، فإذا كان الحكم تكليفاً، فلا بد وأن يتعلّق بالتصرفات العينية، لا الاعتبارية. فالظاهر أن الآية الكريمة كسائر ما وردت في حرمة أكل مال اليتيم، ولا تعرّض لها لنحو البيع والإجارة ونحوها، كما لا تعرّض سائر الآيات التي هي في خلالها للحكم

١. الأنعام (٦): ١٥١.

٢. الإسراء (١٧): ٣٩.

الوضعي.

فقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزُّنَىٰ﴾ لا يفهم منه إلّا الحرمة التكليفية، ولا تفهم منه حرمة إجارة الزانية للزنا و بطلانها. وكذا قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ﴾ لا يدلّ إلّا على حرمتها، لا على بطلان الاكتساب بها، ولا فرق بينهما وبين الآية الكريمة، فبناء على ذلك تكون الآية الكريمة أجنبية عما نحن بصدده.

[في معنى أحسن في الآية]

ثم إن المراد بال ﴿أَحْسَنَ﴾ إمّا الأفضل، أو مجرد الحسن، وأما إرادة الخالي عن المفسدة فبعيدة. فعلى الأول: لا بدّ في تحقيقه من بيان أمر، وهو أنه قد عرفت فيما سبق:

أن ما يمكن أن يراد بالنهي عن القرب - بنحو الكناية - إمّا التصرفات الاعتبارية كالبيع والصلح، أو الخارجية كالأكل والشرب، أو هما معاً، أو أمر ثبوتي أعمّ منهما ومن الإبقاء الملازم للترك. فحينئذ نقول: إن الممكنى عنه إمّا عنوان وحداني لا تكثر فيه، كعنوان التصرف الاعتباري، أو الخارجي، أو مطلق الأمر الثبوتي الأعمّ. أو عنوان ناظر إلى الكثرات، مثل كلّ تصرف، أو كلّ أمر ثبوتي؛ ممّا يدلّ على الكثرة، ونحوه ما إذا كان الملحوظ عناوين التصرفات، نحو الأكل والشرب، أو البيع والهبة. فإن كان الملحوظ والمكنى عنه العنوان الوجداني الأعمّ - أي الأمر الثبوتي الأعمّ من التصرفات والإبقاء، من غير لحاظ

١. الاسراء (١٧): ٣٢.

٢. الانعام (٦): ١٥١.

٣. سبق ذكره في كتاب البيع، ج ٢، ص ٧٠٣.

المصاديق و الكثرات - فلا يعقل أن يكون «الأحسن» تفضيلاً إن كان التفضيل في المصاديق، لا في الحيثيات و الكيفيات؛ فإن المفروض أن العنوان المأخوذ وحداني غير ناظر إلى الكثرة. فتفضيل هذا العنوان غير معقول؛ لعدم كون شيء مقابله يكون مفضلاً عليه، فالعنوان جامع لجميع ما يتصور من التصرفات و نحوها، و ليس شيء منها خارجاً عنه يكون مفضلاً عليه. و أما التفضيل في الكيفية، فلا يعقل إلا إذا قدر في الكلام تقدير مناسب له؛ بأن يقال: ﴿لَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾ بكيفية و خصلة إلا الكيفية التي هي: ﴿أَحْسَنُ﴾ و هو خارج عن الفرض، هذا إذا اريد المعنى الوحداني الجامع بين الكل. و أما إذا اريد الجامع الوحداني من الامور الاعتبارية، فالفضل لا بد و أن يقع بينه و بين غيره من الترك و التصرف الخارجي، و كذا الكلام في الجامع بين التصرفات الخارجية أو الجامع بينهما. و أما إذا اريد بالمكتنى عنه الأفراد و الكثرات، فلا مانع من التفضيل فيها بعضها على بعض. ثم لو كان المراد الأحسن من كل شيء، فلازمه عدم الجواز لو كان جميع التصرفات أو بعضها متساوية لا تفضيل فيها، أو لا يكون في بعض التصرفات حسن؛ لعدم صدق «التفضيل». و لو اريد الأحسن من الترك، فلازمه جواز البيع مثلاً لو كان أحسن من تركه و إن كانت الإجارة أصلح... إلى غير ذلك من لوازم التفضيل، مما لا داعي لذكرها مع بطلان أصل المبنى، كما لا داعي لذكر الاحتمالات و لوازمها على فرض تقدير الكيفية و الخصلة.

[العلاقة بين الأحسن و التصرفات الاعتبارية]

ثم لو قلنا: بأن المكتنى عنه هو التصرفات الاعتبارية، فهل تلاحظ الأحسنية في نفس تلك التصرفات فقط، أو الأحسنية في الجهة المالية الأعم من التصرفات، أو الأعم منها و من الجهات المعنوية الخارجية المربوطة باليتيم و صلاحه؟ و لازم

الاحتمال الأول هو جواز بيع نصف داره مشاعاً إذا كان أصلح من سائر المعاملات، وإن كان حصول الشركة موجباً للضرر أكثر من النفع الحاصل من بيعها. ولازم الثاني جوازه وإن كان الشريك فاسداً مؤذياً شارباً للخمر موجباً لفساد الطفل، إن كانت الجهات الماليّة محفوظة. الظاهر المتفاهم من الآية على فرض كونها في مقام البيان في المستثنى أيضاً، هو لحاظ مصالح اليتيم من جميع الجهات، لا من الجهات الماليّة فقط. فلو كان هنا مشتريان، أحدهما: شخص صالح، توجب الشركة معه وجاهة الطفل و تربيته الصالحة النافعة له طيلة حياته، والآخر: شخص فاسق خائن، توجب شركته سقوط الطفل عن الوجاهة و عن أعين الناس، و كان الأول يشتري بأقلّ من الثاني، ليس للولي قصر نظره على الماليّة، بل لابدّ من ملاحظة مصلحة الطفل.

[رعاية الاحسن في مال اليتيم لا يقتصر على الجانب

[المالي]

و بعبارة اخرى: المراد ب ﴿أَتَىٰ هِيَ أَحْسَنُ﴾ ليس الأحسن من حيث الجهات الماليّة فقط، بل المتفاهم أن الآية سقت لمراعاة حال اليتيم و حفظ مصالحه، لا لمصلحته الماليّة فقط، فلا بدّ للوليّ من مراعاة جميع الجهات. و على ذلك؛ أي بناءً على أن اللّازم مراعاة مصلحة اليتيم، لو كان ال ﴿أَحْسَنُ﴾ بمعنى الحسن، و كانت معاملات متفاضلة، بعضها أعلى من بعض، و تساوت في الجهات الاخرى، ليس للوليّ بيعه إلّا بالأغلى ثمناً؛ لأنّ الأدون و إن كان مشتملاً على المصلحة و الحسن، لكن إذا لوحظ صلاح اليتيم لا يكون صلاحه إلّا البيع

بالأغلى، لا بما دونه؛ لأنه خلاف صلاحه عرفاً، و يعدّ الولي خائناً عاملاً على خلاف صلاحه، ففي هذه الحيثية يشترك الحسن مع الأحسن.

ثم إن الأمر في الأحسن دائر بين احتمالين، أحدهما: التفضيل، والآخر: مجرد الحسن. وعلى الأول: يلزم تقدير المفضل عليه، وهو خلاف الأصل، كما لا يبعد أن يكون الثاني خلاف الظاهر. ومع الدوران بينهما، فالترجيح غير معلوم، فيلزم منه إجمال يسري إلى المستثنى منه، ولازمه عدم حجّيته إلّا في المتيقّن، وهو التصرف بلا صلاح و حسن، فلا يمكن الاستفادة من الآية الكريمة إلّا عدم جواز التصرف بلا مصلحة، وأما لزوم مراعاة الأصلح فلا، فلو دلّ دليل على صحّة التصرف مع المصلحة، لا تعارضه الآية الكريمة. هذا بعض الكلام في الآية الشريفة، وقد تقدّم أنّ الظاهر منها هو الحرمة التكليفية المتعلقة بالتصرفات الخارجيّة، كما تقدّم أنّ الآية ليست بصدد البيان في المستثنى^١، و عليه فكلّ ما قلنا أو قيل في الاحتمالات الجارية في المستثنى^٢، مبني على فرض غير واقع.^٣

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ

مَسْتَوْلاً﴾ ٣٦

١. سبق ذكره في كتاب البيع، ج ٢، ص ٧٠٦.

٢. سبق ذكره في كتاب البيع، ج ٢، ص ٦٩٩.

٣. الأنصاري، المكاسب، ص ١٥٧، السطر ٢٢؛ الاصفهاني، حاشية المكاسب، ج ١، ص ٢٢٤، السطر ٢٤.

٤. كتاب البيع، ج ٢، ص ٧٠٣ - ٧١١.

[أثبت حجية خبر الواحد بسيرة العقلاء وعدم نهي القرآن

[عنه

ان الآيات الناهية عن العمل بغير العلم أو العمل بالظن 'لا تصلح للردعية، لالما أفاده المحقق الخراساني - رحمه الله - من لزوم الدور فإنه مخدوش كما ذكرنا عند استدلال النافين للحجّة بالآيات فراجع، بل لأنها لما كانت من قبيل القضايا الحقيقية تكون شاملة لنفسها، وهي تكون بحسب الدلالة غير علمية، بل ظنية، فيلزم من التمسك بها عدم جواز التمسك بها؛ لرادعتها لنفسها، وهو باطل بالضرورة.

[شبهة حول دلالة آية النهي عن العمل بالظن بالنسبة

[لأنفسهم

إن قلت: ما يلزم منه المحال هو شمولها لنفسها، فلا تشملها، فيتم رادعتها لغيرها بلا محذور.

قلت: لاشك في أن هذه الآيات الظاهرة في المنع عن العمل بغير العلم إنما أفادها المتكلم بها لأجل الإفادة والإفهام، فلا بد وأن تكون ظواهرها - مع كونها غير مفيدة للعلم - قابلة للإفادة والإفهام، فتكون هذه الظواهر بين المتكلم والمخاطب مفروغة الحجية، ولا تكون حجيتها إلا للسيرة العقلانية على الأخذ بالظواهر، والمتكلم - جلّ وعلا - أتكل على هذه السيرة العقلانية، لاعلى أن هذا الكلام لا يشمل نفسه لأجل لزوم المحال، فإنه خارج عن المتفاهم العرفي

١. الإسراء (١٧): ٣٦، النجم (٥٣): ٢٣ و ٢٨.

٢. الكفاية، ٢، ص ٩٩.

والطريقة العقلانية في الإفادة والإفهام، فإذا كان الاتكال في الإفهام على السيرة مع عدم إفادة العلم، يعلم بإلقاء الخصوصية أن الآية غير رادعة لما قامت به السيرة العقلانية، سواء كانت من قبيل الظواهر، أو من قبيل خبر الثقة.^١

﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَذْحُورًا﴾ ٣٩

[النهي عن الاقتراب من مال اليتيم حكمة]

ومنها: أن تلك الآية الكريمة وقعت في سورة الإسراء في خلال آيات المحرمات والواجبات والمواظع والحكم، وفي ذيلها قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾.

والظاهر أن الإشارة متوجهة الى جميع المذكورات التي هي من الحكم والنصائح، وهو يدل على أن النهي تكليفي لا إرشادي؛ فإن نحو قوله: «لا يصح البيع» و«بطلت الإجارة» ونحو ذلك، ليس من الحكم والنصائح، فإذا كان الحكم تكليفيًا، فلا بد وأن يتعلّق بالتصرفات العينية، لا الاعتبارية.

فالظاهر أن الآية الكريمة كسائر ما وردت في حرمة أكل ﴿مَالِ الْيَتِيمِ﴾، ولا تعرض لها لنحو البيع والإجارة ونحوها، كما لا تتعرض سائر الآيات التي هي في خلالها للحكم الوضعي.^٢

﴿تَسْبِحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾

١. انوار الهداية، ج ١، ص ٣١٣ - ٣١٤.

٢. كتاب البيع، ج ٢، ص ٧٠٧.

وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾

[أدلة عقلية ونقلية قطعية على تسبيح الموجودات عن

معرفة]

قد ثبت بالبرهان أن حقيقة الوجود، في المرايا - العالم - عين جميع الكمالات، وإنه لا يمكن البتة تجريد الكمالات من الوجود، لكن ظهور الكمالات، يكون بقدر سعة وضيق الوجود، وصفاء وكدورة المرآة. ولهذا تكون كافة الكائنات الوجودية، آيات ذاته تعالى ومرآة أسمائه وصفاته. وهذا الموضوع رغم أنه مبرهن عليه، بل قلما تجد مسألة فلسفية تبلغ مستوى الموضوع المبحوث عنه هنا في الإحكام والقوة، واتقان الدليل. فهو مطابق لمشاهدات أصحاب الشهود، ومذاق أرباب المعرفة، وموافق مع الآيات الكريمة، وأخبار أهل بيت العصمة والطهارة (عليهم السلام). كما أشار كتاب الله سبحانه في عدة مواضع، إلى تسبيح الموجودات بأسرها: ﴿يَسْبُحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ^١ ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾.

ومن الواضح جداً أن التسبيح والتقديس والثناء، يتطلب العلم والمعرفة لمقام الذات المقدسة - للحق جل شأنه - ومن دون العلم والمعرفة لا يمكن التسبيح والتقديس والتحميد.

وقد توكت الأحاديث بيان هذا الموضوع الشريف بكل صراحة ووضوح

لا يقبل أي توجيه وتأويل. ' ولكن ذوي الحجاب والمحجوبين من المعارف الإلهية، من أهل الفلسفة التقليدية وذوي الجدل، قد أولوا كلام الله، تأويلاً باهتاً، فمضافاً إلى أنه مخالف لظاهر الآيات الكريمة ونصوص القرآن الكريم، يكون حديثهم بعض الموارد، مثل قصة تكلم النمل في سورة «النمل»^٢ المباركة، مخالفاً للنصوص الكثيرة الواردة عن الأئمة الأطهار (عليهم السلام) ومخالفاً لبراهين الحكمة القويمة أيضاً. ' ولا يتناسب ذكر البراهين مع مقدماتها وحجم هذا الكتاب المختصر.

فتسييح الموجودات للحق المتعالي يكون عن وعي وشعور.^٥



١. هناك آيات دالة على النطق ووجود اعضاء للصوت والكلام، كالذي ذكره الله في الآية ١٨ من سورة النمل في قصة كلان النملة، او ما جاء في الآيات ٢٠ - ٢٤ من هذه السورة حول كلام النبي سليمان مع الهدهد وجواب الهدهد له، وفيها ذكر صريح للكلام والتكلم. اذاً إن كانت الحيوانات قادرة على الكلام فهي قادرة على تسييح الله ايضاً، وان كان نطقها او تسييحها غير مفهوم لدينا، أو كان مستواه ودرجته متفاوتة عما لدى الناس. ومن الآيات الاخرى الدالة على نطق الموجودات الآية ٢١ من سورة حم السجدة، التي تنص صراحة على نطق كل الاشياء.
٢. الشيرازي، صدر المتألهين، شرح اصول الكافي، ص ٢٤٨، كتاب التوحيد، باب النسبة، ح ٣. للاطلاع على ما جاء في توضيح الآيات المتعلقة بقضية تكلم النمل: راجع ما كتب في ذيل الآية ١٨ من سورة النمل وهوامش الآيات ١-٨ من سورة الحديد.
٣. تفسير الجامع لأحكام القرآن القرطبي، ج ١٣، ص ١٦٩ - ١٧٦.
٤. هناك روايات كثيرة دالة على نطق وتكلم وتسييح الموجودات، ويمكن أن نشير منها الى ما جاء في تفسير العياشي، ج ٢، ص ٣١٦ ح ٧٩٨٠، ٨٢، ٨٣، ٨٤ وكذلك تفسير البرهان، ج ٤، ص ٥٦٨ ذيل الآية ٤٤ من سورة الاسراء. وكذلك المجلسي، بحار الأنوار، ج ٦١، ص ٢٧، كتاب السماء والعالم.
٥. شرح الأربعمون حديثاً، ص ٤١٦ - ٤١٧.

[جميع عالم الموجودات يلهج بالحمد والثناء على الله]

عند اهل المعرفة، [مكان المصلّي] كلّ العالم والمصلّي جميع الموجودات؛^١ وسيأتي في أسرار القراءة ان شاء الله، أن جميع عالم الوجود بالهويّات الوجوديّة يحمد ويشني على المقام المقدس للحقّ تعالى، وكله خاضع وعابد له. وليعلم هنا أن عرش التحقّ هو قبة معبد الموجودات وأرض التعيّن مسجدها وجميع الموجودات في ذلك المعبد تحت قبة المحضّر الربوبي مشغولة بعبادة الحق، وكلّها طالبوا الحق ومحّبّوه وعابدوه، ولو كشفت باطن كل ذرة فبواسطة نور فطرة الله الذي يدعوها إلى الخضوع للكامل المطلق لترى شمساً في جوفها ﴿يَسْبِغُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^٢. ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾^٣.

وهو عند اهل الولاية، جميع التعينات الأسمائية والأفعالية، معبد الحق تعالى، ومصلى ذاته المقدسة.^٤

[التسبيح دليل على شعور وإدراك الموجودات]

لما كان قد ثبت ظاهراً في أدلة أئمة البرهان وقلوب أصحاب العرفان، أن دائرة الوجود بأسرها - بملكها وملكوتها وقضيتها وقضيضها^٥ - لها حياة شعورية إدراكية حيوانية - بل إنسانية - وأنها حاملة ومسبحة للحق تعالى عن إدراك

١. بمعنى أن جميع الموجودات في العالم تصلي وتسبح لله.

٢. الحشر (٥٩): ٢٤.

٣. الإسراء (١٧): ٤٤.

٤. سر الصلاة، ص ٥٥ - ٥٦.

٥. في هذا المجال، راجع: محمود الغراب، رحمة من الرحمن، ج ٢، ص ٥٢٧ وكذلك الفتوحات

المكية، ج ٣، ص ٢٧٥.

واستشعار، ولما كان الخضوع في الحضرة المقدسة للكمال والجميل المطلق منقوشاً في فطرة جميع الموجودات - والنوع الانساني خاصة - فإن نواصيها ساجدة على أعتاب حضرته القدسية، يؤيد هذا البرهان الحكمي المتين قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ كما تعضده آيات كريمة اخرى، وأخبار مأثورة عن المعصومين تفيض بهذه اللطيفة الالهية^٢.

[كل ذرات الوجود واعية وفاعلة]

إن العمل مثل جلوة الله تعالى سرى في جميع الكائنات. فالعمل موجود في جميع الكائنات، وبالعامل قد وجدت. إن جميع ذرات الوجود عاملة، إنها عاملة ومدركة. جميع ذرات العالم فعالة ومدركة ولكننا نظن أنها غير مدركة: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾. فالجميع يسبح الحق، الجميع عاملون لله، الجميع مطيعون للحق تعالى، والعمل موجود في كل مكان. والعالم من أوله إلى آخره هو «يوم العامل» لا أنه يوماً واحداً^١.

العالم كله هو يوم العامل، العالم كله عامل، والعالم كله عمل، يعني أن ذرات الوجود التي توجد الإنسان وبقية الحيوانات - بإرادة الله تعالى - هي عاملة، والإنسان عمل، إنه أثر عملها. جميع هذه الكائنات التي ترونها في العالم هي أثر العمل الفعال

١. منها مثلاً: الآية ١ سورة الحديد والآية ١ سورة الجمعة.

٢. أشير في ما سبق الى مصادر هذه الروايات.

٣. آداب الصلاة، ص ٢٧٩ - ٢٨٠.

٤. كتب ونشر هذا النص بمناسبة يوم العمال العالمي (الأول من آيار)، الا ان سماحة الامام انتقل من الكلام عن هذا الموضوع وعرج على موضوع آخر وهو ان العالم كله في عمل وجهد دؤوب، وهو ما يعني بالنتيجة انه في حال وعي ويقظة.

للجند الإلهيين، جند الله جميعها عاملة. الله تبارك وتعالى هو مبدأ العمل.^١

[كمال الله هو الباعث على تسبيح الموجودات]

بما ان الكمال الصرف والكمال المحض للوجود، فمن اللازم والواجب انتزاع جميع المفاهيم الكمالية من الوجود الصرف الذي هو عين الكمال الصرف؛ لأنه لا يكون تقابل جهة الظلمة والنور، بل منشأ جميع الجهات نور الوجود ولكن بحثيات متعددة. وبما ان الذات المقدسة حق صرف الكمال وصرف الكمال نور الوجود، إذأ فحيثما ذهب نور الوجود، فإن الكمالات تذهب هناك، وحتى آخر نقطة يترشح فيها نور الوجود، تكون هناك القدرة، والعلم، والارادة، والكمالات الاخرى.

ومن هنا فقد قال في الآية الشريفة: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَأَنْ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾، وجاءت في آية شريفة اخرى "ما" الموصولة، وليس "مِنْ" لإيصال هذا المعنى.^١

١. صحيفة الإمام، ج ٧، ص ١٧٢.

٢. الاسراء (١٧): ٤٤.

٣. ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الحديد (٥٧): ١.

٤. تقارير فلسفة الإمام الخميني، ج ١، ص ١٥٢ - ١٥٣.

[التسبيح علامة ادراك الموجودات]

لا يخفى انه كما سنذكر في ما يلي ان السعادة والشقاء يكونان للموجودات ذات الادراك؛ لأننا قلنا ان حقيقة السعادة حقيقة وجودية وهي عبارة عن الشعور بالملذات وادراك ما يلائم الذات. وهذا ما يستدعي وجود فارق بين مسلك الحكماء ومسلك العرفاء. وذلك لأن العرفاء يقولون أن في كل ذرات العالم ادراك ويعتبرون كل شيء حيّ ومدرك. وحتى ان محي الدين بن عربي، اطلق على غير الانسان أيضاً تسمية الحي الناطق وخالصة كلامه هي: ان كل شيء حيّ وناطق، غاية ما في الأمر أننا لا ندرك حياة ونطق بعض الموجودات التي لا نستوي واياها في الأفق، مثل الجمادات والنباتات، ولكنها ذات حياة ونطق وادراك؛ والآية: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾^١ تكشف عن أنها تسبح حقيقة وتنطق بالحمد. ولهذا فان ما قيل في ان المراد م الآية هو ان الموجودات آيات الحق غير صحيح. فما العلاقة بين كونها آية وبين تسبيحها وحمدها؟^٢

[كمالات الموجودات ناقصة على قدر سعتها الوجودية]

نحن في حجاب فلا نستطيع الإدراك، إذ أن هذه الموجودات السفلية الأدنى من الإنسان والحيوان، هذه الموجودات الناقصة تنعكس فيها جميع تكل الكمالات، غاية الأمر أن هذا الانعكاس هو بمقدار سعتها الوجودية، فلديها

١. الفتوحات المكية، ج ١، ص ١٢٠.

٢. الاسراء (١٧): ٤٥.

٣. تقريرات فلسفة الإمام الخميني، ج ٣، ص ٤٥٠ - ٤٥١.

إدراك أيضاً نفس الإدراك الموجود في الإنسان موجود فيها أيضاً: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾. نحن محجوبون فلا نفهم تسبيح الموجودات، وأولئك الذين لا يعلمون أن من الممكن أن يكون هناك إدراك لموجود ناقص، يفسرون هذا التسبيح بأنه التسبيح التكويني^١ في حين أن ما تقوله الآية هو غير التسبيح التكويني، الذي نعرفه ونعرف أنه ليس تسبيحها بمعنى أنها موجودات ولها علة، كلا الأمر ليس كذلك، بل إنها تسبح.

[ادراك الموجودات على قدر سعتها الوجودية]

وقد ذكرت الأحاديث تسبيح بعض الموجودات وما هو؟!^٢
في قصة تسبيح تلك الحصاة الصغيرة في يد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم! ما هو الذي سمعوه؟ إنه تسبيح تعتبر أجنبية عنه أذني وأذنك، إنه نطق

١. الإسراء (١٧): ٤٤.

٢. تفسير الكشاف، ج ٢، ص ٤٥١، ذيل الآية ٤٤ من سورة الإسراء. التفسير الكبير للفخر الرازي، ج ٢٠، ص ٢١٩ ذيل الآية الأنف ذكرها.

٣. بحار الأنوار، ج ٦١، ص ٢٧، كتاب السماء والعالم، باب عموم احوال الحيوان واصنافها، ح ٨.
٤. أفرد العلامة ابوجعفر رشيد الدين محمد بن شهر آشوب (المتوفى سنة ٥٨٨ هـ) فصلاً خاصاً في نطق الموجودات في كتابه الشهر مناقب آل أبي طالب، ص ٩٠ - ص ١٠٢، ضمن حديثه المفصل عن مناقب الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وأورد فيه قصة تسبيح الحصاة في يد الرسول الأكرم ضمن روايات أخرى عديدة في هذا المجال، يقول: .. وأتاه مكرز العامري وسأله آية فدعا صلى الله عليه وآله وسلم تسع حصيات فسبحن في يده. وفي حديث فوضعهن على الأرض فلم يسبحن وسكنن ثم عاد وأخذهن فسبحن.. المناقب، ص ٩٠ طبعة قم، إيران.
وجاء في حديث طويل عن علي (عليه السلام) انه قال: "ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم سبحت في يده تسع حصيات تسمع نعماتها في جمودها، ولا روح فيها لتنام حجة نبوته". اثبات الهداة، ج ٢، ص ٤٥.

وكلام ولغة ولكن لفته ليست لغتنا ونطقه ليس نطقنا ولكنه إدراك، إدراك بمقدار السعة الوجودية للحصاة.

ولعل بعض المراتب العالية ولكونها ترى نفسها مصدر كافة الإدراكات تقول إن الموجودات الأخرى ليس لديها هذه الإدراكات - وبالطبع فإن ليس لها إدراكات تلك المرتبة - ونحن أيضاً ولكوننا لا ندرك حقائق هذه الموجودات، فنحن محجوبون عنها لذلك فلسنا مطلعين ولكوننا لسنا مطلعين نتصور عدم الكثير من الأشياء. كثيرة هي الأشياء التي يتصورها الإنسان معدومة لكنها موجودة أنا وأنت أجنب عنها.

الآن يقولون أن هناك مجهولات اتضحت، فمثلاً النباتات التي كان الجميع فيما مضى يقولون بأنها صامتة، يقولون الآن بأنه يمكن سماع ضجيج - بواسطة أجهزة وهوائيات خاصة - ينطلق من جذور الشجرة التي توضع في ماء مغلي، أنا لا أعلم هل هذا صحيح أم كذب؟! ولكن العالم مليء بالضجيج وجميع ما فيه حي وجميعها اسم الله أيضاً كل شيء هو اسم الله.

[شكر كل شاكر وحمد كل حامد يعود لله]

وبالجملة إن الفطرة السليمة التي لم تحتجب بأستار المظاهر الخلقية وترد الأمانة إلى صاحبها كما هي، تشكر الحق في كل نعمة.

بل عند الفطرة غير المحجوبة كل شكر من أي شاكر، وكل حمد وثناء من أي حامد ومثنٍ - تحت أي عنوان، ولأي شخص كان في أية نعمة كانت - لا يرجع إلى غير ذات الله المقدسة، جلّ وعلا، وإن كان المحجوبون يظنون أنهم يمدحون غيره، ويشنون على غيره، ومن هذه الجهة يمكن القول بأن غاية بعثة

الأنبياء رفع هذا الحجاب، وطى الأستار التي تحجب تجلي جمال الأزلي 'جلت عظمته ولعل الآية الشريفة: ﴿إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾^١ وأمثالها إشارة إلى هذه اللطيفة.^٢

[تفسير الحلم والغفران]

أما فضائل الحلم، من طريق العقل، فهي معلومة وثابتة، ولا تخفى على صاحب العقل السليم، الآثار الشريفة المترتبة عليه.

ويكفي في فضله أن الله تعالى في القرآن الكريم نسب الحلم إلى نفسه؟ فقال في سورة بني إسرائيل الآية ٤٢: ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ وفي سورة الأحزاب الآية ٥١ ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ وهذا دليل على أن الحلم من الأوصاف الكمالية المطلقة، التي يتصف بها الموجود بما أنه موجود، لأنه قد قرر في الفلسفة، أن أوصاف الحق تعالى عبارة عما يكون من الكمالات المطلقة ومن صفات الموجود بما أنه موجود ولا يحتاج في اتصاف الوجود به تخصص استعداد رياضي وطبيعي^٣.

﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ ٧٢

١. لقد بعث الانبياء لهداية بني الانسان ولكي يعلموا ما عليهم من وجوب شكره وحمده واداء ما هو اهل له من الثناء. ومن اجل ازالة الحجب ليدرك الناس ان المحامد لغيره تعود بالنتيجة اليه لانه هو خالق الموجودات.

٢. سورة الاسراء (١٧): ٤٤.

٣. شرح حديث جنود العقل والجهل، ص ١٨٧.

٤. الأسفار الأربعة، ج ٦، ص ١٣٣.

٥. شرح حديث جنود العقل والجهل، ص ٢٧٠ - ٢٧١.

[العلاقة بين العمى في الدنيا و عمى الآخرة]

أحد مرتكزات الاحكام في ديننا هو حكم العقل، وهذا هو العقل الذي تترثرون بشأنه وتقول ان العقل مرسل من عند الله وهو بالنسبة الى الانسان بمثابة العين، فما لعينكم هذه لا تبصر مثل هذا الشيء الواضح الذي يمثل الركيزة التي بُنيت عليها مسيرة البشر في الحياة والطريق الذي تسير عليه قافلة الحياة: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾^١.

[العمى المعنوي بفقدان الإيمان]

أسفًا علينا! إن إيماننا ناقص، ولم تخرج أدلتنا العقلية من نطاق العقل لتصل إلى حدود القلب. ليس الإيمان بالقول والسماع والمطالعة والمباحثة والنقاش فحسب وإنما يتطلب أيضاً خلوص النية. إن الباحث عن الله يجده لامحالة، والذي يطلب المعارف يبحث عنها، ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا...﴾ * ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾^٢.
﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾^٣ ٧٨

١. كشف الاسرار، ص ١٩٨.

٢. المقصود هو أولاً ان الايمان هو ما يوجب الاستارة والاهتداء الى الطريق ومعرفته وهذا الايمان غير رهين بالمعرفة ولا يحصل بالكلام والسماع والقراءة والقليل والقالب.

٣. النور (٢٤): ٤٠.

٤. شرح الأربعون حديثاً، ص ١١٣.

[المقصود من دلوك الشمس وغسق الليل وقرآن الفجر]

إن في قوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ احتمالات وأقوالاً بحسب آراء اللغويين:

فمن قائل: إنَّ الدلوك زوال الشمس وميلها، والظاهر أنَّ الأغلب على ذلك. وقيل: الدلوك من الزوال إلى الغروب^١.

وقيل: هو الغروب^٢، وقيل في وجه كلِّ أمرٍ اعتباريٍّ لا يرجع إلى محصل. وقيل: غسق الليل: هو أوَّل بدنه^٣.

وقيل: سواد الليل وظلمته^٤.

وقيل: انتصافه^٥.

وقيل: وقت غيبوبة الشفق^٦.

والظاهر أنَّ الآية الكريمة متعرِّضة لبيان أوقات الصلوات الخمس، فالقول بأنَّ الدلوك هو الغروب، كالقول بأنَّ الغسق بدء الليل، غير وجيه.

والظاهر أنَّ المراد من الدلوك زوال الشمس، كما عليه الأكثر، والغسق انتصاف الليل إذا كان المراد شدة ظلمته؛ بناء على أنَّها في الانتصاف، أو غيبوبة الشفق؛ إذ بها يصير الليل مظلماً؛ لذهاب شعاع الشمس عن الأفق،

١. الصحاح ٤، ص ١٥٨٤؛ النهاية ٢، ص ١٣٠؛ المصباح المنير ١، ص ٢٣٦.

٢. لسان العرب ٤، ص ٣٩٢.

٣. كتاب العين ٥، ص ٣٢٩؛ التبيان في تفسير القرآن ٦، ص ٥٠٨؛ مجمع البيان، ٥، ص ٦٦٩.

٤. الصحاح ٤، ص ١٥٣٧؛ القاموس المحيط ٣، ص ٢٨١؛ مجمع البحرين ٥، ص ٢٢٢؛ أنظر مجمع

البيان ٦، ص ٦٧٠.

٥. النهاية ٣، ص ٣٦٦؛ مجمع البيان ٦، ص ٦٧٠؛ لسان العرب ١٠، ص ٦٩.

٦. أنظر مجمع البحرين ٥، ص ٢٢٢؛ تفسير القمّي ٢، ص ٢٥؛ تفسير العياشي، ج ٢، ص ٣٠٩ - ١٤١.

٧. كتاب العين ٤، ص ٣٥٣.

وسيا تي الكلام في ترجيح أحد الاحتمالين، وأما احتمال كونه سواد آخر الليل فبعيد عن الصواب.

[الغسق انتهاء الوقت]

والظاهر من الآية الكريمة أن الغسق منتهى الوقت، وهو إما سواد الليل وظلمته، وهو يحصل بذهاب الشفق بل قبيله، أو شدة الظلام، وهي إما بعد الشفق أو انتصافه، والحمل على آخر الليل خلاف الظاهر.

مضافاً إلى أنه يمكن الاستئناس لذلك من اختلاف تعبير الآية الكريمة في بيان الصلوات الأربع مع بيان صلاة الفجر، فقوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ راجع إلى الأربعاء، وقوله: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ راجع إلى صلاته.

ومن المحتمل قريباً أن النكته في اختلاف التعبير: اتصال وقت تلك الصلوات الأربع، فالقطعة المتصلة من الزوال إلى انتصاف الليل أو ذهاب الشفق وقت لها، فقال: أقم الصلاة من الدلوك إلى الغسق، ثم لما كانت القطعة المذكورة منفصلة عن القطعة التي تجب فيها صلاة الفجر أفردتها بالذكر بقوله: وقرآن الفجر، وهذا وجه عدم التعبير بقول: أقم الصلاة من دلوك الشمس إلى الفجر، أو إلى ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾، وهذا شاهد على أن بين الأربعاء والفجر فصلاً دون تلك الأربع.

[المراد من الغسق نصف الليل]

وبما ذكرنا يمكن الاستظهار من الآية: أن المراد من الغسق نصف الليل؛ بأن يقال: إنه لو كان المراد منه سقوط الشفق، لزم عدم تعرضها لوقت العشاء تماماً؛

إذ لم يقل أحد: بأن وقتها إلى سقوط الشُّقِّ، مضافاً إلى ما دلَّ من الأخبار^١ المستفيضة على أن الوقت إلى نصف الليل، فلا ينبغي الإشكال في أن الغَسَقَ نصف الليل.

ثمَّ إنَّه بناء على ظهور الآية في أن منتهى الوقت انتصاف الليل، لا تكون الروايات الدالة على بقاء الوقت للمعذور - كالحائض التي طهرت آخر الليل^٢، والناسي والنائم المستيقظ آخره^٣ - مخالفة له إلا بالإطلاق والتقييد، فيجب الأخذ بالمقيدات لو لم يكن محذور آخر، بل لا تكون رواية عبيد بن زرارة، عن أبي عبد الله (عليه السلام): «ولا صلاة الليل حتى يطلع الفجر»^٤، مخالفة للآية بالتباين؛ إذ لا دلالة لها على أنه وقت اختياراً، وعدم الفوت لا ينافي كون آخر الوقت للمضطرِّ، فإنَّ التارك عمداً ولو عوقب بتأخيره، لكن صار مضطراً ولم تفت صلاته.

ثمَّ إنَّه يمكن الاستدلال بالآية الشريفة على أن الوقت من زوال الشمس إلى غسق الليل، وقت اختياريٍّ للصلوات الأربع.

[احتمالات في معنى أقم الصلاة]

بيان ذلك: أن في قوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ...﴾ إلى آخرها احتمالات:

١. راجع: وسائل الشيعة، ج ٤، ص ١٨٣ - ١٨٦، كتاب الصلاة، أبواب المواقيت، الباب ١٧، ح ٢ - ٩ و ١١.
٢. راجع: وسائل الشيعة، ج ٢، ص ٣٦٣ و ٣٦٤، كتاب الصلاة، أبواب الحيض، الباب ٤٩، ح ٧ و ١١ و ١٢.
٣. راجع: وسائل الشيعة، ج ٤، ص ٢٨٨، كتاب الصلاة، أبواب المواقيت، الباب ٦٢، ح ٣ و ٤.
٤. تهذيب الأحكام، ج ٢، ص ٢٥٦، ح ١٠١٥ الاستبصار ١، ص ٢٦٠، ح ٩٣٣، وسائل الشيعة، ج ٤، ص ١٥٩، كتاب الصلاة، أبواب المواقيت، الباب ١٠، ح ٩.

أحدها: أنه أمر لخصوص النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بإقامتها من الزوال إلى انتصاف الليل، ويكون أمراً مولوياً وجوبياً.

ثانيها: أنه أمر مولوي متوجه إليه بإيقاعها في القطعة المذكورة؛ بأن لا يكون الأمر متوجهاً إلى نفس الصلاة التي ظرفها تلك القطعة، بل إلى لزوم جعلها فيها بعد مفروضية كونها واجبة.

وبعبارة أخرى: لم يكن بيان أصل وجوبها بالآية الشريفة، بل كان ثابتاً من قبل، وإنما تعلق الوجوب بجعل الصلوات الواجبة في تلك القطعة.

ثالثها: أنه أمر إرشادي متوجه إليه لبيان شرطية الوقت للصلاة، كالأوامر المتعلقة بسائر الشروط، كالطهارة والقبلة.

فعلى هذه الاحتمالات، لما كان الخطاب شخصياً متوجهاً إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فلا محالة يكون الأمر للتوسعة اختياراً، فإن الاضطرار - كالتسهو، والنسيان، والخطأ، والجهل، والإغماء، والمرض الموجب لعدم الالتفات إلى أوقات الصلاة، بل النوم الموجب لتترك الصلاة في الوقت الاختياري - غير جائز على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وما ورد من نومه عنها لا بد فيه من التأويل، أو الرد إلى أهله، فلا محالة يكون الخطاب لشخص ملتفت غير معذور، فتكون التوسعة لصلاة المختار، ثم بعد ثبوت ذلك له - عليه وعلى آله السلام - تثبت للأمة؛ للإجماع - بل الضرورة - على الاشتراك وعدم كونها من مختصات، ولا يفرق في استفادة ذلك بين الوجوه المتقدمة؛ حتى على الاحتمال الثالث؛ لأن الأمر الإرشادي أيضاً متوجه إليه، فيكون إرشاداً له إلى ذلك.

نعم لو كان المراد من أمره بالإقامة إقامتها في الأمة؛ بأن يكون مأموراً بأن يأمر الأمة بإقامتها، لكان أمره بها قانونياً يصح فيه الإطلاق للحالات العارضة، لكنه خلاف الظاهر. ولعل الظاهر هو الاحتمال الأول؛ للفرق بين المقام وغيره

مما أمر بالأجزاء والشرائط؛ لقيام القرينة في سائر الموارد على الإرشاد؛ لتعلق الأمر بالجزء أو الشرط ونحوهما؛ مما لا يصح فيه الحمل على المولوية، وأما في المقام فيحمل على ظاهره؛ لتعلقه بالصلاة في الأوقات المذكورة. والحاصل: أن الحمل على الإرشاد حمل على خلاف الظاهر، المحتاج إلى القرينة المفقودة في المقام.

[تعيين وقت الصلاة يشير إلى الظروف الاختيارية]

فتحصّل ممّا ذكر: أنّ الوقت المستفاد من الآية وقت اختياريّ، هذا مضافاً إلى دلالة جملة من الروايات^١ عليه، وعدم صلاحية الروايات^٢ الموهمة للخلاف لمعارضتها، بل في نفس تلك الروايات شواهد على أنّ الأوقات المذكورة فيها أوقات فضل على مراتبه، ولا يقتضي المقام تفصيل الأوقات وأحكامها. فلا إشكال في أنّ وقت العشاء ممتدّ إلى نصف الليل اختياراً، كما لا إشكال في عدم امتداده إلى الفجر اختياراً بمقتضى الآية الكريمة والروايات^٣.

[شرط وجوب الصلاة، دخول الوقت]

ولا إشكال بحسب الإثبات في عدم كون الوقت من قبيل شروط الواجب،

١. وسائل الشيعة، ج ٤، ص ١٢٥، كتاب الصلاة، أبواب المواقيت، الباب ٤، و ١٨٣، الباب ١٧.

٢. وسائل الشيعة، ج ٤، ص ١٤٠، كتاب الصلاة، أبواب المواقيت، الباب ٨، و ١٨٧، الباب ١٨.

٣. الخلل في الصلاة، ص ١٤٧ - ١٥٢.

وظاهر الآية الكريمة ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ...﴾ إلى آخره أحد الاحتمالين الأولين^١، والأرجح منهما هو الأول، فإن الأظهر أن يكون قوله: ﴿لِذُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ متعلقاً بالطلب، فيكون الحاصل: تجب الصلاة عند دلو كها، فيكون الوجوب مشروطاً؛ لا بالصلاة حتى يكون الوجوب معلقاً، وأما كونها بصدد بيان الشرطية، لا بالحكم التكليفي، فبخلاف الظاهر بعد كون الأمر متعلقاً بالصلاة أو متعلقاتها^٢.

[في مقام بيان أسرار الوقت]

وهو في مسلك أهل العرفان ومشرّب أصحاب الإيقان من أول استواء شمس الحقيقة في غاية ظهورها بأحدية جمع الأسماء، وهو وقت صلاة الظهر. وهي صلاة الربّ وصلاة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في المعراج الذي هو مظهر استواء النور الأحدي والجمع الأحمدي، وهو نفسه عرش استواء الرحمن^٣

١. بين المؤلف في بداية طرح المسألة ثلاثة احتمالات حول دخول الوقت وهي:

أولاً: أن دخول الوقت شرط الوجوب الصلاة؛ أي أن الصلاة لا تصحّ واجبة إلا بحلول وقتها.

ثانياً: أن الصلاة الواجبة معلقة على حلول وقتها. وفي هذه الحالة يكون وجوب الصلاة فعلياً، إلا أنها من قبيل الواجبات التعليقية التي تبقى موكولة إلى الزمان الذي يحين فيه وقتها.

ثالثاً: أن تكون الصلاة واجبة مطلقاً، إلا أن حلول وقتها شرط لانجاز العمل؛ كشرط الطهارة بالنسبة إلى الصلاة، وشرط الستر في الصلاة. راجع: الخلل في الصلاة، ص ١٥٧.

٢. الخلل في الصلاة، ص ١٥٨.

٣. النظر إلى أسرار الوقت يمكن تفسيره وتحليله من زاويتين؛ أحدهما من الزاوية الظاهرية وهو أن الحكمة من تعيين الوقت في خمس مرّات، وإن هناك أسرار في تعيين أوقات الصبح، والظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء، وتبيين الآثار والمعطيات التي تأتي من العبادة في هذه الأوقات. وقد طرحت مواضيع كثيرة حول هذه المسألة، ومن ذلك ما أشار إليه في كتاب آداب الصلاة، ص

﴿الرُّحْمَانُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾. 'ومن هنا يعلم سرّ وقوعها في المعراج مع أن المعراج قد وقع في الليل.

إلى أوّل طلوع شمس المالكيّة من أفق يوم القيامة وهو يوم إتيان اليقين ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾. ' فمن أوّل زوال استواء الظهور حيث تشرع شمس الأحديّة في الاحتجاب في أفق التعينات وامتداد الأظلال ﴿أَلَمْ تَرَى إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾. ' إلى أن تغرب تحت آفاق التعينات وهو وقت صلاة المقربين وأهل السابقة الحسنی. «إذا زالت الشمس دخل الوقتان» أي وقت الظهر والعصر وهما أفضل الصلوات وليست الصلاة الوسطى خارجة عن هاتين وإن كان الأقرب في نظر الفقهاء أن الظهر هي الصلاة الوسطى. وفي مسلك العرفان

ومن زاوية اخرى هناك في نظر اهل العرفان اسرار للوقت وروية تأويلية الى الوقت، وهو مما يعكس طبيعة نظرة العارف الى العالم، حيث ان التعبيرات التي وردت فيه لمجرد أنس الذهن. اذ انه كتب في هذا المجال ما يلي: ان انكشاف الحقيقة واتبجاسها في وقت صلاة الظهر بوصف الأحديّة، حيث ان صلاته في تلك الحالة صلاة الرب، وصلاة رسول الله في المعراج. وله أيضاً نظرة تأويلية اخرى الى زوال الشمس (حلول وقت الظهر) وهي احتجاب شمس الأحديّة في افق التعينات وامتداد الظلال. وفي هذه الحالة تزداد التعينات وتمتد الظلال اكثر. وعند ذلك تتمهد الأرضية لصلاة الآخرين (غير النبي) ابتداءً بالمقربين وذوي السبق وانتهاءً بالآخر والآخرين، الى ان يخيم السواد وظلمات السماء على الحقيقة ويحصل الاحتجاب التام. ولا بد من التوبة للخروج من هذه الظلمة؛ حيث يبين هذه المراحل بتعبيرات وتأويلات تُناسب ذلك العالم. ولكن ينبغي ان لا يفوتنا، بل ونؤكد هنا بان بيان اسرار الوقت في الكتاب ينطلق من نظرة تأويلية، وجاء في موقع كشف البطون والافصح عن معاني العالم وحقائقه. ولا ينبغي ان يتوقع احد ان يعبر عن هذه الاصطلاحات والتشبيهات بالكلمات المأنوسة في الفقه والاخلاق. فهذا عالم آخر قائم بذاته.

١. طه (٢٠): ٥.

٢. الحجر (١٥): ٩٩.

٣. الفرقان (٢٥): ٤٥.

كلتا الصلاتين بطريق الظاهرية والمظهرية والأولية والآخرية إنما هي أربع مكان أربع. وقد عبّر في الروايات عن كليهما بالصلاة الوسطى.

ووقت صلاة العصر اثناء خطبة آدم عليه السلام، في الدخول في حجاب التعين والميل الى شجرة الطبيعة.

واما صلاة العشاءين ففي اوقات ظلمة ديجور^١ الطبيعة والاحتجاب التام لشمس الحقيقة. وللخروج من هذه الظلمة بالتوبة الصحيحة من الخطأ الغريزي الذي ارتكبه ابو البشر عليه السلام لصلاة المغرب. والخروج من ظلمات القبر والصراط والقيامة التي تعني بقاء ظلمة الطبيعة، عن طريق المشايعة. كما جاء في الحديث المنقول عن أهل بيت العصمة والطهارة في ان المغرب هو الوقت الذي تاب فيه آدم ثم صلى ثلاث ركعات: واحدة لخطيته وواحدة لخطية حواء، وواحدة لتوبته.^٢ وصلاة العشاء لأن القبر والقيامة ظلمة تُستجلى بتلك الصلاة، وبها يُضاه لهم الصراط. وأما صلاة الفجر فمن أول بروز آثار يوم الجمع إلى طلوع شمس الحقيقة من أفق يوم القيامة، فإذا حصل الطلوع فيسقط التكليف ويطوى بساط الليل ويتضح سرّ ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾.^٣

وبيان آخر على لسان أهل المعرفة: من أول زوال نور الحقيقة من المرتبة الاستوائية وغروبه تحت الأستار الخلقية الذي هو مبدأ ليلة القدر إلى منتهى احتجابه بحجب التعينات وهو نصف الليل وآخر القوس النزولي ومنتهى ليلة القدر أوقات الصلوات الأربعة المختلطة من جنبتي الحقبة والخلقية اللتين هما فرض الله وفرض النبي: ﴿اقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾.^٤ ومن

١. الديدجور: المكان البارد والمظلم.

٢. الصدوق، الأمالي، المجلس ٣٥، ص ١٥٩.

٣. الفاتحة (١): ٤.

٤. الإسراء (١٧): ٧٨.

ابتداء انحدار النجوم وهو وقت رجوع الشمس من حجب التعينات إلى الأفق الأعلى، مبدأ يوم القيامة إلى طلوع الشمس من أفق يوم القيامة وقت النوافل الليلية ما دام حكم الليل غالباً. ووقت فريضة الصبح التي هي فرض الله الصرف حين يصير حكم النهار غالباً: ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾^١ وبعد طلوع الشمس أتاك اليقين وانقطع السلوك فتمام دائرة الوجود ليلة القدر المحمدية إن عرفت قدرها ويوم القيامة الأحمدية إن قمت بالخدمة^٢.

١. الإسراء (١٧): ٧٨.

٢. كما قلنا في بداية هذا الكلام ان للامام الخميني في ما يتعلق بسرّ الوقت نظرة عرفانية وتأويلية الى الصلوات الخمسة، ومقارنة سير السالك من المراحل والمقامات الى اوقاتها. ان بداية الارتباط بمقام الأحدية هو جمع الاسماء؛ اذ بما انها في غاية الجلاء والوضوح فهي تقارن بوقت صلاة الظهر. وهذا المقام لا يناله اي كان، وانما وصل إليه النبي في المعراج بالنور الاحدي والجمع الأحدي؛ لأنه كان مظهراً لمثل هذا النور.

وفي مرحلة تالية نصل الى مقام تكون قد تعيّنت فيه الموجودات، واصبحت واضحة المعالم واحدة فواحدة؛ ولهذا السبب تستظل تدريجياً في ظل الحق، الا ان كل واحد منها يقع تحت جسم وهذه المرتبة تُقارن بوقت العصر؛ لأنه مثلما تبرز الظلال واحد بعد الآخر مع بداية زوال الشمس الى أن يحل الوقت الذي تكثر فيه الظلال، ويتناقض عند ذلك بروز وظهور تلك الحقيقة لحظة بعد اخرى الى ان يحين وقت الغروب.

في هذه المرحلة يرى العارف الاشياء المتناثرة وان كان مظهراً لله عزّ وجلّ، ولكن كلما كثرت تلك التعينات، تتضاءل رؤية شمي الحقيقة.

وفي مرحلة اخرى يصل الدور الى ظلال الليل وحلول وقت صلاتي المغرب والعشاء، وهو يرمز عند العارف الى اوقات الظلمة والبرد وظلام الطبيعة الحالكة. حرفي هذه المرتبة يرى الطبيعة وعالم الناسوت والاستار الملقاة على شمس الحقيقة ويكون العارف منهمكاً في تنازع مع متطلباته الجسمية والمادية. والسبيل الوحيد للاعتاق من هذه الظلمة هو العودة الى الله وازاحة تلك الحجب والأستار واداء الصلاة، حتى يرحل عالم القبر ويقايا ظلمة الطبيعة واشراق شمس القيامة وانطواء بساط الليل والتعينات. وهذه هي المقارنة التأويلية لسير العارف عن مراحل المعرفة وادراك العالم الى القيامة، مع اوقات الصلاة الخمسة في هذه الآية.

﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ ٨١

[إذا جاء الحق يزول الباطل تلقائياً]

﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ إن عدونا اليوم يتخبط خوفاً وقلقاً وإن الباطل الذي يجرون وراءه قد دنا من الزهوق. ذلك الباطل الذي تغفل إلى كافة أنحاء البلاد وساهم في تخلفنا وتراجعنا. علينا أيها الإخوة السعي لتحقيق المعنى الوارد في الآية الكريمة السابقة، وعلى جميع الدول الإسلامية العمل على تعزيز سلطة الحق كما جاء في الآية الشريفة ﴿جَاءَ الْحَقُّ﴾. فعندما يحل الحق في مكان ما فإن الباطل سيزهق بشكل طبيعي.^١

[المراد من الغلبة والزهوق ليس في عالم المادة]

سواءً علينا أننتصرنا أم هزمتنا في الجانب المادي فإننا الغالبون، تماماً كما كان رسول الله (ص) وأولياؤه هم الغالبون رغم خسارتهم في بعض المعارك والحروب، فالحق هو الغالب والباطل زاهق لا محالة ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾.^٢

﴿وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ ٨٢

١. سر الصلاة، ص ٦٠ - ٦٣.

٢. صحيفة الإمام، ج ١٣، ص ١٦٢ - ١٦٣، خطاب بتاريخ ١٦/١٠/١٤٠٠.

٣. المصدر السابق، ج ١٣، ص ٢٨١، خطاب بتاريخ ١٠/١٢/١٤٠٠.

[وظيفة المفسر لفت الانظار إلى القرآن في حد شفاء القلوب]

وعلى المفسر أن يُعلّم الناس الشؤون الإلهية، كما أن على العباد أن يرجعوا إليه من اجل تعلّم الشؤون الإلهية لكي تتحقّق الاستفادة منه، فقد قال تعالى: ﴿وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾^١ وأية خسارة أكبر من المواظبة على قراءة هذا الكتاب الإلهي مدة ثلاثين أو أربعين عاماً ومراجعة التفاسير، ولكن دون الوقوف على أهدافه السامية؟

[سبل الوصول إلى الاستشفاء بالقرآن]

فإذا حدّق ببصر قلبه بهذا المقصود - فترة - وتفادى النظر فيما سواه، انفتحت بصيرة قلبه، وصارت «حديداً»^٢ واصبح التفكير في القرآن أمراً عادياً للنفس، وحينئذ تتمهد طرق الاستفادة وتفتح ابواب لم تكن مفتوحة من قبل. واذا به يستفيد من القرآن أموراً ومعارف لم يكن قد استفادها قبل ذلك ابداً، وعندئذ يدرك كيف يكون القرآن شفاءً للأمراض القلبية، ويدرك ما ترمي إليه الآية الكريمة: ﴿وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾^٣، ومعنى قول أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): «تعلّموا القرآن فإنه ربيع

١. آداب الصلاة، ١٩٤.

٢. اشارة الى الآية الشريفة: ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدًا﴾ (سورة ق (٥٠): ٢٢).

القلوب واستشفوا بنوره فإنه شفاءٌ للصدور^١، فلا يبحث - بعد ذلك - في القرآن الكريم عن شفاء الأمراض الجسمية فحسب، وإنما يبحث فيه عما يمثل الغاية الرئيسة له، وهي شفاء الأمراض الروحية. فالقرآن لم ينزل من أجل شفاء الأمراض الجسمية أساساً - وإن كان ذلك يُتَّحَصَّلُ منه أيضاً - مثلما أن الأنبياء (عليهم السلام) لم يبعثوا من أجل شفاء الأمراض الجسمية - وإن كانوا يقومون بذلك - فهم أطباء النفوس ومشافو القلوب والأرواح^٢.

﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾ ٨٤

[الصورة الفعلية والجانب الملكوتي في العمل، النية]

النية هي الصورة الفعلية، والناحية الملكوتية للعمل. كما أشرنا إليه سابقاً. وفي الحديث الشريف تلميح إلى هذا الموضوع، عندما يقول: «وَالنِّيَّةُ أَفْضَلُ مِنَ الْعَمَلِ أَلَا وَإِنَّ النِّيَّةَ هِيَ الْعَمَلُ»^٣ واحتمل بعض أن هذا المعنى مبالغة، ولكنه ليس بشيء من المبالغة، بل مبني على الحقيقة، لأن النية هي الصورة الكاملة للعمل، والفصل المحصّل له، وصحة العمل وفساده وكماله ونقصه، مرتبطة بالنية.

كما أن عمل شخص واحد لإختلاف نيته قد يكون تعظيماً للغير، وقد يكون توهيناً له، وقد يصير تاماً بها، وقد يصير ناقصاً لفقدانها، وقد يكون من سنخ الملكوت الأعلى وله صورة بهية جميلة، وقد يكون من سنخ الملكوت السفلي وله صورة موحشة مخيفة.



١. نهج البلاغة، الخطبة ١٠٩، ص ٣٣٠ وفيها: «وتعلّموا القرآن فإنه أحسن الحديث، وتفقهوا فيه فإنّه

ربيع القلوب. واستشفوا بنوره فإنه شفاء الصدور...». الخطبة.

٢. آداب الصلاة، ص ٢٠٥.

٣. أصول الكافي؛ ج ٢، ص ١٦، كتاب الإيمان والكفر، باب الاخلاص، ح ٤.

[روح العمل وتَمَام حَقِيقَةِ النِّيَّةِ]

إن ظاهر صلاة علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وظاهر صلاة المنافق متضاهيان في الأجزاء والشرائط والشكل الظاهري، ولكن هذا يعرج بعمله إلى الله، ولصلاته صورة ملكوتية أعلى، وذلك يغور في أعماق جهنم، ولصلاته صورة ملكوتية سفلية.

وعند تقديم أهل بيت العصمة (عليهم السلام)، للفقير أقرصاً من خبز الشعير لوجه الله، تنزل من عند الله سبحانه آيات كريمة في الثناء عليهم، وبحسب الإنسان الجاهل أن تحمّل الجوع ليومين أو ثلاثة أيام ودفع الطعام إلى الفقير أمراً مهماً، رغم أن مثل هذه الأعمال يمكن أن تصدر من كل شخص، من دون صعوبة. في حين أن أهمية هذا العمل تكمن في القصد الخالص والنية الصادقة. إن روح العمل، القوية واللطيفة والتي تنبعث من القلب السليم الصافي، هي مصدر هذه الأهمية القصوى.

إنه لافرق بين المظهر الخارجي للنبي (صلى الله عليه وآله) وكافة الناس، ولهذا عندما كان يدخل عليه (صلى الله عليه وآله) شخص من خارج المدينة، وكان عليه الصلاة والسلام جالساً مع مجموعة من المسلمين، يسأل - الوافد - أيكم النبي؟ إن الذي يفضل النبي (صلى الله عليه وآله) على غيره، هو روحه الكبيرة، القوية، اللطيفة لاجسه المبارك وبدنه الشريف. وقد قالوا في العلوم العقلية أن شيئية الشيء بصورته لا بمادته. بل إن الحد التام هو التعريف بالفصل فقط، أما التعريف بالجنس والفصل فهو من الحد الناقص، لأن الاختلاط بالغرائب والأجانب، والتعريف بالمنافي، يسيء إلى حقيقة الشيء وتعريفه

١. الدرر (٧٦): ٥ - ٢٢.

٢. بحار الأنوار، ج ١٦، ص ٢٢٩، تاريخ نبينا (ص)، باب مكارم أخلاقه وسيره، ح ٣٥.

وتمايمته. والمادة والجنس تعتبران من الغرائب والأجانب بالنسبة إلى حقيقة الشيء التي هي عبارة عن الصورة والفعلية والفصل. فإذن تمام حقيقة الأعمال هي صور الأعمال وناحيتها الملكوتية التي هي النية.

ويستفاد من هذا البيان أن الإمام الصادق (عليه السلام) قد بيّن في هذا الحديث الشريف^١ - الحديث العشرون -:

أولاً: صور الأعمال وموادها، وقال إن الجزء الصوري أفضل من الجزء المادي، وأن النية أفضل من العمل، كما نقول إن الروح أفضل من الجسم وليس لازم ذلك - مقتضى أفضل التفضيل - إن العمل من دون نية يكون صحيحاً، وإن الجسم من دون الروح يكون جسماً، بل المعنى أن بعد تعلق النية بالعمل، والروح بالجسم يتحقق عمل واحد، وجسم واحد، وأن كل واحد من الجزء الصوري الملكوتي في هذين المزيجين الخليطين: أحدهما من النية والعمل، والآخر من الروح والجسم، الجسم أفضل من الجزء المادي الملكي. وهذا هو معنى الحديث المشهور «نِيَّةُ الْمُؤْمِنِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ»!

وثانياً: إن العمل يكون فانياً في النية، والملك في الملكوت، والمظهر في الظاهر وقال (عليه السلام) «ألا وإنَّ النِّيَّةَ هي العمل» ولا يوجد شيء آخر عدا النية، وأن جميع الأعمال فانية في النية، ولا استقلالية لها. ثم استشهد بقوله تعالى: «كُلُّ يَفْعَلُ عَلَى شَاكِلَتَيْهِ» وإن الأعمال تابعة لشاكلة النفس، وشاكلة النفس وإن كانت الهيئة الباطنية للروح، والملكات المخمرة فيها، لكن النية هي الشاكلة

١. مقصود الحديث العشرين في تفسير الآية الشريفة: «يَتَّبِعُوا كَمَ أَيْتَكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا» (الملك (٦٧):

٢) هو أن الإمام الصادق لم يجعل كثرة العمل معياراً للاختيار والابتلاء وإنما جعل المعيار في صحة العمل وصوره في الخوف من الله وصدق النية، وقال: الإصابة خشية الله والنية الصادقة، راجع: اصول الكافي، ج ٢، ص ١٦، كتاب الإيمان والكفر.

٢. اصول الكافي، ج ٢، ص ٨٤، كتاب الإيمان والكفر، باب النية، ح ٢.

الظاهرية للنفس. ونستطيع أن نقول بأن الملكات هي الشاكلة الأولية للنفس، والنيات هي الشاكلة الثانوية لها، والأعمال تتبعها، كما قال الصادق (عليه السلام).^١

[العلاقة المتبادلة بين العمل والنية]

الرابط بين الروح والباطن الملكوتين مع الظاهر وقوى النفس الملكية بشكل أن الظاهر والباطن يتأثر كل منهما بالآخر ويسري كمال كل منهما ونقصه وصحته وفساده إلى الآخر.

كما أن الروح السالمة الكاملة تظهر سلامتها وكمالها من منافذ القوى الملكية، كالكوز يترشح الماء الصافي من منافذه التي هي من منافذ القوى الظاهر والباطن ﴿قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾^١ وهكذا فالروح العلية الناقصة التي غلبت عليها الشقاوة والمسكنة، ووقعت تحت تصرف الشيطان، وفقدت السعادة والكمال الفطريين، واحتجبت بأنواع الحجب، تعطي صبغتها من منافذ قواها، التي هي روابط بين الملك والملكوت، وهي صبغة الشيطان في مقابل صبغة الله، وتجعل ظاهر قواه الملكية على شكله وشاكلته، كالكوز الذي يظهر الماء المر والمالح وغير السائغ من باطنه إلى الظاهر، بواسطة منافذه التي هي روابطه.^٢

١. شرح الأربعون حديثاً، ص ٣٣١ - ٣٣٢.

٢. سورة الاسراء (١٧): ٨٤.

٣. شرح حديث جنود العقل والجهل، ص ٣٨٨.

[العالم علامة وظل لله]

فهو تعالى بهاء بلا شوب الظلمة، كمال بلا غبار النقيصة، سناء بلا اختلاط الكدورة، لكونه وجوداً بلا عدم وإتية بلا ماهية. والعالم باعتبار كونه علامة له ومنتسباً إليه، وظله المنبسط على الهياكل الظلمانية، والرحمة الواسعة على الأراضي الهولانية بهاء ونور واشراق وظهور:

﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلِيهِ﴾، وظل النور نور: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾^١. وباعتبار نفسه هلاك وظلمة ووحشة ونفرة: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾^٢. فالوجه الباقي بعد استهلاك التعينات وفناء المهيئات، هو جهة الوجود المتدلّية إليه، التي لم تكن مستقلة بالتقوم والتحقيق، ولا حكم لها بخيالها، فهي بهذا النظر هو^٣.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ٨٥

[المراد من الروح في الآية الروح الإنسائية]

عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عن قول الله عز وجل: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾. قال: «خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل كان مع

١. الفرقان (٢٥): ٤٥.

٢. القصص (٢٨): ٨٨.

٣. شرح دعاء السحر، ص ٢٠ - ٢١.

رسول الله وهو مع الأئمة وهو من الملكوت^١.

ولعل القرآن والأخبار قد استخدموا نوعين من الإطلاق المفردة «الروح» كما أن أهل الاصطلاح أيضاً استخدموها في عدّة إطلاقات، منها:
الروح: صنف من صنوف الملائكة كما في قول الصادق (عليه السلام) الذي مرّ معنا حينما قال: وهو من الملكوت.

الروح: روح نفس حضرات الاولياء، وهي ليست من الملائكة، بل أعظم منهم^٢. وبناءً على ما تقدم ومع الأخذ بنظر الاعتبار التنزّل في ليلة القدر، يمكن أن تكون «الروح» الوارد ذكرها في سورة القدر الكريمة، تعبيراً عن «الروح الأمين» أو «الروح الأعظم»، ولعلها في الآية الكريمة ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ تعبير عن «الروح الانسانية» التي تفوق في مرتبة كمالها جبرئيل وسائر الملائكة عظيمة، وهي «عالم الأمر» بل لعلها تتحد مع «المشيئة» التي تمثل «الأمر المطلق»^٣.
﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرُّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرُوا

١. اصول الكافي، كتاب الحجّة، باب الروح التي يسدّد بها الأئمة - الحديث الثالث والآية هي ٨٥ من سورة الاسراء.

٢. في الحقيقة ان الامام يجمع هنا بين معنيين؛ فمن جهة جاء في الاحاديث: ان الروح خلق اعظم جبرائيل وميكائيل ومن الملكوت (اصول الكافي، ج ٢، ص ١٨، ح ٣). ومن جهة اخرى هي ليست من صنوف الملائكة. اذا فلا بد ان تكون هذه الروح روحاً انسانية. ولكن كيف يمكن التوفيق بين هذين المعنيين والجمع بينهما؟ والرأي الذي طرحه سماحته هو ان فسر هذه الروح بروح الاولياء. وقد جاء تفصيل هذا الرأي في تفسير سورة القدر، ذيل الآية ﴿تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ﴾.

ومن الممكن ان نقول ان الامام في هذا الموضوع لا يجمع بين معنيين، بل على العكس من ذلك، يعتبر الروح على نوعين: نوع ملكوتي ومنه الملائكة، والنوع الآخر الروح الانسانية التي هي اسمى من الملائكة في مرتبة الكمال، ومن عالم الامر والمشيئة الذي هو امر مطلق. وكلام الامام في هذا المجال لا يقصد حديثاً بعينه، وإنما فسر ذلك طبقاً لمشربه.

بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَالِفْتِ بِهَا وَاتَّبِعِي بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾

[الرحمانية هي مقام الالهية]

قال بعض المشايخ من اصحاب السلوك و المعرفة، رضي الله تعالى عنه، في [كتابه] اسرار الصلاة، في تفسير سورة الفاتحة...: «فاطلاق الرحمن و الرحيم على الله تعالى باعتبار خلقه الرحمة الرحمانية و الرحيمية: باعتبار قيامها به قيام صدور لا قيام حلول. فرحمته الرحمانية افاضة الوجود المنبسط على جميع المخلوقات....»^١

اقول: ان اراد من الوجود المنبسط ما شاع بين اهل المعرفة، و هو مقام المشيئة و الالهية المطلقة و مقام الولاية المحمدية، الى غير ذلك من الالقاب بحسب الأنظار و المقامات، فهو غير مناسب لمقام الرحمانية المذكورة في: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، فإنهما تابعان للاسم الله و من تعيناته، و الظل المنبسط ظل الله لا ظل الرحمن؛ فإن حقيقته حقيقة الإنسان الكامل. و رب الانسان الكامل و الكون الجامع هو الاسم الاعظم الإلهي و هو محيط بالرحمن الرحيم؛ و لهذا جعلنا في فاتحة الكتاب الإلهي ايضاً تابعين. و إن اراد منه مقام بسط الوجود فهو مناسب للمقام و موافق للتدوين و التكوين، و لكنه مخالف لظاهر كلامه.

و ما ذكره ايضاً صحيح باعتبار فناء المظهر في الظاهر، فمقام الرحمانية هو مقام الإلهية بهذا النظر، كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ اذْعُوا اللَّهَ أَوْ اذْعُوا الرَّحْمَنَ أَيَّا مَا

تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى»، وقال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾،
وقال تعالى: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾.^٣

[حقيقة الأسماء في ذاتها هي الحقيقة الغيبية المطلقة]

إن المصايح السالفة رفعت الظلام عن وجه قلبك، وعلّمتك ما لم تكن تعلم من كيفية عينية الذات والصفات والأسماء. وعلّمت أن الصفات لم تكن من قبيل الحالات والعوارض الزائدة عليها؛ بل هي عبارة عن تجليها بفيضها الأقدس في الحضرة «الواحدية» وظهورها في الكسوة الأسمائية والصفاتية؛ وحقيقة الأسماء بباطن ذاتها هي الحقيقة المطلقة الغيبية....^٤

هل هذا إلا التشبيه الذي وردت الأخبار الصحيحة^٥ من أهل بيت العصمة والطهارة، صلوات الله عليهم، بل الكتاب العزيز، على نفيه؟ وقررت منه حتى وقعت من نفي الصفات التي قال الله تعالى في حقها:

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذُرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ

١. الرحمن (٥٥): ١-٣.

٢. البقرة (٢): ١٦٣.

٣. شرح دعاء السحر، ص ٤٧-٤٨.

٤. كلام الامام يشير الى ما قاله القاضي سعيد القمي (م ١١٠٣) الذي كان يرى بان الصفة حينما وجدت وفي اي موجود كانت، إن كان مع تلك الصفة شيء وتكون لذلك الشيء حالة اخرى غير الحالة التي يكون فيها مع تلك الصفة، ففي هذه الحالة لا يمكن ان تكون صفة لذلك الشيء. ومنشأ هذا الاكلام تشابه الله مع الموجودات التي في عالم المادة والهبولا. وهذا المطلب مستقى من المجلد الثالث من شرحه لكتاب التوحيد للشيخ الصدوق، ص ٣٠٩. راجع: مصباح الهداية، ترجمة السيد احمد الفهري ص ٤٤-٤٩.

٥. الكليني، اصول الكافي، ج ١، ص ٨٢، كتاب التوحيد، باب اطلاق القول؛ الصدوق، كتاب التوحيد، ص ٣٦، باب التوحيد و نفي التشبيه.

ما كانوا يَعْمَلُونَ ﴿١﴾

وقال تعالى شأنه: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ ﴿٢﴾

و هل زعمت أن من قال من الحكماء العظام والأولياء الكرام، رضوان الله عليهم، بعينية الصفات للذات المقدسة أنها بما ذكرت عينها؟ و هل المراد إلا أن الوجود الحقيقي بأحدية جمعه يصلح فيه المتغايرات و يجمع فيه الكثرات بالهوية الواحدية الجمعية المنزهة عن شائبة الكثرة؟ فنطق لسان الحكماء المتألهين لإفادة ذلك الأمر العظيم الذي كان العلم به من أجل المعارف الإلهية بأن بسيط الحقيقة كل الأشياء بالوحدة الجمعية الإلهية. و قالت العرفاء الكاملون إن الذات الأحادية تجلّى بالفيض الأقدس، أي الخليفة الكبرى، في الحضرة الواحدية، و ظهر في كسوة الصفات و الأسماء؛ و ليس بين الظاهر و المظهر اختلاف إلا بالاعتبار^١.

[كل الخصائص الموجودة في الله، موجودة في الرحمن أيضاً]

عندما يكون النور مطلقاً يصبح بلا تعين و بذلك يجب أن يكون جامعاً لكافة الكمالات، لأن فقدان أي كمال يوجب "التعين" فلو كانت هناك نقطة نقص واحدة في مقام الربوبية، أو لم تكن هناك ولو نقطة وجود فقط - بل وما دون

١. الأنعام (٦): ٧٠.

٢ مصباح الهداية، ص ٢٥-٢٦.

النقطة من العدم لخرج عن الإطلاق واصبح ناقصاً ممكناً ولم يكن واجب الوجود فالواجب كمال مطلق وجمال مطلق.

من هنا فعندما نعتبر "الله" وبحسب المنهج البرهاني الناقص - اسماً للذات المطلقة ولها كافة التجليات، فيجب أن يكون جامعاً لكافة الأسماء والصفات جامعاً لكافة الكمالات كمالاً مطلقاً دون أي تعين، وهذا لا يمكن أن يكون فاقداً لأي شيء وإلا لم يكن كمالاً مطلقاً بل كان "ممكناً" والممكن هو ناقص مهما كانت درجة الكمال التي يصلها فبمجرد خروجه عن مرتبة الإطلاق يدخل حدود الإمكان، الوجود المطلق واجد لكل شيء لكل الكمالات، البرهان يقول: "صرف الوجود كل الأشياء وليس بشيء منها" كل الأشياء لكن لا بالتعينات، واجدٌ لكل وجود ولكن لا على نحو التعين بل على نحو الكمال المطلق.

وحيثما يكون هذا الكمال المطلق - عندما نحسب واقع الأمر - يكون في كل الأسماء فهذه ليست مستقلة بل هي نفس أسماء الذات غير منعزلة ونفس الخصوصيات الموجودة في اسم "الله" موجودة في "الرحمن" فيصبح هذا كمالاً مطلقاً: ﴿ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾^١ سواء "الله" أو "الرحمن" أو "الرحيم" وسائر الأسماء فـ ﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ وهذه موجودة أيضاً في جميع صفات الحق تعالى، ولكونها على نحو الإطلاق فلا حدود بين الاسم والمسمى واسم واسم آخر، فهي ليست مثل الأسماء التي نطلقها على شيء ما باعتبارات مختلفة.

١. العبارة متكررة في معظم النصوص الفلسفية خاصة مصنفات المولى صد الدين الشرازي ومن جاء

بعده، راجع: الأسفار الأربعة، ج٦، ص ١١٠ - ١١٨، السفر الثالث، الموقف الأول، الفصل ١٢.

٢. سورة الإسراء (١٧): ١١٠.

عندما نقول "نور" و "ظهور" فلا يعني ذلك أنه من جهة نور ومن أخرى ظهور، بل إن الظهور هو عين النور، والنور أيضاً عين الظهور، وبالطبع فهذا المثال ناقص أيضاً، الوجود المطلق كمال مطلق في كل شيء مطلق، جميع الأوصاف هي على الإطلاق بحيث لا يمكننا فرض أي شكل من الاستقلالية^١.

[جميع أسماء الحق تعالى واجدة لجميع مراتب الوجود]

إن جميع أسماء الحق تعالى واجدة لجميع مراتب الوجود، فكل اسم هو جميع الأسماء، فالأمر ليس أن الرحمن صفة واحدة أو اسماً واحداً، والرحيم اسم مقابل وكذا الحال مع المنتقم هذه لو كانت من الأسماء فجميعها حاوية لكل شيء: ﴿أَيُّهَا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ فجميع الأسماء الحسنى موجودة في الرحمن وموجودة في القيوم وفي الرحيم، وليس الحال أن أحدها يحكي شيئاً ما والآخر يحكي عن شيء آخر، فذلك يعني أن يكون الرحمن حاكياً لحيثية ما موجودة في ذات الحق تعالى، وغيره يكون حاكياً لحيثية أخرى، وبذلك تكون ذات الحق تعالى مجتمعة للحيثيات، وهذا محال في الوجود المطلق، الوجود المطلق هو رحمن بوجوده المطلق ورحيم بوجوده المطلق رحمن بتمام الذات ورحيم بتمام الذات، ونور بتمام الذات والله بتمام الذات، فلا تكون رحيمته شيئاً ورحمانيته شيئاً آخر.

أولئك الذين يسمون علواً بقدم المعرفة حتى يصلون إلى حيث تتجلى الذات بتمام التجليات، وبالطبع ليس الذات بل على نحو التجلي في قلوبهم، وقلوبهم

١. يقول السهروردي مؤسس فلسفة الإشراق: "صرف الوجود الذي لا أتم منه كلما فرضته. ثانياً فإذا

نظرت إليه هو هو". التوحيد العلمي والمعني، ص ١٣٩.

٢. تفسير آية البسلة، ص ١٦١ - ١٦٢.

ليست من هذه القلوب، بل القلب الذي يدخله القرآن، القلب الذي فيه مبدأ الوحي القلب الذي يتخذة جبرائيل منزلاً، في هذا القلب تتجلى الذات بذاك التجلي الجامع لكافة التجليات وهو نفسه الاسم الأعظم والمتجلي بتجلي الاسم الأعظم، والاسم الأعظم هو نفسه "نحن الأسماء الحسنی".^١

الاسم الأعظم هو نفس رسول الله، وهو أعظم الأسماء في مقام التجلي.^٢

١. تقدم ذكر مصدره.

٢. تفسير آية البسملة، ص ١٦٧ - ١٦٨.

سورة الكهف
١٨
مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ ٦

[بخوع نفس النبي ليست علة غائبة لعدم إيمان الكفار]

قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ لم يكن بخوع نفسه الشريفة علة غائبة لعدم إيمانهم، ومعلوم أن الجملة الشرطية في حكم التقدّم على جزائها.^٢

١. الكهف (١٨): ٦. باخع نفسك: أي قاتلها ومهلكها. التبيان، ج ٧، ص ٨

٢. انوار الهداية، ج ١، ص ٣٠٧.

[عشق الحق هو الدافع لعشق الناس لدى الأنبياء]

ان كان العاشق قوي الوجود وشديد الكمال، يكون العشق على درجة عالية من الشدة والقوة. وحب الله لدى أولياء الله يختلف تبعاً لاختلاف درجات معرفتهم لله وادراكهم لحضرة الحق. مثلاً بما ان ادراك خاتم الأنبياء وهو الوجود الأكمل والأشد بين الموجودات الممكنة، للحق واللحوق الحقّة أكثر، لذلك فانه أكثر حباً للحق تعالى. وعندما يحب الشخص المحبّ لشيء، آثار ومتعلقات ذلك المحبوب، وينتج عن حب الشيء حب آثاره، وهي صورة نازلة لحب الشيء. ولهذا، فان الأنبياء والمرسلين بما لديهم من ادراك كامل يحون آثار ومتعلقات الله تعالى بنفس الدرجة الشديدة التي يحبون بها الله، وإلا فمن غير المعقول ان يتحمّل نبيّ أنواع العناء والأذى على أمل هداية أحد وانقاذه من الضلال. ومن هنا فان خاتم الأنبياء يحبنا حقيقة أكثر مما نحب أنفسنا، ولهذا فهو يشعر بغاية الضيق والأسى فيما لو رفض شخص الهداية وبقي على ضلالته. ﴿فَلَقُلْكَ بِأَعْيُنِنَا نَقَدُّكَ إِنَّمَا كُنَّا لَكَ فِئْرَةً يُؤْمِنُوكَ بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾. وذلك لأنه يدرك كما المبدأ أكثر مما يدركه غيره، وبالنتيجة فهو يحبه أكثر من غيره، وكذلك يحب أكثر من غيره متعلقات وآثار المحبوب التي هي بمثابة ظلّه. وبما ان الذات الإلهية أشدّ الوجود وفوق التأكد وحقيقة وجودية وواجب الوجود وصرف الوجود، وكلّ الكمالات وفوق الكمالات وصرف الادراك وشديد الادراك، ولهذا فله حبّ شديد وعشق وجوبي، وفي مرتبة الذات يدرك كمالات ذاته بالعلم والادراك الحضورى وامتّن الادراك.^٢



١. الكهف (١٨): ٦.

٢. يتسم بأتم الكمالات وأسمائها، ومن جهة اخرى أخلص الادراكات ومنتهاها.

٣. تفريرات فلسفة الإمام الخميني، ج ٢، ص ١٤٠.

[عشق العباد عامل تأثير مؤلم للنبي]

لماذا كان النبي الخاتم (ص) يحزن ويتأثر إلى حد كبير بسبب عدم إيمان المشركين حتى خاطبه الله: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾

ان السبب ليس الا لانه كان يضم العشق لجميع عباد الله والعشق لله هو عشق لتجلياته. فقد كان يتألم لحجب العجب الظلمانية وانانيات المنحرفين التي تؤدي إلى تعاستهم وعذاب جهنم الاليم الذي هو نتيجة اعمالهم وكان ينشد السعادة للجميع؛ فقد بعث لسعادة الجميع في حين كان المشركون والمنحرفون اصحاب القلوب العمياء يعادونه رغم انه جاء لانقاذهم^١.

[شدة شفقة النبي على الاسرة البشرية]

لا يمكن جذب قلوب الناس ومنعهم من الطغيان بمثل بسط الرأفة والرحمة وطرح المحبة والمودة ولهذا فإن الأنبياء العظام هم مظاهر رحمة الحق جلّ وعلا كما أن الله تعالى يعرف رسوله الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في آخر سورة التوبة وهي سورة الغضب بهذا النحو:

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾^٢، وتكفي شدة الشفقة والرأفة في قلبه (صلوات الله وسلامه عليه) جميع العائلة البشرية، كما في الآية الشريفة في أول سورة الشعراء حيث يقول

١. صحيفة الإمام، ج ١٦، ص ٢١٦-٢١٧، مقتطف من رسالته الاخلاقية والعرفانية ١٤٠٢/٦/٢٧.

٢. سورة التوبة (٩): ١٢٨.

تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾^١ وقوله في أوائل سورة الكهف: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾^٢ سبحانه الله ما أصعب الأمر على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم! من تأسفه على حال الكفار وجاحدي الحق وشوقه إلى سعادة عباد الله، أن الله تعالى يسليه ويحفظ قلبه اللطيف من التقطع من شدة الهم والحزن على أحوال هؤلاء الجهال الأشقياء.^٣

[أسف وحسرة النبي لم يكن لأجل الفتح]

قد بلغ اهتمام نبينا الأكرم وتألمه على قومه والضلال الذي هم فيه، حدًّا خاطبه معه الوحي الإلهي قائلاً: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾. فقد كان الهدف أن يصنع من هؤلاء أناساً حقيقيين، وكل من كان يهتدي إلى إنسانيته وآدميته كان بمثابة البشارة لنبينا الأكرم وللأنبياء - صلوات الله عليهم أجمعين - وأما مسائل فتح البلدان والاستيلاء عليها ونهب أموالها لملاً خزائن الدولة وما شاكلها من الأمور المتداولة بين الطواغيت، فلم تكن مطروحة أصلاً عند الأنبياء. فعالم المادة ليس هو هدفهم في الأصل. إنما جاؤوا ليأخذوا بيد هؤلاء الماديين، وتلك الموجودات المادية ويسيروا بها نحو تلك العوالم الأخرى، وذلك العالم الذي لا يمكن لذهنك وذهنك أن يتخيله.^٤



١. سورة الشعراء (٢٦): ٣.

٢. سورة الكهف (١٨): ٦.

٣. شرح حديث جنود العقل والجهل، ص ٢٣٤ - ٢٣٥.

٤. صحيفة الإمام، ج ١٣، ص ٢٩١، خطاب بتاريخ ١٤٠٠/١٢/٨.

[التخوف من الانحراف والفساد لا يبيح اتباع اساليب منحرفة]

فانظروا الآن وأنتم تمضون وتريدون أن تهدوا الناس هل تهدونهم باسم الرب، أو باسم النفس الذي هو باسم الشيطان؟ انظروا كيف تعاملون من هم في محل عملكم؟

لنفرض أنكم رأيتم في المحلة التي ذهبت إليها ناساً منحرفين - وهؤلاء كان الرسول الأكرم - صلى الله عليه وآله وسلم - يألم لهم ويحزن عليهم، فنزل فيه القرآن: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ يقول له: كأنك تريد أن تقتل نفسك، لأن هؤلاء لم يؤمنوا - لنفرض أنكم حين ذهبت رأيتم هناك انحرافات، فلا تتصوروا أنكم تستطيعون معالجتها بالانحراف، فالانحراف لا يمكن أن يقوم الانحراف. قوموا الانحرافات بنور هداية الله وباسم ربك^١.

[لماذا لا توجد في قلوبنا ذرة واحدة من جهود وأسف

[النبي]

لماذا لا تكون ذرة واحدة مما كان في قلوب الأنبياء في قلوبنا: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ

١. ان سلوك الانسان وأفعاله مظاهر للاسماء وهي تعمل بوصفها؛ فاسم الرب يشير الى الجهة الالهية للانسان. واسم النفس والشيطان يشير الى اهواء النفس والتوجهات المادية والاساليب الشيطانية (المكر والحيلة والعنف والانحراف).

٢. يرشد الله تبارك وتعالى النبي في آيات متعددة الى استفتاح الاعمال باسم الرب وخاصة في دعوة الناس الى الله (المزمّل (٧٣): ٨، الانسان (٧٦): ٢٥)، بل عليه التنبيه والتذكير ثم يقول: سبح باسم ربك. (الواقعة (٥٦): ٧٤).

٣. صحيفة الإمام، ج ٨، ص ٣٣٠، ص حيفه النور، ج ٧، ح ٢٢٧. في خطاب موجه الى علماء الدين والدعاة.

فَسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿١﴾ كان يتحسر لأجل الناس. حسرة النبي كانت حتى للكفار، هؤلاء الكفار! يتحسر أنهم لا يفهمون ماذا يعملون. إنهم يصنعون جحيماً لأنفسهم. لماذا لا تكون ذرة وبارقة صغيرة من هذه الأنفس المظمتة الشريفة في قلوبنا، لنعمل من أجل هذه الأمة وليس من أجل أنفسنا إذا سعيتم جميعاً لتعملوا من أجل الأمة فإِنَّ كُلَّ شَيْءٍ سَيُصْلِحُ.^١



[دعوة النبي وهمومه كانت لأجل سعادة الناس]

إن الإسلام جاء لجميع البشر ويتطلع الى اسعاد البشرية جمعاء. لقد كان الرسول الأكرم يتألم للكفار الذين لا يهتدون. وفي احدى المعارك التي أسروا عدداً من المشركين وجاؤوا بهم مكتوفي الايدي، قال (ص): أنا أريد أخذ هذا مع السلاسل الى الجنة! نحن أسرنا هؤلاء لكي نصلحهم ونرسلهم الى الجنة.^٢

١. المصدر السابق، ج ١٤، ص ٢١٤، خطاب بتاريخ ١٢/٥/١٤٠١.

٢. لا يقصد الامام بهذا الكلام ان الناس ينبغي ابجارهم على الايمان، وانما المقصود بما انهم وقفوا ضد المسلمين وحاربوهم ووقعوا الآن أسرى في أيدي المسلمين، الى حد أنهم يأسفون بانهم كانوا يريدون استثمار الفرصة لهدايتهم وارشادهم الى طريق السعادة؛ لأن هذا الفهم مخالف لنص قرآني صريح موجّه الى النبي وهو قوله تعالى: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾. ولهذا فقد اعلن في خطاب ألقاه بتاريخ ١٤٠٥/١١/١ بأن الانبياء كانوا يأسفون في هذه الحالات، مع انهم كانوا يسمون على طريق توجيه الناس الى معرفة الله.

٣. صحيفة الإمام، ج ١٠، ص ٣٣، خطاب بتاريخ ٢٦/١٠/١٣٩٩.

[مسؤولية الانبياء على قدر استطاعتهم]

كان النبي يتحسر لأنه يدعو وما من اجابة: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ
 إِنَّ لَمْ يَأْمُرْنَا بِهَذَا الْخَدِيثِ أَسْفًا﴾ أحد هموم الانبياء هو انهم لم يستطيعوا
 توظيف كل تعاليمهم بالشكل الذي يقتضيه التعليم. اراد الرسول أن يجعل كل
 الناس على شاكلة علي بن أبي طالب، لكن هذا لم يحصل.^١

[سبب حسرة الانبياء كونهم مظهرًا لرحمة الحق]

الأنبياء هم مظهر رحمة الحق تعالى ويريدون الخير للناس جميعاً كما يريدون
 أن تكون معرفة الله لدى الجميع وأن ينعم الجميع بالسعادة، ويأسفون أشد
 الأسف عند ما يرون الناس يتجهون نحو جهنم، والقرآن الكريم يشير إلى هذا
 المعنى بقوله: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِنَّ لَمْ يَأْمُرْنَا بِهَذَا الْخَدِيثِ أَسْفًا﴾
 حيث كان الجميع يسعون إلى تعريف الناس بالله.^٢

١. مفهوم هذا الكلام الذي يقول فيه ان الانبياء لم يستطيعوا الوصول بتعاليمهم الى النضج والثمر، لا
 يُعد دليلاً على اخفاقهم وضياح جهودهم. ولاشك في ان الانبياء احرزوا نجاحات كبرى على
 طريق ارشاد البشرية وتكوين مسارها في الحياة، وحققوا انجازات هائلة في بناء شخصيات فذة في
 عصورهم أو في ما تلاهم من الأزمنة. ولهذا السبب نلاحظ ان سماحته قد صرّح في هذا
 الخطاب الذي ألقاه بتاريخ ١٤٠٠/٧/٢٧ في ذكرى المبعث النبوي بأن تربية شخصيات مثل علي
 بن ابي طالب يُعتبر توفيقاً عظيماً. ولكن بما ان غاية التوفيق هو النجاح في بناء افراد مثل علي،
 لذلك يقول بأن النبي كان يطمح الى ان يجعل كل الناس مثل علي بن ابي طالب ولكن لم يتسن
 له ولم يتحقق له ذلك.

٢. المصدر السابق، ج ١٢، ص ٤٢٤، خطاب بتاريخ ١٤٠٠/٧/٢٧.

٣. في ما يتعلق بوصف أسى النبي وما يرتبط به، راجع: سورة الشعراء (٢٦): ٣.

٤. صحيفة الإمام، ج ١٩، ص ٤٣٨ و صحيفه النور، ج ١٩، ص ٢٥٠-٢٥١.

﴿وَرُوضِ الْكِتَابِ قَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلُمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ ٤٩

[جهنم الأعمال حاضرة القيامة]

إن جميع نيران جهنم وعذاب القبر والقيامة وغيرها مما سمعت عنها إذا قستها مع نار الدنيا وعذابها... تكون بذلك قد أخطأت القياس والفهم. فنار هذا العالم باردة وهي أمر عرضي. وعذاب هذا العالم سهل ويسير للغاية. وادراكك لهذا العالم ناقص وقاصر. فكل نيران هذا العالم إذا اجتمعت سوف لاتستطيع أن تحرق روح الإنسان. هناك - أي في عالم القيامة - إضافة إلى أن نيرانها تحرق جسم الإنسان فإنها تحرق روحه كذلك، فتذيب القلب وتحرق الفؤاد. وكل ما سمعته من قبل وما سمعته الآن هو في الحقيقة جهنم أعمالك التي ستجدها وتراها هناك أمام عينيك. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿...وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا...﴾.

لقد أكلت مال اليتيم وتلذذت بذلك ولكن الله وحده يعلم ما هي صورة هذا العمل في ذلك العالم والتي سترها في جهنم، وما هي الذلة التي ستكون نصيبك هناك؟ الله يعلم أي عذاب شديد ينتظرك بسبب تعاملك السيء مع الناس وظلمك لهم في ذلك العالم؟ ستفهم أي عذاب قد أعددت لنفسك بنفسك، عندما اغتبت فإن الصورة الملكويتية لهذا العمل قد أعدت لك وسترد عليك وتحشر معها، وستذوق عذابها، وهذه هي جهنم الأعمال^١.

[بكشف الحجب تنكشف صورة الأعمال]

إذا ارتفعت الحجب تتجلى الصورة الملكوتية للأسر في أغلال الشهوات، وسلاسل الرغبات النفسانية وأنها كيف تكون؟.

ولعل هذه السلسلة التي طولها سبعون ذراعاً والتي أخبر عنها الله تعالى ' والتي تكون أصفاداً وأغلالاً لنا في يوم الآخرة هي الصورة الملكوتية لهذا الأسر والرق في ظل أوامر القوة الشهوية والغضبية. يقول الله تعالى: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ ويقول: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾!

فما يصل إلينا في ذلك العالم هو صور أعمالنا. فمزق سلاسل الشهوة والأهواء المتعرجة بعضها على بعض، وحطم أصفاد القلب، وأخرج من قيود الأسر، وكن حراً في هذا العالم، حتى تكون حراً في ذلك العالم. ولولا ذلك لوجدت الصورة الملكوتية لهذا الأسر حاضرة في ذلك العالم، واعلم بأنها مؤلمة جداً. إن أولياء الله رغم تحررهم التام من الأسر والرق، وبلوغهم الحرية المطلقة فإن قلوبهم كانت مضطربة وكانوا يجزعون وينجبون بدرجة تثير دهشة العقول.^٢

[حقيقة الجنة والنار، صورة الأعمال]

إن صورة الجنة وجهم الجسمانيين الماديتين هي صور الأعمال والأفعال الحسنة والسيئة لبني آدم حيث تعود إليهم يوم الآخرة كما أن الآيات الشريفة قد أشارت إلى ذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ وقوله (صلى الله

١. إشارة إلى هذه الآية الشريفة: ﴿ثُمَّ فِي سَبِيلَةِ ذُرْعِمَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْئَلُوكَهُ﴾ (الحاقة (٦٩): ٣٢).

٢. البقرة (٢): ٢٨٦.

٣. شرح الأربعون حديثاً، ص ٢٥٧.

عليه وآله): «إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ تُرَدُّ إِلَيْكُمْ»^١ ومن الممكن أن يكون عالم الجنة وعالم جهنم نشأتين ودارين مستقلين يتحرك إليهما بالحركة الجوهرية، والدوافع الملكوئية والحركات الإرادية العملية والخلقية. وإن كانت حظوظ كل من الناس من صور أعمال أنفسهم.

على أي حال فإن عالم الملكوت الأعلى عالم الجنة الذي هو عالم مستقل وتساوق النفوس السعيدة إليه. وعالم جهنم هو الملكوت السفلي الذي تساق إليه النفوس الشقية. وما يعود إلى الإنسان في كل من النشأتين من الصور البهية الحسنة أو الصور المؤلمة المدهشة فهي أعمال نفس الإنسان.

وبهذا البيان نجتمع بين ظواهر الكتاب والأخبار المختلفين بحسب الظاهر. كما أن هذا البيان يوافق البرهان ومسلك ذوي العرفان أيضاً.^٢

[إحصاء الأعمال بالنسبة إلى جميع أفعال الإنسان]

قد تكون المعاليل على نحو الجمع حاضرة في وجود العلة، وتشاهد العلة معاليلها في صقعها مشاهدة حضورية. مثلما هو الحال بالنسبة إلى النفس التي هي انزل تلك الوجودات التي تقع في أوائل الوجود.

وبالإضافة إلى البرهان، فالآية الشريفة ﴿يَا وَيْلَتَنَا مَا لِحَدِيثِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾^٣ دالة على هذا المعنى أيضاً. ولعل المراد من أن هذا الكتاب يحصي جميع أعمال لا يعني أنه يحصي المعاصي فقط، بل أن كل ما يصدر من الإنسان من أفعال وأعمال وتعتبر من لوازمه الوجودية، مجموعة في

١. علم اليقين، ج ٢، ص ٨٨٤ المقصد الرابع، في أحوال البرزخ.

٢. شرح الأربعون حديثاً، ص ٣٦٢ - ٣٦٣.

٣. الكهف (١٨): ٥٠.

وجود النفس ومسجلة في لوح النفس. وعندما يخرج الانسان من عالم الطبيعة ويتوجه الى ذاته، سيرى ان كل صور اعماله محفوظة في لوح النفس، ولذلك يقول: ﴿يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾.

لعل هذا الكتاب الذي ذكره الله تعالى في القرآن لكل شخص، هو لوح النفس الذي ذكرناه، وهو لوح النفس الذي يكتب فيه الملائكة الموكلون، ولعل هؤلاء ملائكة الله هم مربو هذه النفوس، وتخضع هذه النفوس لتربيتهم، ويحملون هم صفة المقومية والربوبية لهذه النفوس وهم رب النوع بالنسبة لها، وبالكتابة التكوينية تدون وتُسجل المعاليل والملكات الصادرة منها في لوحها.^١

[نسبة الجنة إلى العبد لكوْنها وليدة عمله]

استطعنا من جهة أن نقول: يتسبب أيضاً إلى العبد السلوك إلى الجنة ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾. كما نستطيع من جهة أخرى أن ننسب السلوك إلى العلم أيضاً، إلى الذات المقدسة وأنه من تأييده وتوفيقاته. ﴿قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾.^٢

[حضور الصورة الباطنية الغيبية للأعمال لدى الأفراد]

اعلم أن الصلاة معنى غير هذه الصورة، وباطناً غير هذا الظاهر. وكما أن لهذا الظاهر آداباً يؤدي الإخلال بها الى بطلان الصلاة الصورية أو

١. تقريرات فلسفة الإمام الخميني، ج ٣، ص ٤٢٢ - ٤٢٣.

٢. الزلزلة (٩٩): ٧ - ٨.

٣. النساء (٤): ٧٨.

٤. شرح الأربعون حديثاً، ص ٤١٣.

نقصانها، فإنَّ لباطنها أيضاً آداباً قلبيةً يؤدي الإخلال بها الى بطلان الصلاة المعنوية او نقصانها، تماماً كما ان مراعاتها تجعل للصلاة روحاً ملكوتية قد تجعل المصلي ينال - بعد الحرص على مراقبتها والاهتمام بها - نصيباً من «السِّرِّ الإلهي» لصلاة أهل المعرفة وأصحاب القلوب، الذي يعدُّ قرّة عين أهل السلوك وحقيقة معراج قرب المحبوب.

أما قولنا بأنَّ للصلاة باطناً وصورةً غيبيةً ملكوتيةً، ففضلاً عن أنه يوافق نمطاً من أنماط الاستدلال ويتفق مع مشاهدات اصحاب السلوك والرياضات، فإنَّ كثيراً من الآيات الشريفة والأخبار الماثورة تدلُّ على ذلك دلالة عامة أو خاصة. ولنعطر هذه الصفحات بذكر جانب من تلك الآيات والروايات:

يقول تعالى ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحَضَّرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْتَهَا وَبَيْتَهُ أَمدًا بَعِيدًا﴾^١.

فهذه الآية الكريمة تدلُّ بوضوح على أن كل إنسان سيرى أعماله الصالحة والطالحة محضرةً ويعاين صورها الغيبية الباطنية. ويقول تعالى: ﴿وَوَجَدُوا مَّا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾^٢.

﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَبْغَيْكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عَلَّمْتَ رَسُولًا﴾ ٦٦

[فوائد اخلاقية وعرفانية غير متعلّقة بالتفسير لكي لا يكون
التفسير بالرأي]

من الحجب الاخرى الحائلة دون الاستفادة من هذه الصحيفة الإلهية

١. آل عمران (٣): ٣٠.

٢. آداب الصلاة، ص ٢ - ٣.

المقدسة، الاعتقاد بعدم جواز تجاوز ما كتبه المفسرون او فهموه عن القرآن الكريم، وفي هذا الاعتقاد خلط بين التفكير والتدبر في الآيات الكريمة من جهة وبين التفسير بالرأي المنهي عنه من جهة اخرى.

وبهذا الرأي الفاسد والعقيدة الباطلة يُجرّد القرآن الكريم من كافة فنون الإفادة ويُصبح مهجوراً تماماً، والحال ان الاستفادات الاخلاقية والايمانية والعرفانية لا ترتبط بالتفسير اساساً، فما بالك بارتباطها بالتفسير بالرأي!

فلو أن شخصاً قرأ وتأمّل في المحاوراة التي جرت بين موسى والخضر وطبيعة التعامل فيما بينهما وقيام موسى بشدّة رحاله - مع سمو مقام نبوته - طلباً لعلم لم يكن عنده، وكيفية عرضه حاجته على الخضر بالنحو الوارد في الآية الكريمة: ﴿هَلْ أَتَبِعَكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَٰنِي مِمَّا عَلَّمْتَٰ رُشْدًا﴾، وجواب الخضر واعتذارات موسى المتكررة، ثم استفاد من كلّ ذلك عظمة مقام العلم وبعض آداب تعامل المتعلّم مع المعلم التي قد يصل ما ورد منها في تلك الآيات ما يقرب من العشرين أدباً، فما علاقة هذه الاستفادات بالتفسير حتى تكون تفسيراً بالرأي؟!¹

1. يُستفاد من الآية الشريفة في ما يخصّ اكتفاء الانبياء بحدّ معين من المعارف، وكيفية جواب الخضر، يُبنى تارة على الأخذ بالالفاظ والدلالات الالتزامية اليّنة أو غير اليّنة وكذلك الاخذ بدلالة الاقتضاء. وفي هذه الحالة تكون العودة الى كشف القناع وازاحة الحجاب عن الالفاظ والتنقيب بين ثنايا الكلام. وعند ذاك ما الضير في ان يُنظر الى ذلك من زاوية تفسيرية وجعله في باب ما قاله المفسرون والباحثون القرآنيون، ولكن ليس كل تفسير هو تفسير بالرأي وإن كان التحويل فيه على ادلة عقلية وعلى اجتهاد المفسّر والتدبر في الآية. مثلما أمرنا الله تبارك وتعالى في عدّة مواضع من كتابه الكريم بامعان النظر والتدبر في الآيات. واما اذا كان مبنياً على استجلاء معان باطنية وعلى التأويل والعود على مصاديق الكلام مثلما هو الحال بالنسبة الى ما سطره بين دفتي كتابيه: سر الصلاة، وآداب الصلاة، وفي هذه الحالة لا علاقة لما كتبه بالتفسير. ولكن يبدو ان الحالة المذكورة اعلاه تدخل ضمن دائرة القسم الأول.

وهكذا هو الحال مع الكثير من الاستفادات المستحصلة من القرآن الكريم.^١



[تحليل لقصة موسى والخضر في القرآن]

رغم ما كان للنبي موسى عليه السلام من مقام ومنزلة في الرسالة، إلا أنه عندما ارتقى المنبر يوماً نظراً في نفسه وقال: ما خلق الله خلقاً أعلم مني. فأشير إليه أن ينزل من المنبر ويذهب إلى من علمه الله ليتعلم منه. فنزل ولم يجلس، وقال: لا أجلس حتى أجدّه. ثم إنه جاء مع رفيقه إلى أن وجدّه.^٢

لاحظ التعبير الذي يلتمسه به: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾.^٣

يقول الشهيد:^٤ دلت هذه الآية الشريفة على أحد عشر أدباً من آداب المتعلم. لعله يمكن لقائل أن يقول: إن الأمر بالتعلم لا يقتصر فقط على الأشياء التي تُسمع في الظاهر، بل لعلّ أحد الأمور التي يمكن تعلّمها هي قضية الأمر بين

١. آداب الصلاة، ص ١٩٩.

٢. تفسير العياشي، ج ٢، ص ٣٣٢؛ تفسير الصافي، ج ٣، ص ٢٤٨ - ٢٤٩.

٣. الكهف (١٨): ٦٦.

٤. زين الدين بن علي بن أحمد العاملي، المعروف بالشهيد الثاني. من نوادر علماء الشيعة في التحقيق والتبحر والزهد والصفات الحميدة. أدرك الكثيرين من علماء الشيعة والسنة، وكان هو يدرّس الفقه على المذاهب الخمسة، دفعته أجواء الخوف من زمانه إلى أن يقضي معظم عمره متخفياً أو في الأسفار. خلف مؤلفات كثيرة في شتى العلوم منها: روض الجنان، مسالك الأفهام، تمهيد القواعد، مئنة المريد، الروضة البهية، البداية في علم الدراية، مسكن الفوائد.

ولد الشهيد الثاني في عام ٩١١هـ واستشهد في عام ٩٦٦هـ.

٥. مئنة المريد، ص ١١٥.

الأميرين^١، كما يلاحظ انه يقول تارة: ﴿فَأَرَدْتُ﴾، ويقول تارة اخرى ﴿فَأَرَدْنَا﴾^٢ ويقول تارة اخرى ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾^٣. يقول أن للانسان ثلاثة مقامات: في المقام الأول مستغرق في صرف الكثرات وفي بحر الأنانية، ويقول: أنا قلت، وأنا فعلت، وأنا أردت.

نعم في هذا المقام يُنظر عن معرفة وينسب الى ذاته النقص والعيب والتعيب والتنقيص والإحداث الذي هو أمر عدمي، ويقول: ﴿فَأَرَدْتُ﴾. وفي موضع الخشية من وجود أمر متشابك من الوجود والعدم؛ لأن الخشية ادراك غير الملائم، وادراك العقلاني كمال، لذلك فهو يأتي هنا بذاته وبالغير ويقول: ﴿فَأَرَدْنَا﴾ ليكون العدم منه والكمال من الغير.

وهناك حيث صرف الكمال والكنز الخالص ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾. يقول: بما أن المقام ليس مقام أنانية، والأنانية تكون حيثما يكون هناك نقص، أو يكون النقص متداخلاً مع الكمال، ويمكن نسبة الى صرف الكمال باعتبار كماله، كما هو الحال في: "يا مَنْ جعل الظلمات والأنوار، ويا مَنْ خلق الظل والحرور"، حيث تعلّق بالنور الذي هو مخلوق بالأصالة وبالظل الذي لو لم يكن النور لما وجد. ورغم ان الظل أمر عدمي ولكن بما ان العدم متداخل مع الوجود؛ لذلك فان الجعل متعلّق بالظل أيضاً، والظل مخلوق ومجموع بالعرض^٤.

١. الكهف (١٨): ٧٩.

٢. الكهف (١٨): ٨١.

٣. الكهف (١٨): ٨٢.

٤. بحار الأنوار، ج ٩١، ص ٢٩٢.

٥. تقارير فلسفة الإمام الخميني، ج ٢، ص ٣٣٤ - ٣٣٦.

[الحكمة من سرد القصص في القرآن]

القرآن كتاب يبين بأساليب مختلفة السبل المؤدية الى سعادة الانسان، فيبينها على شكل أحكام تارة وبواسطة القصص والحكايات تارة اخرى. وقصص الأنبياء التي يذكرها القرآن، لا يذكرها من حيث جانبها التاريخي لأن القرآن ليس كتاب تاريخ، بل ولم يذكر أحوال آدم لأجل الاطلاع على التاريخ. لأن حصول القضايا والوقائع بهذه الطريقة أو تلك لا يهمننا كثيراً، وإنما سُردت قصة آدم مع الشيطان من أجل ان نعرف ان الشخص الذي يُبعد من الجنة كيف يعود إليها ثانية، وكيف يصل خطاب الاخراج من الله الى الانسان؟ وما هي الصفة التي تؤدي الى المغفرة؟ وما هي الصفة التي تجلب على صاحبها اللعنة؟

ينقل لنا القرآن الكريم قصص وحكايات الأنبياء وهم عادة شخصيات كبرى وبارزة، من اجل ان نعلم كيف ان الشخصيات الكبرى والبارزة وهم الأنبياء الذين كانوا معلمين للناس، كيف ربوا انفسهم وهذبوها؟

جلس النبي موسى (ع) ذات يوم - وبعد كل ذلك السفر المعنوي - على المنبر ليعظ الناس. وهناك خطر على قلبه خاطر العظمة والتفوق، فقال في نفسه انني قد بلغت منزلة عظمى وصرت الاعظم والأفضل. فجاءه مباشرة حكم بأن انزل من المنبر، فلا زالت فيك جوانب ناقصة، وعليك ان تذهب وتربّي نفسك وتهذبها، ثم بعد ذلك تأت وتربّي الآخرين. فنزل من المنبر من ساعته. وبادر إليه الناس وطلبوا منه البقاء فرفض وغادر مع رفيقه الى أن وجد الخضر. وأخذ منه الكثير من الجوانب التربوية، وتعلم منه الكثير من الآداب. وقد جاء في الآية الشريفة التي تحكي قصته: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ

رُشْدًا^١.

وقال الشهيد الثاني في منية المرید، ان في هذه القصّة، اثني عشر أدباً من آداب التعلّم، بل أكثر^٢.

وعلى العموم يتعيّن على الإنسان أن يدرك بأنه ليس كمثل الأنواع الأخرى من المخلوقات وإنّما هو من النوع الذي منه افراد مثل يحيى (ع) وعيسى (ع) وابوب عليه السلام وذكريا عليه السلام. ولهذا عليه ان يلاحظ ما هي السبل والاساليب التربوية التي أتبعوها حتى وصلوا الى هذا المقام^٣.

[ادب حفظ حضور الحق]

قال شيخنا العارف الكامل، الشاه آبادي، ادام الله ظلّه الظليل على رؤوس مردييه و مستفيديه، إن مخالفة موسى، على نبينا وآله و عليه السلام، عن خضر(ع) في الموارد الثلاثة، مع عهده بأن لا يسأل عنه، لحفظ حضور الحق. فإنّ المعاصي هتك مجلس الحقّ و الأنبياء، عليهم السلام، مأمورون بحفظ الحضور. و حيث رأى موسى(ع) أن خضر(ع) ارتكب ما بظاهره ينافي مجلس الحضور، نسي ما عاهد معه و حفظ الحضرة. و كان خضر النبي لقوة مقام ولايته و سلوكه يرى ما لا يرى موسى(ع). فموسى(ع) حفظ الحضرة، و خضر(ع) الحاضر. و بين المقامين فرق جليّ، يعرفه الراسخون في المعرفة...^٤

١. الكهف (١٨): ٦٧.

٢. منية المرید، ص ١١٥.

٣. تقريرات فلسفة الإمام الخميني، ج ٣، ص ٤٥٨ - ٤٥٩.

٤. مصباح الهداية، ص ٤٦.

[لزوم عدم الاكتفاء بحد معين من المعارف]

الآن، وقد توضحت عظمة كتاب الله من جميع جوانبه وتمهدت سبيل الاستفادة من مطالبه، وجب على المتعلم والمستفيد من كتاب الله ان يتحلى بأدب آخر من الآداب المهمة في هذا الباب لكي يتحقق الاستفادة وهو: رفع موانع الاستفادة التي نعبّر عنها بالحجب الحائلة بين المستفيد والقرآن الكريم، وهي كثيرةٌ نشير الى بعضها:

أحد الحجب الكبيرة الذي يجعل الشخص المتعلم يرى نفسه مستغنياً لا حاجة له للاستفادة، هو حجاب «العجب» الذي يعدُّ من مكائد الشيطان الخطيرة. فهو يصوّر للانسان دوماً وجود الكمالات الموهومة، ويقنعه بالرضا بما عنده، ويجعله يستهين بكل ما عدا ذلك...

إن على الساعي للاستفادة أن يخرق جميع هذه الحجب وينظر الى القرآن من خلف هذه الحجب، فعليه أن لا يتوقف عند أي منها لكي يلحق بقافلة السالكين الى الله، ولا يحرم من الدعوات اللطيفة التي يوجهها الله تعالى اليه.

والأمر بعدم الوقوف عند حد معين والاعتناع به يُستفاد من القرآن الكريم نفسه، فقد وردت الكثير من الاشارات الى هذا المعنى في القصص القرآني، فلم يقنع موسى كليم الله (عليه السلام) بمقام النبوة الشامخ، ولم يقف عند مقامه العلمي الرفيع، فهو ما إن التقى شخصاً كاملاً كالخضر حتى بادرة بالطلب وبمنتهى التواضع والخضوع: ﴿هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَ مِنِّي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾، ولازمه حتى حصل على العلوم التي كان ينبغي له أن يستفيدا منه.

ولم يتوقف ابراهيم (عليه السلام) عند مقام الايمان والعلم العظيم الخاص

بالانبياء (عليهم السلام) بل قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُخَيِّرُ الْمَوْتَى﴾ ليرتقي من مقام الايمان القلبي الى مقام الاطمئنان الشهودي.

إن ما يأمر الله تبارك وتعالى به «خاتم المراتب» (صلى الله عليه وآله) - أعرف خلقه على الاطلاق - بالآية الكريمة: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾^١ وسائر الأوامر الواردة في الكتاب الإلهي، وقصص الانبياء (عليهم السلام) التي ينقلها، انما تستهدف توعيتنا وإيقاظنا من نوم الغفلة الذي نغطُّ فيه.^٢

﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ ٧٩ ﴿وَأَمَّا الْفُلَامُ فَكَانَ أَبْوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ ٨٠ ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رَحْمًا﴾ ٨١ ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ ٨٢

[تفاوت حالات نسبة الأعمال إلى الأشخاص وإلى الله]

لابد من معرفة أن جميع مراتب الوجود، من منتهى قمة عالم الملكوت وذروة عالم الجبروت إلى أسفل السافلين من عالم الظلمات والهولى تكون مظاهر جمال الحق سبحانه وجلاله، ومراتب تجليات الرب عزوجل، وإن جميع الكائنات غير مستقلة في ذاتها، وإنما هي تعلق صرف، وربط محض، وعين الفقر

١. البقرة (٢): ٢٦٠.

٢. طه (٢٠): ١١٤.

٣. آداب الصلاة، ص ١٩٥ - ١٩٦.

والتدلي بالذات المقدسة للحق، وإن الموجودات كافة مسخرات بأمر الحق، ومطيعات للأوامر الإلهية. كما أن الآيات القرآنية التي أشارت إلى ذلك كثيرة. قال تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾!

إن هذا الإثبات والنفي - ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ - إشارة إلى مقام «الأمر بين الأمرين»^٣ بمعنى أنك رميت، وفي نفس الوقت أنك لم ترم بقدرتك المستقلة، بل إنما حصل الرمي بواسطة ظهور قدرة الحق في مرآتك، ونفوذ قدرته في عالم ملكك وملكوتك. فإذا أنت تكون رامياً، وفي نفس اللحظة يكون الحق جلّ وعلا رامياً.

[تفاوت حالات نسبة الأعمال إلى الأشخاص أو إلى الله]

وتضاهي تلك الآية المجيدة، الآيات الشريفة المذكورة في سورة «الكهف» المباركة عند بيان قصة الخضر وموسى (عليهما السلام):

﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدَتْ أَنْ أَعْيِبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا * وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا * فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا * وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا

١. من جملة هذه الآيات: سورة الأعراف (٧): ٥٤ النحل (١٦): ١٢ و ١٧٩ البقرة (٢): ١٦٤؛

المنكيات (٢٩): ٦١ لقمان (٣١): ٢١؛ فاطر (٣٥): ١١٣ الجاثية (٤٥): ١٣.

٢. الأنفال (٨): ١٧.

٣. إشارة إلى الروايات التي وردت عن أهل البيت في الجبر والتفويض: لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين الأمرين. راجع: الكليني، أصول الكافي، ج ١، ص ١٥٥ - ١٦٠، (ح ١٢، كتاب التوحيد، باب الجبر والقدر).

صَالِحاً فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا^١.

فبان النبي الخضر (عليه السلام) كشف أسرار عمله لموسى (عليه السلام) ونسب مورد العمل الناقص والمعيب إلى نفسه قائلاً: «فَأَرَدْتُ أَنْ أُعِيبَهَا» وفي مورد آخر، مورد الكمال نسب العمل إلى الحق سبحانه «فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا» وفي مورد ثالث نسب العمل إلى

الطرفين قائلاً: «فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا^٢» وكل ذلك يكون صحيحاً^٣.
ومن أمثال الآيات المباركات قول الله تعالى حيث يقول: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا^٤﴾ مع أن ملك الموت هو المسؤول عن توفى النفوس.

وقوله تعالى: ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ^٥﴾ فالله تعالى هو الهادي والمضل. مع أن جبرائيل يكون هادياً، والرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) يكون هادياً ﴿إِنَّمَا أَلَمْتُ أَتْمُنِيرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ^٦﴾ وإن الشيطان يكون مضلاً. وهكذا النفخة الإلهية من صور إسرافيل إلى نفس النفخة الإسرافيلية حيث توجد

١. الكهف (١٨): ٧٩ - ٨٢.

٢. المقصود من هذه الآية الشريفة: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ﴾ (الكهف (١٨): ٨٢) حول بناء الجدار وحفظ الكثر للغلامين الصغيرين، حيث نسب فيها العمل إلى الله: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا﴾ حتى انه يؤكد بأنه لم يفعل ذلك من تلقاء نفسه. ولكن حين يتحدث عن ثقبه للسفينة وهو على ما يبدو عمل سلمي، فهو ينسب هذا العمل إلى نفسه ولكن نظراً إلى حساسية الموضوع وحراجه الموقف وما يتضمنه ذلك العمل من ثنائية، فقد نسبه إلى نفسه وإلى الله: ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أُعِيبَهَا﴾ (الكهف (١٨): ٧٩)؛ وذلك لأن هذا العمل ينقسم إلى شقين: أحدهما القتل، والآخر استبداله بآخر. فالقتل من فعله، والاستبدال بابن آخر يُنسب إلى الله.

٣. الزمر (٣٩): ٤٢.

٤. النحل (١٦): ٩٣.

٥. الرعد (١٣): ٧.

التعددية - نفخة إلهية ونفخة إسرائيلية - من جهة والاشترك والوحدة من جهة أخرى حيث أن الجميع منه وإليه.

فمن منظار لا يكون كل من إسرافيل وعزرائيل وجبرائيل ومحمد (صلى الله عليه وآله) وكافة الأنبياء وكل من هو في دار التحقق، شيئاً - وهذا هو منظار الوحدة - فلا ينسب إليهم أمراً، في مقابل ملك الملك بشكل مطلق، ومقابل إرادة الحق النافذة، إن جميع الأشياء مظاهر قدرة الحق وإرادته ﴿هُوَ الَّذِي فِي سَمَاءِ إلهٍ وَلِي الأَرْضِ إلهٍ﴾.

ومن منظار آخر وهو منظار الكثرة والانتباه إلى الأسباب والمسببات، تكون جميع الأسباب صحيحة وذات دور فاعل، ويكون النظام الكوني الأتم قائماً على أساس نظم وتنسيق بين الأسباب والمسببات، بحيث لو تعطل سبب وواسطة في تسلسل الأسباب والوسائط في هذا الكون لتوقفت عجلة الوجود، وإذا لم يرتبط الحادث بالقديم، عبر الوسائط والأسباب المقررة، لتوقف الفيض وتعطلت الرحمة. ولو أن شخصاً بواسطة المنطلقات والمقدمات المقررة في مظانها - خاصة كتب العرفاء الشامخين وكتب صدر الحكماء والفلاسفة وأفضل الحكماء الإسلاميين من كتب الفلاسفة - أدرك هذا المشرب الإيمان العذب، وأدخله في مقام قلبه، لانفتحت عليه هذه الأبواب، ولعرف بأن هذه النسب صحيحة وحقيقية ولا يخامرهم التسامح والمجاز نهائياً لدى دراساته الدقيقة العرفانية.^١

وعندما يرى بعض الملائكة الموكلين بنفوس المؤمنين ويقبض أرواحهم المقدسة، مقام المؤمنين لدى محضر الحق المقدس المتعالي، ويرون من جانب آخر أن المؤمنين يكرهون الموت، انتابهم حالة من التزلزل والتردد. وقد نسب

١. الزخرف (٤٣): ٨٤

٢. لتوضيح هذا المعنى، راجع: صدر المتألهين الشيرازي، الاسفار الأربعة، ج ٦، ص ٣٧٣.

سبحانه هذه الحال إلى نفسه^١ «وما تَرَدَّدْتُ فِي شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ كَتَرَدَّدِي فِي وَفَاةِ الْمُؤْمِنِينَ». كما نسب إلى نفسه التوفيق، والهداية والإضلال. وكما أن تلك النسب إلى الحق المتعالي صحيحة على مسلك العرفاء، تكون نسبة التردد إليه عز وجل أيضاً صحيحة. ولكن استيعاب هذا المشرب يحتاج إلى قريحة حسنة ولطيفة، وذوق سليم والله العالم والهادي.^٢

[من اخطر مراحل المعصية تزيين القبح]

يصل أهل الكفر والنفاق والمشركون والملحدون وذوو الأخلاق القبيحة، والملكات الخبيثة وأهل المعصية والعصيان، أحياناً إلى درجة الإعجاب بغرورهم وزندقتهم تلك، أو بسيئات أخلاقهم وموبقات أعمالهم، ويسرون بها، ويرون بها أنفسهم من ذوي الأرواح الحرة، الخارجة عن التقليد وغير المعقدة بالأوهام والخرافات، ويرون أنفسهم أولي شهامة ورجولة، ويتصورون أن الإيمان بالله من الأوهام، وأن التعبد بالشرائع من ضعف العقل وصغره، ويرون أن الأخلاق الحسنة والملكات الفاضلة، هي من ضعف النفس والمسكنة، ويحسبون أن الأعمال الحسنة والمناسك والعبادات هي من ضعف الإدراك ونقصان الإحساس، ويرون أن أنفسهم تستحق المدح والثناء، بسبب الروح الحرة التي

١. إشارة إلى رواية نقلها الصدوق في علل الشرائع: وما ترددت عن شيء أنا فاعله ما ترددت في قبض نفس المؤمن يكره الموت (بحار الأنوار، ج ٥، ص ٢٨٣). تجد تفصيل هذا البحث في الأسفار الأربعة، ج ٦، ص ٣٩٥ - ٣٩٨ في الفصل الثالث. وكذلك كتب المرحوم المجلسي بحثاً حول نسبة هذا التردد إلى الله، نقلاً عن الشيخ البهائي، راجع: بحار الأنوار، ج ٥، ص ٢٨٤.

٢. شرح الأربعون حديثاً، ص ٥٨٥ - ٥٨٧.

لا تعتقد بالخرافات ولا تبالي بالشرائع. لقد تأصلت في قلوبهم الخصال القبيحة والسيئة وأصبحوا يأنسون بها، وبها امتلأت أعينهم وآذانهم فأوها حسنة، وتصوروها، كمالاتا مثلما وردت الإشارة إلى ذلك في هذا الحديث الشريف ' حيث قال: «العُجْبُ دَرَجَاتٌ، مِنْهَا أَنْ يُزَيَّنَ لِلْعَبْدِ سُوءُ عَمَلِهِ فَيَرَاهُ حَسَنًا فَيَعْجِبُهُ وَيَحْسَبُ أَنَّهُ يُحْسِنُ صَنْعًا» وهذه إشارة إلى قول الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا...﴾^١ وكما يقول: ﴿وَيَحْسَبُ أَنَّهُ يُحْسِنُ صَنْعًا﴾ يشير إلى قول الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَاءِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنَانًا﴾ تلك المجموعة من الناس الذين هم في الواقع جهلة ويحسبون أنفسهم علماء. أولئك هم أكثر الناس مسكنة وأسوأ الخلائق حظاً، أولئك يعجز أطباء النفوس عن علاجهم، ولا تؤثر فيهم الدعوة والنصيحة، بل قد يعطي أحياناً نتيجة عكسية. أولئك لا يعون الدليل، ويسدّون أسماعهم عن هداية الأنبياء (عليهم السلام) وبرهان الحكماء ومواعظ العلماء.

وعليه فوجب الاستعاذة بالله من شر النفس ومكاندها التي تجر الإنسان من المعصية إلى الكفر ومن الكفر إلى العُجْب بالكفر. إن النفس والشيطان، يتوهنهما بعض المعاصي، يلقيان بالإنسان في المعصية، وبعد تأصيلها في قلبه وتحقيرها في عينه، يتلى الإنسان بمعصية أخرى أكبر قليلاً من الأولى، ومع

١. المقصود هو الحديث الثالث من شرح الأربعون حديثاً لسماحة الإمام (رحمه الله). وأيضاً راجع:

اصول الكافي؛ ج ٢، ص ٣١٣، كتاب الإيمان والكفر، باب العُجْب، ح ٣.

٢. فاطر (٣٥): ٨.

التكرار تسقط المعصية الثانية من النظر أيضاً وتبدو صغيرة وهينة في عين الإنسان، فيبتلى بما هو أعظم^١.

﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِذَابًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مِذَابًا﴾ ١٠٩

[عظمة قدرة الله في الخلق]

و كفى في عظمة فعله انه من المقرر ان عوالم الأشباح والأجساد بما فيها بالنسبة الى الملكوت، كالآن في قبال الزمان؛ وهي بالنسبة الى الجيوت كذلك، بل لا نسبة بينهما. و ما ثبت الى الآن من النظام الشمسي يبلغ اربعة عشر مليوناً، كل كنظام شمسن بأفلاكها و كراتها السيارة حولها و اقمارها التابعة لها او أعظم بكثير. حتى أن نظامنا الشمسي سيارة حول واحد منها، مع ان كرة نبتون [وهي] ابعد السيارات من شمسن حسب ما استكشف، يبلغ بعدها ٢٧٤٦٥ مليون ميلاً حسب الآراء الحديثة. و لعل ما لم يستكشف اكثر بكثير مما استكشف الى الآن. قال السيد الكبير هبة الدين الشهرستاني^٢، دام عمره و توفيقه، في كتاب «الهيئة و الإسلام»، في المسألة الرابعة عشر، في تعدد العوالم و النظمات:

«و أما حكماء الهيئة العصرية فقد ثبت لديهم أن سيارات شمسن و اقمارها

١. شرح الأربعون حديثاً، ص ٦٥-٦٦.

٢. السيد محمد علي بن حسين الحسيني الحائري المعروف بالشهرستاني (١٣٤٠-١٤٢٨هـ). كان عالماً مجتهداً و من دعاة الاصلاح. من مؤلفاته: رواشح الفصوص في علم العروض، الهيئة و الاسلام، و نهضة الحسين.

تكتسب الأنوار طراً من شمسنا، و ان سعة عالم شمسنا المحدود بمدار نبتون الف وخمس مائة مليون فرسخاً؛ فترى شمسنا العظيمة عند نبتون كنجمة صغيرة [بقدر الجوزة]. و مقتضى ذلك اضمحلال نورها فيما بعد نبتون. و على هذا يستحيل ان تكتسب الكواكب الثابتة انوارها من شمسنا، اذ هي في منتهى البعد البعيد عن نبتون. ألا ترى ان بعض المذنبات يتعد عن شمسنا اكثر من بعد نبتون بأربعة عشر مرة، و هو مع ذلك مجذوب لشمسنا لا تغلب عليه جاذبية كوكب آخر، لكثرة ما بقي من البعد بينه و بين الكواكب الأخر. و حسبك ان النظارات التي تكبر زحل مع بعده البعيد في منظرنا اضعاف ما يبصر بألف مرة، لا تتمكن من تكبير الثوابت عما ترى بالبصر، غاية الامر تجليها و تظهر خافيتها لكثرة البعد [البعيد]. قال فاندريك^١ في إرواء الظماء: «ان اقرب الثوابت الى نظام شمسنا بعيد عنا اكثر من بعدنا عن شمسنا بتسع مائة الف مرة».

و في مجلة الهلال المصرية، صفحة ٤٧٨، من سنة ١٩٠٩: «ان اقرب الثوابت الى أرضنا دلفا، و هي بعد الدقة الأكيدة تتخذ فرقاً في موقعها باختلاف المنظر السنوي بمقدار الثانية. فعلم ان بعدها ٠،٠٠٠، ٠،٠٠٠، ٠،٠٠٠، ٠،٠٠٠، ٢٠ ميلا اي: عشرين مليون مليون ميلا؛ و تصل نورها الينا في ثلاث سنين. و النور يسير في الثانية مائة و تسعين الف ميل.» انتهى. فما تقول في ثابتة يصل نورها الينا في مائة سنة او ألف سنة أو اكثر؟

«ففي ارواء الظماء: «ان النجم من القدر السادس عشر لا يكون بعده عنا اقل

١. الدكتور كرنليس فاندريك. ولد في عام (١٢٣٣) ١٨١٨م. اصله من هولندا وسكن في امريكا. درس الطب والرياضيات في امريكا وتدرج في المراتب العلمية. ثم اوفد ضمن هيئة علمية الى سوريا. ودرس اللغة العربية في بيروت. وبعد اكمال دراسته كتب ثلاثة عشر كتاباً واخذ يترجم الى هذه اللغة. ومعظم هذه الكتب في الطب واللوغارتمات والجبر والحساب واصول علم الهيئة. ومن كتبه: ارواء الظماء.

من ثلاث مائة و ثلاثة و ستين مثل بعد الشعري^١، فينتهي نوره الينا في خمسة آلاف سنة. انتهى. «أقول: فما ظنك بالنجم من القدر الثامن والعشرين؟» انتهى كلام السيد بطوله.

و ايراده مع طوله لجلب توجه الداعي الى عظم ملك الله و كلماته:
﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَ لَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾. فإذا كان أسفل العوالم و أضيقتها كذلك، فكيف الحال في العوالم المتسعة العظيمة التي لم تكن عالم الأجساد و ما فيه بالنسبة اليها إلا كالقطرة بالنسبة الى البحر المحيط، بل لا نسبة بينهما؛ و ليس هذا العالم في جنبها شيئاً مذكوراً؟^٢

﴿إذا كانت البحار لا تكفي لكتابة كلمات الله، فما بالك بكتابة مبدأ الكلمات؟!﴾

اعلم، أيها الخليل الروحاني، وقلقك الله لمرضاته و جعلك وإيانا من أصحاب شهود أسمائه و صفاته، أن هذه الخلافة^٣ من أعظم شئوننا الإلهية و أكرم مقامات الربوبية، باب أبواب الظهور و الوجود و مفتاح مفاتيح الغيب و الشهود؛ و هي مقام «العندية» التي فيها مفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا هو. بها ظهرت الأسماء بعد بطونها و برزت الصفات غبّ كمنونها. و هذه هي الحجاب الأعظم

١. الشعراء، اسم الكوكب على صورة الكلب الأصفر. وسمي أيضاً بشعراء غميصاء او شعراء الشام. و هذا الكوكب يظهر من الشمال الغربي من جهة الشام و لذلك سمي شعراء الشام، و لأنه على صورة الكلب الاصفر سمي غميصاء. راجع: فرهنگ دهخدا، ج ٩، ص ١٢٦١٠، دانشگاه طهران.

٢. الهيئة و الاسلام، ص ٢٧٨ - ٢٧٩.

٣. شرح دعاء السحر، ص ٣٤.

٤. المقصود بالخلافة الخلافة الكبرى في الوجدانية الربانية التي ظهرت في ثوب الأسماء و الصفات.

الذي يعدم عنده كل صغير و كبير، و يستهلك لدى حضرته كل غني و فقير. و هذا الفضاء اللامتناهي الذي فوق العرش الذي لا خلا فيه و لا ملأ. و هذه سبحات وجهه التي لو كشفت الحجب النورانية و الظلمانية، لأحرق ما انتهى إليه بصره. فسبحان ما أعظم قدره و أجل شأنه و أكرم وجهه و أرفع سلطانه. سُبوح قدوس، ربّ السموات الأسمائية و الأراضى الخلقية.

فيا عجا من خفّاش يريد أن يمدح شمس الشمس الطالعة! و حرباء يصف البيضاء القاهرة الساطعة! فما أعجز القلم و البيان و أكل القلب و اللسان! ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾ فكيف بمبدأ الكلمات و مصدر الآيات! فإنّ أبحر الوجود و أقلام عالم الغيب و الشهود تعجز عن وصف تجلّ من تجلياته. بهر برهانه و عظم سلطانه!

[مظاهر الأسماء الإلهية في الاعتبار الأول غير محصورة]

ان الأسماء الإلهية و إن لم تكن بحسب المناكحات و الموالات محصورة، و لكنها بحسب الأمهات محصورة، يجمعها باعتبار الأول و الآخر و الظاهر و الباطن: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظَّاهِرُ وَ الْبَاطِنُ﴾، و باعتبار الله و الرحمن: ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ الآية، و باعتبار الله و الرحمن و الرحيم؛ كما ان مظاهر الأسماء الإلهية بالاعتبار الأول غير محصورة: ﴿وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَنَا لِحُصُولِهَا﴾، ﴿يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صِفْرَةً وَ لَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾؛

و بالاعتبار الثاني محصورة بالعوالم الثلاثة أو الخمسة. ١ و قيل: «ظهر الوجود ب:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾» ٢.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ
فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ ١١٠

[الأنبياء كانت لهم حيثيات بشرية حسب الشؤون الدينية]

هذه الوراثة روحانية، وولادة العلماء من الأنبياء ولادة ملكوتية، والإنسان كما يكون حسب نشأته الملكية والجسمية، وليد الملك والطبيعة فبعد تربية الأنبياء للإنسان، وحصول مقام القلب له، تكون له ولادة ملكوتية. وكما أن منشأ تلك الولادة المادية، الأب الجسماني، يكون منشأ هذه الولادة الأنبياء (عليهم السلام)، فيكونوا الآباء الروحانيين، وتكون الوراثة، ووراثة روحانية باطنية، والولادة ولادة ثانوية ملكوتية. وتكون التربية والتعليم بعد الأنبياء من شؤون العلماء، الوراثة الحقيقيين للأنبياء.

إن الأنبياء (عليهم السلام) حسب هذا المقام الروحاني لا يملكون درهماً ولا ديناراً ولا يلتفتون إلى عالم الملك والشؤون الملكية فتركهم حسب هذا المقام الروحاني، لا يكون شيئاً آخر عدا العلم والمعارف وإن كان حسب

١. المقصود بالعوالم الثلاثة أو الخمسة هي العوالم الكلية تحت ظل الحضرات الالهية

الخمس. راجع: شرح دعاء السحر، ص ١٢٠.

٢. ابن عربي، الفتوحات المكية، ج ٢، ص ١٣٣، السفر الثاني، الباب ٥.

٣. شرح دعاء السحر، ص ٩٢.

ولادتهم - الأنبياء - الملكية والشؤون الدنيوية يحتوون على كل الحيات البشرية ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ وورثهم حسب هذا المقام - الحيات البشرية - لا يكونون العلماء، بل أولادهم الجسمانيون الذين يرثون حسب هذا المقام الدرهم والدينار.^١

[شروط تحقق العمل الصالح اجتناب طلب الرئاسة]

وهو أنه نتيجة لإحاطة قدرة الله تبارك وتعالى بجميع الموجودات، وبسطه سلطانه على جميع الكائنات، وإحاطة قيموته بجميع الممكنات، فإن قلوب العباد جميعاً هي تحت تصرفه وبيد قدرته وفي قبضة سلطانه، ولا يتصرف - ولن يتصرف - أحد في قلوب العباد بدون إذنه القيومي وإجازته التكوينية، وحتى أصحاب القلوب أنفسهم ليست لهم القدرة على التصرف في قلوبهم بدون إذن من الله تعالى. وبهذا المعنى وردت كلمات إشارة وكناية وصراحة في القرآن^٢ وفي أخبار أهل البيت (عليهم السلام).^٣

إذاً؛ فالله تعالى هو مالك القلب والمتصرف فيه وأنت العبد الضعيف العاجز

١. شرح الأربعون حديثاً، ص ٤٢٠ - ٤٢١.

٢. جاء هذا المعنى في آيات كثيرة؛ فجاء مثلاً في سورة (١٨) الكهف الآية: ٢٨: ﴿مَنْ أَعْقَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾، وجاء حول هداية القلب: ﴿مَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ (التغابن (٦٤): ١١). وجاء في الآية ١٠ من سورة القصص: ﴿لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِنَا﴾. كما جاء في الآية ١١٠ من سورة الاعراف: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْمَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾، غير ذلك من الآيات الكثيرة الاخرى التي تشير تصريحاً أو تلويحاً، الى تصرف الله في قلوب العباد.

٣. قال الله تعالى: واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه، (الأنفال (٨): ٢٤) وعن حمران قال سمعت أبا جعفر (ع) يقول: فإن القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء ساعة كذا وساعة كذا وأن العبد ربما وفق للخير. بحار الانوار، ج ٧٢، ص ٤٨، كتاب العشرة، الباب ٤٠، ح ٩.

لاستطيع أن تتصرف بقلبك بدون إذنه، بل إن إرادته قاهرة لإرادتك ولإرادة جميع الموجودات. إذن فريأوك وتملكك، إذا كانا لأجل جذب قلوب العباد، ولفت نظرهم، ومن أجل الحصول على المنزلة والتقدير في القلوب والاشتهار بالصلاح، فإن ذلك خارج كلية عن تصرفك، وهو تحت تصرف الله، فإنه القلوب وصاحبها يوجه القلوب نحو من يشاء بل من الممكن أن تحصل على نتيجة عكسية. وقد رأينا وسمعنا أن أشخاصاً متملقين ومنافقين ممن لم تكن لهم قلوب طاهرة، قد افتضحوا وبان زيفهم ففرض عليهم عكس ما أرادوا الحصول عليه من النتائج في نهاية الأمر. لقد وردت الإشارة إلى هذا المعنى في الحديث الشريف في الكافي:

«عن جراح المدائني، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾. قَالَ (عليه السلام): الرَّجُلُ يَعْمَلُ شَيْئًا مِنَ الثَّوَابِ لَا يَطْلُبُ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ، إِنَّمَا يَطْلُبُ تَرْكِيَةَ النَّاسِ يَسْتَهِي أَنْ يَسْمَعَ بِهِ النَّاسُ فَهَذَا الَّذِي أَشْرَكَ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ. ثُمَّ قَالَ: مَا مِنْ عَبْدٍ أَسْرَ خَيْرًا فَذَهَبَتِ الْأَيَّامُ أَبَدًا حَتَّى يُظْهَرَ اللَّهُ لَهُ خَيْرًا، وَمَا مِنْ عَبْدٍ أَسْرَ شَرًّا فَذَهَبَتِ الْأَيَّامُ أَبَدًا حَتَّى يُظْهَرَ اللَّهُ لَهُ شَرًّا!»^١

[كُونَ نَفْسِ النَّبِيِّ ذَاتَ مَرَاتِبٍ]

النفس ذات مراتب طويلة، وفي مراتب سلسلة الوجود حقيقة ذات مراتب، كما ان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في الوقت الذي كان فيه: ﴿ثُمَّ دَنَا

١. اصول الكافي، ج ٢، ص ٢٩٤، كتاب الإيمان والكفر، باب الرياء، ح ٤.

٢. شرح الأربعون حديثاً، ص ٣٩ - ٤١.

فَقَدْ لِي * لَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴿١﴾، ' كان أيضاً رجل حرب ويقا تل في مباد ين
 الوغى. ما أغرب هذه النفس الانسانية، ولكننا ندعى زوراً بأننا قد بلغنا مقام
 الإنسانية، والحال اننا متوقفون في مرحلة البهائم. ان النفس الانسانية نموذج
 للذات المقدسة. "عبدى أطعني أجعلك مثلي".^١ وهذه الحقيقة ذات مراتب. طبعاً
 النبي صلى الله عليه وآله وسلم بشر، ولكن كيف من بشر؟ ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ
 مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾،^٢ والوجه الفارق هو الوحي. وبالجملة: في الوقت الذي كان
 فيه النبي ﴿يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾^٣ كان أيضاً ﴿لَمَّا دَنَا قَدْ لِي﴾^٤ .

١. النجم (٥٣): ٨ - ٩.

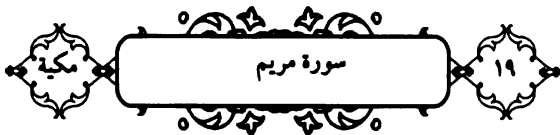
٢. علم اليقين، ج ٢، ص ٦١٠.

٣. الكهف (١٨): ١١٠.

٤. الفرقان (٢٥): ٧.

٥. النجم (٥٣): ٨.

٦. تقريرات فلسفة الإمام الخميني، ج ١، ص ٢٩٢ - ٢٩٣.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَأَنبِئْ خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۝
﴿يَرْثِي وَيُورِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝ ٦﴾

[طلب زكريا ان يكون له ولد يرثه ويرث أجداده]

جاء في كتب التاريخ المهمة، وفي صحاح أهل السنة، أن فاطمة ابنة النبي جاءت ابا بكر ذات يوم وطالته يارث والدها، فقال أبو بكر: إن النبي قال: "إنا معشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة".^١

وفي "صحيح البخاري" ومسلم ورد شيء قريب من ذلك. بل وقيل أيضاً: إن فاطمة أعرضت عن أبي بكر، ولم تتكلم معه حتى مات. والكتابان الأخيران من أكبر كتب أهل السنة.^٢

وما نسبه أبو بكر إلى النبي إنما هو مخالف للآيات الصريحة حول إرث الأنبياء، نذكر هنا بعضها:

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾^٣

١. صحيح البخاري، ص ٣٦، باب غزوة خيبر.

٢. صحيح البخاري، ص ٣٦، باب غزوة خيبر؛ صحيح مسلم، ص ٧٢، جزء ٢، باب الجهاد.

٣. صحيح البخاري، ج ٢، ص ٥٥، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، ح ٤.

٤. النمل (٢٧): ١٦.

﴿لَهَبٌ لِي مِنْ لُدُنِكَ يَا إِلَهِي﴾ وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿١٦﴾
 ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾

[تمثل البشر لمريم كان بصورة جسمانية]

وفي هذا المقام كلام غريب صدر من بعض المحدثين الأجلء^٢ والأولى ذكره، وهو ينبع من توهم المنافاة بين القول بتجسم الأعمال، والقول بالمعاد الجسماني مع أن هذا الكلام - تجسم الأعمال - يؤكد المعاد الجسماني وكلمة «تمثل» في هذا الحديث الشريف تعطي نفس معنى التمثل المذكور في قوله تعالى:

﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ والذي هو التمثل بالصورة الجسمانية حقيقة، وليس بمعنى الوهم والخيال والرؤيا في المنام. وليس من المستحسن صرف أمثال هذه الآيات والروايات عن ظاهرها لأجل عدم انسجام مضمونها مع عقولنا، رغم مطابقتها للبرهان القاطع المذكور في محله، وموافقته لمذهب الحكماء والفلاسفة.^٤

[تنزل الملائكة عن طريق التمثل الملكوتي أو الملكي]

اعلم ان... ملائكة الله مجردون و«قطان» عالم الجبروت وهم لا يتجافون عن

١. مريم (١٩): ٥-٦.

٢. كشف الاسرار، ص ١٥٥.

٣. مرآة العقول، ج ٩، ص ٩٥، كتاب الإيمان والكفر، باب ادخال السرور على المؤمنين، ح ٨

٤. شرح الأربعون حديثاً، ص ٤٣٩.

مقامهم، والنزول والصعود بالمعنى الموجود للأجسام مستحيلان بالنسبة لهم؛ لأن
المجرد مبرأً ومنزّه عن لوازم الأجسام، وعلى هذا فتنزّل الملائكة - سواءً على
قلب الولي أو صدره أو حسّه المشترك أو في بقاع الأرض والكعبة وحول قبر
الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) أو في البيت المعمور - إنما يتمُّ على نحو
التمثيل الملكوتي أو الملكي، نظير ما يذكره الله تعالى في باب تنزّل «الروح
الأمين» على مريم (عليها السلام): ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾، كما يمكن أن يكون
للأولياء والأكمل أيضاً تمثّل ملكوتي و«تروّح» جبروتي.
فلملائكة الله قوّة وقدرة على الدخول في المسلك والملكوت على نحو
«التمثيل»^١.

﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ ٣٣

[المراد من السلام يوم الوفاة]

اعلم أنه كما أن السجدة على التراب رجوع إلى الكثرة بلا احتجاب عن
الوحدة وضعاً وعملاً كذلك التشهد والسلام رجوع إليها قولاً وتذكراً^٢ ولهذا يبدأ
في التشهد أولاً بالشهادة بالألوهية والوحدانية ونفي الشريك مشفوعة بالتحميد^٣
ورجوع المحامد مطلقاً إلى الذات المقدسة للاسم الأعظم (الله)، وبعد ذلك يتم

١. آداب الصلاة، ص ٣٤٢. سيأتي تفصيل كيفية هذا التمثيل ومراحل سيره في المباحث التالية.

٢. أي إن التشهد والسلام رجوع إلى الكثرة قولاً، وبما أنه سبقه رجوع، لهذا فإن هذا الرجوع من باب التذكر.

٣. مشفوع بالتحميد، يعني بما أنه يُقال في بداية التشهد: الحمد لله كما هو أهله، تأتي الشهادة بالألوهية مشفوعة بالحمد، وتحصل هذه الشهادة بشفاعته الحمد.

التوجه إلى مقام عبودية الولي المطلق محمد صلى الله عليه وآله ومقام رسالة
 ذاك السيد وهذا الترتيب منطبق على التجليات الذاتية والفعلية في مرآة الكثرة.
 وأما السلام عليه صلوات الله عليه، فهو رجوع السالك إلى نفسه وطلب
 السلامة لنفسه ولعباد الله الصالحين في الرجوع عن هذا السفر الخطير ﴿وَالسَّلَامُ
 عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾^١. وهذا سلام يوم البعث والرجوع
 عن الموت الحقيقي^٢.
 ﴿وَأَلْبِسْهُمْ يُومَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ لِي غَفَلَةٌ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^٣ ٣٩

[حسرات لا متناهية بعد إزالة الحجاب]

اعلم إذن، أنه ومثلما أن الصلاة الصورية لا تتحقق دون طهارة اللباس والبدن،
 ومثلما أن القذارات - وهي الرجز الشيطاني المُبعد عن محضر الرحمن - تعدُّ من
 موانع الورد في المحضر المقدس، ومثلما أن المصلي مقصيٌّ عن محضر
 القدس ممنوع من الدخول إلى مقام الأنس، إن كان لباسه وبدنه ملوثين برجز
 الشيطان؛ كذلك فإن قذارات الذنوب والمعاصي - وهي من مظاهر سلطة الشيطان
 الخبيث ومن أجزائه وقذاراته - تعدُّ من موانع الدخول إلى المحضر المقدس.
 فالمتلبس بالمعاصي يكون قد نجس ستر البدن البرزخي^٣، لذا فلن يمكنه الورد
 في محضر الحق بهذه القذارة، ودون تطهير هذا اللباس، الأمر الذي يعدُّ من
 شروط تحقق الصلاة الباطنية وصحتها.

١. مريم (١٩): ٣٣.

٢. سر الصلاة، ص ١٠٨.

٣. المتلبس بالمعاصي: من يرتدي ثوب المعصية كأن يكون لباسه وما يستر البدن نجساً. ولباس البدن
 إذا كان نجساً فهو مانع، كذلك في عالم البرزخ إذا اذنب احد يتنجس ثوبه البرزخي، ولا يمكنه
 الدخول على الله بهذه النجاسة.

غير أن الانسان، جاهل بهذا البدن الغيبي وطهارة أرديته ونوع قذاراته وشرطية طهارته ومانعية تلك القذارات عن الورود في المحضر المقدس، مادام في حجاب الدنيا.

ولكن إذا حُلَّ يوم الجلاء من هذا الحجاب، وطوت - سلطة الباطن ويوم الجمع - بساط تفرقة الظاهر، وأشرقت شمس الحقيقة مبددة سحب الحجب الدنيوية المظلمة، وفُتحت عين الباطن الملكوتية، وأغلقت العين الحيوانية الملكية، أدرك الانسان آئذ بعين البصيرة أن صلاته كانت والى آخر عمره دون طهارة، وأنه كان غارقاً في آلاف الموانع التي كان يكفي الواحد منها مستقلاً لإبعاده عن محضر الحق المقدس، وسوف تنقله حينها آلاف الحشرات فلا حيلة يومئذ ولا سبيل لإصلاح ما تلف وجبران ما فات، ولن يتخلف عندئذ سوى الحشرات التي لا آخر لها، وسوى مشاعر الندامة التي لا حد لها: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ...﴾.

[حسرة يوم القيامة لا نهاية لها ولا جدوى منها]

إذا لا سمح الله كان الحزب الشيطاني غالباً فيك وعلى هذا الحال تنقضي أيامك وتنقطع يدك من هذا العالم فلا يقبل الجبران بعده ولا تفيد الحسرة والندامة ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ والله تعالى يعلم كيف يكون ذلك اليوم يوم الحسرة والندامة بينما ذلك اليوم بالنسبة لنا، ليس إلا خبراً نسمعه:

تسمع عن القيامة خبراً وتسمع يدك النار من

١. آداب الصلاة، ص ٩١ - ٩٢.

٢. سورة مريم (١٩): ٣٩.

بعيد^١

تلك حسرات وندامات لا نهاية لها، نعم من هياً الله تبارك وتعالى له سبل الترقيات والتكاملات المعنوية والوصول إلى السعادات سواء منها الباطنية - وهي العقل والقدرة على التمييز والاستعداد للوصول إلى الغايات والعشق الفطري للجمال والكمال - أو الظاهرية - وهي العمر والأجل والمحيط المناسب والأعضاء السالمة - وعمدتها هداة طريق الحق والكتب السماوية والدايات الإلهية ومفسروها، ولكنه مع ذلك كله كفر النعمة الإلهية اللامتناهية بل وخان الأمانات وترك إتباع العقل والشريعة، ورجح إتباع الأهواء النفسانية وشياطين الجن والإنس على إتباع الله تعالى، وهو ولي النعم. فنتبه من النوم الثقيل في عالم الطبيعة والغفلة اللامتناهية والسكر والنشورة في وقت فاتته جميع الفرص والنعم الإلهية وعضاً من أن يحصل بها السعادات الأبدية ويعيش في الروح والراحة وجنات النعيم مع الأنبياء العظام والأولياء الكرام فقد أعد لنفسه أن يخلد في الشقاء ويكون قرين الجن والشياطين وأصحاب الجحيم فيحشر في الظلمات والضغطات النيران والأغلال والسلاسل الثقيلة والحيات والعقارب، ويصير منتهى سيره إلى الهاوية: ﴿وَمَا أَذْرَاكَ مَا هَيْةٌ * نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ فتصور حال هذا المسكين في أية حسرات هو حينما يرى رفقائه وزملاءه ومواطنيه قد وصلوا إلى السعادات والغايات الكمالية وتأخر هو عن قافلة الكاملين ولحق بالناقصين والأشقياء وليس له طريق للعلاج ولا لتقائمه جبران.^٢

١. هذا مضمون بيت شعري بالفارسية هو: از قیامت خبری می شنوی دمی إذ دور بر آتش داری.

٢. سورة القارعة (١٠١): ١٠-١١.

٣. حول خصائص حسرات عالم الآخرة واختلافها عن حسرات عالم الدنيا، راجع: ذیل الآية ١٥٦ من

سورة الزمر. شرح حديث جنود العقل والجهل، ص ٥٣ - ٥٤.

[لأن يوم القيام يوم خجل فهو يوم حسرة]

ويل لنا من ذلك اليوم الذي تتجسد فيه أفعالنا ونُعطي صحائف أعمالنا بأيدينا - في ذلك العالم - ثم يقال: ﴿كَفَىٰ بِتَفْسِكِ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيًّا﴾^١. خُذْ وتأمل! هل مثل هذه الأعمال مقبولة لدى الباري تقدست أسماؤه؟ وهل صلاة بهذه الصورة الظلمانية الممسوخة يمكن أن تقربك الى محضر حضرة الكبرياء؟ وهل كان مناسباً التكامل بهذه الكيفية مع هذه الأمانة الإلهية الكبرى ووصية الأنبياء والأوصياء، وفسح المجال أمام يد خيانة الشيطان الرجيم عدو الله لتعبث بها هكذا؟ لماذا أبعدتك هذه الصلاة وهي «معراج المؤمن» و«قربان المتقين»^٢ عن ساحة القرب الإلهي؟

وفي ذلك اليوم هل سيكون نصيبنا سوى الحسرة والندامة والتعاسة والشقاء والخزي والخجل؟ وإنها لعمري حسرة وندامة لا نظير لها في هذا العالم، وخزي وخجل لا يمكننا تصوُّر شبيه لهما. فحسرات هذا العالم مهما بلغت فهي ممزوجة بالآلاف الأشكال من الآمال، وهي بعدُ سريعة الزوال خلافاً لما هو حالها يوم الحسرة والندامة. لذا يقول تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ...﴾^٣ فقد قُضِيَ الأمر ولن يمكن جبرانه، وضاع العمر، ولن يمكن إرجاعه ﴿يَا حَسْرَتًا عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ لِي جَنبَ اللَّهِ﴾^٤.

﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾^٥ ٧١

١. إشارة الى الآية ١٤ من سورة الإسراء.

٢. راجع: الفروع من الكافي، كتاب الصلاة - باب فضل الصلاة (ج ٣، ص ٢٦٥).

٣. الزمر (٣٩): ٥٦.

٤. آداب الصلاة، ص ٣٤.

[المقصود من الورود الحتمي لكل الناس في جهنم]

ولعل المقصود من هذا الإقبال والدخول في الدنيا ودار الطبيعة هو قول الله تبارك وتعالى: حيث يقول: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾^١ لأن دار الطبيعة تمثل صورة جهنم كما أن جهنم تمثل باطن دار الطبيعة ومن هذه الجهة، فإن الصراط الذي هو معبر للناس إلى الجنة يكون على متن جهنم، ولعل النار محيطة به بمعنى أن الصراط قد مَدَّ من جوف النار، وغاية الأمر أن لهيب النار يكون منطقتاً للمؤمن.^٢

﴿لَمْ نُنَجِّ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَكَذَلِكَ الظَّالِمِينَ لِيَهَيَّأَ جِثًا﴾ ٧٢

[النسبة بين عذاب جهنم وعالم الطبيعة]

ان عالم الآخرة مثال لعالم الطبيعة هذا. ولا بد طبعاً من التحرك من خلال عالم الطبيعة هذا، ومن خلال دار الدنيا، ومن بين المغريات وحبّ الجاه، وحبّ الرئاسة، والحقّد، والحسد، والبخل، والنيران المحرقة، ولا بد طبعاً ان يكون السير على خط مستقيم، وإذا لم يكن السير متطابقاً مع هذا الخط المستقيم الذي هو الصراط المستقيم القرآني والاسلامي، فان الشخص يقع في نيران الدنيا. وهذا مثال للصراط الموجود في جهنم.

جاء في الأخبار: أن هذا الصراط مستقيم ودقيق يمر من النار الى الجنة.^٣ إذاً فكل من يزل قدمه في هذا العالم عن الصراط المستقيم ويعرض عن الديانة، يسقط هناك من صراط جهنم الى قعرها. ومثلما أن السقوط هنا يكون سبباً

١. سورة مريم (١٩): ٧١.

٢. شرح حديث جنود العقل والجهل، ص ٤٥ - ٤٦.

٣. معاني الأخبار، ص ٣٢؛ بحار الأنوار، ج ٨، ص ٦٤ - ٧١.

للهلاك والانغماس في مهاوي الرذيلة، هناك أيضاً ينتهي به الحال الى الهلكة في نار جهنم. وهنياً لاولئك الذين يأتون الى هذه الدنيا، ويجتازون هذه الطبيعة سيراً على ذلك الصراط المستقيم، الذي ينجو كل من يسير عليه من حرّ النار. ولهذا فقد قالوا: "جزنا وهي خامدة".^١ إذاً فمن المناسب ان تُحمل على هذا المعنى الآيات التي ذكرها الآخوند الملاً صدرا الشيرازي، مثل قوله تعالى: ﴿وَوَسَّوْنَا لِلظَّالِمِينَ لِيَهِيَ جَحِيمًا﴾^٢.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ ٩٦

[في حالة التهذيب وخدمة الناس يستميل الله القلوب اليكم]

لابد لكم من تهذيب أنفسكم، حتى إذا ما أصبح أحدكم رئيس قوم أو فئة، اشتغل في تهذيب نفوسهم أيضاً. حاولوا أن تخطوا على طريق إصلاح المجتمع وبنائه. ليكن هدفكم خدمة الإسلام والمسلمين. فإذا خطوتم من أجل الله تعالى، فإن الله مقلب القلوب، يجعل القلوب تهفو إليكم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾.

فإذا ما جاهدتم في سبيل الله وضحيتم من أجله تعالى، فإنه سبحانه لن يترككم دون أجر وثواب. وإن لم يكن ذلك في هذه الدنيا فستحصلون عليه في الآخرة. وإذا لم تناولوا أجركم وثوابكم في هذه الدنيا فذلك أفضل لكم، لأن الدنيا لا تعني شيئاً ولا قيمة لها. فكل هذا الصخب والضجيج وهذه الاعتبارات

١. علم اليقين، ج ٢، ص ٩٧١.

٢. مريم (١٩): ٧٢.

٣. تقريرات فلسفة الإمام الخميني، ج ٣، ص ١٢٠ - ١٢١.

سوف تنتهي خلال أيام معدودات وتمر من أمام عين الإنسان كالحلم؛ بيد أن الأجر الأخروي خالد ليس له نهاية أو حد.^١



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿طه﴾ ١ ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ ٢

[في فضيلة سورة طه ومعناها]

روى عليُّ بن ابراهيم في تفسيره بإسناده عن أبي جعفر (عليه السلام) وأبي عبد الله (عليه السلام) قالا: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ إِذَا صَلَّى قَامَ عَلَى أَصَابِعِ رِجْلَيْهِ حَتَّى تَوَرَّمَتْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿طه﴾ - بَلِّغْهُ طَيِّبًا مُحَمَّدٌ - ﴿مَا أَنْزَلْنَا﴾ - الآيَةَ».

وعن الصدوق في معاني الأخبار بإسناده عن سفيان الثوري عن الصادق (عليه السلام) في حديث طويل قال فيه: «وَأَمَّا ﴿طه﴾ فَاسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ

عليه وآله) وَمَعْنَاهُ: يَا طَالِبَ الْحَقِّ الْهَادِي إِلَيْهِ^١.

وروي عن ابن عباس وآخريين أن ﴿طه﴾ بمعنى أيها الرجل^٢. ونقل عن بعض العامة أن (ط) إشارة إلى طهارة قلب الرسول الأكرم من غير الله و«الهاء» تلويح إلى أن قلبه امتدى إلى الله^٣. وقيل إن (ط) طرب أهل الجنة و«الهاء» هوان أهل جهنم^٤. وقال الطبرسي (رحمه الله). «روي عن الحسن أنه قرأ طه بفتح الطاء وسكون الهاء. فإن صح ذلك فأصله طأ، فأبدل من الهمزة هاء ومعناه طبا الأرض بقديمك جميعاً. انتهى»^٥.

...والشقاء والشقاوة ضد السعادة، ومعناها النصب والتعاسة. قال الجوهري «الشقاء والشقاوة - بالفتح - نقيض السعادة».

روى الطبرسي^٦ في الاحتجاج عن موسى بن جعفر (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «وَلَقَدْ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) عَشْرَ سِنِينَ عَلَى أَطْرَافِ أَصَابِعِهِ حَتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ وَأَصْفَرَّ وَجْهُهُ، يَقُومُ اللَّيْلَ أَجْمَعَ حَتَّى غَوِيَبَ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿طه﴾ * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ بَلْ لَسْتَ بِمُؤْمِنٍ»^٧.

١. الصدوق، معاني الأخبار، ص ٢٢، باب معنى الحروف المقطعة.

٢. نقل الشيخ الطبرسي في مجمع البيان هذا القول عن ابن عباس وسعيد بن جبير وحسن ومجاهد...

٣. العلامة المجلسي أورد هذا الرأي عن القشيري منقولاً عن النسفي. بحار الأنوار، ج ٦٨، ص ٢٧.

٤. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج ١١، ص ١٦٦.

٥. مجمع البيان، في تفسير أول سورة طه.

٦. أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي. وهو غير صاحب تفسير مجمع البيان. كان عالماً وفقهياً

ومحدثاً ومؤرخاً شيعياً عاش في أواخر القرن السادس وبداية القرن السابع. وتوفي في حدود عام

٦٢٠هـ للاطلاع على المزيد من المعلومات حول هذا العالم والقضايا التي أثرت بشأن كتابه،

راجع: مقدمة كتاب الاحتجاج بقلم السيد محمد بحر العلوم. طبعة مؤسسة الأعلمي.

٧. الاحتجاج، ج ١، ص ٢٢٠ - ٢١٩، احتجاج أمير المؤمنين (ع) على اليهود.

وروي عن الإمام الصادق (عليه السلام) «أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يَرَفَعُ إحدى رجليه في العبادة، كي يزيد تبعه وجهده، فأنزل الله عليه، هذه الآية المباركة». وقال بعض المفسرين هو جواب للمشركين حين قالوا إنه شقي فقال سبحانه يا رجل ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾!

وقال شيخنا العارف الكامل الشاه آبادي: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) عندما دعا الناس إلى رسالته ولم يجد الإصغاء المطلوب والدخول في دين الله حسب المستوى المرغوب فيه، أبدى احتمالاً في نفسه وهو النقص في دعوته - الداعي - فانصرف إلى ترويض نفسه طيلة عشرة أعوام حتى ورمت قدماءه، فنزلت هذه الآية المباركة مخاطبة إياه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى، إنك طاهر وهاد، ولا يوجد عيب ونقص فيك، بل النقيصة في الناس: ﴿إِنَّكَ لَاتَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾!

وعلى أي حال يستفاد من هذه الآية المباركة، أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان في ترويض وتعب وجهد. ويستفاد من مجموع أحاديث المفسرين هذا المعنى أيضاً، رغم اختلافهم في كيفية الترويض والتعب.

ويجب أن تكون هذه الآية المباركة، قدوة للناس جميعاً وخاصة للعلماء الذين يريدون القيام بالدعوة إلى الله تعالى، حيث أن رسول الله مع طهارة قلبه وكماله التجأ إلى الترويض وأتعب نفسه حتى نزلت الآية الشريفة من الحق المتعالي ونحن رغم ثقل الخطايا والذنوب، لم نفكر البتة في معادنا ومآلنا وكأننا نحمل صك الخلاص والبراءة من جهنم والأمان من العذاب. وهذا لا يكون إلا

١. مجمع البيان، تفسير الآية ١ في سورة طه.

٢. مجمع البيان، في تفسير الآية ١ من سورة طه. نقل هذا الرأي عن الحسن البصري.

٣. القصص (٢٨): ٥٦.

نتيجة أن حبّ الدنيا قد أصمّ آذاننا فلا نسمع كلمات الأولياء والأنبياء.^١

[إيذاء النبي من أجل وصول الناس إلى ذروة الكمال الإنساني]

كل ذلك هو معجزة الرسول الاكرم الذي يعرف مبدا الوحي بشكل بحيث يخبره بأسرار الوجود ويرى هو نفسه من خلال العروج إلى ذروة الكمال الانساني الحقائق واضحة ودون اي حجاب وفي نفس الوقت فان له الحضور في جميع ابعاد الانسانية ومراحل الوجود، والمظهر الاعلى للآية «هو الاول والاخر والظاهر والباطن»، ويريد ان يصل جميع الناس اليها ويبدو انه يتالم لانه لم يصلوا اليها، ولعل الايتين: ﴿طه * ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾ اشارة لطيفة اليها ولعل «ما اودى نبي مثل ما اوديت»^٢ يرتبط ايضا بهذا المعنى.^٣

[توجه النبي إلى العبادة واهتمامه بها]

فعلي بن أبي طالب (عليه السلام) - الذي شهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) بأفضلية ضربة واحدة منه يوم الخندق على جميع عبادات الجن والإنس^٤ - كان

١. شرح الأربعون حديثاً، ص ٣٥٠ - ٣٥٢.

٢. الحديد (٥٧): ٣.

٣. راجع: بحار الانوار، ج ٣٩، ص ٥٦ الجامع الصغير، ج ٢، ص ١٤٤. طرح سماحة الإمام هذه المسألة في تفسير آية البسملة، ص ١٤١، كاحتمال لعدم القدرة على الايصال.

٤. صحيفة الإمام، ج ١٦، ص ٢١٠، مقتطف من رسالته الاخلاقية والعرفانية، ١٤٠٢/٧/٤.

٥. لضربة علي يوم الخندق خير من عبادة الثقلين، بحار الانوار، ج ٣٩، ص ٢ (تاريخ امير المؤمنين).

يؤدي من العبادات والرياضات ما جعل علي بن الحسين (عليهما السلام) يُظهر - وهو أعبد خلق الله - عجزه عن التشبه به^١ مع كل عباداته ورياضاته ومع كل ما كان يميزها من إظهار التذلل والاعتراف بالقصور والتقصير وبما يفوق كثيراً ما نعبه به نحن. بل أبعد من هذا، فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي لا يمثل علي المرتضى (عليه السلام) وجميع ما عدا الله سوى عبيد في حضرته وطاعمين لفتات مائدة نعمة معارفه، متعلمين من تعاليمه، كان طائعاً لله متعبداً الى درجة أنه كان يقف - بعد أن خُلعت عليه خِلمة النبوة الخاتمة، التي تمثل كامل السير في دائرة الكمال واللبنة الاخيرة في المعرفة والتوحيد - في غار حراء يؤدي طاعته على مدى عشرة أعوام، حتى تورمت قدماه المباركتان وأنزل الله تعالى عليه الآية الكريمة: ﴿طه﴾ * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴿١﴾.

إن الله تبارك وتعالى انما يقول له (صلى الله عليه وآله): ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ﴾، فأنت الطاهر الهادي، وإذا عصاك الناس فإن ذلك بسبب نقصهم وشقائهم، لا بسبب قصور في سلوكك وهدايتك، ومع ذلك كله كان (صلى الله عليه وآله) يلهج بالتعبير عن عجزه وقصوره عن حق العبادة.^٢

[مدى اهتمام النبي بتبليغ الدين]

لقد كان رسول الإسلام يحزن لأن الناس كانوا لا يتلقون تربيته فكان الله تعالي يعزبه بذلك فكان الرسول في عناء حتى خاطبه الله تعالي بقوله: ما انزلنا عليك القرآن لتشقى. لقد كان حزن الرسول على الأمم اكبر من حب الأب

١ من يقوى على عبادة علي بن أبي طالب... عن السجاد (عليه السلام)، بحار الانوار، ج ٤٦، ص ٧٥.

٢ آداب الصلاة، ص ١٧٦ - ١٧٧.

العطوف لأبنائه. وكان يؤسف أن لا يثوب الكفار إلى المسار الانساني الطبيعي. وعلى كل انسان أن يتأسف للذين لا يدخلون في طريق الإسلام والإنسانية.^١

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ٥

[معاني واحتمالات عرفانية في كلمة العرش]

اعلم أن للعرش مفاهيم ومصطلحات قد صرح ببعضها في الروايات الشريفة^٢، وجاء بعضها في كلام أهل المعرفة كالجسم الكلي المحيط^٣، ومجموع العالم^٤، والعلم^٥، أو العلم المفاض على الأنبياء والحجج^٦. ومن المفاهيم المتناسبة مع قول الله تبارك وتعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^٧ هو: الفيض المنبسط الذي هو استواء الرحمن وتجلي السلطة الإلهية، وبناء على هذا المفهوم يعلم أن الحقيقة العقلية مخلوق عن يمين العرش، وذاك الظهور الأول أقرب إلى الحق وتجليه سابق لسائر التجليات.^{٨، ٩}



١. صحيفة الإمام، ج ١٥، ص ٤٩٢، ص حيفة النور، ج ١٥، ص ٢٨٣.
٢. اصول الكافي، ج ١، ص ١٠٠. كتاب التوحيد، الباب ٢٢٠ توحيد الصدوق، ص ٣٢١، الباب ٥٠.
٣. كل هذه المعاني الثلاثة مستقاة من قول الامام الصادق عليه السلام في معنى العرش، في قوله: العرش في وجوه آخر: هو العلم الذي اطلع الله عليه انبياءه ورسله وحججه.... معاني الاخبار، ص ٢٩، باب معنى العرش والكرسي، ح ١.
٤. معاني الأخبار، ص ٢٩، باب معنى العرش.
٥. المصدر السابق.
٦. المصدر السابق.
٧. سورة طه (٢٠): ٥.
٨. شرح حديث جنود العقل والجهل، ص ٣٠ - ٣١.
٩. حول المعنى العرفاني للعرش واستواء الله عليه، راجع: شرح الأربعون حديثاً، ص ٦٥٨.

اتساق التعلّق الإلهي في العالم مع مفهوم الاستواء

في الصادر الأوّل يكون المبدأ و"المتعلّق به" كلّ "متعلّق به"، ولكن من جهة المتعلّق لا يحدّ صرف التعلّق، وإنما يكون متعلّقاً من جانب وغير متعلّق من جانب آخر. وإذا جئنا الى الصادر الثاني، فبعدئذ يكون حتى مبدأ تمام الحيشة غير متعلّق به؛ لأننا قلنا: ان له حيشة وجودية وحيشة ماهويّة، والصادر غير متعلّق بكلّ الحيشة؛ لأنه ذو ماهيّة وله حيشة وجود أيضاً.

وإذا جئنا الى الصادر والعقل الثالث، نرى ان حيشة عدم التعلّق تزداد فيه، مثلما يكون الحال في العقل الثاني حيث تكون جهة المتعلّق به في هذه المرتبة أدنى؛ والسبب هو ان حيشة وجوده التي هي مبدأ الصدور و"المتعلّق به" قليلة. وفي هذه المرتبة تكون جهة "المتعلّق به" علّة أقلّ وجهة تعلق المتعلّق الذي هو وجوده أقلّ، الى أن يصل الى دار الكثرة والطبيعة هذه، حيث تكون فيها جهة عدم التعلّق؛ أي جهة ماهيّيها، أقوى، وجهة التعلّق أي الوجود ضعيفة.

وبما ان دار الكثرة مقرّ حكم الماهية والشيطان، وجهة الماهية فيها قويّة الى درجة أن نظرة العقل ونظرة الشخص تجعله يرى الماهيات متباينة عن بعضها، وهي دار مليئة بالوحوش والمفترسات والكثرات، حتى انه لا يرى نوع من التجانس بين هذه الموجودات الطبيعية، فان آخر مرتبة منزل المتعلّق حيث تكون جهة المتعلّق ضعيفة أيضاً الى حدّ انه يكاد ان يكون عدماً، فيكون غير متعلّق أصلاً. ولكن كلّما صعدنا من هناك الى الأعلى، تزداد الجهة الوجودية؛ أي الجهة التعلّقيّة كما تزداد أيضاً جهة المتعلّق به، الى أن يصل الحال الى تلك المرتبة التي تكون فيها كلّ الحيشة من ناحية المبدأ والصادر، حيشة "متعلّق به" وحيشة متعلّقيّة. إذ كما قلنا بأن تلك الدار مقرّ الحكم الإلهي.

ولعل المراد من الآية الشريفة: ﴿الرُّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^١ هو أن ليست هناك جهة متصورة سوى جهة التعلق الإلهية.^٢

﴿إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٌ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ ١٠

[النار التي ادركها موسى لم تكن قابلة للمشاهدة من قبل الآخرين]

كانت له محطات ثلاثون ليلة في البداية ثم أصبحت أربعين وجاءت بعدها تلك الوقائع بعد أن رحل عن منزل شعيب^٣ ولد زوجته^٤ وسار بأهله قال لهم: ﴿إِنِّي آنَسْتُ نَارًا﴾ هو ادراك هذه النار، أما أهله فلم يروها أصلاً، بعد ذلك ذهب إليها: ﴿لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ﴾^٥ وعندما اقترب منها جاء النداء: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ﴾^٥ هذا النداء جاء من نفس تلك النار التي كانت في الشجرة، وقدم المشاهدة يعني أن موسى شاهد ما ذهب إليه ذلك الأعمى بالعصا وذلك العارف بالقلب.

هذه كأقوال نحسن التحدث بها نحن، وأنت تستمعون إليها بآذانكم ولكن الحقائق هي أسمى، ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ﴾ والنور الذي كان في الشجرة هذا النور لم يكن يستطيع رؤيته سوى موسى عليه السلام مثلما هو الحال مع الوحي الذي

١. طه (٢٠): ٥.

٢. تقريرات فلسفة الإمام الخميني، ج ٣، ص ٦٨.

٣. أي أن القرآن يريد ان يبين من خلال استعمال تعبير الاستواء بأن كل ما في هذا العالم له تعلق الهوي.

٤. سورة طه (٢٠): مقاطع من الآية ١٠.

٥. سورة طه (٢٠): مقاطع من الآية ١٠ والآية ١٤.

كان ينزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمن ذاك الذي كان يستطيع أن يفهم ما هو هذا الوحي؟!^١

[فهم آخر لتلقي النار]

إيهاً يا طالب الحق السالك الى الله، اذا وفقت في ترويض طائر الخيال، وكبّلت شيطان الواهمة وخلعت نعلي حب الزوجة والبنين وسائر الامور الدنيوية، وأنست جذوة من نار عشق الفطرة الإلهية، ونطقت بـ ﴿إِنِّي آنَسْتُ نَارًا﴾، ورأيت أن ليس أمامك عقبات تمنعك من السير، ورأيت أنك قد أعددت وسائل السفر، فانهض من مكانك وهاجر بيت الطبيعة المظلم والممر الدنيوي الضيق المعتم، وتخلص من أغلال الزمان وقبوده، وحرّر نفسك من هذا السجن، وأطلق طائر القدس ليحلّق الى محفل الأنس.^٢

﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوًى﴾ ١٢

[خلع النعطين نو معنى تأويلي كخلع محبة الزوجة والأولاد]

وقلج جذور محبة الدنيا وإن كان صعباً لاسيما في أول الأمر وابتداء السلوك، ولكن كل أمر صعب يصبح سهلاً بالإقدام والتصميم، وقوة الإرادة هي فوق كل أمر صعب وعسير، والعزم يقرب كل طريق بعيد، ويسهل كل وعر. ولا بد للإنسان السالك أن لا يتوقع أن يكون منذ بداية الأمر قاطعاً لهذه المادة

١. تفسير آية البسملّة، ص ١٦٤ - ١٦٥.

٢. آداب الصلاة، ص ٥٢.

ودافعاً لهذا المرض المهلك، ولكن بالتدرّج وصرف الوقت والفكر والرياضات والمجاهدات، وقطع أغصان حب الدنيا، وقلع بعض جذوره، يستطع أن يكون موقفاً في المقصود، ولا بد أن يعلم بأن حب الدنيا والنفس هو شوك طريق الإنسان إلى كل مقصد ومقصود.

وإذا كان من أهل المعارف والجذبة والجذوة فحب الدنيا والنفس أعظم حجاب لجمال المحبوب. كما يقول المتنوي في مصراع بيت شعر:

أَمْ الْأَصْنَامُ صَنَمَ نَفْسِكَ^١

وموسى الكليم عليه السلام رغم مقام النبوة والمعرفة العظيمة بعد تلك الرياضات لما وضع القدم في مقام المقدسين وأصحاب المحبة، وأسرع إلى ملاقة المحبوب ناداه:

﴿فَاخْلَعْ نَفْلَيْكَ إِلَيْكَ يَا الْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوبَى﴾^٢ فمنعه من محبة الأهل والأولاد.

فتنبه إذا كان لديك هوى الدخول في وادي العشق والمحبة، وهو وادي المقدسين والمخلصين، فلا يمكن ذلك مع محبة الغير مع أن المحبة الموسوية لم

١. والشعر هو: مادر بنها، بت نفس شماست زانكه آن بت، مار واين بك، اجدهاست. المتنوي

المولوي، المجلد الأول، ص ٢٢.

٢. سورة طه (٢٠): ١٢.

٣. هذا المورد أحد موارد التفسير الباطني والتركيز على المعاني التأويلية للآية الذي يفسر فيه خلع

التعلين ﴿فَاخْلَعْ نَفْلَيْكَ﴾ بالكناية عن نزع محبة الزوج والاولاد من القلب. وهذا التفسير يتناسب

مع الحديث الذي يقول بأن للقرآن ظاهراً وباطناً (ومن ذلك الكليني، اصول الكافي، ج ١، ص ٣٧٤؛ بحار الانوار، ج ٨٩، ص ٩٠ - ٩٤ و٩٥؛ الطبري، جامع البيان، ج ١، ص ٥٠، ومتقى

الهندي، كنز العمال، ج ١، ص ٥٥٠، ح ٢٤٦١) خاصة وان ظاهر العبارة لا ينافي هذا المعنى، بل

وان بعض الاحاديث يدعم هذا المعنى على وجه الخصوص. فمن ذلك مثلاً الحديث الذي جاء

في كتاب الاحتجاج وهو: ﴿فَاخْلَعْ نَفْلَيْكَ﴾ أي انزع حب اهلك من قلبك ان كانت محبتك لي

خالصة وقلبك من الميل الى من سواي مفسولاً. وللإطلاع على التأويل راجع: الاحتجاج، ج ٢،

تكن كمحبة أمثالنا، ولعل التعبير بالنعلين من جهة أنهما في أسفل الأعضاء وسهلا الخلع.^١

[خلع النعلين كناية عن نزع الشهوة والغضب وترك

[الهوى]

فهل يمكن الوصول إلى طور القرب الا بخلع نعلي الشهوة والغضب، وترك الهوى و الإنقطاع الى حضرة المولى. فإنه الوادي المقدس و المقام الشامخ الأقدس؛ و المتلبس بالألبسة الجسمانية و المتردي برداء الهيولى الظلمانية لا يمكنه شهود مقام المشيئة الإلهية و كيفية سريانها و مضيها و بسطها و اطلاقها.^٢

[تأويل آخر لخلع النعلين]

فهل هذا الوقت كان من اوقات عالم الدنيا والآخرة، أم وقت خلوة «قاب قوسين» و «طرح الكونين»؟
أربعون يوماً صامها موسى الكليم (عليه السلام) «صوماً موسوياً» فبلغ ميقات

١. شرح حديث جنود العقل والجهل، ص ٢٥٤ - ٢٥٥.

٢. حول هذا التفسير للآية، راجع: ابن عربي، بخلع النعل الظاهر... في هذا المجال كتب ما يلي: ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ له ظاهر و باطن، فاما ظاهره... بخلع النعل الظاهر... و اما الباطن، فان حقيقة النعل ما يكون وقاية لتقديم الصدق من عواقب طريق القلب الى الله. انظر: رحمة من الرحمن، ج ٣، ص ٧٦.

٣. شرح دعاء السحر، ص ٩٧ - ٩٨.

الحق، وقال تعالى: ﴿فَ تَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾^١، إلا أنه - مع ذلك - لم يصل «المِيقَاتُ المِحمدي» ولم يرتق الى مستوى اللياقة بـ «الوقت الأحمدي». ففي حين إنه (عليه السلام) حُوطب عند اللقاء بقوله تعالى: ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾، الأمر الذي فُسِّر بالدعوة للتخلي عن «مِجبة الاهل»^٢ ترى أن الرسول الخاتم (صلى الله عليه وآله) يؤمر «بِحَبِّ علي بن أبي طالب»^٣ وإنه لسرُّ منه في القلب بارقة لا أظهر منها شيئاً، وعليك أنت أن تسبر غور هذا المِجمل الذي عرضناه لتبلغ بعض أعماقه.^٤

﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ ١٣

[كُونُ الْأَنْبِيَاءِ مُصْطَفِينَ مِنْ بَيْنِ الْمَوْجُودَاتِ]

لما كانت تربية نظام عالم الملك من الفلكيات والعنصریات والجوهریات والعرضيات هي مقدمة وجود الانسان الكامل الذي هو في الحقيقة وليدُ عصارة عالم التحقق والغاية القصوى للعالمين وهو آخر وليد على هذا الأساس؛ ولما كان عالم الملك متحرراً بالحركة الذاتية الجوهرية، وإن هذه الحركة تكاملية تمثل نهايتها غاية الخلقة ونهاية السير، وإنما لو نظرنا الى الجسم الكلي والطبع الكلي والثبات الكلي، والحيوان الكلي والانسان الكلي - بصورة عامة - نرى ان

١. الأعراف (٧): ١٤٢.

٢. راجع: القشيري، لطائف الاشارات، ج ٢، ص ٢٥٥؛ حقي البروسوي، تفسير روح البيان، ج ٥، ص ٣٧٠، في ذيل الآية، حيث فسّر الآية بحُبِّ دنيا وما سوى الله.

٣. القندوزي، ينابيع المودة، ص ٥٧ في حديث حُبِّ علي.

٤. آداب الصلاة، ص ١١٠.

الانسان هو الوليد الاخير الذي ظهر الى الوجود بعد الحركات الذاتية الجوهرية للعالم وانتهى اليها.

اذن، فيد تربية الحق تعالى، تقوم بتربية الانسان في جميع دار التحقق، والانسان هو الاول وهو الآخر.

وما تقدم ذكره يصدق على الافعال الجزئية بلحاظ مراتب الوجود، وإلا فلا غاية لفعل الحق تعالى بحسب الفعل المطلق؛ سوى ذاته المقدسة - كما هو الثابت في محله - فإذا نظرنا الى الافعال الجزئية، نرى ان غاية خلق الانسان هو عالم الغيب المطلق، كما تشير الى ذلك الاحاديث القدسية «يا ابن آدم خلقت الاشياء لأجلك وأجلك وخلقتك لأجلي»، كما ان الباري تعالى اشار الى ذلك في القرآن الكريم، حينما خاطب موسى بن عمران (عليه السلام) بالقول: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾^١ و﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ﴾^٢.

فالإنسان إذن مخلوق لأجل الله ومصنوع لذاته المقدسة، وهو المصطفى المختار من بين جميع الموجودات، وغاية سيره الوصول الى باب الله والفناء في ذات الله والاعتكاف في فناء الله، وان معاده الى الله ومن الله وفي الله وبالله. يقول تعالى: ﴿إِنَّ إِلَهَنَا إِيَابُهُمْ﴾^٣؛ اما الموجودات الأخرى فترجع الى الحق تعالى بتوسط الانسان، بل ان مرجعها ومعادها الى الانسان.^٤

١. علم اليقين: ج ١، ص ٣٨١.

٢. طه (٢٠): ٤١.

٣. طه (٢٠): ١٣.

٤. الغاشية (٨٨): ٢٥.

٥. آداب الصلاة، ص ٢٣٧ - ٢٤٠.

[البناء والتربية لأهداف خاصة ومهمة]

نعم، لقد انتخب الباري جلّ وعلا ذينك العظيمين اللذين كانا يمثلان صفوة الانسانية في عصرهم، فهو القائل جلّ وعلا: ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ﴾^١ و﴿لَتَصْنَعَ عَلِيٌّ غَيْبِي﴾^٢ و﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي اذْهَبْ أَلْتِ وَأَخُوكَ بِأَيِّمِي وَلَا تَنِيَا لِي ذِكْرِي﴾^٣ وآيات أخر لا يسعها البيان، مما ينال منها قلب العارف نصيباً لا يمكن التحدث عنه، لا سيما في هاتين العبارتين الكريمتين: ﴿لَتَصْنَعَ عَلِيٌّ غَيْبِي﴾ و﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾.

ولو أنك فتحت أحداق بصيرة قلبك لسرت نعمة روحانية رقيقة وراحت تملأ مسامع قلبك وزوايا وجودك بأسره بسرّ التوحيد.^٤

﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ ١٤

[الغاية من ذكر "انني أنا الله" في خلوة انس الكليم]

عموماً، على السالك حين التسمية، أن يفهم قلبه أن جميع الموجودات الظاهرة والباطنة وكافة عوالم الغيب والشهادة خاضعة لتدبير اسماء الله، بل إنها ظاهرة بظهور اسماء الله، وإن جميع حركاتها وسكناتها وجميع العالم، تحت قيومية اسم الله الاعظم. أي إن جميع تحميده للحق وجميع عباداته وطاعاته

١. طه (٢٠): ١٣.

٢. طه (٢٠): ٣٩.

٣. طه (٢٠): ٤١ - ٤٢.

٤. آداب الصلاة، ص ٢٣٧.

وتوحيده وإخلاصه تحت قيومية اسم الله.

فإذا استقرت هذه اللطيفة الالهية واستحكمت هذا المقام في قلبه، وذلك من خلال الدأب على التذكير- وهو الغاية من العبادات، فالباري تعالى يخاطب كليمه موسى بن عمران (عليه السلام) في خلوة الأُنس ومحفل القدس بقوله: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾، فقد جعل تعالى «الذكر» هو الغاية من إقامة الصلاة.^١

﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ ٢٥ ﴿وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾ ٢٦ ﴿وَاخْلُفْ عَقْدَةً مِنْ

لِسَانِي﴾ ٢٧

[انعقاد لسان الأنبياء في بيان المشاهدات والمعاني الغيبية]

فقدم الأولياء عبرت بالسلوك المنازل وأدركوا المسألة وشاهدوها ولكنهم لا يستطيعون أن يبينوا مشاهداتهم للناس. والقرآن أيضاً نزل وتنزل حتى وصل إلى مخاطبة هؤلاء الأسرى في حفرة الضلالة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً لا يستطيع أيضاً بيان الحقيقة الواقعية للناس إلا بأن ينزلها أيضاً، من هنا كانت للقرآن مراتب سبعة بطون أو سبعون^٢ تنزل عبر هذه البطون حتى وصل إلى درجة مخاطبتنا نحن وأن يعرف الله نفسه بالإيل ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾^٣ وهذا من بواعث الأسف أن ينزل إلى الشمس والسماء

١. آداب الصلاة، ص ٢٤٣ - ٢٤٤.

٢. قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: إن للقرآن ظهراً وبعثاً ولبطنه بطنٌ إلى سبعة ابطن. تفسير

الصافي، ج ١، ص ٣١، المقدمة الرابعة.

٣. الغاشية (٨٨): ١٧.

والأرض ونفس الإنسان هناك عقدة في لسان الأنبياء وفي قلوبهم: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي، وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي، وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾. فلم يستطيعوا بيان ما شاهدوه - بالصورة التي أدركوه - لم يكن مما يُقال ولذلك عمدوا إلى الأمثال والنظائر من أجل أن يفهمونا شيئاً^٢.

﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَلَّتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَّانَا فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ﴾ ٤٠

[تربية و اختيار موسى بعد رياضات روحية]

لقد أعدَّ الله تعالى موسى الكليم (عليه السلام) ورياه بالرياضات الروحانية وبكل تلك الظروف والملابسات، فهو القاتل جل من قاتل: ﴿وَفَتَّانَا فُتُونًا﴾، فأرسله ليقضي سنين في خدمة الشيخ الكبير شعيب، رجل الهداية وخبير عالم الانسانية، يقول تعالى: ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ﴾، ثم بعثه الى صحراء في طريق الشام ليعرضه لامتحان وافتتان اسماني، فأضله في

١. طه (٢٠): ٢٥-٢٧.

٢. هذا تحليل آخر لدعوة النبي موسى في بداية دعوته وذهابه صوب فرعون. فالمشهور هو ان موسى موسى بسبب ما كانت في لسانه من لكمة أو بسبب هيبته من فرعون دعا بهذا الدعاء وطلب من الله ان يحلل عقدة من لسانه. ولكن في هذا التفسير يرمز الدعاء الى محدودية فهم المخاطب وضحالة ادراك فرعون. وهذا المعنى مشهور بين معظم المفسرين البارزين تقريباً. وحتى ان امثال حقي البروسوي في تفسير روح البيان (ج ٥، ص ٣٧٨) الذي تكثر فيه المعاني التأويلية، اشير أولاً الى هذا المعنى، الا ان المعنى الثاني وجه آخر من المعاني واحتمال يسترعي الانتباه في تفسير الآية. ويمكن طبعاً ان يكونا كلاهما صحيحين؛ اي انه دعا الله ان يزيل عقدة لسانه من جهة ويحل عقدة قلبه من جهة اخرى.

٣. تفسير آية البسمله، ص ١٣٦ - ١٣٧.

طريقه وأهطل عليه الأمطار وأحاطه بالظلمة وجعل ألم المخاض يجيء زوجته؛ وعندما أغلقت أبواب الطبيعة كلها بوجهه وأصبح قلبه الشريف متضجراً من الكثرات، وانقطع الى الحق بالفطرة النقية وأكمل السفر الإلهي الروحاني في تلك الصحراء الموحشة: ﴿آسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا * فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾^١.

﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ ٤١

[الإنسان مخلوق لأجل الله]

لما كانت تربية نظام عالم الملك من الفلكيات والعنصریات والجوهریات والعرضیات هي مقدمة وجود الانسان الكامل الذي هو في الحقيقة وليدُ عصارة عالم التحقق والغاية القصوى للعالمين وهو آخر وليد على هذا الأساس؛ ولما كان عالم الملك متحركاً بالحركة الذاتية الجوهرية، وإن هذه الحركة تكاملية تمثل نهايتها غاية الخلقة ونهاية السير، وإننا لو نظرنا الى الجسم الكلي والطبع الكلي والثبات الكلي، والحيوان الكلي والانسان الكلي - بصورة عامة - نرى ان الانسان هو الوليد الاخير الذي ظهر الى الوجود بعد الحركات الذاتية الجوهرية للعالم وانتهى اليها. اذن، فيد تربية الحق تعالى، تقوم بتربية الانسان في جميع دار التحقق، والانسان هو الاول وهو الآخر.

وما تقدم ذكره يصدق على الافعال الجزئية بلحاظ مراتب الوجود، وإلا فلا غاية لفعل الحق تعالى بحسب الفعل المطلق؛ سوى ذاته المقدسة - كما هو

١. القصص (٢٨): ٢٩ - ٣٠.

٢. آداب الصلاة، ص ٢٣٨.

الثابت في محله - فإذا نظرنا الى الأفعال الجزئية، نرى ان غاية خلق الانسان هو عالم الغيب المطلق، كما تشير الى ذلك الاحاديث القدسية «يا ابن آدم خلقت الأشياء لأجلك وخلقتك لأجلي»، كما ان الباري تعالى اشار الى ذلك في القرآن الكريم، حينما خاطب موسى بن عمران (عليه السلام) بالقول: ﴿وَأَصْنَعْنَاكَ لِنَفْسِي﴾ و﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ﴾^١.

فالإنسان إذن مخلوق لأجل الله ومصنوع لذاته المقدسة، وهو المصطفى المختار من بين جميع الموجودات، وغاية سيره الوصول الى باب الله والفناء في ذات الله والاعتكاف في فناء الله، وان معاده الى الله ومن الله وفي الله وبالله. يقول تعالى: ﴿إِن إِلَيْنَا إِيَابُهُمْ﴾^٢.

اما الموجودات الأخرى فترجع الى الحق تعالى بتوسط الانسان، بل ان مرجعها ومعادها الى الانسان^٣.



[البناء والتربية لأهداف خاصة ومهمة]

نعم، لقد انتخب الباري جلَّ وعلا ذينك العظمين اللذين كانا يمثلان صفوة

١. لم نعثر على هذه الجملة في كتب الحديث. وهناك جماعة من العرفاء يأخذونها بعين القبول كحديث قدسي. بينما نقلتها مصادر حديثة على نحو مرسل؛ مثل: بحار الأنوار، ج ٥٤، ص ١٩٩. وكذلك راجع: ابن عربي، الفتوحات المكية، ج ١، ص ٢٩٥، الباب ٦٠، وكذلك: الفيض الكاشاني، علم اليقين، ج ١، ص ٥٠٧، الباب ٥ من المقصد الثالث.

٢. طه (٢٠): ١٣.

٣. الغاشية (٨٨): ٢٥.

٤. آداب الصلاة، ص ٢٦٢ - ٢٦٣.

الانسانية في عصرهم، فهو القائل جلّ وعلا: ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ﴾^١
 و﴿وَلْتَصْنَعْ عَلَيَّ غَنِيًّا﴾^٢ و﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي اذهب أنت وأخوك بآياتي ولا
 تنيا في ذكرى﴾ وآيات أخر لا يسعها البيان، مما ينال منها قلب العارف نصيب لا
 يمكن التحدث عنه، لا سيما في هاتين العبارتين الكريمتين: ﴿وَلْتَصْنَعْ عَلَيَّ
 غَنِيًّا﴾ و﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾. ولو أنك فتحت أحداق بصيرة قلبك لسرت نعمة
 روحانية رقيقة وراحت تملأ مسامع قلبك وزوايا وجودك بأسره بسرّ التوحيد.^٣
 ﴿اِذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ ٤٣ ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ ٤٤

[ادب التبليغ والشرط المهم للرسالة]

... هو يمثل باباً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بلحاظ الرحمة الرحيمية،
 لذا فإن على الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يُذيق قلبه الرحمة الرحيمية
 وأن يحرص على أن لا يكون هدفه في الأمر والنهي، حبّ الظهور والكبر
 وفرض أوامره ونواهيهِ هو، إذ لو كان هذا منطلقه فإن الهدف من الأمر
 بالمعروف والنهي عن المنكر - وهو تحقيق سعادة العباد وإجراء أحكام الله في
 البلاد - لن يتحقق، بل قد يحدث العكس أحياناً نتيجة قيام إنسان جاهل بأمر
 بمعروف، وقد تزداد المنكرات أحياناً بسبب عملية أمر ونهي جاهلة بمبغثها هوى
 النفس وسلطة الشيطان. وأما إذا كان حسّ الرحمة والشفقة وحسّ الأخوة في
 الانسانية هو الدافع الى ارشاد الجاهلين وتبنيه الغافلين، فإن اسلوب البيان

١. طه (٢٠): ١٣.

٢. طه (٢٠): ٣٩.

٣. آداب الصلاة، ص ٢٣٦ - ٢٣٧.

والارشاد المناسب من القلب الرحيم، يُحدثُ عند اللجوء اليه في الظروف المؤاتية تأثيراً حتمياً، وقويّاً، قِلين القلوب القاسية المتحجرة ويستنزلها عن عتوها وغيتها. ويا حسرةً على إعراضنا عن القرآن الكريم وإشاحتنا نظر التدبّر والتعلم عن هذا الذكر الحكيم، فما نستفيده منه قليل بل يكاد يكون معدوماً.

ولو تفكرنا في الآيات التي تحدثت عن قصة موسى وفرعون فما بالك سنجد! إن ذلك سيفتح لقلب الانسان سبلاً الى المعرفة وأبواباً من الأمل والرجاء.

فهذا فرعون الذي وصل طغيانه حدّاً لأن يقول: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾، وبلغ من عتوه وفساده درجة جعلت الباري تعالى يقول عنه: ﴿يَذَّبِحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾، حيث اندفع - لمجرد رؤيا رآها في المنام، عبرها له الكهنة والسحرة بظهور موسى بن عمران(عليه السلام) - يفرق بين الأزواج ويذبح الأطفال الأبرياء ويرتكب كل تلك المفاسد.

وفي المقابل، نرى أن الرحمن جلّت عظمته نظر برحمته الرحيمية الى جميع من على الأرض ليختار أشدّ بني الانسان آنذاك تواضعاً وأعلى كمالاً، النبي العظيم والرسول المكرم موسى بن عمران «على نبينا وآله وعليه السلام» والذي كان قد ربّاه وعلمه ورعاه، فهو القائل بحقه: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾، وشدّ أزره بأخيه العظيم هارون(عليه السلام).

نعم، لقد انتخب الباري جلّ وعلا ذينك العظيمين اللذين كانا يمثلان صفوة الانسانية في عصرهم، فهو القائل جلّ وعلا: ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكُمْ﴾، و﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى

١. النازعات (٧٩): ٢٤.

٢. القصص (٢٨): ٤.

٣. القصص (٢٨): ١٤.

٤. طه (٢٠): ١٣.

عَنِّي ﴿١﴾ وَوَاصَطْنَعْتُكَ لِنَفْسِي * اذْهَبْ أَلْتِ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٢﴾
 وآيات أخر لا يسعها البيان، مما ينال منها قلب العارف نصيباً لا يمكن التحدث
 عنه، لا سيما في هاتين العبارتين الكريمتين: ﴿وَلْتَصْنَعْ عَلَيَّ عَنِّي﴾ و
 ﴿وَاصَطْنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾. ولو أنك فتحت أحداق بصيرة قلبك لسرت نعمة روحانية
 رقيقة وراحت تملأ مسامع قلبك وزوايا وجودك بأسره بسرّ التوحيد.

على أية حال، لقد أعدّ الله تعالى موسى الكليم (عليه السلام) وربّه بالرياضات
 الروحانية وبكل تلك الظروف والملابسات، فهو القائل جل من قائل: ﴿وَقَتْنَاكَ
 فُتُونًا﴾^١، فأرسله ليقضي سنين في خدمة الشيخ الكبير شعيب، رجل الهداية وخبير
 عالم الانسانية، يقول تعالى: ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَيَّ لَقَدْرًا
 مُوسَى﴾^٢، ثم بعثه الى صحراء في طريق الشام ليعرضه لامتحان وافتتان اسماني،
 فأضله في طريقه وأهطل عليه الأمطار وأحاطه بالظلمة وجعل ألم المخاض
 يجيء زوجته؛ وعندما أغلقت أبواب الطبيعة كلها بوجهه وأصبح قلبه الشريف
 متضجراً من الكثرات، وانقطع الى الحق بالفطرة النقية وأكمل السفر الإلهي
 الروحاني في تلك الصحراء الموحشة: ﴿أَنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا * فَلَمَّا أَتَاهَا
 نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ النَّوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ
 رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾^٣.

ولماذا كل هذه الامتحانات واشكال المنعطفات التربوية المعنوية؟ كل ذلك
 من أجل دعوة وهداية وإرشاد وإنقاذ فرد واحد طاغ شرير كان ما يفتأ يقول: «أنا

١. طه (٢٠): ٣٩.

٢. طه (٢٠): ٤١ - ٤٢.

٣. طه (٢٠): ٤٠.

٤. طه (٢٠): ٤٠.

٥. القصص (٢٨): ٢٩ - ٣٠.

ربكم الأعلى» ولا يتوانى عن ارتكاب كل ذلك الإفساد في الأرض. ألم يكن من الممكن أن يحرقه الله تعالى بصاعقة غضبه؟ ولكنه تعالى لرحمته الرحيمية بعث إليه نبيين من الأنبياء العظام وأوصاهما بأن يقولوا له قولاً لينا: ﴿إِذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۖ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾، لعله يذكر أو يخشى من عاقبة أمره وفعله! هذا هو منهاج الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذه هي طريقة ارشاد شخص كفرعون الطاغوت.

فعليك أنت يا مَنْ تريد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإرشاد خلق الله، أن تتخذ هذه الآيات الكريمة - التي أنزلت من أجل التذكير والتعليم - تذكرةً لك وتتعلم منها كيفية استقبال عباد الله بالقلب المملوء بالمحبة والعطف، وكيفية السعي في خيرهم من صميم قلبك. فإذا أيقنت أن قلبك صار رحمانياً ورحيمياً، فتبادر بالأمر والنهي والرشاد، لكي تليّن القلوب المتحجرة بدفء رافة قلبك، وتذيب حديد النفوس بموعظتك الممزوجة بنار المحبة.

وهذا واد غير وادي البغض في الله والحبّ فيه، مما يوجب عليك أن تكون عدواً لأعداء الدين، كما تشير إليه الاحاديث الشريفة والقرآن الكريم، فكلُّ في محله صحيح.^٢

١. الآيات القرآنية التي تأمر بقتال الكفار والمشركين، وبغضهم في الله وتعتبر الشدة عليهم وأتباع الغلظة معهم من واجب كل مسلم (الفتح: ٢٩)، بخصوص من يظلمون المسلمين (الحج: ٣٩)، ضد من يخرجون المسلمين من وطنهم وديارهم (المتحنة: ٩)، التي تدعو المسلمين الى قتال من يقاتلهم (البقرة: ١٩٠). ولهذا فإن طائفة الآيات التي تدعو بشكل مطلق الى: ﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ ترمي الى هذه الخصائص، وفي حالة المقابلة بالمثل (التوبة: ٣٦)، والرد على الاعتداء وشروعهم بالقتال (البقرة: ١٩١). وهي تشير الى هذه الخصائص وفي اطار المعاملة بالمثل (التوبة (٩): ٣٦) وشروعهم بالقتال ورد عدوانهم: ﴿فَإِن قَاتَلْتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ﴾ (البقرة: ٢): (١٩١).

[الرفق والمداراة شرط لنجاح دعوة موسى]

اعلم ان للرفق والمداراة تأثير فائق في نجاح الامور؛ سواء كان ذلك على صعيد معايشة الناس أم في قضاء الامور الدنيوية، ام في ما يتعلّق بالشؤون الدينية وهداية الخلق وارشادهم، وكذلك الحال في حالات الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأيضاً في ترويض النفس والسلوك الى الله.

ولعل في الحديث النبوي الشريف القائل: "الرفق يمن والخرق شؤم" اشارة الى بعض هذه الامور؛ فقد جاء في باب الشؤون الدنيوية ان العمل فيها بالرفق والمداراة قد يجعل الشخص قادراً على التحكم في قلوب الناس وترويضهم وتلين قلوبهم، وانه من غير الممكن النجاح في اي من الامور بالشدّة والعنف والقهر. وحتى لو افترضنا ان احداً اطاع انساناً بالشدّة والتسلط، لا يأمن خيافته ما لم يستمل قلبه أيضاً. بينما الرفق والمودة والمحبة تخضع القلب، وبخضوع القلب تخضع جميع القوى الظاهرة والباطنة، ولاشك طبعاً في ان فتح القلوب أنجح من فتح البلدان.

ان الخدمات التي تأتي انطلاقاً من دافع المحبة والتضحية انما هي من فتح القلوب. واذا تسنى فتح القلوب يسهل بعد ذلك فتح البلدان. لقد كانت الفتوحات الاسلامية بفعل فتح القلوب، والا لما كان من الممكن تحقيق كل تلك الانتصارات بذلك السير من العدد والعدة.

وبالجملة إن الرفق والمداراة في تقدم المقاصد أكثر تأثيراً من كل شيء. وكما هو الأمر في المقاصد الدنيوية، فكذلك هو في المقاصد الدينية من قبيل الإرشاد وهداية الناس، فبدون الرفق والمداراة في المهمات لا يتحقق هذا

١. الرفقُ يَمُنُّ و الخَرْقُ شؤمٌ، حديث نبوي، اصول الكافي، ج ٢، ص ٩٧، كتاب الايمان و الكفر،

المقصد الشريف.

إن الله تبارك وتعالى بعدما أمر موسى وهارون صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَيَدْعُوَاهُ وَيُرْشِدَاهُ كَانَ مِنْ جُمْلَةِ التَّعْلِيمَاتِ أَنْ قَالَ لِهَُمَا: ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلَا لَيْنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾^١ إن قلب فرعون القاسي قد بلغت أنانيته إلى حد ادعى الربوبية، فجلب قلبه بالرفق والمداراة أحسن.

ولذا يقول تعالى: ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ﴾ الطاغية والباغية وتكلما معه بالرفق والمداراة لعل هذا الكلام اللين يذكره بالله ويخوفه من يوم الجزاء.

وهذا دستور كلي لجميع هداة طريق الحق، الذي يفتح أمامهم الطريق لفتح القلوب كما أن الله تعالى يثني على رسوله الأعظم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^٢ ولمقصد كبير مثل هذا يلزم الخلق العظيم لا محالة، بحيث تكون لديه القدرة على مقاومة جميع الأمور غير الملائمة، وعدم الخروج من ميدان إرشاد الخلق صفر اليدين، إن أعظم تعب وأشد مشقة لهداة طريق الحق كان ولا يزال معاشره الجاهلين ودعوة الحمقى.

ولهذا كان لابد لهم أن يتصفوا بأعظم الأخلاق الحسنة وأن تكون قوة الرفق والمداراة وحسن العشرة فيهم إلى حد يقاومون جميع جهالات الجهال الذين لا عقل لهم.

إن سرعة التألم والكدورة والأمراض العصبية تنافي هذا العمل الشريف منافاة كاملة، وإن الشدة والعنف والعجلة مخالفة لوظيفة الهداة إلى الله^٣ كما أشير إلى

١. سورة طه (٢٠): ٤٣-٤٤.

٢. سورة القلم (٦٨): ٤.

٣. جاء في حديث عن الامام الصادق يقارن فيه بين حكومة بني امية وامامة أهل البيت حول كيفية التعامل مع الناس والدعوة الى الشريعة: "أما علمت أن إمارة بني أمية كانت بالسيف والعسف

هذا المعنى كثيراً في الروايات الشريفة^١!

﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ

سَوَّيْتُ لِي نَفْسِي﴾ ٩٦

[التأثير الخارق للعادة لحفنة من التراب، دليل على امكان

تأثيره في مواضع اخرى]

تقول الآية: [بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ]: إن موسى قال للسامري: كيف أحييت البقرة؟ إنه رأى ما لم يره سواه، أي: إنه تناول قبضة من التراب من تحت أقدام النبي، ونثرها على البقرة، فعادت إليها الحياة.

لقد منح الله للتراب القدرة على إحياء الروح. وليس في مقدور أحد أن يقول بأن الله لا يقوى على أن يجعل التراب الذي لا روح له سبباً في إعادة الحياة؛ لذا فإنه سبحانه لو منح التراب الذي أريقت فوقه دماء الحياة الأبدية مثل هذه القدرة، فإن ذلك ليس ببعيد عن مشيئته.

والجور، وإن أمارتنا بالرفق والتألف والوقار والتقية وحسن الخلطة والورع والاجتهاد، فرغبوا الناس في دينكم وفيما أنتم فيه. (وسائل الشيعة، ج ١٦، ص ١٦٥، الباب ١٤ من أبواب الامر والنهي، ح ٨).

يفهم من هذه الرواية ومن روايات اخرى كثيرة جاءت في هذا الباب، ويُستفاد من التعابير التي اطلقها هنا بأنه لا موضع لاستخدام العنف والشدة في الدعوة الى دين الله او نشر المعارف أو مواجهة المعارضين. وإن كانت هناك دعوة الى الحزم والشدة فهذه الحالة موجهة بالخصوص الى المحاربين والمعتدين، هذا طبعاً مع تأكيد القرآن على ان يكون الرد مماثلاً للاعتداء والظلم ولا يفوقه (النساء: ١٩٠؛ البقرة: ١٩٣؛ البقرة: ١٩٤).

١. راجع: اصول الكافي، ج ٢، ص ٩٥-٩٦.

٢. شرح حديث جنود العقل والجهل، ص ٣١٥-٣١٧.

وبالإيمان بقدرة الله على صنع أي شيء؛ يمكن جعل شيء غير فعال... فعالاً،
أو نزع الفعل من أي شيء فعال.

﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾^١

﴿فَتَعَالَىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ

زِدْنِي عِلْمًا﴾ ١١٤

[دعاء الأنبياء لزيادة العلم دليل على وجوب عدم الاقتناع بحد

معين من المعارف]

أحد الحجب الكبيرة الذي يجعل الشخص المتعلم يرى نفسه مستغنياً لا حاجة له للاستفادة، هو حجاب «العجب» الذي يعدُّ من مكائد الشيطان الخطيرة. فهو يصوِّر للإنسان دوماً وجود الكمالات الموهومة، ويقنعه بالرضا بما عنده، ويجعله يستهين بكل ما عدا ذلك...

إن على الساعي للاستفادة أن يخرق جميع هذه الحجب وينظر الى القرآن من خلف هذه الحجب، فعليه أن لا يتوقف عند أي منها لكي يلحق بقافلة السالكين الى الله، ولا يحرم من الدعوات اللطيفة التي يوجهها الله تعالى اليه.

والأمر بعدم الوقوف عند حدِّ معين والاقتناع به يُستفاد من القرآن الكريم نفسه، فقد وردت الكثير من الاشارات الى هذا المعنى في القصص القرآني، فلم يقنع موسى كليم الله (عليه السلام) بمقام النبوة الشامخ، ولم يقف عند مقامه

١. الأنبياء (٢١): ٦٩.

٢. كشف الاسرار، ص ٤٣ - ٤٤.

العلمي الرفيع، فهو ما إن التقى شخصاً كاملاً كالخضر حتى بادرة بالطلب وبمتهى التواضع والخضوع: ﴿هَلْ أَتَبُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾، ولازمه حتى حصل على العلوم التي كان ينبغي له أن يستفيد منها.

ولم يتوقف ابراهيم (عليه السلام) عند مقام الايمان والعلم العظيم الخاص بالانبياء (عليهم السلام) بل قال: ﴿رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُخَيِّرُ الْمَوْتَىٰ﴾ ليرتقي من مقام الايمان القلبي الى مقام الاطمئنان الشهودي.

إن ما يأمر الله تبارك وتعالى به «خاتم المراتب» (صلى الله عليه وآله) - أعرف خلقه على الاطلاق - بالآية الكريمة: ﴿وَقُلْ رَبُّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ وسائر الأوامر الواردة في الكتاب الإلهي، وقصص الانبياء (عليهم السلام) التي ينقلها، انما تستهدف توعيتنا وإيقاظنا من نوم الغفلة الذي نغطُّ فيه.^٢

﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهُمَا سَوَآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾ ١٢١

[المراد من عصيان آدم ووجه اعلانه على لسان الأنبياء]

في العلل باسناده قال: جاء نفر من اليهود الى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فسألوه عن مسائل، وكان فيما سألوه: أخبرنا يا محمد (صلى الله عليه وآله) لأي علة توضع هذه الجوارح الأربع وهي أنظف المواضع في الجسد؟

فقال النبي (صلى الله عليه وآله): لما وسوس الشيطان الى آدم (عليه السلام) ودنا من الشجرة فنظر اليها، فذهب ماء وجهه، ثم قام ومشى اليها، وهي اول قدم

١. الكهف (١٨): ٦٦.

٢. البقرة (٢): ٢٦٠.

٣. آداب الصلاة، ص ١٩٥ - ١٩٦.

مشت الى الخطيئة، ثم تناول بيده منها ما عليها وأكل، فتطاير الخلي والحلل عن جسده فوضع آدم يده على أم رأسه وبكى. فلما تاب الله عليه، فرض الله عليه وعلى ذريته تطهير هذه الجوارح الأربع، فأمر بغسل الوجه لما نظر الى الشجرة، وأمر بغسل اليدين الى المرفقين لما تناول بهما، وأمر بمسح الرأس لما وضع يده على أم رأسه، وأمره بمسح القدمين لما مشى بهما الى الخطيئة^١.

وفي العلل ايضاً: أن نفرأ من اليهود سألوا الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله):... لأي شيء فرض الله عز وجل الصوم على أمتك بالنهار ثلاثين يوماً؟ فقال النبي (صلى الله عليه وآله): إن آدم لما أكل من الشجرة بقي في بطنه ثلاثين يوماً الجوع والعطش، والذي يأكلونه - في الليل - تفضل من الله تعالى عليهم...^٢.

[استفادة اصحاب القلوب من قصة آدم]

ويستفيد اهل المعنى واصحاب القلوب من هذه الاحاديث الشريفة بضعة فوائد؛ منها: أن خطيئة آدم (عليه السلام)، رغم أنها لم تكن كخطايا الآخرين، بل لعلها خطيئة طبيعية أو خطيئة الانشغال بالكثرة، التي تمثلت بشجرة الطبيعة، او الانشغال بالكثرة الأسماوية بعد جاذبة الفناء الذاتي، إلا أنها لم تكن متوقعة ولا مقبولة من مثل آدم (عليه السلام)، وهو صفي الله والمخصوص بالقرب والفناء الذاتي.

لهذا وبمقتضى «غيرة المحبة» أعلن الحق تعالى عصيان آدم وغوايته في جميع العوالم وعلى لسان كافة الأنبياء (عليهم السلام) فقال تعالى: ﴿وَعَصَى آدَمُ

١. علل الشرائع، ج ١، ص ٢٨٠، الباب ١٩١، ح ١.

٢. علل الشرائع، ج ٢، ص ٣٧٨، الباب ١٠٩، ح ١.

رَبُّهُ فَقَوَى﴾، وفضلاً عن ذلك كله، فقد أوجب عليه وعلى ذريته، الكامينين في صلبه والذين كان لهم سهم في خطيئته آنذاك، وحتى بعد خروجهم من صلبه، كل ذلك التطهير.

ولما كان لخطيئة آدم وذريته مراتب ومظاهر، تبدأ من الالتفات نحو الكثرات الاسماوية - وهي مرتبتها الاولى - وتنتهي بمرتبها الأخيرة المتمثلة بالأكل من الشجرة المنهي عنها، وهي شجرة فيها أنواع الثمار والفواكه في عالم الملكوت، والطبيعة وما يتعلق بها في عالم الملك - فحُبُّ الدنيا والنفس الموجود في ذرية آدم إنما هو من متعلقات هذا الميل نحو تلك الشجرة والأكل منها - كذلك كان الحال في التطهير والتنزيه، فالصلاة والصيام إنما هي مراتب كثيرة شرعت من أجل إخراج ذرية آدم من خطيئة الأب، وهي مراتب تناسب مراتب الخطيئة تلك.

مما تقدم، يتضح أن جميع أنواع المعاصي القلبية - معاصي البدن - لبني آدم، هي من متعلقات الأكل من الشجرة، وتطهيرها يتم بكيفية خاصة، وأن جميع أنواع المعاصي القلبية، هي من متعلقات تلك الشجرة ايضاً، وتطهيرها يتم بكيفية اخرى، وكذا هو الحال مع جميع أنواع المعاصي الروحية فهي من تلك، وتطهيرها يتم بكيفية خاصة اخرى.



[مفهوم عصيان آدم]

إذاً فما أصبح خبيراً وتجاوز عن الكثرات، يكون بعدئذ غافلاً عن كل شيء إلا إليه، ولا يتوجه إلى ما سوى المحبوب. وإن توجه إلى غيره، حتى وإن كان

ذلك الغير آية المحبوب، فقد عصى. ولهذا فان آدم عليه السلام بمجرد ان نظر إلى الأسماء _ في حين كان الحق عليه ان يرى جمال المحبوب لا غير _ وما إن انصرف انتباهه عن ذي الآيه إلى الآيه وإلى عالم الأسماء، ارتفع صوت المحبوب معلناً ان العاشق قد أخطأ ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ ففضح العاشق لأنه صرف انتباهه عن المحبوب، وأصبحت هذه هي خطيئة آدم.

ولهذا فان هجرانه للمحبوب غدا سبباً لابتلائه بتمام الهجران، وإلقائه في عالم الطبيعة. وحتى ان كان قطع التوجّه من الحبيب بسبب الميل إلى المحبوب؛ وانه توجّه إلى الاسم لكون اسماً للمحبوب، الا انه مع ذلك قد أخطأ. مثلما ان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم رغم انه قد جاء إلى العالم بأمر المحبوب لكي يؤدّب الأولاد الفاقدين للأدب، ومع ان ذلك النزول كان امثالاً واطاعة المحبوب، ومع ذلك فانه صلوات الله عليه كان يقول سبعين مرّة في كل يوم "استغفر الله".^١

[رمزية بيان قصّة آدم والشيطان]

ان عالم المجرّدات يتّصف بالدرجة من الكمال التي يقتضيها الوجود التجرّدي، والمجرّدات لا يجوز عليها التغيير؛ لأن المجرّد بعدما يظهر الى حيّز الوجود بما له من الامكان يصبح من غير الممكن حصول أي تغيير فيه؛ لأن السنوح القصدي الذي يجلب عليه النقص بعد الكمال غير ممكن في المجرّدات؛ إذ ان جبران وغرامة وعقوبة ذلك النقص والعصيان يستوجب النزول

١. طه (٢٠): ١٢١.

٢. راجع: اصول الكافي، ج ٢، ص ٥٠٤، ح ٥.

٣. تقريرات فلسفة الإمام الخميني، ج ١، ص ٨٣ - ٨٤.

والهبوط، وعقوبة سنوح القصد الموجب للنقص ان يأتي الى دار ظلمة الطبيعة وان يحلّ في سجن البدن، الى ان تُجبر كدورت ما حصل من سنوح قصد موجب للنقص.

مثلاً لا يمكن أن يقصد العقل الثاني أبداً ان يكون العقل الأوّل، بل ولا يخطر فيه أمنية الوصول الى كماله. أو ان العقل الثاني لا يتمنى أبداً ان تتوفر له دواعي الأُنس والطرب؛ لأن هذه الميول تعود لموجودات دار الطبيعة؛ فحصول النقص في المجرّدات خلاف ذاتي لعالم العقل والتجرّد. والموجود المجرّد مهما أراد ان يكون له، ينبغي ان يكون له من أوّل الخَلقة، لا ان يتنزّل بعد الكمال.

غير ان القضايا التي وردت في القرآن الكريم في قصّة آدم والشيطان وهبوط آدم، ليس المراد ظاهرها، بل ان هذه الحقائق من الرموز القرآنية، ولا بد من السعي الى فهم معنى: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾، وفهم معنى الهبوط.^١

[معنى آخر للهبوط والشجرة المنهي عنها والعصيان]

كلّ واحدة من مراتب الوجود فوق مرتبة اخرى. ومعنى الهبوط هو تنزّل شعاع المراتب. ولهذا فقد حمل المرحوم الآخوند الملاً صدرا الشيرازي قضية هبوط آدم: ﴿فَلَمَّا أَضَلُّوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾^٢ على هذا المعنى. ولكن الأفضل والأقرب في الآيات الرمزية القرآنية مثل: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ﴾^٣ وكيفية الأكل من الشجرة والإغواء الشيطاني وما الى ذلك، هو انها منزلة على ما يقوله أهل الطريقة، وهو

١. طه (٢٠): ١٢١.

٢. تقارير فلسفة الإمام الخميني، ج ٣، ص ١١٣.

٣. البقرة (٢): ٣٨.

٤. طه (٢٠): ١٢١.

ان الأنبياء بعدما بلغوا مقام الفناء واجتازوا الكثرة من الكثرات الأسمائية ورأوا الأسماء فانية في المبدأ وذهبوا الى القول بفناء كل الكثرات - كما هو الحال بالنسبة الى النبي ابراهيم عليه السلام- كان ينبغي أن يعود بمقتضى الحكمة، الى الهداية.

وكان خطأ آدم انه توجه الى كثرة الأسماء، ومن كثرة الأسماء توجه الى لوازم الأسماء، وقطع نظره عن المحبوب. وهذا التوجه الى الغير مكروه عند السلاطين. وخاصة انه على خلاف قانون الحبّ والمحبة. ولهذا فإنّ الشجرة التي كانت شجرة الكثرات وأصل تلك الشجرة هو عالم والهولى الأول، الذي حصلت فيه التعينات على الاستقلالية وظهرت أنواع الشرك، وانكشفت المخفيات، وأدت به الى الغفلة عما يجب أن يضعه نصب عينيه، ولعلّ هذا هو المراد من الشجرة المنهية التي وقع النهي عنها، ولكن الشيطان أغوى آدم وقاده الى شجرة الكثرة هذه والى الدنيا، وحرف وصرف نظره عن ربّه.

[كل ما يدعو الإنسان إلى غير الله، شيطان]

إذاً يمكن القول ان كلّ ما يدعو الإنسان الى غير الله شيطان؛ فإن قائل أحد: قُم الى الصلاة لتكون الصلاة رداءً لك عن جهنم، فهو شيطان. وان قال: صلّ لتدخل الجنّة وتأكل الكمثرى فهو شيطان. في حين ان الهداية الرحمانية هي ان يقول له: صلّ لكي تصل الى قرب الله.

وعلى العموم: إن آدم تنبّه بعد الفناء الى الكثرات، ثم عاد الى هذه الكثرات. وكان هذا هو الشيء المؤلم الذي أبكى آدم. وإلا فإنّ مجرد فقد الكمثرى ليس له هذا القدر من الأهمية. ان آدم عندما نقل نظره من المحبوب الى كثرة الأسماء -ومن الطبيعي ان النظر الى كثرة الأسماء يكون مدعاة الى النظر الى كثرات اللوازم أيضاً- ورأى المبوب ان هذا مخالف لقانون المحبة، صلّح بندا قرآني

بليغ معلناً فضح آدم ووصلت هذه الذبذبات الطويلة الى أسمع كل ذرات الوجود ومن فيه. وعوقب بالهبوط بسبب النظر الى عالم الطبيعة، لكي يشبع من هذه الكثرات ومن قعر عالم الوجود ويخرج من هذا العذاب، وليعلم بأن هذه الكثرات لا تستحق الاهتمام وأنها ليست سوى جهنم. طبعاً عالم الدنيا جهنم، ولا بد من اجتيازها، والطريق الوحيد الكفيل باجتياز الدنيا هو الصراط المستقيم حيث يجب المرور من وسط هذا العالم ومن هذا الخط، دون ان تؤذي الكثرات الى اغواء آدم وخداعه^١.

[المراد من عصيان آدم التوجه إلى كثرات الطبيعة]

إذا نظرنا الى مجمل الحكاية في قصة آدم، فما الذي سيفهمه من: ﴿عَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾^٢ وما هي الخطيئة التي صدرت من آدم؟ لقد كانت خطيئة آدم التوجه الى كثرات الطبيعة، والتوجه الى ناحية الكثرة لنجاة ذريته. ورغم ان هذا التوجه كان بأمر الله، ولكن كانت فيه مصلحة تستلزم التوجه الى كثرات عالم الطبيعة وكان ذلك يستلزم التوجه من ذلك المقام الشامخ الى مأوى نازل؛ فكان عليه ان يتوجه الى الله من جهة، والى ذريته من جهة اخرى.

[مبدأ شروع الخطيئة كان من تعلم الأسماء]

ويمكن القول ان خطيئة آدم قد بدأت منذ تعلم الأسماء؛ وذلك لأن تعلم

١. تقريرات فلسفة الإمام الخميني، ج ٣، ص ١١٩ - ١٢٠.

٢. طه (٢٠): ١٢١.

الأسماء نوع من الخطيئة أيضاً؛ لأنه حصل فيه انقطاع عن تلك الجذبة التي هي الفناء في الذات والهوية وأصل الحقيقة، حيث ليس في ذلك المقام الشامخ غير وأغيار. ومع ان الجهة الوجودية الأسمائية هي تلك الوجهة التي يلي الربّي، إلا ان تعين الأسماء والصفات حيث يتميّز العلم عن الارادة والارادة عن الحياة والحياة عن القدرة، فهذه الوجهة غيرية، وهذه الغيرية وتعيّن الكثرة في مقام الأسماء والتوجّه الى التعيّنات الأسمائية، يستلزم التوجّه الى لوازم جهة غيرية الأسماء والصفات، وتلك أمّ الماهيات التي يُعبّر عنها في لسان العرفاء بالأعيان الثابتة. وهذه الأعيان الثابتة تستلزم أيضاً التوجه الى الكثرات التي تقع تحت نطاق هذه الماهيات، أي الوجودات ذات الماهية وموجودات عالم الطبيعة. ان مقام تعلم الأسماء والصفات التي هي الجهة الوجودية لتلك الأسماء، هو معيار الوحدة؛ لأنه من الجهة الوجودية لا يتعيّن اسم عن اسم، وهذه هي تلك الشجرة الطيبة. والتعيّن وتحديد اسم عن اسم، الذي يلاحظ من ناحية اللاحظ هو تلك الشجرة الخبيثة التي تنتج منها كلّ الخطيئات، وهي ام الخبائث؛ اذ ان تحت هذه التعيّنات الأسمائية والصفاتية أعيان ثابتة. وهذا التعيّن الإسمي أم الماهيات والماهيات من لوازم هذه الكثرة مثلما ان كثرات عالم الطبيعة من لوازم الماهيات أيضاً.

١ . هذا التحليل العرفاني من تفسير الآية بتعلم الاسماء غير عقيدة المسيحية بخطية آدم من أكل شجرة المعرفة؛ لأن تعلم الاسماء من هذا المنظر تأويل حصل فيه انقطاع عن الوحدة بالكثرة وتلك الجذبة التي هي الفناء في الذات والهوية وأصل الحقيقة، حيث ليس في ذلك المقام الشامخ غير وأغيار. ومع ان الجهة الوجودية الأسمائية هي تلك الوجهة التي يلي الربّي، إلا ان تعين الأسماء والصفات حيث يتميّز العلم عن الارادة والارادة عن الحياة والحياة عن القدرة، فهذه الوجهة غيرية، نوع خطية.

[التوجّه إلى الكثرة، ارضية يستغلها الشيطان]

إذا فهذه الخطيئة والتوجّه الى الكثرة والغيرية هي التي جعلت آدم مؤفلاً لكي يجلب اهتمام الشيطان - الذي هو خيال الكلّ - نحوه، ويصرفه الى عالم الطبيعة. وهذا وإن كان بإذن من الله، ولكن هذا لا يتنافى حتى وان كانت وسوسة شيطانية.

وعالم الطبيعة هو تلك الشجرة المنهية، الذي هو عالم استقلال الماهيات وضعف نور الوجود وتغلب جهة الظلمة والعدميات وجهات الكثرة والشروع. وهذه الكثرات أولاً وبالذات تعود للماهيات، وثانياً وبالعرض تعود للوجود. وهذه الكثرات التي تسترعي الاهتمام وتوفّر موجبات الانقطاع عن المقام القدسي، وهذا المقام غير جدير بآدم. ولكن لأجل تربية الامة والذرية كان مضطراً للتوجّه الى هذا المقام، وان كان في ذلك شرك والتوجه الخالص في ذلك المقام الأول والجذبة الأولى؛ وكأنه يراها بوجهة إلهية، ولكن من لحاظ آخر وجه غير ذي الوجه.

وعلى أية حال، فان عالم الطبيعة هو تلك الشجرة؛ اذ كما جاء في بعض الأخبار ان تلك الشجرة المنهية هي تلك الشجرة التي كان فيها كل شيء من تفاح وكمثرى وشعير وحنطة وعسل وزيت ولوز، وخلاصة الكلام ان فيها كل ما في الطبيعة وتحت قبة الفلك.^١

ومثل هذه الشجرة ليست طبعاً سوى عالم الطبيعة. وكانت خطيئة آدم هو التوجّه الى كل جوانب الكثرة هذه، وهي قد بدأت منذ تلك الخطيئة الأولى مقام تعلم الأسماء.

[المراد من التعليم وكيفيته]

روي ان الإمام الصادق عليه السلام لما سُئِلَ: ماذا عَلَّمَ اللهُ آدمَ من الأسماء؟ قال: الارضين والجبال والشعاب والأودية، ثم نظر الى بساط تحته فقال: وهذا البساط مما علّمه. 'ومن الطبيعي ان التعليم الإلهي ليس من نوع التعليم الذي يتلقاه الناس في المكتب والمدرسة، وإنما تعلّم آدم هناك الأسماء الإلهية، وليس المقصود انه كُتِبَ له اسم: الله والرحمن، والرحيم، والعليم، بل المراد انه رأى جلوات رحمة الله وعلمه، وبعد تعينها شرع التوجه الى الكثرات الى ان شاهد لوازم كل كثرات وهي كثرات اخرى، وموجود عالم الطبيعة، آخر مراتب الكثرة، وحتى ان بساط الإمام كان هناك.

إذا التعليم الإلهي ليس من نوع التعليم الذي يظنه البعض ممن قالوا ان آدم علّمَ حتى خواص النباتات والأودية، ولا ندرى إن كان آدم يريد ان يصبح بائع أدوية لكي يكتب للمرضى وصفة دواء بحيث كان بحاجة الى تعلّم الادوية وخواصها؟ مخافة ان يتب بدل المسهل شيئاً آخر، ويكتب ليبوسة المزاج زيت اللوز؟

طبعاً خطيئة آدم بدأت من تعلّم الأسماء. وبما ان الجهة التي تلي الرب وجانب نور الوجود والوحدة كانت هي الغالبة، لذلك لم يظهر ذاته، ولم يكن بعداً من الساحة القدسية، غير ان التوجه الى دار الطبيعة واقصى مرتبة نور الوجود - التي تشبه في واقع الحال العدميات وهي في غاية مرتبة الضعف ومنتهى درجة البعد - فهذا خطأ واضح. ولهذا فأنها هي الشجرة التي فيها كل شيء، ووقعت الهجرة لآدم من جراء التوجه الى هذه الشجرة أو الى نبتة الحنطة.

[جبران الخطيئة لأبناء آدم]

وعلى أثر هذه الخطيئة فُرض الوضوء على أولاد آدم وذريته، أي ان على آدم اذ مَدَّ يده الى هذه الشجرة ان يغسلها، ولأن رجله سارت نحوها عليه ان يمسحها، وبما انه وضع يده على رأسه فعليه أن يمسح رأسه. وهذا هو السرّ الذي جعل من اجله الوضوء على هذا النحو كما جاء في كتاب علل الشرائع نقلاً عن الإمام الصادق عليه السلام.^١ ولأجل هذه الخطيئة التي ارتكبها آدم بقي يبكي متي سنة في جبل سَرانديب.^٢

ونحن بنو آدم الذين نعيش في دار الطبيعة ومنهمكون في هذه الدنيا، علينا على الاقل ان نضع هذه الخطيئة في قلوبنا.^٣

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ ١٢٤
 ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾ ١٢٥ ﴿قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا كَذَلِكَ الْيَوْمِ تَنْسَى﴾ ١٢٦

[اذا كان تحصيل العلوم لايراد به وجه الله، فسيكون نيلها حجاباً أيضاً]

إن العلوم العقلية، والحقائق الاعتقادية إذا تمّ تحصيلها لأجل نفس هذه العلوم والحقائق ولأجل جميع المفاهيم والمصطلحات وزخرفة العبارات وتزيين تركيب الكلمات بعضها مع بعض ومن ثم نقلها إلى العقول الضعيفة، للحصول

١. علل الشرائع، ج ١، ص ٢٨٠.

٢. راجع: بحار الأنوار، ج ١١، ص ٢١١ - ٢١٢ تفسير الدر المنثور، ج ١، ص ٦٠.

٣. تقريرات فلسفة الإمام الخميني، ج ٣، ص ٥٤٤ - ٥٤٧.

على المقامات الدنيوية، لاتكون مثل هذه العلوم من «الآيات المحكمة» وإنما هي حجب غليظة وأوهام واهية، لأن الإنسان إذا لم يتبغ من وراء طلب العلم، الوصول إلى الحق، والتحقق بأسماء الله وصفاته، والتخلق بأخلاق الله، سيتحول كل واحد من إدراكاته إلى دركات، وحجب مظلمة، تسود قلبه وتعمي بصيرته، ويصبح من مصاديق الآية المباركة التي تقول: ﴿وَمَنْ أَغْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾.

[المراد من البصيرة والعمى في عالم الآخرة]

فإن المقياس في البصر في عالم الآخرة، هو بصيرة القلب، وأن الجسم والقوى يكونان - في الآخرة - تابعين للقلب واللّب، وأن ظلية ذلك العالم، لهذا العالم تبدو بنحو أتم، وأن ظلّ الأعمى والأصم والأبكم تجاه آيات الله تعالى، هو العمى والصمم والبكم في يوم القيامة.^١

لا يظنّ علماء المفاهيم والمصطلحات والعبارات، وحافظو الكتب في الصدور، بأنهم من أهل العلم بالله والملائكة واليوم الآخر، فلو كانت علومهم علامة وآية - على معرفة الله - فلماذا لم تتنور قلوبهم من الآثار النورانية؟ نعم قد أضيفت على ظلمات قلوبهم ومفاسد أخلاقهم وأعمالهم الظلمات والفساد...

١. كما جاء في الحديث النبوي المشهور، ... انما العلم ثلاثة: آية محكمة؛ او فريضة عادلة؛ او سنة قائمة، وخلاهن فضل. اصول الكافي؛ ج ١، ص ٣٢، كتاب فضل العلم، باب صفة العلم وفضله، ح ١.

٢. ان التعبير عن البدن وقواه بظل القلب وفقاً لهذا المعنى، انما يعود الى ان جميع شؤون اللذة والالم التي يلقاها في الجنة او النار، انما يستشعرها ويعيشها القلب والروح. وأما نصيب البدن منها فلا يتجاوز ما يناله صاحب الظل من ظله. وفي عالم الآخرة ينال البدن هذا المقدار من القلب. فتأمل.

إن العلم الصحيح لنورانيته وضياؤه في القلب، يوجب الإطمئنان، ويدحض الريب والشك، ومن الممكن أن الإنسان طيلة حياته يخوض في البراهين ومقدماتها، ويستدل لكل واحد من المعارف الإلهية براهين عديدة وأدلة كثيرة، ويتفوق على أقرانه في مقام البحث والمنافسة، ولكن تلك العلوم لم تؤثر في قلبه شيئاً، ولم تبعث لديه الإطمئنان، بل تزيده شكاً وتحيراً والتباساً، فجمع المفاهيم والإكثار من المصطلحات، لاتجدي نفعاً، وإنما تشغل القلب بغير الحق سبحانه، وتثنيه عن الذات المقدسة، فيغفله^١.

[مصدر السعادات كلها ذكر الله]

على السالك اذن أن يعزّز - أولاً - الاعتقاد بحقيقة «لا مؤثر في الوجود إلا الله» وذلك بالبرهان الفلسفي، وأن لا يشيح بوجهه عن المعارف الإلهية وهي غاية بعثة الأنبياء وأن لا يُعرض عن ذكر الحق وشؤونه الذاتية الصفاتية، فذلك ينبوع السعادات كافة: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾.

فإذا بلغ الى حقيقة هذه اللطيفة الإلهية - بالتفكير والبرهان - وهي منبع المعارف الإلهية وباب أبواب الحقائق الغيبية، فعليه أن يؤنس قلبه بها - وذلك بالمواظبة على التذكير والرياضات - حتى يؤمن بها القلب، وهي المرتبة الاولى من صدق المقالة^٢.



١. شرح الأربعون حديثاً، ص ٣٩٢ - ٣٩٤.

٢. آداب الصلاة، ١٣١.

[العمى المعنوي في الدنيا مقدمة لعمى الآخرة]

أزل هذا العمى عن عينك، وإلا فتكون ممن يقول: ﴿... رَبُّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾ وتحشر يوم كشف السرائر، أعمى.^١

[العلاقة بين نسيان الآيات والعمى، عدم العمل]

وَمَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ حَشَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَبُولُ: ﴿يَا رَبُّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾، قال: ﴿كَذَلِكَ أَنْتَ آيَاتُنَا فَنَسِيهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى﴾ قَبُولُ: ﴿يَوْمَ نُرِيهِ إِلَى النَّارِ﴾^٢

[العلاقة المتبادلة بين الله وعباده في الذكر والنسيان]

إن ذكر العبد لله، يبعث على ذكر الله لعبده، كما نطق بهذا المضمون أحاديث أخرى أيضاً. ويقابل هذا الذكر النسيان، الذي قال سبحانه وتعالى عن الناسي في القرآن ﴿كَذَلِكَ أَنْتَ آيَاتُنَا فَنَسِيهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى﴾. فكما أن نسيان الآيات والعمى الباطني عن رؤية مظاهر جمال الحق وجلاله يسبب عمى في العالم الآخر، يكون التذكر للآيات والأسماء والصفات وتذكر الحق سبحانه وجماله وجلاله باعثاً على جدّة في البصيرة، وإزاحة للحجب، بقدر

١. شرح الأربعون حديثاً، ص ٥٣.

٢. الصدوق، ثواب الاعمال وعقاب الاعمال، ص ٣٣٧، ٣٣٢؛ الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ٤،

ص ٨٣٧، كتاب الصلاة.

٣. شرح الأربعون حديثاً، ص ٥٠٢.

٤. في وسائل الشيعة، ج ٤، ص ١١٨٥، كتاب الصلاة، الباب ٧. وردت أربعة أحاديث بهذا المضمون.

قوة التذكر ونورانيته.

هذا وأن تذكر آيات الحق سبحانه، وصيرورته - هذا التذكر - ملكة راسخة - في الإنسان يجعل لبصيرته قوة، يرى من خلال الآيات، جمال الحق. وأن تذكر الأسماء والصفات يبعث على مشاهدة الحق في تجليات أسمائه وصفاته. وأن تذكر الذات عز شأنه من دون حجاب الآيات والأسماء والصفات، يوجب رفع الحجب بأسرها ومشاهدة الحبيب من دون غشاء وحجاب^١.

[العمى الباطني عدم وجود عين البصيرة بالنسبة لآيات

[الله

ليس من المحتم أن تكون صورة الإنسان في ذلك العالم على نفس تلك الصورة التي كان عليها في هذه الدنيا. يقول سبحانه وتعالى على لسان البعض: ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾، فيأتيه الجواب - من الله -: ﴿قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيْتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾.

فيأبها المسكين؛ قد كانت لديك عين ملكية ظاهرة البصر، ولكنك في باطنك وملكوتك كنت أعمى، وقد أدركت الآن هذا الأمر، وإلا فإنك كنت أعمى منذ البداية، لم تكن لديك عين البصيرة الباطنية التي ترى بها آيات الله^٢. أيها المسكين! أنت ذو قامة متناسقة وصورة جميلة في التركيب الملكي.

١. شرح الأربعون حديثاً، ص ٢٨٩-٢٩٠.

٢. ان الفصل بين ادراك الباطن وادراك الظاهر، من القضايا التي تحصل ازاء كل الحواس في آيات القرآن. وأحد الجوانب التي يركز عليها المفسرون من ذوي الاتجاه العرفاني في التفسير هو توجيه الانظار ونقل المعنى - قبل انسياق الذهن الى الظاهر - الى الجانب الباطني. وهذا هو الشيء الذي فعله هو أيضاً في هذه الآيات في ضوء ما تفيد به الشواهد وقرائن الكلام، وافصح عنه بعبارات مختلفة.

ومعيار الملكوت والباطن غير هذا. عليك أن تحرز الاستقامة الباطنية كي تكون مستقيم القامة في يوم القيامة.



بسم الله الرحمن الرحيم

[أدلة جواز الرجوع إلى المفضول]

أما ما يمكن أن يتمسك به لجواز الرجوع إلى المفضول مع وجود الأفضل - بل وتخالف رأيهما - فأمر:

الأول: بعض الآيات الشريفة

منها: قوله تعالى في الأنبياء: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَاسْتَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

بدعوى: أن إطلاقه يقتضي جواز الرجوع إلى المفضول حتى مع مخالفة قوله للأفضل، ولاسيما مع ندرة التساوي بين العلماء وتوافقهم في الآراء.

[مناقشة الدلالة]

وفيه: - مضافاً إلى ظهور الآية في أن أهل الذكر هم علماء اليهود والنصارى،

إرجاع المشركين إليهم، وإلى ورود روايات كثيرة في أن أهله هم الأئمة، بحيث يظهر منها أنهم أهله لا غير - أن الشبهة كانت في أصول العقائد التي يجب فيها تحصيل العلم.

فيكون المراد: «سألوا أهل الذكر حتى يحصل لكم العلم إن كنتم لا تعلمون» ومعلوم أن السؤال من واحد منهم لا يوجب العلم، ففي الآية إهمال من هذه الجهة، فيكون المراد: «أن طريق تحصيل العلم لكم هو بالرجوع إلى أهل الذكر» كما يقال للمريض: «إن طريق استرجاع الصحة هو بالرجوع إلى الطبيب وشرب الدواء» فليس لها إطلاق يقتضي الرجوع إلى الفاضل أو المفضول مع تعارض قولهما. ولا يبعد أن يقال: إن الآية بصدد إرجاعهم إلى أمر ارتكازي؛ هو الرجوع إلى العالم، ولا تكون بصدد تحميل تعبدى وإيجاب مولوي^٢.

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ٢٢

[مكانة واهمية آية "لو كان" في مقام الاستدلال على

[التوحيد]

إن القرآن الشريف بالإضافة إلى أنه جامع لمختلف المعارف، ولحقائق

١. راجع: تفسير البرهان، ج ٢، ص ٣٦٩ - ٣٧٢ وج ٣، ص ٥٢.

٢. المقصود هو ان الآية ليست بصدد بيان حكم تأسيسي، وانما غايتها اقرار وإمضاء ذلك النهج والاسلوب العقلاني الذي يدعو الى الرجوع الى اهل الخبرة في ما يجهله الشخص. ولهذا فلا فائدة من الاستفسار والتقصي فيما لو لم يفض الى حصول العلم؛ ولهذا فلا بد من التقيب والتقصي والسؤال حتى حصول العلم.

٣. الاجتهاد و التقليد، ص ٨٩ - ٩٠.

الأسماء والصفات حيث لم يعرف اي من الكتب السماوية وغيرها ذات الله وتعالى وصفاته كما عرفها القرآن فهو أيضاً جامع للأخلاق والدعوة إلى المبدأ والمعاد والزهد وترك الدنيا، ورفض الطبيعة والتقلل من عالمها والسير إلى منزل الحقيقة على نحو لا يتصور مثله في غيره من الكتب.

ومع ذلك لم يشتمل كسائر الكتب المصنفة على الأبواب والفصول والمقدمة والخاتمة. وهذه من القدرة الفاعلة لمنشئه حيث لم يحتج لهذه الوسائل والوسائط في إلقاء غرضه، ولها نرى أنه أحياناً في نصف سطر بصورة غير مشابهة للبرهان يبين برهاناً بينه الحكماء بمقدمات كثيرة مثل قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ وقوله تعالى: ﴿لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ حيث إنهما برهان دقيق على التوحيد، وكل من هاتين الآيتين محتاجة إلى صفحات من الشرح.^٢

[تنوع الاستنباط وفهم المعاني من الآية]

الآية الكريمة: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ مثلاً، يفهم اهل العرف واللغة منها جانباً يختلف عما يستفيدة منها علماء الكلام وعما يستفيدة الفلاسفة والحكماء او العرفاء والاولياء، فكل يفهم منها أمراً معيناً.

اهل العرف يفهمون منها - بحسب ذوقهم - بياناً خطاياً، فيقولون مثلاً: إن المملكة الواحدة لا تتسع لسلاطين أو إن وجود رئيسين في طائفة واحدة يؤدي

١. سورة الأنبياء (٢١): ٢٢.

٢. سورة المؤمنون (٢٣): ٩١.

٣. شرح حديث جنود العقل والجهل، ص ٦٢ - ٦٣.

الى الفساد، كما أن وجود عمدتين في قرية واحدة يؤدي الى الاختلاف والفوضى والتزاع.

وعليه لو كان في العالم إلهان لأدى ذلك الى التنازع والاختلاف والتخاصم، ولما كان هذا الاختلاف غير موجود فعلاً في العالم، وإن نظام السماوات والارض محفوظ، فلا بد أن يكون مدبرُ العالم واحداً لا شريك له.

أما الكلاميون فيستفيدون من هذه الآية الكريمة برهان «التمانع»، فيما يقيم الفلاسفة والحكماء برهاناً حكماً متيناً استناداً الى هذه الآية الشريفة، فيقولون: إن «الواحد لا يصدرُ منه إلا الواحد، والواحد لا يصدر إلا من الواحد». في حين يستفيد اهل المعرفة من الآية الشريفة «الوحدانية» وذلك بناءً على أن العالم هو مرآة ظهور الحق ومجلى تجليته!

[البرهان على تفنيد مذهب الثنوية]

في القرآن آيات كثيرة في الرد على المشركين من المؤمنين بوجود إلهين أو أكثر، ومن ذلك حيث ينص القرآن الكريم على ما يلي:

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾^٢

... كما أن سورة التوحيد والآيات الأخيرة لسورة الحشر وسواها من الآيات الأخرى... قد جاءت بنفس المضمون، وفي تقديس رب العالمين والرد على

١. في ما يخص البحوث التي وضعت في قبول أو رفض هذه القاعدة، راجع: الاشارات والتهنئات،

شرح الخواجة نصير الدين، ج ٣، ص ١٢٢؛ الاسفار الاربعة، ج ٢، ص ٢٠٤، الفصل ١٣. وقد

تناول المؤلف توضيح هذه القاعدة في هذا التفسير وفي كتب اخرى، مثل تقريرات فلسفة الامام

الخميني، ج ٢، ص ٣٧٠.

٢. آداب الصلاة، ص ٣١٠ - ٣١١.

٣. الأنبياء (٢١): ٢٢.

الثنوية والمزدكية، ويمكن الرجوع الى آراء هؤلاء، وكذلك إلى الآيات الأخرى في دحض المشركين.^١

[معنى الآية الشريفة: لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا]

بهذا البيان: لو كان هناك واجبا الوجود، لاستلزم ذلك فساداً، ولما كان بالإمكان أن يُخلق أي موجود؛ وذلك لأنه من المحال توارد علل إلهية مستقلة على معلول واحد. وهذا هو معنى الآية الشريفة ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾^٢، وليس معناها انه لو كان هناك إلهان لوقع بينهما اختلاف ولنشب بينهما نزاع وشجار، كأن يقول أحدهما: من الأفضل ان أخلق الليل، ويقول الآخر: بل من الأفضل أن يبقى العالم دائماً في نهار. ويقول أحدهما: من الأفضل أن أمطرَ السماء، فيما يقول الآخر: من الأفضل أن لا أمطر. يكون مثلهما كمثل رئيسين يكونان على قبيلة واحدة، وكسلطانين على بلاد واحدة. والرئيسان إذا كانا على قبيلة واحدة ربّما يكونان جاهلين أو يسيران على الأهواء والنزوات، وقد يتبع أحدهما أساليب الشهوة والهوى للحفاظ على رئاسته ويحاول ان يقوم بعمل لا مصلحة فيه، ويسعى الآخر إلى منعه من فعل ذلك. أو ربّما يشخص أحدهما جهلاً أن الصلاح يكون في شيء، بينما يرى الآخر ان هذا الشيء لا

١. المقصود هو ان هناك آيات جاءت في القرآن الكريم ليعرف الناس من خلالها ربّهم ولازالة الإبهام ولتنزيهه وتقديسه، وكذلك جاءت آيات اخرى في نقد عقائد المشركين والثنوية وهي آيات ذات ادلة وبراهين، ومن هذه الآية: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ﴾. والذي نستفده من هذه الآيات هو ان هذه المعتقدات كان لها وجود يومئذ في شبه الجزيرة العربية. وهذه البراهين ترمي الى دحض معتقدات تلك الجماعات.

٢. كشف الاسرار، ص ١٩.

٣. الأنبياء (٢١): ٢٢.

صلاح فيه. وكذلك السلطانان إذا حكما بلداً واحداً قد ينشب بينهما جدال وصراع بسبب الجهل أو لدواعي الأهواء والظلم والشهوات. ولكن لو كان هناك إلهان وكانا كلاهما عاقلان وعالمان بجميع المصالح والمفاسد وعادلان، وليس لديهما أهواء وشهوات ونزوات، فلا بد لو أن أحدهما رأى الصلاح في شيء، فلا بد أن يرى الآخر الصلاح في الشيء ذاته، ويكونان على توافق. ومن ناحية أخرى بما أن المفترض أن يكونا كلاهما واجبي الوجود، فلا بد أن يكونا منزهين من الأهواء والنزوات، وإنما يكونان عادلين ومتوافقين ومنسجمين.

إذاً معنى الآية الشريفة هو ليس ذلك الشيء الذي تطرحونه للعوام وتقولون: إن القرآن فيض عام مبسوط للجميع، بل معناها هو قلناه. ولا يمكن طبعاً أن يُطرح في المجالس العامة هذا المعنى الذي يدعمه باطن الآية، وإنما ينبغي أن يكون الكلام هناك حول المعنى الظاهري الذي يتبادر إلى أذهان العوام. وحصيلة الكلام هي أن الآية تقول: لو كان في السماء والأرض إلهان لفسدتا؛ أي لما كانت هناك أرض ولا سماء أصلاً بسبب امتناع تواردهما على مستقلة على معلول واحد.

ولا بد طبعاً من التنبيه إلى أن قضية الفاعلية الإلهية شيء آخر غير العوامل الطبيعية التي تشترك في القدر الجامع في حالة تواردهما شئين أو ثلاثة أشياء بالكلام الذي سبق ذكره.

وما قلناه باطن الآية، يدل عليه ﴿إِذَا لُدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾^١. وبالإضافة إلى ذلك فإن معلول الفاعل الإلهي صرف التعلق والربط بالمبدأ، كما قلنا في باب الامكان في الوجود، أنه من المحال أن يتعلق الشيء بشيء آخر

في ذات الوقت الذي يكون فيه متعلقاً ومرتبباً بمبدأ^١.

[اسلوب استناد الحكيم الى الآية]

لو اعطيت الآية الشريفة: ﴿لَوْ كَانَ فِيهَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾^٢ بيد حكيم لفهم منها انه من المحال أن يكون لعلتين مستقلتين تأثير في معلول واحد؛ لأن المعلول ارتباط محض بعلة الفاعلية وقائم بها، وكل مكونات وجوده منها. ومثل هذا الشيء الذي هو حقيقة المعلولة - كما بيناه - لا يمكن ان يكون مرتبباً بشيء آخر بمثل هذا الارتباط. وبالإضافة الى ذلك قلنا ان المادة حينما تكون مستعدة، تكون في أول الاستعداد مستعدة لنفس ضعيفة. ومن الطبيعي ان النفوس ذات مراتب أيضاً. فالنفس المستنسخة لا بد انها سابقاً حينما كانت في بدن آخر قد اكتسبت فعلية وأصبحت لديها بعض الصفات ملكة. اذاً فتلك النفوس الخارجة ليست أول مرحلة للنفس. والمادة المستعدة الأولى لديها استعداد لمرتبة ضعيفة من النفس الخالية كلياً من أية ملكة. وعندما يكتمل استعداد المادة للصورة الانسانية فهي تحتاج الى صورة ونفس تناسب حالها^٣.

[حتمية الفساد في حالة تعدد الآلهة]

إن الإنشاء المعلق جزمي على فرض التعليق، كالأخبار المعلق، فإذا قال: ﴿لَوْ كَانَ فِيهَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ لا شبهة في إخباره جزماً بالفساد على فرض تعدد الآلهة، بلا شائبة ترديد واحتمال خلاف، وكذلك إذا قال: «إن جاءك زيد بعتك

١. تقريرات فلسفة الإمام الخميني، ج ٢، ص ٨٢ - ٨٣.

٢. الأنبياء (٢١): ٢٢.

٣. تقريرات فلسفة الإمام الخميني، ج ٣، ص ١٧٥ - ١٧٦.

هذا بهذا» فَإِنَّ الْبَيْعَ عَلَى الْفَرْضِ جَزْمِيٌّ.
﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ ٢٣

[السبب في عدم السؤال عن أفعال الله]

إعلم: يقول المحققون من الفلاسفة أنه لا يوجد غرض وغاية لأفعال الحق المتعالي سوى ذاته، وتجلياته الذاتية، ولا يمكن أن يكون لذاته الأقدس في إيجاد الأشياء هدف آخر وراء ذاته وظهوره وتجليه المقدس. لأن كل فاعل عندما أوجد شيئاً وابتغى من عمله غير ذاته مهما كانت هذه الغاية حتى إذا كانت إيصال الفائدة والمثوبة للغير، أو كانت الغاية العبادة والمعرفة أو الثناء والحمد كان هذا الفاعل مستكملاً بهذه الغاية وكان وجود هذا الهدف بالنسبة إليه أولى من عدمه، وهذا يستلزم النقص والقصور فيه وانتفاع الفاعل به، وهو محال على الذات المقدسة الكامل على الإطلاق، الغني بالذات الواجب من جميع الجهات، فلا يستفسر عن أفعاله ولا يوجه إليه لَمَ و﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾. وأما الموجودات الأخرى فإنها تستبطن في أفعالها أغراضاً ومقاصد أخرى غير ذواتها. فإن عشاق جمال الحق والمقربين إليه والمجدوبين نحوه يكون هدفهم البلوغ إلى باب الله، والوصول إلى لقاء الله، والتقرب نحو ساحة قدسه الإلهي. وإن الكائنات الأخرى فهي حسب كمالها ونقصها وقوتها وضعفها أن تستهدف، ما هو زائد على ذواتها.

١. كتاب البيع، ج ١، ص ٣٥١-٣٥٢.

٢. اللمية أو البرهان اللمي هو الاستدلال على العلة عن طريق المعلول، ولمعرفة السبب في حصول الفعل والخلق. المقصود من اللمية هو الاستدلال بالعلة على المعلول، ومعرفة سبب القيام بالفعل والخلق والحكم.

وخلاصة القول إن ما يكون كاملاً مطلقاً وواجباً بالذات، كان واجباً من جميع الجهات. وعندما لا يصح توجيه الاستفسار نحو ذاته المقدسة كانت أفعاله أيضاً بعيدة عن توجيه السؤال نحوها. على خلاف سائر الموجودات فإنه يصح السؤال عن سبب وجودها كما يصح الاستفهام عن أفعالها.

وأيضاً لما كانت ذاته المقدسة كاملاً مطلقاً وجميلاً مطلقاً، صار كعبة لآمال كافة الموجودات وهدفاً منشوداً لجميع الكائنات، في حين أنه سبحانه لا مقصد من خلقه وأفعاله ولا كعبة لآمال وراء ذاته، لأن الموجودات الأخرى ناقصة بالذات، وإن كل ناقص مهروب عنه بالفطرة كما أن كل كامل مرغوب فيه، فالذات المقدسة غاية جميع الحركات والأفعال، ولا توجد غاية وراء ذاته المقدسة ﴿لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾. وأيضاً لما كانت ذاته المقدسة في المنتهى الأقصى من الجمال والكمال، كان نظام دائرة الوجود الذي هو ظل ذلك الجمال الحق سبحانه، في الغاية القصوى من الكمال الممكن، وعليه يكون هذا النظام الكلي الموجود أتم الأنظمة المتصورة، فيكون الاستفهام عن الغاية والغرض والفائدة، منبعثاً عن الجهل والنقص. كما أن إبليس اللعين وجّه أسئلة سبعة معروفة من جراء جهله، وأجابه الله سبحانه إجمالاً وعلى أساس ﴿وَجَادِلْهُمْ بَالْتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ جواباً واحداً عن أسئلته السبعة، فالله سبحانه لا يسأل لأن فعله

١. للاطلاع على الشبهات السبعة راجع: الملل والنحل، الشهرستاني، ج ١، ص ١٦، تحقيق محمد سيد كيلاتي.

وقد جاءت هذه الشبهات حسب قول الشهرستاني متناثرة في الاناجيل الاربعة وفي التوراة على شكل مناظرة بين الشيطان والملانكة على النحو التالي:
الاولى: لماذا خلقتني الله وما الحكمة من وراء خلقي؟

في منتهى الكمال وتساءل الكائنات الأخرى لنقصها الذاتي والفعلية. وأيضاً إن الحق المتعالي حكيم بصورة مطلقة، فما يصدر منه من الأفعال يكون في منتهى الاتقان فلا يسأل، في حين أن الموجودات الأخرى تسأل لأنها ليست كذلك. وأيضاً إن كل ما يصدر من وجوده المقدس، فهو صادر من حقيقة ذاته وأصل حقيقته، بينما لم تكن الكائنات الأخرى كذلك، فهو فاعل بالذات ولا يصح السؤال عن فاعل بالذات. أما الموجودات الأخرى فهي فاعلة بالعرض ويصح السؤال عن فعلها. وحيث أن الإرادة، والمشئنة، والقدرة عين ذاته

الثانية: إن كان خلقي جاء بمقتضى ارادته ومشئته، إذا فلماذا أمرني بمعرفة واطاعته، وما الحكمة من هذا التكليف إذا كانت لا تنفعه طاعة ولا معصية؟

الثالثة: ومع كل هذا وذاك لماذا أمرني بطاعة آدم والسجود له؟ وما الحكمة من ذلك؟

الرابعة: حين امتنع عن السجود لآدم لماذا لعنتي وأخرجني من الجنة؟ وما الحكمة من هذا العمل؟
الخامسة: إذ خلقتني وكلفني مطلقاً وخصوصاً فلم أطع، فلعنتي وطرديني، فلم طرقتني إلى آدم حتى دخلت الجنة ثانياً وغررته بوسوستي فأكل من الشجرة المنهي عنها وأخرجه من الجنة معي؟ وما الحكمة في ذلك بعد أن لو منعتني من دخول الجنة لاستراح مني آدم وبقي خالداً فيها؟

والسادسة: إذ خلقتني وكلفني عموماً وخصوصاً ولعنتي ثم طرقتني إلى الجنة وكانت الخصومة بيني وبين آدم، فلم سلطني على أولاده حتى أراهم من حيث لا يرونني وتؤثر فيهم وسوستي ولا يؤثر فيّ حولهم وقوتهم وقدرتهم واستطاعتهم؟ وما الحكمة في ذلك بعد أن لو خلقهم على الفطرة دون من يحتالهم عنها فيعيشوا طاهرين سامعين مطيعين كان أحرى بهم وأليق بالحكمة؟

والسابعة: سلمت هذا كله خلقتني وكلفني مطلقاً ومقيداً وإذا لم أطع لعنتي وطرديني، وإذا أردت دخول الجنة مكنتي وطرقتني، وإذا عملت عملي إخرجني ثم سلطني على بني آدم، فلم إذا استمهلت أمهلي فقلت أنظرنني إلى يوم يبعثون قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم؟ وما الحكمة في ذلك بعد أن لو أهلكني في الحال استراح آدم والخلق مني وما بقي شر ما في العالم؟ أليس بقاء العالم على نظام الخير خيراً من امتزاجه بالشر؟ قال: فهذه حجتي على ما ادعيته في كل مسألة.

المقدسة، كانت الفاعلية بالذات عين الفاعلية بالإرادة والقدرة. ولا يرد هنا اعتراض الفاعل بالطبع.^١

﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ ٣٠

[الخبير الكلي هو الماء]

وكذلك لاحظ الماء حيث ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾^٢ وإن كان يفرق فيه شخص أحياناً، أو ينزل المطر الذي هو رحمة ويدمر سقف دار أحد الأشخاص. وعلى العموم: فإن ما في هذا العالم اما ان يكون خبيراً محظاً وأما ان يكون خيره أكثر. وكونه مبدأ للخير، لا يتنافى مع خلقه لما يكون خيره أكثر من ضرره.^٣

[مفهوم الماء في العلم، والعرفان، والفلسفة]

زعم تاليس^٤ الملطي ان أصل العالم من الماء؛ لأن الماء قابل لكل الصور.

١. برای تفصیل این بحث راجع: رحمة من الرحمن فی التفسیر و اشارات القرآن، ج ٣، ص ١٢٧.

٢. شرح الأربعون حديثاً، ص ٦٠١ - ٦٠٢.

٣. الأنبياء (٢١): ٣٠.

٤. هذا الموضوع مطروح على بساط البحث من وجهة نظر فلسفية، وهو بصدد بيان خير أو شر جميع الموجودات ومنها الماء، خاصة وان القرآن يعتبره مصدر نشوء العالم كله، الا انه يشير الى ما فيه من اضرار كلية وجزئية مثل هدم البيوت ودمار المدن بسبب تدفق السيول، وغرق الناس فيه، ولولا وجود الماء لما كانت تقع مثل هذه الاضرار. ولكن رغم ذلك فان هذه الاضرار لا تكاد تمثل شيئاً امام فوائده ولا تُقارن بها. ويستطيع الناس بالبرمجة والوقاية والنظم تغادي جميع السلبات والاضرار التي تقترن بها الموجودات كالماء مثلاً، وان لا ينظروا الى هذه الامور كأضرار لها.

٥. تقريرات فلسفة الإمام الخميني، ج ٢، ص ٩٤.

٦. تاليس الملطي أول مؤسس للحكمة اليونانية قبل افلاطون وارسطو. كان يعيش في القرن السادس قبل الميلاد. يُقال انه كانت له صحبة مع فيثاغورس وتعلم منه الحكمة أيضاً. وكانت له آراء في

وزعم انه إذا انجمد صار أرضاً، وإذا لطف صار هواءً، ومن صفوة الهواء تكوّت النار، ومن الدخان تكوّت السماوات. ويُقال ان تاليس أخذ هذا الرأي من التوراة؛ لأنه جاء في السفر الأول منها ان الله تعالى خلق جوهرًا فنظر إليه نظر الهية فذابت اجزائه فصارت ماءً. ثم ارتفع منه بخار كالدخان، فخلق منه السماوات، فظهر على وجه الماء زيد، فخلق منه الأرض، ثم أرساها بالجبال.^١

ونقل صاحب الملل والنحل عن تاليس الملطي انه قال: ان المبدأ الأول أبدع العنصر الذي فيه صور الموجودات والمعدومات كلها؛ فانبعث من كل صورة موجود في العالم على المثال الذي في العنصر الأول.^٢

وقد أشير الى هذا المذهب في العلم الواجب، ولعل مراده من الماء كما في الآية الشريفة ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾^٣ الوجود المنبسط الذي يُعبر عنه في اصطلاح العرفاء بالنفس الرحمانية. وتأويل النار عالم العقل، والهواء عالم النفس، والارض عالم المثال وعالم الطبيعة.

النجوم والطبيعات، وكان يقول بوجود مبدع لهذا العالم، في غاية الخفاء، ولا سبيل الى معرفة ذاته، ويمكن ادراك صفاته عن طريق آثاره وابداعاته فقط. وفي الطبيعيات ذكر الماء باهتمام أيضاً؛ لن الماء مصدر نشوء جميع المخلوقات. واعتبر الماء المخلوق الأول لأنه يقبل جميع الصور. راجع: تقارير فلسفة الإمام الخميني، ج ٢، ص ٥٣٦.

١. نقد المحصل، ص ١٩٠ - ١٩١؛ شرح المواقف، ج ٧، ص ٢٢١ - ٢٢٢؛ شرح المقاصد، ج ٣،

وزعم البعض ان أصل العالم الأرض، وكوّن الأشياء عنها بالتلطيف.^١
 وزعم آخرون ان أصله الهواء وكوّن النار من لطافته، والماء والأرض من
 كثافته.^٢ وزعم آخرون ان أصله النار وكوّن العناصر الثلاثة الأخرى عنها
 بالكثاف، وان السماء جاءت من الدخان.^٣

[الرحمة الإطلاقيه للوجود في اصل الماء]

يقول الكاتب: أصل الماء الرحمة الإطلاقيه في الوجود قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا
 مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾.^٤ وعن الصادق عليه السلام «فتقدم إلى الماء
 تقدمك إلى رحمة الله» وذلك الأصل هو التجلي الذاتي بلا تعلّف بمرآة وتعيّنه
 في مجالي الآيات. فالسالك إلى الله إذا وجد الطريق إلى تجلي الفيض الإطلاقي
 ومشاهدة الجمال بلا تحديد بمثال، فيطهر بذلك التجلي مقادير وجوده للوصول
 إلى بساط القرب كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قفي وضوء
 المعراج ويأتي الإشارة إليه إن شاء الله.^٥

﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْظُرُونَ﴾ ٦٣

١. نقد المحصل، ص ١٩٠؛ شرح المواقف، ج ٧، ص ٢٢١.

٢. نقد المحصل، ص ١٩٠؛ الملل والنحل، ج ٢، ص ٧٢.

٣. نقد المحصل، ج ١٩٠؛ شرح المواقف، ج ٧، ص ٢٢١.

٤. تقارير فلسفة الإمام الخميني، ج ٢، ص ٥٣٧ - ٥٣٨.

٥. الأنبياء (٢١): ٣٠.

٦. مصباح الشريعة، الباب ١٠، المجلسي، بحار الأنوار، ج ٧٧، ص ٣٣٩، كتاب الطهارة، ابواب

الصلاة، الباب ٦، ح ١٦.

٧. سر الصلاة، ص ٤١.

[حالات من استعمال التورية في القرآن]

روايات التورية والجمع بينها

ويمكن تأييد المدعى أو الاستشهاد له بما وردت في التورية وما يقتضي الجمع بينها:

كما روي عن الاحتجاج أنه سئل الصادق - عليه السلام - عن قول الله عز وجل في قصة إبراهيم - عليه السلام - ﴿قَالَ بَلْ لَعَلَّكُمْ كِبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾؟ قال: «ما فعل كبيرهم، وما كذب إبراهيم - عليه السلام -». قيل: وكيف ذلك؟ فقال: «إنما قال إبراهيم: ﴿فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾، إن نطقوا فكبيرهم فعل، وإن لم ينطقوا فلم يفعل كبيرهم شيئاً، فما نطقوا وما كذب إبراهيم». ثم ذكر تورية يوسف - عليه السلام - وإبراهيم - عليه السلام - في قضية أخرى وكيفية المواراة فيها.^١ ويظهر منها أنهما ما كذبا موضوعاً بل أخبرا تورية. والظاهر من عدة من الروايات أنهما أرادا الإصلاح فلم يكن قولهما كذباً حكماً. كرواية الحسن الصيقل، قال: قلت لأبي عبد الله - عليه السلام -: «إننا قد روينا عن أبي جعفر - عليه السلام - في قول يوسف - عليه السلام -: ﴿أَيُّهَا الْعَبْرِيُّ لَكُمْ لَسَارِقُونَ﴾؟» فقال: «والله ما سرقوا وما كذب». وقال إبراهيم - عليه السلام -: ﴿بَلْ لَعَلَّكُمْ كِبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾؟ فقال: «والله ما فعلوا وما كذب». قال: فقال أبو عبد الله - عليه السلام -: «ما عندكم فيها يا

١. الاحتجاج للطبرسي ١ - ٢، ص ٣٥٤، احتجاج الإمام الصادق - عليه السلام - على الزنادقة. والآية

٦٣ من سورة الأنبياء (٢١).

٢. سورة يوسف (١٢): ٧٠.

صيقل؟» قال: فقلت: ما عندنا فيها إلا التسليم. قال: فقال: «إن الله تعالى أحبّ اثنين، وأبغض اثنين: أحبّ الخضر فيما بين الصّفيين وأحبّ الكذب في وأبغض الخضر في الطرقات وأبغض الكذب في غير الإصلاح، إن إبراهيم - عليه السلام - إنما قال: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ إرادة الإصلاح ودلالة على أنهم لا يفعلون، وقال يوسف - عليه السلام - إرادة الإصلاح»^١.

ورواية عطاء عن أبي عبد الله - عليه السلام -، قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): لا كذب على مصلح». ثم تلا: ﴿أَيُّهَا الْعِبْرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ ثم قال: «والله ما سرقوا وما كذب». ثم تلا: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسَأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ ثم قال: «والله ما فعلوه وما كذب»^٢.

ويمكن الجمع بأن يقال: إن المنفي في رواية الاحتجاج موضوع الكذب كما هو صريحها، وفي الروايتين وما بمعناها حكم الكذب، فيكون المراد أن التورية محكومة بحكم الكذب إذا لم تكن للإصلاح، ومع كونها له ليست بكذب أي حكماً أيضاً كما ليست به موضوعاً. ويؤيده ما دلّت على أن المصلح ليس بكذاب، كما في صحيحة معاوية بن عمّار^٣ وعن كتاب الإخوان بسنده عن الرضا - عليه السلام - قال: «إن الرجل ليصدق على أخيه فيناله عنت من صدقه فيكون كذاباً عند الله، وإن الرجل ليكذب على أخيه، يريد به نفعه، فيكون عند الله صادقاً»^٤. وعن أبي عبد الله - عليه السلام -، قال: «الكلام ثلاثة: صدق، وكذب،

١. الخضر: التبخر في المشي (منه - قدس سره -).

٢. الكافي ٢، ص ٣٤١، كتاب الإيمان والكفر، باب الكذب، ح ١٧؛ وعنه وسائل الشيعة، ج ٨ ص ٥٧٩، كتاب الحج، الباب ١٤١ من أبواب أحكام العشرة، ح ٤.

٣. وسائل الشيعة، ج ٨ ص ٥٧٩، الباب ١٤١ من أبواب أحكام العشرة، ح ٧.

٤. نفس المصدر والباب، ح ٣.

٥. نفس المصدر والباب، ح ١٠.

وإصلاح بين الناس»^١.

وبالجمله مقتضى الجمع بين رواية الاحتجاج وغيرها أن التورية لا تجوز إلا مع إرادة الإصلاح، وفي مورده مع إمكانها تجب أو ترجح، فيستفاد من مجموع الروايات عدم جواز التورية إلا في مورد الاستثناء، وليس ذلك إلا لأجل إلحاق الصدق المفيد فائدة الكذب والموجب لإفادة خلاف الواقع بالكذب، فيتعدى إلى الإنشاء المفيد فائدته، بل الأفعال إذا أفادت فائدته.

ويمكن تأييد ذلك برواية أبي بصير التي قد يقال: إنها موثقة، قال: قيل لأبي جعفر - عليه السلام - وأنا عنده: إن سالم بن أبي حفصة وأصحابه يروون عنك أنك تكلم على سبعين وجهاً لك منها المخرج؟ فقال: «ما يريد سالم مني، أريد أن أجيء بالملائكة؟ والله ما جاءت بهذا النبيون - عليهم السلام - ولقد قال إبراهيم - عليه السلام -: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾^٢ وما كان سقيماً وما كذب. ولقد قال إبراهيم - عليه السلام -: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾^٣ وما فعله وما كذب، ولقد قال يوسف - عليه السلام -: ﴿أَيُّهَا الْعِيزُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾^٤ والله ما كانوا سارقين وما كذب». فإن الظاهر أن سالمأ أراد الإيراد على أبي جعفر - عليه السلام - بأنه يورِي في الكلام ويأتيه على وجوه ليتمكن له المفرد عند الإيراد عليه، فأجاب عنه بأنه لا بأس به في مورد تقتضي المصلحة كما فعل إبراهيم ويوسف - عليهما السلام - لكن الأظهر أن الرواية بصدد دفع الإشكال عن أصل التورية، فيظهر منها أن قول إبراهيم - عليه السلام - ويوسف - عليه السلام - من قبيل التورية. فيكون مفادها نحو رواية الاحتجاج.

١. نفس المصدر والباب، ح ٦.

٢. سورة الصافات (٣٧): ٨٩.

٣. سورة يوسف (١٢): ٧٠.

٤. الكافي ٨، ص ١٠٠، كتاب الروضة، ح ٧٠.

فتحصّل ممّا مرّ أن مقتضى رواية الاحتجاج وأبي بصير كون كلام إبراهيم ويوسف - عليهما السلام - تورية. ومقتضى الروايات المتقدمة أنهما أرادا الإصلاح فما كذبا. ومقتضى المجموع أن التورية كذب في وعاء التشريع، ولها مصداقان: محبوب ومبغوض، وإنما سماها كذباً، لادعاء كونها ذلك.^١

﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ ٦٩

[التأثير التكويني لخضوع ذرات العالم]

إننا نرى أن الله هو المدبر لهذا العالم، حيث إن جميع ذرات الوجود خاضعة له، وهو بإرادته القوية؛ إذ يبطل مفعول النار الحامية، فإنه بإرادته القوية يمنح القدرة للتراب... أيضاً.^٢

﴿وَدَا الثُّورِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ٨٧

[في فضيلة المواظبة على ذكر الیونسية وأهميتها في

[الرقى الروحي]

وينقل عن بعض أهل الذكر والمعرفة أن السجدة في كل يوم وليلة، والإكثار من ذكر ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^٣

١. المكاسب المحرمة، ج ٢، ص ٦٣ - ٦٧.

٢. كشف الاسرار، ص ٤٤.

٣. سورة الانبياء (٢١): ٨٧

يفيد للترقيات الروحية^١، ونقل عن بعض سالكي طريق الآخرة أنه لما سمع من حضرة الأستاذ فائدة هذا العمل كان يسجد في اليوم والليلة سجدة، ويقول هذا الذكر الشريف ألف مرة. ونقل عن بعض آخر أنه يقول هذا الذكر ثلاثة آلاف مرة^٢.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ ١٠٧

[حروب النبي أيضاً كانت من معالم رحمة الله]

الحروب التي خاضها الرسول الأكرم كانت حروباً للدفاع عن النفس وتلك التي بدأها الرسول كانت هي الأخرى من آثار رحمة الله. إذ أن الأمم التي يمكن تهذيبها يجب أن تهذب وتلك التي تمنع تهذيب الأمم يجب أن تتم إزالتها عن الطريق. إنها رحمة وإن كان الانسان يتصور بادي الأمر أنها قتل إلا أنها في الواقع عبارة عن إزالة الموانع عن طريق البشرية... كان الأنبياء جميعاً منذ بدء العالم حتى اليوم تجلياً من تجليات الرحمة من الله تبارك وتعالى كما أن وجودنا من تجليات رحمة الحق تعالى. كما أن أمر الهداية من جانب الله وبواسطة الأنبياء رحمة الهية كبيرة للجميع إن الرسول رحمة للعالمين وكان جميع الأنبياء رحمة وهذا كله لأن الناس لا يعرفون فهم جاهلون لا يدرون ماذا يوجد هناك لا يعرف ما الذي سيحل به إن لم يقطع طريق الانسانية^٣.

١. هذا من الارشادات التي اكد عليها الملا حسين قلمي الهمداني استاذ الشيخ محمد البهاري، والسيد احمد الكربلائي، والميرزا جواد ملكي، الذي كان يهتم اهتماماً فائقاً بذكر اليونسية. على سبيل المثال، راجع: تذكرة المتقين، ص ٢٣٧، وكذلك سيمای فرزانتكان، ص ٦١.

٢. المراقبات، للعارف الجليل الحاج ميرزا جواد ملكي التبريزي.

٣. شرح حديث جنود العقل والجهل، ١٢٥.

٤. صحيفة الإمام، ج ١٥، ص ٤٩٣.

[الاستدلال على عالمية رسالة النبي]

في هذه الآيات وسواها يصف الله ورسوله بأنه بشير ونذير للعالمين، وبأن القرآن تذكرة للعالمين، ولا شك في أن البشر أينما وجد، وفي أي وقت وجد؛ إذاً وبموجب هذه الآيات فإن هناك رسولاً لجميع القوانين، وإن الإسلام هو قانون للعالمين، أينما كانوا، وفي أي عصر عاشوا. وإذا ما كان القانون لعهد معين

ولفترة معينة فإن نفضه من قبل الآخرين لا خوف فيه^١.

١. الاستدلال الذي يثبت عالمية التعاليم الاسلامية بهذا البيان وهو: ان اساس هذا الادعاء يتلخص في

ان النبي جاء بأحكام للجميع، وان الاسلام قانون للبشرية جمعاء.

١- اذا كان القانون لزمان معين او لقوم دون غيرهم، لا ينبغي ان تكون مخالفته مدعاة لمخافة الآخرين.

٢- العمل بهذا القانون لا يفضي الى الخير والصلاح.

٣- اذا فلا معنى لأن يكون النبي منذراً ومحذراً.

وبما ان هذه الأوجه الثلاثة خاطئة، اذاً يثبت الادعاء القائل بأن قانون الاسلام قد جاء لكل زمان ومكان ولكل ابناء البشرية.

٢. كشف الاسرار، ص ٣٠٧.





بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

﴿يَوْمَ تَرَوْهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ ٢

[وصف اهمية وعظمة يوم القيامة]

تدبر في هذه الآية القرآنية الشريفة ولا تمرّ عليها دون تأمل. وتدبر أيضاً آية ﴿يَوْمَ تَرَوْهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾.

حقاً فكّر يا عزيزي! القرآن - نعوذ بالله - ليس بكتاب قصة، ولا بممازح لأحد، أنظر ما يقول... أي عذاب هذا الذي يصفه الله تبارك وتعالى وهو العظيم الذي لا حد ولا حصر لعظمته ولانتهاء لعزته وسلطانه، يصفه بأنه «شديد» و«عظيم»... فماذا وكيف سيكون؟! الله يعلم، لأن عقلي وعقلك وعقول جميع البشر عاجزة عن تصويره. ولو راجعت أخبار أهل بيت العصمة والطهارة وآثارهم، وتأملت

فيها، لفهمت أن قضية عذاب ذلك العالم، هي غير أنواع العذاب التي فكّرت فيها، وقياس عذاب ذلك العالم بعذاب هذا العالم، قياس باطل وخاطيء^١.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدُّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ
يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ ١٨

[التسبيح النطقي لجميع الموجودات]

أما الآية الشريفة الأولى: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ﴾^٢ فتدل على تسبيح جميع الكائنات حتى النباتات والجمادات لله سبحانه.
ومن خصّ التسبيح بذوي العقول من الموجودات، فهو نتيجة احتجاب عقول
ذوي العقول. ولو فرضنا بأن هذه الآية المباركة تقبل التوجيه والتأويل لتسبيح
الكائنات، ولكن هناك آيات شريفة أخرى لانقبل التأويل والتفسير مثل قوله
تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدُّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ﴾. وإن تأويل «التسبيح» إلى
التسبيح التكويني أو الفطري، يكون من التأويل البعيد الموهون، حيث تأباه
الأحاديث والآيات الشريفة. وترفضه البراهين السديدة الفلسفية، وينكره المسلك
العرفاني الجميل.

والعجيب من الفيلسوف الكبير، والعالم الجليل صدر المتألهين (قدس سره)

١. بمناسبة ذكر القيامة وعذاب الآخرة، اشرنا في ما سبق وسنشير لاحقاً إلى الاحاديث الواردة في

هذا الباب.

٢. شرح الأربعون حديثاً، ص ٢٢.

٣. الحديد (٥٧): ١.

الذي لا يرى التسييح في هذه الآيات، تسييحاً نطقياً، مفسراً نطق بعض الجمادات مثل الأحجار الصغيرة، بإنشاء النفس المقدسة للولي، الأصوات والألفاظ حسب وضع الجماد والنبات. ورأى بأن قول بعض أهل المعرفة من أن لجميع الكائنات نطقاً، مخالفاً للبرهان، وملازماً للتعطيل ودوام القسر^١.

رغم أن هذا الكلام يغير المبادئ والأصول التي ارتآها، وانطلق منها. مع العلم بأن صريح الحق ولب لباب العرفان ينسجم مع دعوى السابق من دون أن يستلزم مفسدة. ولولا خشية التطويل والتفصيل لشرحنا ذلك بكل مقدماته وملابساته. ولكننا نرتضي الإشارة الإجمالية إليها ونقتنع بها.

لقد أشرنا في الماضي إلى هذا المعنى بأن حقيقة الوجود عين الشعور والعلم والإرادة والقدرة والحياة وكافة الشؤون الحياتية، فإذا لم يكن لشيء علم ولا حياة نهائياً فليس له وجود. ومن ذاق طعم حقيقة أصالة الوجود واشترآه المعنوي، على مسلك العرفاء مثل العلم والإرادة والتكلم و... وإذا بلغ مقام المشاهدة بواسطة ترويض النفس والحالات المعنوية، لشاهد بأمر عينه وسمع ذوي تسييح الموجودات وتقديسها. ومن المؤسف أن سُكر المادة والطبيعة قد أوهن العين والسمع والحواس الأخرى، ومنعنا من الوقوف على الحقائق الوجودية والهويات العينية. فكما أن بيننا وبين الحق عز وجل حجياً من الظلام وحجياً من النور تمنعنا من مشاهدة ألطاف الحق سبحانه، فكذلك بيننا وبين الكائنات الأخرى بل بيننا وبين أنفسنا حجب تَفْصُلنا عن إدراك حياتها وعلمها وكافة شؤوناتها. والأسوأ من كل الحجب هو حجاب إنكار حياة الموجودات وعلمها وشؤونها الأخرى انطلاقاً من الأفكار المحجوبة التي تمنع الإنسان من كل شيء. وخير وسيلة لأمثالنا المحجوبين هو التسليم والتصديق لآيات الله

الكريمة وأحاديث أوليائه، وسدّ باب تفسير القرآن بالرأي، وتطبيقه على الواقع الخارجي عبر هذه العقول الضعيفة.^١

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ ٢٦

[تطهير بيت الله من الشرك]

قال أيضاً: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ وهذا التطهير يشمل جميع أنواع الرجس، واكبرها الشرك الذي ورد في صدر هذه الآية الكريمة. ونقرأ في سورة التوبة قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَنْزَلْنَا مِنَ اللَّهِ رِسْوَالَهُ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾^٢ والمهدي المنتظر وعلى لسان جميع الأديان، وباتفاق جميع المسلمين «سينادي من الكعبة، ويدعو البشرية جمعاء إلى التوحيد، فجميع نداءات التوحيد علت من الكعبة ومن مكة، وعلينا نحن بدورنا أن نتابع المسيرة ونرفع نداءات كلمة التوحيد، وتوحيد الكلمة من هذا المكان المقدس، وأن نحطم أصنام زماننا بحضورنا الفاعل والنشيط في مكة المكرمة من خلال عقد الاجتماعات، والنداءات، ومسيرات البراءة من المشركين والمستكبرين في هذا العالم، وفضح جرائمهم وادانتها، وأن نطرد الشياطين ونرميها بالجمار في عقبات، وعلى رأسها الشيطان الأكبر أمريكا. لنؤدي بذلك حج خليل الله، وحج حبيب الله، وحج ولي الله المهدي المنتظر،

١. شرح الأربعون حديثاً، ص ٦٥٤ - ٦٥٥.

٢. التوبة (٩): ٣.

والأطبق علينا القول «ما أكثر الضجيج وأقل الحجيج»^١.
 ﴿وَأَذِّنْ لِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ ٢٧

[الطريق الى الله يمر عبر رسول الله]

ان الأمر الموجه لنبينا ابراهيم ان اذن في الناس يأتوك من كل فج عميق هو لان هذا الطريق يجب طيه من خلال ولي الله، ويجب عبوره عبر اولياء الله، والنبى ابراهيم عليه السلام كان ولي الله في زمانه وهو الولي لكل الاجيال. والرسول الاكرم هو الولي الاعظم للعالم بأسره، ومن خلال سلوك طريق هؤلاء الاولياء يمكننا الوصول الى غايتنا.^٢

[مسألة الاتيان الى النبي ميزة في الذهاب الى الحج]

اذن في الناس ليأتوا اليك يا ابراهيم، وليأتوا الى رسول الله عند ما كان الرسول موجودا، ويتوجهوا الى ولي الله عند ما يكون حاضرا، فهم يأتون اليه، والتوجه نحوه هو نفس التوجه صوب الله، لا أن يفسر الذهاب اليه بعنوان عكس التوجه الى الله، بل ان الذهاب صوب ولي الله او رسول الله هو عين الذهاب الى الله. من هنا جاءت الدعوة الى الناس ليذهبوا نحو الله، مصحوبة بتوضيح بأن الطريق نحو

١. بحار الأنوار؛ ج ٢٧، ص ١٨١، ح ٣٠٠ و ج ٤٦، ص ٢٦١، تاريخ الامام محمد الباقر، الباب ١٦، ح ٦. اشارة الى كلامه لمن ظن ان هؤلاء الناس الكثيرين الذين وفدوا الى مكة كلهم حجاج ومقبول حجهم.

٢. صحيفة الإمام، ج ١٨، ص ٨٧.

٣. المصدر السابق، ج ١٨، ص ١١٨، خطاب بتاريخ ١٤٠٢/١١/٢٩.

الله هو هذا الطريق، عبر ولي الله^١.

[سير خاص في الحج الابراهيمى]

﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾^٢.

فهل تقولون: إن الحجيج إذا ما ذهبوا إلى إبراهيم فإنهم مشركون؟ وإن الله يكون قد دعا الناس بذلك إلى الشرك؟ وإنه أمر إبراهيم أن يدعو الناس إليه قبل قيامهم بالحج...؟ وهذا هو الشرك بعينه.

إننا نقول ردأً على ذلك: إن الناس كانوا مكلفين، في تلك الأيام التي كانوا يريدون أن يلبوا فيها دعوة الله، أن يمضوا أولاً إلى إبراهيم، وأن يمضوا على عهد نبي الإسلام... إلى هذا النبي، وعلى عهد الأئمة يهذب إلى هؤلاء أولاً. ومن هنا فقد جاءت بعد تلك العبارة عبارة: «ومن وحد قبل عنكم»... أي: إننا نكون قد تعلمنا التوحيد منكم^٣.

[شهود المنافع أحد الحكم من الحج]

قد خاطب جل وعلا خليله إبراهيم أن ادعو الناس من مختلف الأقطار

١. المصدر السابق، ص ١٢٠ - ١٢١.

٢. الحج (٢٢): ٢٧.

٣. إشارة إلى اشكال آثاره (حكيمى زاده) في كتابه اسرار هزار ساله (= اسرار الف سنة)، الذي ظن بأن هذه الفقرات من الزيارة الجامعة التي جاء فيها: "من اراد الله بدأ بكم، شرك. في حين ان مثل هذا التعبير شبيه بما جاء في النبي ابراهيم انه دعا الناس الحج، وهم يأتونه أو يأتون نبي الاسلام قبل اداء مناسك الحج.

٤. كشف الاسرار، ص ٧٠.

والأمصار أن يأتوا إلى الحج، ﴿ليشهدوا منافع لهم﴾ منافع على مختلف الاصعدة، منافع سياسية ومنافع اجتماعية ومنافع اقتصادية وحتى ثقافية وفكرية، وليستلهموا منك أعظم دروس التضحية في سبيل الله، حيث هممت بتقديم ثمرة فؤادك ابنك اسماعيل قرباناً امثالاً للأمر الالهي. وليتعلموا منك معنى التوحيد الخالص، وكيف تحطم أصنام الشرك وترمي بعيداً، شمس كانت أم قمر وهياكل كانت أم انسان ام حيوان، وليتعلموا معنى التوجه الخالص إلى الله حيث قلت ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً مَسْئُوماً أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ فعلينا جميعاً أن نفتدي بأبي التوحيد وبأبي الأنبياء الكرام.

﴿لَمْ لَيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ ٢٩

[تأثير النذورات في المجتمع]

إذا كان النذر والوقف والوصية من الأمور غير المجدية، فلماذا إذاً أمر الله في القرآن، والرسول في أحاديثه بالالتزام بذلك، فقد جاء في القرآن الكريم:

﴿لَمْ لَيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾^١

ويقول القرآن الكريم في مدح من يوفي بنذره:

﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً﴾^٢

وقد أوصى الإسلام كذلك بالعمل بالوصية بالاتفاق، فقدم بذلك كل خدمة للبلاد وللجماهير؛ إن جميع هذه المدارس والكليات الدينية قد تم تأسيسها من النذور والأوقاف ومن أموال الوصيات.

١. صحيفة الإمام، ج ١٨، ص ٩١.

٢. الحج (٢٢): ٢٩.

٣. الانسان (٧٦): ٧.

ومجالس التعزية التي تستهينون بها هي الأخرى قدمت خدمات كبيرة؛ بالخطب والأحاديث الأخلاقية التي تلقى فيها هي التي تنمي في النفوس حب الخير، وتحمل الجماهير على الاتجاه نحو المسائل الروحية والإعراض عن المفساد الخلقية.^١

﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأَحِلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامَ إِلَّا مَا يُقَالَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ ٣٠

[في معنى قول الزور ودلالته على الغناء]

ما وردت في تفسير قوله تعالى: ﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ بأنه الغناء: كصحيحة هشام عن أبي عبد الله - عليه السلام - في قوله تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾، قال: «الرجس من الأوثان الشطرنج، وقول الزور الغناء».^٢

وقد فسّر به في رواية زيد الشحام^٣ وأبي بصير^٤ وعبد الأعلى وغيرهم. والظاهر المتفاهم من عنوان قول الزور هو القول الباطل باعتبار مدلوله كالكذب وشهادة الباطل والافتراء، والغناء كما عرفت من كيفية الصوت، أو الصوت بكيفية، وهو عنوان مغاير لعنوان الكلام والقول. وفسرت الآية بقول القائل للمغني: أحسنت في صحيحة حماد بن عثمان عن

١. كشف الاسرار، ص ٢٧٨.

٢. وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٣٠، كتاب التجارة، الباب ٩٩ من أبواب ما يكتب به، ح ٢٦.

٣. وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٣٠، كتاب التجارة، الباب ٩٩ من أبواب ما يكتب به، ح ٢.

٤. نفس المصدر والباب، ح ٩.

٥. نفس المصدر والباب، ح ٢٠. وأيضاً راجع: الحديثين ٨ و ٢٤.

أبي عبدالله - عليه السلام -، مع أن قول أحسنت ليس بنفسه باطلاً وزوراً، وإنما أطلق عليه باعتبار تحسين الغناء.

فيقع الكلام في كيفية إرادة الكلام الباطل باعتبار مدلوله والغناء الذي صوت أو كيفيته بكلام واحد، وكذا كيفية إرادة قول القائل أحسنت من قول الزور، هل هي من قبيل المجاز اللغوي المشهور مع استعمال اللفظ في أكثر من معنى واحد أي في معنى حقيقي ومجازي بعلاقة كعلاقة الحال والمحل.

أو من قبيل الحقيقة الادعائية على ما سلكتناه في المجازات تبعاً لبعض مشايخنا - رحمه الله - 'بمعنى استعمال قول الزور في معناه، وادعاء أن الغناء منه، وكذا قول القائل للمغني أحسنت.

أو من قبيل إطلاق قول الزور وإرادة مطلق الباطل بنحو من الادعاء حتى يدخل فيه المزامير والمعازف وغيرها.

أو أراد من قول الزور القول المشتمل على الباطل مدلولاً وعلى الغناء جميعاً، حتى لاتدل الآية ولا الروايات المفسرة لها على حرمة الغناء بنفسه.

أو أراد بقول الزور القول المشتمل على الباطل، إما نحو اشتمال الكلام على مدلوله، أو نحو اشتمال الموصوف على صفته وإضافة القول إلى الزور لاتحاده معه اتحاد الصفة مع الموصوف، فالقول زور باعتبار اشتمال مدلوله على الباطل وزور باعتبار صفته وهو الصوت الخاص، فيكون الغناء مستقلاً محكوماً بوجوب الاجتناب، والكلام المشتمل على الباطل بحسب مدلوله أيضاً محكوم به؟

ولعل هذا الاحتمال الأخير أو ما يرجع إليه مما تقدم أقرب الاحتمالات إلى

١. نفس المصدر والباب، ح ٢١.

٢. راجع: تهذيب الأصول ١، ص ٤٤، في معنى المجاز؛ ووقاية الأذهان للعلامة الشيخ محمد رضا

الإصهاني، ص ١٠٣.

ظواهر الأخبار المفسرة كما اختاره بعض المدققين^١، لأن الظاهر منها أن قول الزور هو الغناء أو هو من قول الزور، ومع قيام القرينة العقلية بأنه ليس من مقولة القول يدور الأمر بين رفع اليد عن ظاهر جميع الأخبار المفسرة الدالة على أن الغناء الذي هو صوت خاص هو قول الزور بتمام مصاديقه، وحملها على قسم خاص متحقق مع كلام خاص مدلوله الباطل والزور كما احتمله الشيخ واختاره^٢.

وبعبارة أخرى إن الظاهر من الأخبار هو أن الغناء تمام الموضوع لصدق قول الزور عليه ومستعمل فيه، فعلى الاحتمال الذي رجحه الشيخ لا بد من رفع اليد عن هذا الظاهر مع عدم حفظ ظهور الآية أيضاً، فإن ظاهرها حرمة قول الزور، والحمل على الغناء بما ذكر، حمل على غير مدلولها بحسب فهم العرف. بل هو حملها على قسم خاص منه، تأمل.

وبين حفظ ظهور الأخبار وحملها على الغناء بالمعنى الحقيقي المعروف مع حفظ ظاهر الآية من حيث تعميمها بالنسبة إلى جميع الأقوال الباطلة. وإن نعمتها لأمر آخر لم نعمتها له لولا الأخبار، وهو إرادة الزور باعتبار الوصف الحاصل له وهو الغناء.

والحاصل أنه بناء على ما رجحه الشيخ في معنى الآية بضميمة الروايات إن الغناء ليس قول الزور ولا هو من قول الزور، وأما على ما ذكرناه فإنه هو لاتحادهما خارجاً وصدق أحدهما على الآخر بالحمل الشائع. ولو فرضت المناقشة فيما ذكرناه، فلا أقل من دخول الغناء تبعداً فيه، ومقتضى إطلاق الأدلة أنه بذاته و بلا قيد قول الزور.

١. راجع: حاشية المكاسب للعلامة الميرزا محمد تقي الشيرازي، ص ٨٩، في بيان حرمة الغناء.

٢. المكاسب، ص ٣٦، المسألة الثالثة عشر في الغناء من النوع الرابع مما يحرم الاكساب به.

نعم، هنا إشكال آخر، وهو أن قول الزور إن كان مطلق الباطل المقابل للحق، والمراد بالباطل ما لا يكون فيه غرض عقلائي وما لادخاله له في المعاش والمعاد، فلا شبهة في عدم حرمة بهذا الإطلاق وبهذا العرض العريض.

فيدور الأمر بين حفظ ظهور هيئة الأمر في قوله: ﴿وَأَجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ في الوجوب، وتقييد قول الزور بقسم خاص وهو المحرمات الشرعية، فتكون الآية لبیان إجمال ما فصل في الشريعة من المحرمات، كقوله تعالى: ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ بناءً على أن المراد بها المحرمات.

وبين حفظ إطلاق قول الزور وحمل الأمر على الرجحان المطلق.

ولاترجيح للأول إن لم نقل أنه للثاني، لشيوع استعمال الأمر في غير الوجوب وبعد رفع اليد عن الإطلاق. وعليه لا دلالة للآية الكريمة ولا للأخبار الدالة على أن قول الزور الغناء على حرمة. ويمكن أن يجاب عنه بأن سياق الآية وذكر قوله: ﴿وَأَجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ في تلو ﴿فَأَجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ يوجب قوة ظهور في أن الأمر للوجوب سيما مع إشعار مادة الاجتناب بذلك، فيصير قرينة على أن المراد من قول الزور ليس مطلق القول الباطل.

مضافاً إلى إمكان أن يقال: إن: ﴿قَوْلَ الزُّورِ﴾ ليس مطلق القول الباطل بالمعنى المتقدم، بل باطل خاص عرفاً كالكذب والافتراء والسخرية ونحوها، فلا يقال عرفاً لمطلق القول الذي لادخاله له في المعاد والمعاش أنه قول الزور بل لعلّه لا يكون باطلاً. ويؤيده تفسير الآية بالأقوال المحرمة كالكذب وتلبية المشركين لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك. وعن رسول

الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قام خطيباً فقال: «يا أيها الناس، عدلت شهادة الزور بالشرك بالله» ثم قرأ: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾، وهو مؤيد لما ذكرناه من السياق.^١

[في دلالة قول الزور والروايات على حرمة الشطرنج]

ويمكن الاستدلال للعموم بروايات واردة في الشطرنج والرد، بضميمة ما دلت على التسوية بينهما وبين غيرهما:

كمرسلة ابن أبي عمير عن أبي عبد الله - عليه السلام - في قول الله عز وجل: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾، قال: «الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ هو الشطرنج، وقول الزور الغناء»^٢. ونحوها رواية زيد الشحام^٣.

ودالتهما لا تقصر عن دلالة رواية أبي الربيع الشامي عن أبي عبد الله - عليه السلام - قال: سئل عن الشطرنج والرد؟ فقال: «لا تقربوهما»^٤. ولا شبهة في إطلاقها للعب بلا رهن.

ورواية الحسين بن عمر بن يزيد عنه - عليه السلام -، وليس في سندها إلا سهل الذي أمره سهل^٥، ومحمد بن عيسى الذي لا يبعد وثاقته^٦، قال: «يغفر الله

١. مجمع البيان ٨ - ٧، ص ١٣١، في ذيل الآية ٣٠ من سورة الحج. والرواية في المستدرک، ج ١٧،

ص ٤١٦، كتاب الشهادات، الباب ٦، ح ١٠.

٢. المكاسب المحرمة، ج ١، ص ٣٠٧ - ٣١١.

٣. وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٣٧، الباب ١٠٢ من أبواب ما يكتب به، ح ٣، وسورة الحج (٢٢):

٣٠.

٤. وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٣٧، الباب ١٠٢ من أبواب ما يكتب به، ح ١.

٥. نفس المصدر والباب، ح ١٠.

٦. تنقيح المقال ٢، ص ٧٥.

في شهر رمضان إلا لثلاثة: صاحب مسكر أو صاحب شاهين أو مشاحن.^١
 ونحوها رواية عمر بن يزيد الصيقل مع تفسير الشاهين بالشطرنج.^٢
 ولفظ الصاحب وإن يشعر أو يدلّ على نحو إدمان، لكن لا شبهة في صدقه
 على المقيم على اللعب بلا رهن، والظاهر إطلاقهما له.
 وموثقة مسعدة عن أبي عبد الله - عليه السلام - أنه سئل عن الشطرنج؟ فقال:
 «دعوا المجوسية لأهلها لعننا الله».^٣
 وموثقة السكوني عنه - عليه السلام - قال: «نهى رسول الله (صلى الله عليه وآله
 وسلم) عن اللعب بالشطرنج والترد»^٤ ونحوها رواية المناهي عنه (صلى الله عليه
 وآله وسلم).^٥
 ورواية أبي بصير عن مستطرفات السرائر عن أبي عبد الله - عليه السلام - قال:
 «بيع الشطرنج حرام وأكل ثمنه سحت وأتخاذها كفر واللعب بها شرك، والسلام
 على اللاهي بها معصية وكبيرة موبقة، والخائض فيها يده كالخائض يده في لحم
 الخنزير لا صلاة له حتى يغسل يده كما يغسلها من مسّ لحم الخنزير، والناظر
 إليها كالناظر في فرج أمه. واللاهي بها، والناظر إليها في حال ما يلهي بها،
 والسلام على اللاهي بها في حالته تلك في الإثم سواء...»^٦.

-
١. رجال النجاشي، ص ٣٣٣؛ وجامع الرواة ٢، ص ١٦٦.
 ٢. وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٣٨، الباب ١٠٢ من أبواب ما يكتب به، ح ٦.
 ٣. نفس المصدر والباب، ح ٤.
 ٤. وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٣٨، الباب ١٠٢ من أبواب ما يكتب به، ح ٧.
 ٥. نفس المصدر والباب، ح ٩.
 ٦. وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٤٢، الباب ١٠٤ من أبواب ما يكتب به، ح ٦.
 ٧. السرائر ٣، ص ٥٧٧، في مستطرفاته عن جامع البنزطي؛ وعنه في وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٤١، الباب ١٠٣ من أبواب ما يكتب به، ح ٤.

والإنصاف أن الخدشة في دلالة الروايات وفي إطلاقها في غير محلها. نعم هي لا تدل على حرمة اللعب بمطلق الآلات، لاحتمال خصوصية في النرد والشطرنج، كما يظهر من التأكيدات الواردة فيهما، سيما الشطرنج، لكن يمكن الاستدلال على المطلوب بعموم المنزلة في صحيحة معمر بن خلاد عن أبي الحسن - عليه السلام - قال: «النرد والشطرنج والأربعة عشر بمنزلة واحدة، وكل ما قورم عليه فهو ميسر»^١. والظاهر أنه بصدد نفي الخصوصية عن آلة خاصة كالنرد والشطرنج وإلحاق سائر الآلات بهما.

هذا كله حال اللعب بالآلات المعدة للقمار^٢.

[الكذب، من الكبائر]

ذكر الروايات الدالة على «أن قول الزور عدل الشرك»

ومنها: جملة من الروايات التي يستفاد منها أن شهادة الزور عدل الشرك، متمسكاً فيها بقوله تعالى: ﴿لَا تَجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾؛

١. وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٤٢، الباب ١٠٤ من أبواب ما يكتب به، ح ١.
٢. لا بد من الإشارة إلى أن بحث الامام الخميني ينظر إلى الشطرنج فيما لو كان مطروحاً بوصفه آلة قمار؛ خاصة وإن فرض المسألة في السنوات الأخيرة من حياته قد تبدل. وقد (صحيفة الإمام، ج ٢١، ص ١٢٩ و ١٤٩) بصراحة ورؤية جديدة وهي أن الشطرنج لا يمكن أن يكون مصداقاً للحرام فيما لو خرج عن عنوان القمار والربح والخسارة.
٣. المكاسب المحرمة، ج ٢، ص ٢١ - ٢٣.
٤. راجع: مستدرک وسائل الشيعة، ج ١٧، ص ٤١٥ - ٤١٦، كتاب الشهادات، الباب ٦ من أبواب كتاب الشهادات، الأحاديث ٤، ٨ و ١٠.

كرواية دعائم الإسلام، عن أبي جعفر - عليه السلام -، وفيها: «لمن الزور أن يشهد الرجل بما لا يعلم، أو ينكر ما يعلم، وقد قال الله عز وجل: ﴿لَسْجِنُوا الرَّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ * حَتَّىٰ تَأْتِيَ لَكُمْ الْبُرْهَانُ﴾»^١ فعدل تبارك اسمه شهادة الزور بالشرك»^٢.

وعن تفسير الشيخ أبي الفتوح، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال في خطبة على المنبر: «إن شهادة الزور تعادل الشرك بالله تعالى». ثم تلا قوله تعالى: ﴿لَسْجِنُوا الرَّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾^٣.

وقرب منها عن ابن أبي جمهور عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)؛ فتدل هذه الروايات، على أن مقارنة قول الزور للشرك في الآية الكريمة ليست بمجرد كونه من المحرمات، بل لكونه عدلاً للشرك في كونه كسيرة خصه تعالى بالذكر قريناً للشرك من بين سائر المحرمات، تنبيهاً على عظمه وكبره، كما يوافق الاعتبار. وتؤيده صحيحة عبد العظيم الحسني، عن أبي عبد الله - عليه السلام - في تعدد الكبائر، وفيها: «وشرب الخمر، لأن الله - عز وجل - نهى عنها، كما نهى عن عبادة الأوثان»^٤.

فتمسك لكونه كبيرة بمقارنته في الكتاب العزيز لعبادة الأوثان، مشيراً إلى

١. سورة الحج (٢٢): ٣٠ - ٣١.

٢. دعائم الإسلام ٢، ص ٥٠٨، ح ١٨١٦؛ وعنه في مستدرک وسائل الشيعة، ج ١٧، ص ٤١٥، الباب ٦ من أبواب كتاب الشهادات، ح ٤.

٣. تفسير أبي الفتوح الرازي ٨، ص ٩٢، في ذيل الآية؛ وعنه في مستدرک وسائل الشيعة، ج ١٧، ص ٤١٦، الباب ٦ من أبواب كتاب الشهادات، ح ٨.

٤. مستدرک وسائل الشيعة، ج ١٧، ص ٤١٦، الباب ٦ من أبواب كتاب الشهادات، ح ١٠.

٥. وسائل الشيعة، ج ١١، ص ٢٥٣، كتاب الجهاد، الباب ٤٦ من أبواب جهاد النفس وما يناسبه، ح ٢.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ...﴾!^١
 فيظهر منها أن المقارنة له في الذكر في الكتاب للتنبيه على عظمة الذنب
 وكبره، ولهذا استفدنا منها كون القمار كبيرة.

[أحد مصاديق قول الزور مطلق الكذب]

فحينئذ نقول: إن قول الزور الذي جعل عدلاً للشرك يكون كبيرة لعين ما
 ذكر في الرواية، وهو أعم من شهادة الزور، فيشمل الكذب مطلقاً، فتدل الآية
 بإطلاقها بضميمة الروايات على أن الكذب مطلقاً من الكبائر.
 إلا أن يناقش في الاستدلال بها - مضافاً إلى ضعف الروايات عدى الصحيحة
 التي يأتي الكلام فيها - بأن الزور يأتي في اللغة بمعنى الباطل والكذب والشرك
 بالله وغيرها^٢. والحمل على مطلق الباطل، الأعم من جميع المذكورات وغيرها،
 وجميع الأقاويل الباطلة، خلاف الضرورة، فإن مطلق الباطل ليس بحرام ضرورة.
 والحمل على خصوص الكذب يحتاج إلى شاهد بعد عدم إرادة مطلق الباطل،
 ولعله أراد خصوص شهادة الزور كما يظهر من الروايات المتقدمة، فإن الظاهر
 منها أنه - تعالى - عدل بين خصوصها مع الشرك، لا مطلق الكذب وتكون
 الشهادة من مصاديقه.

ويؤيد عدم إرادة مطلق الكذب في الآية، عدم استشهاد النبي (صلى الله عليه
 وآله وسلم) والأئمة - عليهم السلام - في شيء من الروايات الواردة في الكذب
 على كثرتها بالآية الكريمة، إلا المرسله التي ذكرها الشيخ^٣، ولم أعر على أصلها

١. سورة المائدة (٥): ٩٠.

٢. راجع: القاموس المحيط، ج ٢، ص ٤٣؛ ومجمع البحرين ٣، ص ٣١٩؛ والمنجد، ص ٣١١.

٣. راجع: المكاسب، ص ٥٠.

مع احتمال كون التفسير من الراوي. ومن البعيد دلالة الآية على حرمة الكذب مطلقاً، وعدم استشهادهم بها في شيء من الروايات الكثيرة، واستشهادهم بها لشهادة الزور على ما في الروايات المتقدمة^١. وللغناء على ما في روايات كثيرة^٢. ولو سلّمت دلالتها على حرمة الكذب، لكن يمكن أن يكون جعله عدلاً للشرك بملاحظة بعض مصاديقه، كشهادة الزور، كما دلت عليه الروايات، والكذب على الله تعالى ورسوله^٣، والبدع^٤، ونحوها.

وكون الكذب بكثير من مصاديقه ذا مفسدة عظيمة، يكفي في جعله مقارناً للشرك تعظيماً له، ولا يلزم أن يكون بجميع مصاديقه كبيرة. وجعله بإطلاقه قريناً له، لا يوجب كونه بإطلاقه كبيرة، وليس إطلاق الآية من هذه الجهة يؤخذ به كما لا يخفى، فتدبر.

وأما صحيحة عبد العظيم - عليه السلام - فلا تكون مؤيدة للمطلوب، لأن الآية النازلة في الخمر والميسر تفارق الآية في قول الزور، فإن في قوله: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَلْسَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾ جعلت العناوين الأربعة أو الثلاثة موضوعة لقوله: رجس من عمل الشيطان وللنهي، فتكون وحدة السياق ووحدة النهي شاهدة على المطلوب، ولهذا استشهد أبو عبد الله - عليه السلام - في الصحيحة لكون الخمر كبيرة، بأن الله - تعالى - نهى عنها كما نهى

١. راجع: مستدرک وسائل الشيعة، ج ١٧، ص ٤١٥ و ٤١٦، الباب ٦ من أبواب كتاب الشهادات، الأحاديث ٤، ٨ و ١٠.

٢. راجع: وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٢٥، كتاب التجارة، الباب ٩٩ من أبواب ما يكسب به، الأحاديث ٢، ٨، ٩، ٢٠ و ٢٦.

٣. وسائل الشيعة، ج ٨، ص ٥٧٥، كتاب الحج، الباب ١٣٩ من أبواب أحكام العشرة.

٤. المحاسن ١، ص ٢٠٧، باب البدع من أبواب كتاب مصابيح الظلم.

٥. سورة المائدة (٥): ٩٠.

عن عبادة الأوثان، ولعلّ نظره إلى وحدة الأمر وكيفية الأداء في المذكورات.

ثم لا يخفى أنّ الأمر بالاجتناب بمنزلة النهي وفي قوته.

وأما قوله: ﴿لَا جُنُبَ إِلَّا الرِّجْسُ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾^١ يكون فيه

الأمر بالاجتناب مكرراً، فلم تكن هذه الآية بمثابة الآية المتقدمة، ولعلّ في

التكرار نحو إشارة إلى اختلافهما.^٢

[العلاقة بين تعظيم الشعائر وتطهير القلب]

﴿وَمَنْ يُعْظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾، أي ان من يبدي التكريم

والاحترام للشعائر الالهية وهي العبادة، فان ذلك دليل على تقوى القلب.

ان القلب النير الطاهر الذي يعظم الله لابد وان يعظم شعائر الله. ومن ابرز

مظاهر تعظيم شائر الله هو ان يكون جلاله عظيماً ويكون محل عبادته موضع اقبال

الواردين ورغبتهم واستمالة قلوبهم.

في هذه المواضع المكرمة كلنا نعلم وتعلمون انه يقوم في كل يوم مئات

الآلاف من المسلمين الطاهرين بعبادة الله ومدحه والثناء عليه والصلاة والتضرع

إليه. وما افضل من بناء قبة عالية او مسجد فخم ومهيب لتعظيم عبادة الله والشعائر

الالهية، من اجل ان تكون لدى الناس رغبة في دخوله، ولكي يدخله أيضاً الكبار

من الناس الذي اعتادوا على دخول الاماكن الفارمة والصروح الفخمة،

ويشار كوا مع سائر الناس في العبادة والصلاة.^٣

١. سورة الحج (٢٢): ٣٠.

٢. المكاسب المحرمة، ج ٢، ص ١٠٣ - ١٠٦.

٣. المصدر السابق، ص ٦٢.

[خلود الدين وضرورة اقامة الحكومة]

بديهي ان ضرورة تنفيذ الأحكام التي أوجبت تشكيل حكومة الرسول الأعظم، لم تكن خاصة بعصر النبي (صلى الله عليه وآله) بل الضرورة مستمرة، لأن الإسلام لا يحد بزمان أو مكان، لانه خالد فيلزم تطبيقه وتنفيذه والتقيده به الى الابد. واذا كان حلال محمد حلالاً الى يوم القيامة، وحرامه حراماً الى يوم القيامة، فلا يجوز أن تعطل حدوده، وتهمل تعاليمه، ويترك القصاص، أو تتوقف جباية الضرائب المالية، أو يترك الدفاع عن أمة المسلمين وأراضيهم. واعتقاد ان الإسلام قد جاء لفترة محدودة أو لمكان محدود، يخالف ضروريات العقائد الإسلامية.

وبما ان تنفيذ الاحكام بعد الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) والى الابد من ضرورات الحياة، لذا كان ضرورياً وجود حكومة فيها مزايا السلطة التنفيذية المدبرة.

[التفويض في الخلق محال ولو في خلق ذبابة]

و أيضاً المستقل في الإيجاد لا بدّ و أن يكون مستقلاً في الوجود لأن الإيجاد فرع الوجود، و لا يمكن أشرفيته عنه، فالتفويض بمعنى جعل ممكن مستقلاً في الفاعلية مستحيل و مستلزم للانقلاب المستحيل، سواء في ذلك المجرد و المادي، و الفاعل المختار و غيره، فلا يعقل تفويض الإيجاد و الفعل و الأثر و الخواص إلى موجود: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَ لَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَ إِنْ يَسْأَلُهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَاسْتَنْقَبُوهُ مِنْهُ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَ الْمَطْلُوبِ * مَا لَنْزُوا

اللَّهُ حَقٌّ قَدْرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ»^١.

[الليقظة من السبات العميق يجب أن تدرك أن لا قدرة مستقلة لديك]

استيقظ من النوم الثقيل ودع الرؤية المزدوجة وأوصل نور التوحيد إلى قلبك،
واقراء حقيقة ﴿لا حول ولا قوة إلا بالله﴾ على باطن الروح، واقطع يد شياطين
الجن والإنس عن التصرف في مملكة الحق تعالى وأغمض عين الطمع عن
المخلوق الضعيف المسكين: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ لِّأَسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ
تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسئَلُهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا
يَسْتَقْدُوا مِنْهُ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ * مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ
عَزِيزٌ»^٢.

يا رب إن القوة والعزة مختصتان بك، والقدرة والسلطة منحصرتان بذاتك
المقدسة، نحن المساكين الضعفاء من كثرة التعلق بالدنيا متحيرون، وعن نور
الفطرة محجوبون ومحجورون، ونسينا فطرتنا، وذلك المخلوق الضعيف المسكين
الذي إن يسلبه الذباب شيئاً لم يقدر على استرداده، ولو تظاهر الناس كلهم لا
يقدر على التصرف بنملة، تعلقت قلوبنا به، واعتمدنا عليه وابتعدنا عن ساحة
قدسك، وعن التوكل على ذاتك المقدسة.^٣

١. الطلب والإرادة، ص ٦٧ - ٦٨.

٢. سورة الحج (٢٢): ٧٣-٧٤.

٣. شرح حديث جنود العقل والجهل، ص ٢١١.

[في معنى العزيز]

العزيز^١ هو الغالب او القوي او الفرد الذي لا معادل له.

و هو تعالى عزيز بالمعنى الأول، كيف و هو غالب على كل الأشياء قاهر عليها؛ و جميع سلسلة الوجود مسخر بأمره: ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾؛ مقهور تحت قهاريته بلا عصيان، مخذول تحت قدرته بلا طغيان؛ و له السلطنة المطلقة و المالكية التامة و الغلبة على الأمر و الخلق؛ و حركة كل دابة بتسخيره، و فعل كل فاعل بأمره و تديره.

و هو تعالى عزيز بالمعنى الثاني؛ فإن واجب الوجود فوق ما لا يتناهى بما لا يتناهى قوة. و ليس في دائرة الوجود قوي إلا هو؛ و قوة كل ذي قوة ظل قوته و من درجات قدرته. و الموجودات بالجهة الفانية فيه و المتدلية اليه و بالجنبه «يلي الربى» اقوياء، و بالجهات المنتسبة الى انفسها و الجنبه «يلي الخلقى» ضعفاء: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّبِعُوا الْفُقَرَاءَ إِلَيَّ وَ اللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾^٢، ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَ آبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾.

هذا اذا كانت القوة في مقابل الضعف. و ان كانت بمعنى مبدئية الآثار فهو تعالى مبده آثار غير متناهية... و هو تعالى عزيز بالمعنى الثالث، لأن الصرف لا يتنى و لا يتكرر، كل ما فرضته ثانياً له فهو هو.^٣

١. الآيات التي جاءت في هذا المقطع تتناسب مع سورتي هود وفاطر، ولكن بما ان الموضوع يتعلق بكلمة العزيز التي وردت في الآية ٧٤ من سورة الحج، فقد طرح هذا الموضوع في ذيل هذه الآية أيضاً.

٢. هود (١١): ٥٦.

٣. فاطر (٣٥): ١٥.

٤. النجم (٥٣): ٢٣.

٥. شرح دعاء السحر، ص ٩٣.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعِبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَقْلُوا الْخَيْرَ لَكُمْ
تُفْلِحُونَ﴾ ٧٧

[السجود لله على طرق عديدة من علامان]

قد تقولون: ان السجود على التربة - ايأ كان - إنما هو شرك، وللإجابة على ذلك نقول:

أولاً: إن معنى الشرك معلوم لدى جميع العلماء، وليس لكم أي مجال للتقولات حول ذلك، والجميع يعلمون بأن السجود على شيء - اتباعاً لأوامر رب العالمين - ليس بالشرك، بل هو طاعة وتوحيد.

ثانياً: في ضوء ما نقولون، فإنه ينبغي اعتبار جميع المسلمين مشركين، لأن جميعهم يسجد لربه على التراب والحجر والخشب، ويجيز الكثيرون السجود على الفرش والمعادن والأشياء الأخرى... إذاً؛ فينبغي اعتبار جميع المسلمين مشركين، واعتبار من يعرض منهم عن الصلاة متعبداً.

وثالثاً: إن هناك آيات كثيرة تدعو الناس إلى السجود، تقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعِبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَقْلُوا الْخَيْرَ لَكُمْ تَفْلِحُونَ﴾^١ إما إذا ما أخذنا بأقوالكم فإن الله يكون قد أمر عباده بالتخلي عن الإيمان والتمسك بالشرك.

ورابعاً: إننا أشرنا إلى معظم الآيات التي تشير إلى أن الله أمر ملائكته لكي يسجدوا لآدم كما أوردنا الآية التي تقول بصراحة إن يعقوب وأولاده سجدوا

ليوسف، وبناء على ما تقولون أنتم فإن جميع الملائكة ويعقوب وأولاده، بل وجميع الأنبياء والأولياء هم مشركون.^١

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ ٧٨

[المراد من «الخرج»]

ثم اعلم: أن ظاهر بعضهم في المقام - الذي هو من جزئيات الحرج - تقييده بما لا يتحمل عادةً، والظاهر منه أن «الخرج» عبارة عن المشقة التي لا تتحمل عادة. ويؤيده قول بعض أهل اللغة - على ما قيل -: «إن الحرج أضيّق الضيق». وفي «المجمع»: «مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ» أي من ضيق؛ بأن يكلفكم ما لا طاقة لكم به وما تعجزون عنه، يقال: «حَرَجَ يَحْرَجُ - من باب علم - أي ضاق». وفي كلام الشيخ علي بن إبراهيم: «الخرج: الذي لا مدخل له،

١. هذه الاجابات جاءت ردأ على شبهات اثارها البعضى وقالوا: ان السجود على التربة شرك. وقد

أجاب سماحة الامام عن هذه الشبهة على وجهين:

الأول: معنى الشرك ليس السجود على التراب؛ وانما هو عبادة غير الله واتخاذ شريك لله في افعاله.

الثاني: سائر المسلمين الذي يسجدون على غير التربة ليسوا مشركين، مع انهم لا بد وان يضعوا جباههم على السجود أو ابي مفروش آخر.

٢. كشف الاسرار، ص ٥٨.

٣. مسالك الأفهام ١، ص ١١١، مجمع الفائدة والبرهان ١، ص ٢١٥، جواهر الكلام ٥، ص ١١٤.

٤. أنظر لسان العرب ٣، ص ١٠٧.

والضيق: ما يكون له مدخل^١ انتهى.

وفي «الصحاح»: «مكان حَرَجٍ وَحَرَجٍ: أي ضَيْقٌ كثير الشجر لا تصل إليه الراعية»^٢ ونُقِلَ ذلك عن ابن عباس أيضاً.

هذا، لكن الظاهر من كثير من كتب اللغة تفسيره بالضيق من غير تقييد بما لا يتحمل أو غيره، ففي «الصحاح» و«القاموس»: «التحريج: التضييق»^٣ وتقدم عن «المجمع»: «حَرَجَ - من باب علم - أي ضاق».

وفي «المنجد»: «حَرَجَ الشيء: ضاق، حَرَجَهُ: ضيقه»^٤.

وعن «النهاية»: «الحَرَجُ في الأصل الضيق»^٥.

وحكى في «مجمع البيان» تفسيره بالضيق والعنت عن جميع المفسرين^٦. بل فسره به في صحيحة زرارة المتقدمة^٧ عن المشايخ الثلاثة، قال لأبي جعفر (عليه السلام): ألا تخبرني من أين علمت وقلت: «إن المسح ببعض الرأس»؟... والحديث طويل متعرض لتفسير الآية والنكات التي فيها، وقال في آخره: ثم قال: «﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾^٨ والحرج: الضيق»^٩.

١. مجمع البحرين ٢، ص ٢٨٨ - ٢٨٩.

٢. الصحاح ١، ص ٣٠٥.

٣. أنظر لسان العرب ٣، ص ١٠٧.

٤. الصحاح ١، ص ٣٠٦، القاموس المحيط ١، ص ١٨٩.

٥. المنجد، ص ١٢٥.

٦. النهاية، ابن الأثير ١، ص ٣٦١.

٧. مجمع البيان ٣، ص ٢٥٩.

٨. تقدم في بحث الوضوء. راجع: الطهارة (تقريرات الإمام الخميني) (قدس سره) الفاضل اللكراني، ص ٤٤٨.

٩. المائدة (٥): ٦.

١٠. الكافي، ج ٣، ص ٣٠، ح ٤، الفقيه، ج ١، ص ٥٦، ح ٢١٢، تهذيب الأحكام، ج ١، ص ٦١، ح ١٦٨، وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٣٦٤، كتاب الطهارة، أبواب التيمم، الباب ١٣، ح ١.

وعن «قرب الإسناد» عن الصادق، عن أبيه، عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «أعطى الله أمتي وفضلهم به على سائر الأمم...» الى أن قال: «وإن الله تعالى أعطى أمتي ذلك حيث يقول: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ يقول: من ضيق»^١.

وفي موثقة أبي بصير في أبواب المياه قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): إنا نساغر، فربما بئلينا بالغدير من المطر... - الى أن قال -: «افرج الماء بيدك ثم توفضاً؛ فإن الدين ليس بمضيق، فإن الله يقول: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾!»^٢.
ويظهر أيضاً من بعض موارد تمسكهم بدليل نفي الحرج، أوسعية الأمر مما قيل، كرواية عبد الأعلى^٣، فإن رفع المرارة ليس مما لا يتحمل عادة، بل فيه مشقة وكلفة^٤.



[الامتنان يختص بمن يقع في حرج]

وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ منة على من وقع في الحرج، لا على مطلق الأمة، وهو ظاهر. فعليه لو كان الحكم على خلاف الامتنان بالنسبة إلى صاحب العناوين، يمكن أن يقال: لا يشمل مورداً لا يكون فيه الامتنان، وأما إذا كان بالنسبة إليه امتنائياً لا بالنسبة إلى غيره، فلا محيص

١. قرب الإسناد، ص ٨٤، ح ٢٧٧.

٢. تهذيب الأحكام، ج ١، ص ٤١٧، ح ١٣١٦، وسائل الشيعة، ج ١، ص ١٦٣، كتاب الطهارة، أبواب

الماء المطلق، الباب ٩، ح ١٤.

٣. سبق ذكره في كتاب الطهارة، ج ٢، ص ٥٧.

٤. كتاب الطهارة، ج ٢، ص ٧٣ - ٧٥.

إلا من الأخذ بالإطلاق، فتدبر حتى لاتوهم التناقض بين صدر كلامنا وذيله.^١

[رفع الامور المحرجة في الاطار والمدلول العرفي]

قول الإمام - عليه السلام - في خبر عبد الأعلى: «يعرف هذا وأشباهه من كتاب الله: ﴿مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ امسح على المرارة»^٢، حيث إن الإمام - عليه السلام - دكنا على أن المدلول العرفي للقضية رفع ما يكون حرجاً، وهو مباشرة اليد الماسحة للبشرة الممسوحة، وإثبات الباقي وهو أصل المسح، وهاهنا نقول أيضاً: بأن المجهول مرفوع، والتكليف ثابت في الباقي بمدلول قضية: «رفع ما لا يعلمون»^٣.

[سيادة دليل لا حرج على الادلة الاخرى للأحكام]

قوله: ﴿مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ حاكم على أدلة الأحكام؛ لتعرضه بمدلوله للجعل الذي لا تعرض له الأدلة، وإن كانت مجعولة بالضرورة؛ لأنها لما لم تعرض لمجعوليتها فإذا تعرض له الأدلة، وإن كانت مجعولة بالضرورة؛ لأنها لما لم تعرض لمجعوليتها فإذا تعرض دليل بأن الجعل لم يتعلق بأمر حرجي يقدم عرفاً على تلك الأدلة، لا لأقوائية ظهوره، بل هذا نحو آخر من

١. كتاب البيع، ج ١، ص ٥٢٧.

٢. الكافي، ج ٣، ص ٣٣، ٤ باب الجبائر... الاستبصار، ج ١، ص ٧٧ - ٧٨، ٣ الباب ٤٦ في المسح على الجبائر، وسائل الشيعة، ج ١، ص ٣٢٧، ح ٥، الباب ٣٩ من أبواب الوضوء، باختلاف ضئيل.

٣. انوار الهداية، ج ٢، ص ٣٠٧.

التقدّم في مقابل التقدّم الظهوري، ولهذا لا تلاحظ النسبة بين الدليلين، فيقدّم العام من وجه على مُعارضه، فأدنى الظواهر يقدم على أقواها.^١

[لسان نفى الحرج، نفى للحكم الحرجي]

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ فلأنّ لسانه كلسان «لاضرر» بناء على كون «لاضرر» بمعنى نفى تشريع الأحكام الضرورية، فإنّ لسانهما نفى تشريع الأحكام الحرجية أو الضرورية، فلاوجه لحكومة أحدهما على الآخر.^٢

[نفى الحرج شامل لكل الاحكام الوضعية والتكليفية]

فقوله: ﴿مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ...﴾^٣ دالّ، ولو بمناسبة كونه في مقام الامتنان وأنّ هذه الملة سهلة سمحة، على أنّ مطلق أحكامه وضعاً ورفعاً ليست حرجية.^٤

[نفى الحرج امتنان و تفضل من الله]

ولا شبهة في أنّ الرفع بدليل نفى الحرج، صدقة من الله تعالى وتفضّل على

١. الاستصحاب، ص ٢٣٥.

٢. بدائع الدرر، ص ١٤٠.

٣. سورة الحج (٢٢): ٧٨.

٤. المكاسب المحرمة، ج ٢، ص ٢٤٢.

الأمّة وهديّة منه تعالى لهم، كما هو مقتضى الامتنان، ويدلّ عليه بعض الروايات، ففي مؤثقة السكوني، عن جعفر بن محمد، عن أبيه (عليه السلام) قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «إن الله عزّوجلّ أهدى إليّ وإلى أمّتي هديّة لا يهدّيها إلى أحد من الأمم؛ كرامة من الله لنا، فقالوا: ماذا يا رسول الله؟ قال: الإفطار في السفر، والتقصير في الصلاة، فمن لم يفعل فقد ردّ على الله عزّوجلّ هديّته» دلالة على أنّ وجه حرمة الصوم في السفر وإتمام الصلاة؛ هو كونه ردّ هديّة الله تعالى.

ويؤيد المطلوب ما عن «تفسير العياشي» عن عمرو بن مروان الخزّاز قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): رُفعت عن أمّتي أربع خصال: ما اضطرّوا إليه، وما نسّوا، وما أكرهوا عليه، وما لم يُطيقوا، وذلك في كتاب الله قوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾^١ وقول الله: ﴿إِلَّا مَن أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾^٢؛

حيث ذكر الآية المربوطة بالتقية في سياق حديث الرفع، مع أنّ التقية واجبة ليس للمكلف تركها، كما قرّزناه في رسالة مفردة في التقية، فتشعر الرواية بأنّ الرفع عن الأمّة في موارد على نحو العزيمة.

١. الخصال، ص ١٢، ح ٤٣، وسائل الشيعة، ج ٨، ص ٥٢٠، كتاب الصلاة، أبواب صلاة المسافر،

الباب ٢٢، ح ١١.

٢. البقرة (٢): ٢٨٦.

٣. النحل (١٦): ١٠٦.

٤. تفسير العياشي، ج ١، ص ١٦٠، ٥٣٤، وسائل الشيعة، ج ١٦، ص ٢١٨، كتاب الأمر والنهي،

الباب ٢٥، ح ١٠.

٥. التقية، ضمن الرسائل العشرة، الإمام الخميني (قدس سره)، ص ٣٣.

كما تشعر به ما عن الطبرسي في «الاحتجاج» عن الكاظم (عليه السلام) والرواية طويلة جداً، وفيها عدّة موارد رُفعت الأصار عن الأمة بدعاء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو قوله: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَجْعَلْ عَلَيْنَا إِضْرًا كَمَا جَعَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾:

منها: رفع قرض أذى النجاسة من أجسادهم، وجعل الماء طهور للأمة.
ومنها: رفع الصلوات المفروضة على سائر الأمم في ظلم الليل وأنصاف النهار، وجعلها في أطراف الليل والنهار وفي أوقات نشاطهم.
ومنها: رفع خمسين صلاة، وجعل الخمس في أوقات خمسة.
فيستشعر أن ما رفع عن الأمة من التكاليف مثل تلك الموارد، ليس لهم التكلف بإتيانها.

[سلب اختيار الانسان في التكاليف الحرجية]

فتحصل من جميع ذلك: أن ثبوت الترابية وسقوط المائة إنما هو على وجه العزيمة، وليس للعبد اختيار المائة؛ إمّا لأجل إرادة الله التوسيع على العباد، وإمّا لأجل انطباق عنوان ردّ الهدية على الإتيان بها، وإمّا لأجل حرمة الردّ، لا حرمة المائة، لكن لأجل اتحادهما في الخارج يتعيّن عليه الترابية. وسيأتي في الأمر الآتي الفارق بين الاحتمالات وما هو الأظهر بينها.

ثمّ من المحتمل أن يكون رفع الحرج عن العباد وإرادة التوسيع عليهم، لا لصرّف الامتنان عليهم حتّى يقال: «إنّه لا يقتضي الإلزام، أو لا يناسبه» بل لأنّه تعالى لا يرضى بوقوع عباده في المشقّة والحرج، كالأب الشفيق الذي لا يرضى

١. الاحتجاج ١، ص ٤٩٧، ح ١٢٧.

٢. جاء هذا البحث في كتاب الطهارة، ج ٢، ص ١٢٥ - ١٣٠.

بوقوع ابنه المحبوب في الحرج ولو باختياره، فيمنعه إشفاقاً عليه.

ويحتمل أن يكون رفع الحرج في عباداته ومن قبله؛ لعدم رضائه بوقوع العبيد في المشقة من ناحيتها؛ لكونه مظنةً لانزجارهم عنها، فينتهي إلى إدبار نفوسهم عن عبادة الله ودينه، وهو أمر مرغوب عنه، ففي رواية عمرو بن جميع قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): يا عليّ، إن هذا الدين متين، فأوغل فيه بالرفق، ولا تبغض إلى نفسك عبادة ربك؛ إن المُنبِتَّ - يعني المفرط - لا ظهراً أبقى، ولا أرضاً قطع»^١.

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) - بسند صحيح - قال: «لا تُكْرَهُوا إلى أنفسكم العبادة»^٢.

ولا يبعد عدم جواز ذلك إذا كانت مخافة الوقوع في الانزجار من دين الله، والعياذ بالله.

وأما ما ورد عن بعض الأئمة المعصومين (عليهم السلام) من إيقاع المشقة على نفوسهم الشريفة^٣؛ فلأنهم مأمونون من خطوات الشيطان وخطراته، وأما سائر الناس فأتى لهم بالعلم أو الاطمئنان بالأمن من كيدِه ووسوسته؟! بل لنفوسهم الشريفة مقامات من الحبِّ لعبادة الله والاشتياق إلى لقاء الله، ربِّما لا يكون ما هو شاقٌّ على سائر النفوس مشقةً عليهم، بل لهم لذات في عباداتهم ورياضاتهم، كما هو معلوم، رزقنا الله تعالى الاقتداء بهم. وقد خرج الكلام من طرز البحث الفقهي إلى واد يتخيَّر فيه العقول.

١. اصول الكافي، ج ٢، ص ٨٧، ح ٦، وسائل الشيعة، ج ١، ص ١١٠، كتاب الطهارة، أبواب مقدِّمة العبادات، الباب ٢٦، ح ٧.

٢. اصول الكافي، ج ٢، ص ٨٦، ح ٢، وسائل الشيعة، ج ١، ص ١٠٨، كتاب الطهارة، أبواب مقدِّمة العبادات، الباب ٢٦، ح ٢.

٣. بحار الأنوار، ج ٤١، ص ١١ - ٢٤، و٤٨، ص ١٠٠ - ١٠١ و ١٠٧.

مع أن ما ورد من تحمّل المشاقّ منهم إنما هو في المستحبات دون الواجبات، وما ورد في غسل أبي عبدالله (عليه السلام) في ليلة باردة قد مرّ الكلام فيه، وفي المستحبات كلام آخر، ولا يبعد عدم شمول أدلة الحرج لها؛ لعدم حرجية الأمر الاستجابي، تأمل. هذا كلّه في مورد الحرج.^٢

[قطعية والزامية احكام رفع الحرج]

قد اشتهر بينهم حتى صار كالأصول المسلّمة: «أن أدلة الحرج لمكان ورودها في مقام الامتثال وبيان توسعة الدين، لا تدلّ إلا على نفي الوجوب، ولا يستفاد منها عدم الجواز»^١ فالتيّم فيما نحن فيه إذا ثبت تشريعه بدليل نفي الحرج، رخصة لا عزيمة، فلو تحمّل المكلف المشقّة الرافعة للتكليف، وتوضّأ واغتسل، لم يرتكب محذوراً، وصحّت طهارته، ولا توجب حكومة أدلة الحرج على الأدلة الأولية وتخصيصها بغير مورد الحرج، بطلان العبادة ولو قلنا بعدم بقاء الجواز؛ لأن غاية ذلك عدم بقاء الحكم الشرعي على جواز المائسة؛ لكن لا يقتضي ذلك رفع مقتضي الطلب ومحبووية الفعل، وهو يكفي في صحّة العبادة، كما قرّر في مبحث الضدّ.

فها هنا مقامان من البحث:

أحدهما: أن المستفاد من الأدلة هل هو السقوط على نحو العزيمة، أو

١. سبق ذكره في كتاب الطهارة، ج ٢، ص ٦٦ - ٦٧.

٢. سبق ذكره في كتاب الطهارة، ج ٢، ص ٦٧ - ٧١.

٣. كتاب الطهارة، ج ٢، ص ١٠٤ - ١٠٧.

٤. أنظر مصباح الفقيه، الطهارة، ص ٤٦٣، السطر ٧، العروة الوثقى ١، ص ٤٧٣، المسألة ١٨،

مستمك العروة الوثقى ٤، ص ٣٣١.

٥. مناهج الوصول ٢، ص ٢١، تهذيب الأصول ١، ص ٣٠٠.

الرخصة؟

وثانيهما: أنه لو خالف وأتى بما فيه الحرج بطلت عبادته أو لا؟ ولا ملازمة بينهما، كما سيأتي في الأمر الرابع البحث عنه وعن المقام الثاني.
 أما المقام الأول: فغاية ما يدعى عدم دلالة قوله: ﴿مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ على كون الرفع على وجه العزيمة، وأما الدلالة على كونه على وجه الرخصة فلا، فلو دلّ دليل على كونه على وجه العزيمة لا يعارضه ذلك. ويمكن استفادة العزيمة من قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾!
 فإن الله تعالى إذا أراد بنا اليسر في أحكامه، لا يجوز علينا مخالفة إرادته بإيقاع العسر على أنفسنا، فكما أنه لو أراد منا شيئاً لا يجوز لنا التخلف عن إرادته تعالى، كذلك لو أراد في حقنا شيئاً لا يجوز التخلف عنها.^١

١. سيأتي ذكره في كتاب الطهارة، ج ٢، ص ١١٢.

٢. البقرة (٢): ١٨٥.

٣. كتاب الطهارة، ج ٢، ص ١٠١-١٠٢.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ١ ﴿الَّذِينَ هُمْ لِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ
اللغوِ مُغْرَضُونَ﴾ ٣

[احدى مراتب الفلاح المطلق للمؤمنين، الخلاص من سجن الطبيعة]

إن أهل اليقظة قد خرجوا من العالم، وتركوا ما فيه، وانسحبوا من التعلقات
ونالوا الحياة الإنسانية لا بل الإلهية، وخلصوا من أغلال الطبيعة وسلاسلها: ﴿قَدْ
أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ هذا الفلاح المطلق والخلاص من سجن الطبيعة أيضاً من مراتبه
ولهذا: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللغوِ مُغْرَضُونَ﴾^١ أحد أوصافهم، والحياة الدنيوية لغو
ولهو: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ﴾^٢.

١. سورة المؤمنون (٢٣): ١.

٢. سورة المؤمنون (٢٣): ٣.

٣. سورة الانعام (٦): ٣٢.

٤. شرح حديث العقل والجهل، ٢٠٥.

[اهمية الخشوع في الصلاة]

من الأمور الضرورية للسالك واللازمة لجميع العبادات لا سيما الصلاة - رأس العبادات كافة وذات الصفة الجامعة - هو الخشوع؛ وحقيقته الخشوع التام الممزوج بالحب أو الخوف.

[مراتب الخشوع]

وتفصيل ذلك: أن قلوب أهل السلوك مختلفة بحسب الجبلّة والقطرة، فبعضها «عشقية» تمثل مظهرًا من مظاهر الجمال، مجبولة ومفطورة على الميل نحو جمال المحبوب، فهي - أثناء السلوك - ما إن تدرك ظلّ الجميل أو تشاهد أصل الجمال حتى تمحوها العظمة الكامنة في سرّ الجمال وتجعلها تنصعق. فكل «جمال» ينطوي على «جلال» وفي كلّ «جلال» «جمال» مستور. ولعل في كلام مولى العارفين وأمير المؤمنين والسالكين (صلوات الله عليه وعلى وآله اجمعين): «سبحان من اتسعت رحمته لأولياته في شدة نعمته، واشتدت نعمته لأعدائه في سعة رحمته»^١ إشارة إلى هذا المعنى.

إذن فهية الجمال وعظمته وسطوته تهيمن على تلك القلوب وتغشاها بحالة الخشوع أمام جمال المحبوب. وهذه الحالة تسبب في بداية الأمر اضطراباً وتزلزلاً في القلب، إلا أنها بعد جمع الجنان والتمكن من التسلط على الأمر تتحول إلى حالة من «الأنس» وتبدل الرهبة والاضطراب الناتجان عن السطوة والعظمة إلى أنس وسكينة فتحصل حالة الطمأنينة، تماماً كما كانت حالة قلب خليل الرحمن (عليه السلام).

والبعض الآخر من قلوب أهل السلوك «خوقية» تمثل مظهراً من مظاهر الجلال، فهي في حالة إدراك متواصل للعظمة والكبرياء والجلال؛ فيكون خشوعهم «خوقياً»، وتحصل في قلوبهم تجليات الأسماء القهرية والجلالية، كما هو الحال مع يحيى «على نبينا وآله وعليه السلام».

إذن فالخشوع تارة يكون ممزوجاً بالحب واخرى بالخوف والرهبه، وإن كان في كلِّ حبٍ رهبهٌ وفي كل خوف حبٌ.

[الخشوع من علام الايمان]

أما مراتب الخشوع، فهي بحسب مراتب إدراك العظمة والجلال والحسن والجمال. ولأن أمثالنا - بحالتنا هذه - محرومون من نور المشاهدات فلا مناص لنا غير تحصيل الخشوع عن طريق العلم أو الإيمان، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾، فالآية الكريمة عدت الخشوع في الصلاة من حدود الإيمان وعلاماته. وعلى أساس قوله تعالى هذا فإن غير الخاشع في صلاته خارج عن زمرة أهل الإيمان، كما أن صلواتنا غير مشفوعة بالخشوع نتيجة نقص الإيمان أو فقدانه.

ولما كان الاعتقاد والعلم غير الإيمان، فإن العلم الذي يحصل لدينا بالحق تعالى وأسمائه وصفاته - وكذا سائر المعارف الإلهية - أمرٌ غير الإيمان، فالشيطان مثلاً عالمٌ بالمبدأ والمعاد - كما اشار الى ذلك الحق تعالى - لكنه كافرٌ مع ذلك، فهو رغم إقراره بالحق تعالى وبخالقيته بقوله: ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾، ورغم اعتقاده بالمعاد وعلمه بالكتب والرسل والملائكة بقوله: ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى

يَوْمٍ يُنْعَتُونَ ﴿١﴾، إلا أن الله تعالى خاطبه «بالكافر» وعدّه خارجاً عن زمرة المؤمنين.

[النسبة بين العلم والايمان في مسألة الخشوع]

إذن فأهل العلم وأهل الإيمان متميزون بعضهم عن بعض. وليس كل من كان من اهل العلم لابد أن يكون من اهل الإيمان، لذا وجب على السالك أن يدخل - بعد سلوكه العلمي - في سلك المؤمنين، وأن يوصل عظمة الحق وجلاله وبهاءه وجماله جلّت عظمته، الى قلبه حتى يخشع قلبه، وإلا فإن مجرد العلم لا يؤدي الى الخشوع، تماماً كما ترون في أنفسكم، فمع اعتقادكم بالمبدأ والمعاد وبعظمة الحق وجلاله إلا أن قلوبكم ليست خاشعة.

[سبب دعوة اهل الايمان الى الخشوع]

أما قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾^١ فلعله اشارة الى الإيمان الصوري، اي الاعتقاد بما جاء به النبي (صلى الله عليه وآله) وإلا فإن الإيمان الحقيقي ملازمٌ لمرتبة من الخشوع. أو لعل المراد من الخشوع في الآية الشريفة هو الخشوع بمراتبه الكاملة، كما يطلق وصف العالم أحياناً على من عبر حدّ العلم وبلغ حدّ الإيمان، ولعلّ الآية الشريفة ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^٢ تشير الى هذه الفئة من العلماء. 'وأوصاف العلم' و

١. الاعراف (٧): ١٤.

٢. الحديد (٥٧): ١٦.

٣. فاطر (٣٥): ٢٨.

«الإيمان» و «الإسلام» أطلقت في الكتاب والسنة على مراتب مختلفة منها:^١

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾^٣

[من أوصاف المؤمنين الاعراض عن اللغو واللهو]

إن أهل اليقظة قد خرجوا من العالم، وتركوا ما فيه، وانسحبوا من التعلقات ونالوا الحياة الإنسانية لا بل الإلهية، وخلصوا من أغلال الطبيعة وسلاسلها: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾^٤ هذا الفلاح المطلق والخلص من سجن الطبيعة أيضاً من مراتبه ولهذا: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾^٥ أحد أوصافهم، والحياة الدنيوية لغو ولهو: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَهْوٌ﴾^٦ ونحن المساكين كدود القز نسج حول أنفسنا خيوط الآمال والأمانى والحرص، والطمع، ومحبة الدنيا، وزخارفها،

١. المقصود هو ان هذا العلم هو الذي يدعو الى الايمان، كما تقول الآية الشريفة: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾. وهذا احتمال ثالث في توجيه الآية الشريفة.

٢. في القرآن الكريم آيات كثيرة دالة على هذا الامر، منها في الآية ١٦ من سورة الحديد (راجع: آداب الصلاة، ص ١٠ و ١٥). يونس: ٦٣ والنساء: ٦٥ (راجع: الميزان، ج ١، ص ٨٩). وقد نقل الكليني احاديث كثيرة حول درجات الايمان ومراتبه. راجع: اصول الكافي، ج ٢، ص ٤٢ - ٤٤ و ٥١.

٣. آداب الصلاة، ص ١٣ - ١٥.

٤. سورة المؤمنون (٢٣): ١.

٥. سورة المؤمنون (٢٣): ٣.

٦. سورة الانعام (٦): ٣٢.

ونهلك أنفسنا في هذا النسيج.^١

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ ٩

[الحفظ من تأثير الشيطان أهم مراتب الحفظ]

أحد الآداب القلبية المهمة في الصلاة، وفي سائر العبادات، بل من أهم الآداب القلبية، والذي يعدُّ القيام به من عُقد الأمور ومشكل القضايا، «المحافظة على الأعمال من التصرفات الشيطانية». ولعلَّ قوله تعالى في وصفه المؤمنين ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ إشارة الى جميع مراتب حفظ الأعمال، والحفظ من تصرف الشيطان يمثل إحدى تلك المراتب، بل أهمها.

ولتفصيل هذا الإجمال نقول: إن من الواضح لدى أصحاب المعرفة وأرباب القلوب، إن للقلوب والأرواح - كما هو حال الأبدان في احتياجها لما تغذى به من الطعام المناسب لحالتها والموافق لتكوينها بما يحقق الرشد الجسدي والنمو النباتي - غذاءً ينبغي أن يكون مناسباً لحال كلِّ منها موافقاً لتكوينها لتتربى به وتتغذى منه فيتحقق لها النمو المعنوي والارتقاء الباطني.

والغذاء المناسب لتكوين الأرواح هو المعارف الإلهية بالمعنى الشامل لهذا الاصطلاح بدءاً من مبادئ الوجود وحتى منتهى نهاية نظامه، كما عرّف كبار الفلاسفة «الفلسفة» بقولهم عنها بأنها «صيرورة الانسان عالماً عقلياً مُضاهياً للعالم العيني في صورته وكماله»،^٢ فهي إشارة الى هذا الإغتذاء المعنوي، كما هو في

١. شرح حديث العقل والجهل، ص ٢٠٥.

٢. شرح حديث جنود العقل والجهل، ص ٢٠٥.

٣. هذا تعريف الحكمة عند ابن سينا وآخرين غيره. راجع: السبزواري، شرح المنظومة، ج ١، ص ٣٦، تحقيق وتعليق حسن زاده الأملي. صيرورة وتبدل الانسان الى العالم العقلي مثل ما يوجد

اغْتِذاء القلوب بالفضائل النفسانية والمناسك الإلهية.

ولاشك أن أي نوع من أنواع الغذاء اذا كان خالصاً من تصرف الشيطان، ومعداً بيد قطب الولاية - الرسول الخاتم وولي الله الأعظم صلواته عليهما وآلهما - لاغتذى به الروح والقلب، وتحقق لهما الفوز بالكمال الذي يليق بمقام الإنسانية، وبمعراج القرب الى الله. غير أن الخلوص من تصرف الشيطان - والذي يعدُّ مقدمة لتحقيق الإخلاص - لا يتأتى بشكل حقيقي ما لم يصبح السالك ربانياً في سلوكه وما لم يطأ المعجب والأنانية - منشأ المفاسد جميعاً وأم الأمراض الباطنية - بقدميه. وهذا الأمر - بمعناه الكامل - غير متاح إلا للإنسان الكامل (صلى الله عليه وآله) أولاً ولخلف الأولياء (عليهم السلام) من بعده. بيد انه لا ينبغي للسالك اليأس من لطاف الحق الخفية، فاليأس من «روح الله» أساس الإحباط والضعف، وهو بعد ذلك من أعظم الكبائر.

أما المتاح للرعية فهو قرة عين أهل المعرفة، لذا فعلى سالك طريق الآخرة أن يجتهد - ما وسعه الجهد - في تخلص معارفه ومناسكه من تصرف الشيطان والنفس الأمارة بالسوء، وأن يتأمل بتعمق وبغاية الدقة في حركاته وسكناته وسعيه ومطلوبه ليلبغ الغاية من سيره وكدحه ومبادئ حركاته الباطنية وتغذياته الروحية، وأن لا يغفل عن مكائد النفس والشيطان ويحترز من الوقوع في شباك النفس الأمارة بالسوء وفي مصائد إبليس، وأن يتعامل مع نفسه بمتهمي "سوء الظن في جميع الحركات والأفعال، وأن لا يتركها حرةً مطلقة العنان أبداً، فما أكثر ما تصرع الإنسان نفسه بمجرد ان يتعامل معها بقليل من التسامح فترديه المهالك والضياح.

في عالم العين في الصورة والكمال. وقد اضاف صدر المتألهين ومدرسة الحكمة المتعالية هذه العبارة الى تعريف الحكمة وقالوا: "في صورته وكماله".

على السالك أن يتحلى بهذا الحذر لأن الأغذية الروحية اذا لم تكن خالصة من تصرف الشيطان، واذا كانت له يدٌ في إعدادها، فإنها - وفضلاً عن عدم مساعدتها الأرواح والقلوب على النمو وبلوغ ما يليق بها من الكمال - ستؤدي الى إصابة الأرواح والقلوب بالضعف الفاحش الكبير، وقد نصير أصحابها سالكين مسلك الشياطين أو البهائم والسباع، فيعطي ما أريد به تحقيق السعادة وبلوغ كمال الإنسانية وإدراك المدارج الرفيعة نتيجةً عكسيةً فيؤدي بالإنسان الى هاوية الشقاء المظلمة.^١

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ ١٢ ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾
 ١٣ ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا
 الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ ١٤ ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ
 ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾ ١٥ ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ ١٦

[شاهد قرآني على تجرد النفس]

من الشواهد السمعية على تجرد النفس هذه الآية الشريفة: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾^١ والنقطة هنا هي قوله: انشأناه خلقاً آخر، حيث يعبر عن جميع التبدلات السابقة بالخلق، ولكن في هذا البيان بدل العبارة، وعبر عن المعنى المقصود بالانشاء قائلاً انا جعلناه شيئاً آخر في آخر مرحلة. وهذا في الحقيقة يفيد بأن هذا الكيان يختلف جوهرياً عما سبقه. من ذلك مثلاً ان هذا قد غدا مجرداً في حين ان ما سبقه كان جسماً.

١. آداب الصلاة، ص ١٩ - ٢١.

٢. المؤمنون (٢٣): ١٢ - ١٤.

ثم قال أيضاً بعد ذلك: ﴿فَبَارِكْ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾. ولم يصرح بهذه الجملة في خصوص ما كان من الماديات والجسمانيات، ولكن من تشريفات هذا الانشاء الجديد انه قال: ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾^١.

[بحث حول آيات المعاد]

بعد ان أتم الملا صدرا الشيرازي الكلام الذي قاله حول الفخر الرازي، قال: ان الغرض الأصلي من الآيات المعادية يحول حول بيان منهجين شريفيين في بيان المعاد وحشر النفوس والأجساد: أحدهما اثبات ذلك من جهة المبدأ الغائي، وثانيهما اثباته من جهة المبدأ الفاعلي.^١ وذلك لأن الآيات التي وردت في القرآن الكريم حول المعاد، اما انها تتحدث عن تطور ورقي الموجودات وخاصة الإنسان، مثل الآية الشريفة: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ * ثُمَّ إِلَيْكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَعْتُونَ * ثُمَّ إِلَيْكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾^٢، حيث تذكر هذه الآية كل مراحل تطور الإنسان حتى تقول ان احدى مراحل تطوره انه يموت ويخرج من دار الطبيعة ويدخل في البرزخ ويصفو من كل غلّ وغشّ الى ان يُبعث يوم القيامة.

ان مثل هذا الاستدلال هو اسد البراهين وأتقنها؛ وذلك لأن أحكم البراهين هو البرهان اللّمي الذي يكون فيه الحدّ الوسط علّة ثبوت الأكبر للأصغر، لا أن يكون الحدّ الوسط معلولاً.^٤ كما ان الأتقن والأسدّ والأحكم في البرهان اللّمي هو ان الحدّ

١. تفسيرات فلسفة الإمام الخميني، ج ٣، ص ٤٣.

٢. الأسفار، ج ٩، ص ١٥٨.

٣. المؤمنون (٢٣): ١٢ - ١٦.

٤. راجع: شرح الاشارات، ج ١، ص ٣٠٧؛ شرح المنظومة، قسم المنطق، ص ٣٦ - ٣٧.

الوسط فيه يكون علة غائية أو علة فاعلية وليس علة مادية وصورية.^١ وبيان الحق جل وعلا في مثل الآيات السابقة التي تتحدث عن مراحل تطور خلق الإنسان، هو البرهان اللمي على المعاد ويذكر العلة الغائية، وهو من أعلى البراهين.^٢

ان مراحل تطور الإنسان نحو غايته طبيعية، وان لم يكن هناك عائق ومانع، فمن الطبيعي ان كل موجود يصل الى غايته. وهذه طبيعة كل موجود وذاته وان كان بالاغطاء التكويني المكوّن للموجودات؛ لأن كل موجود يسير طبعاً نحو غايته. وان لم يكن هناك عائق فان النطفة تسير نحو مرحلة العلقه، وان لم يواجه العلقه عائق فهي تسير بطبيعة الحال نحو مرحلة المضغه، وتبقى تسير هكذا الى ان ينشا منها الخلق الآخر، الذي هو الموجود المجرد.

لعلّ تعبير الانشاء ورد هنا لأن المجرد يُخلق من المادي، وحين يُستلّ من كيان ومن باطن الوجود المادي -بقدره اليد الكاملة - موجود مجرد، يكون

١. راجع: الشفاء، قسم المنطق، ج ٣، ص ٢٨٨ - ٣٠٨، شرح المنظومة، قسم المنطق، ص ٣٧.

٢. منهج الاستدلال والبرهان على نوعين: البرهان اللمي، والبرهان الانبي. وفي البرهان لا بد ان يكون هناك حدّ وسط لعلّ اليقين بالنتيجة، اليقين بالتناسب بين الاصل الاكبر ازاء الاصغر الذي يطلق عليه اصطلاحاً الواسطة في الاثبات. في البرهان اللمي يكون هذا الحد الوسط علة. ولهذا فهو واسطة في الاثبات من جهة وواسطة في الثبوت والكشف عن الواقع من جهة اخرى، غير انه في البرهان الانبي واسطة في الاثبات فقط والحد الوسط للمعلول.

على سبيل المثال يُقال ان هذا البناء قد صنّع، وكل بناء لا بد له من صانع. اذاً فهذا البناء له صانع. وهنا يكون وجود الصانع حداً وسطاً وعلّة. وبهذا الاسلوب الاستدلالي يثبت وجود الصانع من جهة ويكشف عن الواقع من جهة اخرى. وهذا هو البرهان اللمي.

والبرهان اللمي على أقسام؛ فحايثاً يكون الحدّ الوسط في هذا البرهان علة، ولكن علة غائية؛ أي انه يشير الى غاية الصنع؛ كأن يقال بأن هذا البناء قد صنّع للسكن والراحة. واحيائاً تكون العلة فاعلية أي ان يُنظر فيها الى فاعلية العلة، وفي احيان اخرى تكون العلة مادية وصورة. ولاشك في ان الآيات الشريفة تتحدث عن خلق الانسان ومراحل نشأته، وهي هنا علة غائية؛ اي تشير الى بعثه. وهذا من افضل البراهين.

التعبير بالانشاء مناسب هنا. ولكن إن لم تكن له سابقة مادية فالتعبير بالابداع هو المناسب.

وعلى أية حال فان من جملة مراحل التطور التي يمر بها الإنسان هي مرحلة الموت، ثم البعث في يوم القيامة، حيث يجب ان يسير من عالم القبر ويخرج من ضغوط الملكات السابقة الى ان يحصل انبعاث من قبور هذه الملكات. ومثلما ان تطوّر النطفة الى العلقة أمر ضروري عند عدم وجود عائق، فهكذا السير نحو الغايات الاخرى أيضاً، فهو شيء طبيعي، والموت والبعث في الغايات والتطورات طبيعي.

ان هذه الآيات التي تتناول الرقي الوجودي والتطور الخَلقي، مع بيان مراحل التطور والغايات التي جعلت للإنسان، هي أتمّ البراهين واتقن البراهين لاثبات المعاد. وطبعاً كل غاية تلاحظ سابقاً، ستكون في اللاحق صورة ذي الغاية^١.

[المراد من خلق النطفة والمضغة]

قلنا مرّات عديدة ولا زلنا نقول بأن النفس من هذه الطبيعة ووليدة عناصر الطبيعة هذه. وهذا ما يشير إليه، بل ويدلّ عليه كلام الله عزّ وجلّ. ولعلّ الآية الشريفة:- ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ وآيات اخرى بهذا المضمون لا تقصد ان المضغة كانت في موضع آخر ثم جثنا بها ووضعناها على العلقة، بل ان هذه العلقة بذاتها تتحرك بحركة في جوهرها وتصير مضغة. وهذه

١. تقريرات فلسفة الإمام الخميني، ج ٣، ص ٥١٥ - ٥١٧.

٢. المؤمنون (٢٣): ١٤.

المضغفة تتحرك وتصير لحماً، ويستمر الحال على هذا المنوال حتى تصير جنيناً. وهذا الجنين هو نفسه الذي كان في السابق ثم تحرك الى ان تكوّن فيه العقل الذي هو أكثر الاجسام اعتدالاً، وهو على درجة من الاعتدال واللطافة بحيث غدا عرش أجسام الطبيعة وأخر جسم معتدل في الطبيعة. وهذه آخر مرتبة في الجسم وقد تحرك في جوهره وتحوّل الى أول درجة من الاحساس وهي اللمس.

ولهذا السبب أول حاسة تتكون لدى الجنين وهي حاسة اللمس، ضعيفة. وقوة اللمس هذه تتحرك وتكتسب تدريجياً حالة من القوة، كما تتكون تدريجياً حواس اخرى كالبصر والسمع، ويتدرج الحال على هذا المنوال الى أن تنشأ قوة تخيل ضعيفة. ولهذا فالطفل في المرحلة الأولى من حياته يفتقر الى قوة المخيلة. وبعد ان تتكون لديه قوة التخيل تكون بدرجة ضعيفة حتى يلاحظ ان لا يتخيل في المنام شيئاً سوى ندي امه. ولهذا يلاحظ بعد عدة أيام انه يحرك فمه وهو نائم وكأنه يرى في المنام انه يرضع. وتزاد هذه القوة لديه لأن عالم الطبيعة عالم النقص ومن غير الممكن ان لا يظهر على نحو الكثرة. وليس ذلك ان هذا الفيض حين يأتي من المبادئ العليا يأتي على نحو الكثرة، بل على نحو الوحدة. ولكن بما ان عالم الطبيعة يكتنفه النقص؛ فان الفيض حين يصل إليه يتكثّر. ولهذا في قوس النزول حين يأتي فيضاً واحداً يتكثّر، ونظراً الى انه يصعد بقوس صعودي ليتحرك من عالم الطبيعة هذا ويخرج منه، يحصل له نوع من الوحدة وهي الوحدة البرزخية.^١

١. تصبغ مضغفة عن طريق الحركة التي تحصل في جوهرها. وهكذا أيضاً تتحول المضغفة بالحركة التي تحصل في جوهرها الى لحم.

٢. تقارير فلسفة الإمام الخميني، ج ٣، ص ٧٣ - ٧٤.

[النظفة في السير الوجودي قادرة على التحلي بأوصاف الكمال]

الأوصاف التي هي من طراز الوجود وتتحرك بالتساوق مع الوجود، تكون أكمل كلما كان الوجود أكمل، مثل العلم والقدرة والحياة. مثلاً النظفة في حالة ومرتبة من الضعف بحيث انها تكون بلا علم ولا ارادة ولا قدرة، وحينما تصل إلى مرتبة العلقه تبقى أيضاً فاقدة للعلم والقدرة والحياة، وهكذا الحال عندما تبلغ مرتبة المضغه. ولكن بعدما تطوي المراحل وتضع قدمها تدريجياً في مراتب قوية من الوجود، تكتسب العلم والارادة والقدرة والحياة، إلى ان تكون: ﴿لَسْمُ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾^١.

تسير في مواكبة حركة الوجود سلسلة من أوصاف الكمال، وكلما ارتقت النفس مراتب أعلى من مراتب الوجود وقطعت أشواطاً طويلة على هذا الطريق، تنامي تلك الأوصاف بشكل أتمّ وأكمل، إلى أن تبلغ صرف الكمال، بل فوق الكمال وكمال الكمال وتام التمام، حيث تكون هذه الأوصاف على نحو كمالها؛ أي فوق الكمال وكمال الكمال وتام التمام.^٢

﴿لَقَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مِنْكُمْ نَبِيًّا قَدْ جَاءَنَا بِآيَاتٍ كَثِيرَةٍ وَمِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ ٤٧

[اسباب الاعراض عن الانبياء]

اعلم أن للكبير، من منظور آخر، درجات:
الأولى: التكبر على الله تعالى.

١. المؤمنون (٢٣): ١٤.

٢. تقريرات فلسفة الإمام الخميني، ج ٢، ص ٣٢.

الثانية: التكبر على الأنبياء والأولياء صلوات الله عليهم.

الثالثة: التكبر على أوامر الله تعالى، وهذا يرجع إلى التكبر على الله.

الرابعة: التكبر على عباد الله تعالى، وهذا أيضاً يراه أهل المعرفة راجعاً إلى

التكبر على الله...

وأما التكبر على الأنبياء والأولياء، فكثيراً ما كان يحصل في زمان الأنبياء. قال

تعالى على لسانهم: ﴿...أَنْتُمْ مِنْ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا...﴾.

وقال تعالى على لسان آخرين منهم: ﴿...لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ

الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمَيْنِ﴾. وفي صدر الإسلام وقع الكثير من التكبر على أولياء الله. وفي

هذا الزمان أيضاً نجد نماذج منه في بعض المحسوبين 'على الإسلام'.

﴿مَا أَتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ

عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ ٩١

[خاصية القرآن في طرح المباحث]

ان لسان الأنبياء والأولياء بل لسان القرآن الشريف أيضاً ليس كلسان سائر

المصنفين والمؤلفين حيث إنهم في صدد الفحص والتفتيش والبحث والجدال في

أطراف المفاهيم الكلية وفي مقام التشعبات والحصر والتعديد وهذه الأمور

هي بمثابة حجب غليظة في طريق السير إلى الله وتقطع الطريق على السائر فيه.

١. الزخرف (٤٣): ٣١.

٢. الذين يتزینون بالدين ويتحلون بزینته.

٣. شرح الأربعون حديثاً، ص ٨٠ - ٨١.

[اسلوب القرآن في طرح المعارف وعدم التعرض الى التعريف بالذات]

ولهذا فإن القرآن الشريف بالإضافة إلى أنه جامع لمختلف المعارف، ولحقائق الأسماء والصفات حيث لم يعرف أي من الكتب السماوية وغيرها ذات الله وتعالى وصفاته كما عرفها القرآن فهو أيضاً جامع للأخلاق والدعوة إلى المبدأ والمعاد والزهد وترك الدنيا، ورفض الطبيعة والتقلل من عالمها والسير إلى منزل الحقيقة على نحو لا يتصور مثله في غيره من الكتب.

ومع ذلك لم يشتمل كسائر الكتب المصنفة على الأبواب والفصول والمقدمة والخاتمة. وهذه من القدرة الفاعلة لمنشئه حيث لم يحتج لهذه الوسائل والوسائط في إلقاء غرضه، ولها نرى أنه أحياناً في نصف سطر بصورة غير مشابهة للبرهان يبين برهاناً بينه الحكماء بمقدمات كثيرة مثل قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ وقوله تعالى: ﴿لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلْنَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾^١ حيث إنهما برهان دقيق على التوحيد، وكل من هاتين الآيتين محتاجة إلى صفحات من الشرح كما هو واضح عند أهل البيان، وليس لغيرهم حق التصرف فيها ولو كان الكلام موجهاً للجميع، فكل يفهم منه بقدر إدراكه.^٢

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ ٩٩ ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا

١. سورة الأنبياء (٢١): ٢٢.

٢. سورة المؤمنون (٢٣): ٩١.

٣. شرح حديث جنود العقل والجهل، ص ٦٢ - ٦٣.

تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾

[اسباب عدم ادراك وعضه في الدنيا، وطلب العودة في الآخرة]

إن من مراتب النفاق وذى اللسانين والوجهين، النفاق مع الله تعالى والتوجه إلى مالك الملوك ووليّ النعم بوجهين، حيث نكون من المبتلين به في هذا العالم ونحن غافلون عنه. لأن أستار الجهل الكثيفة وحجب الأنانية المظلمة وحب الدنيا وحب الذات مسدولة عليه ومختفية عنا ومن الصعب جداً أن نتبّه له قبل انكشاف السرائر، ورفع الحجب، والظعن عن دنيا الطبيعة، وشدّ الرحال عن دار الغرور ودار الجهل والغفلة.

إننا الآن غارقون في نوم الغفلة، محكومون لسكر الطبيعة، والميول والرغبات التي تزيّن لنا كل قبائح الأخلاق وفساد الأعمال، وإذا ما استيقظنا وصحونا من هذه السكرة العميقة يكون قد فات الأوان. إذ نجد أنفسنا قد صرنا في زمرة المنافقين وذى الوجهين واللسانين وحشرنا بلسانين من نار، أو بوجهين مشوهين بشعين! وعندئذ لن نتفعنا نداءاتنا «ربّ ارْجِعُونِ» إننا نجاب بـ«كَلَّا».

﴿فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ ١٠١

[توضيح حول سبب انقطاع الأسباب في عالم الآخرة]

إنّ موت الإنسان يأتي في أعقاب استقلال النفس، وهو ليس ان يأتي الموت

ويخرج من الطبيعة، ولكن عندما يتحقق الاستقلال فذلك هو الخروج من الطبيعة، والخروج من الطبيعة هو الموت. وبما ان الخروج من الطبيعة مجرد؛ وفي هذا الوقت تنشأ فرديته، لأنه يكون قد تحرر من الحركة الجوهرية في الطبيعة. وفي عالم المجردات أيضاً يكون فريداً من نوعه. ولهذا يكون كل شخص في ذلك العالم مجرداً وفريداً وفرداً. وهذا يعني أن الانساب تنقطع هناك، وهذا هو معنى الآية الشريفة: ﴿إِذَا نْفَخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ﴾^١. وهذا الانقطاع في الانساب قهري وطبيعي والوصول الى عالم التجرد بالنسبة الى المادة التي سارت في مسار الانسانية قهري وطبيعي وهذه الحالة بمثابة استحقاق طبيعي وذاتي لهذا الطريق وهذا الصراط.

وكذلك إن كان هناك خط مستقيم يمتد بين نقطتين، وانطلق أحدًا من النقطة الأولى سائراً على هذا الطريق، فلا بد أن يصل في نهاية الأمر الى النقطة الاخرى. وكذلك حركة الانسان من الصورة الأولى التي كانت في المادة الأولى وتأتي باستمرار الى أن يتبدل أفق الطبيعة. وحينما تُقلب صفحة عالم الطبيعة يأتي دور صفحة عالم التجرد.^٢

﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ ١٠٧ ﴿قَالَ اخْسَنُوا لَهَا وَلَا تَكَلِّمُون﴾

١٠٨

[في معنى "إخسأ" في الاستعمال القرآني لها]

الدليل الآخر الذي يقول به أهل التناسخ هو "أنَّ ظاهر كلمات الأقدمين من

١. المؤمنون (٢٣): ١٠١.

٢. تقارير فلسفة الإمام الخميني، ج ٣، ص ٧١.

٣. الأسفار، ج ٩، ص ٢٩.

الفلاسفة، بل الآيات القرآنية وروايات الشرائع دالة على التناسخ مثل الآية الشريفة: ﴿قَالَ اخْسَوْوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُون﴾^١ والآية الشريفة ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾^٢ وكذلك الحديث الشريف الذي يقول: يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ كَأَمْثَالِ الذَّرِّ^٣ وكذا الحديث الذي جاء فيه: وَيُحْشَرُ بَعْضُ النَّاسِ عَلَى صُورَةِ يَحْسَنٍ عِنْدَهَا الْقِرْدَةُ وَالخَنَازِيرُ^٤ والحديث الآخر: «إِنَّ الْكَافِرَ لَيَسْحَبُ لِسَانَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَرَاءَهُ الْفَرَسُ وَالْفَرَسُ خَيْنٌ، يَتَوَطَّؤُهُ النَّاسُ»^٥ كما جاء في رواية أخرى ان مقعد الكافر في النار مسير ثلاث ما بين المدينة والريذة وهي قرية قرب المدينة^٦. وقد قرأها الحاج هادي السبزواري بريدة^٧ ثم قال: والبريدة معرب أصلها دم بريدة^٨.

[تفنيد ادلة اهل التناسخ]

وعلى أي حال فقد ارادوا بهذه الأقوال اتمام التناسخ الذي تدل عليه الآيات وظاهر كلمات الأقدمين.

ولكن لا يخفى ان هناك امور وهي: أولاً: ان الظواهر لا تصمد أبداً أمام الأدلة العقلية. وان كان في ظاهر الآيات القرآنية، ولو على فرض ان ظاهر بعض الكلمات فيها يُفيد بأن الله جسم أو ان هناك إلهين، أو ان الله مفضل وظالم، فإن

١. المؤمنون (٢٣): ١٠٨.

٢. النساء (٤): ٥٦.

٣. بحار الأنوار، ج ٧، ص ٥٠.

٤. علم اليقين، ج ٢، ص ٩٠١.

٥. كنز العمال، ج ١٤، ص ٥٢٨، ح ٣٩٥١٤.

٦. كنز العمال، ج ١٤، ص ٥٣٠، ح ٣٩٥٢١ و٣٩٥٢٢.

٧. الأسفار، ج ٩، ص ٣٣، التعليقة ٢.

هذه الظواهر لا حجية لها، وهي لدى الدليل العقلي كأنها لم تكن، بل لا بد من القول بالقطع واليقين ان هذه الظواهر ليست هي المرادة حتماً.

ثانياً: هناك آيات استدل بها أهل التناسخ، منها مثلاً الآية الشريفة: ﴿اِخْسَوْا﴾ فما هي دلالة هذه الآية؟ وهل تفيد هذه الآية سوى زجرهم بحدّة بكلمة تستعمل عادة لطرده الكلب، ولعلّ الغاية هي اهانتهم بمثل هذه الكلمة وطردهم ومنعهم من الكلام.

ومراد الخصم من وراء هذا الكلام هو القول بأنه طالما قيل لهم ﴿اِخْسَوْا﴾ فلا بد انهم قد تحوّلوا الى كلاب، وتحولهم الى كلاب دليل على جواز التناسخ، في حين ان ظاهر الآية لا يفيد هذا المعنى.

ولو ان القائلين بالتناسخ أخذوا بمبدأ الرجعة الذي هو من ضرورات مذهبنا لكان خيراً لهم؛ لأنهم يستطيعون القول بأن الرجعة هي دخول الروح والنفس في بدن. وبما اننا نرى انه من المحال أن تخرج النفس من بدن ثم تتعلق مرة أخرى ببدن آخر، ولا فرق في ذلك في ان تحلّ في البدن السابق أو تحلّ في بدن آخر من الأبدان الانسانية. كما انه ليس من الممكن أن تتعلق ببدن حيوان من الحيوانات. وهذه كلّها وفقاً لمعيار واحد شيء محال. اذاً لو استدّلوا على صحة التناسخ بالرجعة أو بالمعاد الجسماني لكان الأمر مقبولاً.

ولكن هناك عدّة امور ينبغي الإشارة كما لا يخفى وهي:

أولاً: ان القائلين بالتناسخ قد أخطأوا وخططوا بين التناسخ الملكي والتناسخ الملكوتي. والشيء المحال هو التناسخ الملكي، وأما التناسخ الملكوتي بالشكل الذي يفيد بأن ملكوت النفس تجلّ انشائي وظهوري، وهو يُنشئ من باطنه وطبقاً لملكاته وبما يتناسب مع باطنه وملكاته صوراً، وهذه الصور بدل عن النفس التي

هي مجلى وظهور باطنه. طبعاً في عالم الآخرة عالم الاشباح وعالم الشكل والصورة، وليس وراء وفوق هذا العالم عالم العقل فقط. بل هناك هناك لغير اولئك الذين وصلوا الى التجرد العقلائي - أي كل من لم يصل الى التجرد العقلائي المحض - وعالمه ليس عقلياً صرفاً، بل عالم لا يخلو من المقدار والشكل.

ولهذا فان للنفس هناك ظل وهو ظهورها، مثلما ان قوى البدن في هذا العالم ظهور النفس. نعم البدن الذي لها في هذا العالم، له نوع من التقدم على النفس. ولكن البدن هناك غير مقدّم على النفس، وظهوراً لباطنها، ورهن بانشاء ذلك المنشأ. كما ان النفس أيضاً تظهر بما يتناسب مع ما هو كائن في باطنها على نحو الملكات.^١





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ

مُبِينٌ﴾ ١٢

[الدليل على حرمة اشاعة الفحشاء]

استدل المحقق المذكور في مورد آخر على وجوب حمل فعل المسلم على السانغ بقوله تعالى في قضية الإفك: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾.

قال رحمه الله -: والضمير في ﴿سَمِعْتُمُوهُ﴾ راجع إلى ما عبر عنه بما ليس لكم به علم في الآية اللاحقة. دل بمقتضى كلمة لولا الدالة على التنديم والتويخ على أن المساءة التي تنسب إلى الغير مما ليس للمخاطب به علم يجب الحكم بكونه إفكاً وكذباً. وفيه دلالة على كون أصالة الصحة في فعل المسلم من باب الظن

١. المقصود هنا هو العلامة الميرزا محمد تقي الشيرازي المعروف بالميرزا الثاني في كتابه الحاشية على المكاسب، ص ١٢١، في حرمة الغيبة.

النوعي.

[رد على شبهة وعدم دلالة آية الإفك على أصالة الصحة]

...وأنت خير بأن الآيات الشريفة غير مربوطة بحمل فعل المسلم على الصحة بناء على ما هو المعروف من أنها واردة في عائشة، فإن مورد أصالة الصحة ما إذا وقع فعل من فاعل ولم يعلم أنه وقع على وجه الصحيح أو الفاسد، وفي المقام لم يقع فعل مردد بينهما بل كان الانتساب إفكاً وكذباً وكان السامع شاكراً في صدور الفعل منها لا في صحة فعلها بعد صدوره.

فالتعير والتوبيخ إنما هو على انتساب فاحشة إلى الغير بلاعلم، بل لعل مجرد انتساب قبيح إلى الغير بلاعلم داخل في الافتراء والإفك أو ملحق به.

فالآيات الكريمة واردة في توبيخ من أشاع الفاحشة في المسلم بلاحجة وعلم، فهي غير مربوطة بأصل الصحة.^١

﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ

الْكَاذِبُونَ﴾ ١٣

﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ

عَظِيمٌ﴾ ١٦

١. راجع: مجمع البيان، ج ٨-٧، ص ٢٠٤، في ذيل آية الإفك؛ وراجع: أيضاً تفسير القمي ٢، ص ٩٩.

٢. المكاسب المحرمة، ج ١، ص ٤٦١-٤٦٢.

[عدم الدلالة على اصاله الصحة والدلالة على حرمة اشاعة الفحشاء]

وقوله: ﴿لِإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ دل على أن المدعين محكومون بالكذب ما لم يعلم صدقهم بإقامة الشهود.
 وبقوله: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ والضمير في: ﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ أيضاً راجع إلى المرجع في الآية السابقة، فيقتضي الحكم بكون ما ليس للإنسان به علم مما ينسب إلى غيره بهتاناً. انتهى.
 وأنت خبير بأن الآيات الشريفة غير مربوطة بحمل فعل المسلم على الصحة بناء على ما هو المعروف من أنها واردة في عائشة، فإن مورد أصالة الصحة ما إذا وقع فعل من فاعل ولم يعلم أنه وقع على وجه الصحيح أو الفاسد، وفي المقام لم يقع فعل مردّد بينهما بل كان الانتساب إفكاً وكذباً وكان السامع شاكاً في صدور الفعل منها لا في صحّة فعلها بعد صدوره.

فالتعير والتوبيخ إنما هو على انتساب فاحشة إلى الغير بلا علم، بل لعل مجرد انتساب قبيح إلى الغير بلا علم داخل في الافتراء والإفك أو ملحق به.

فالآيات الكريمة واردة في توبيخ من أشاع الفاحشة في المسلم بلا حجة وعلم، فهي غير مربوطة بأصل الصحة. ولو كانت القضية مربوطة بمارية القبطية زوجة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكانت عائشة آفكة^٢ لم تدل الآيات على وجوب حمل فعل المسلم على الصحة أيضاً، بل واردة فيما ذكرناه، إذ لم

١. حاشية المكاسب للعلامة الميرزا الشيرازي، ص ١٢١، في حرمة الغيبة.

٢. راجع: مجمع البيان، ج ٨ - ٧، ص ٢٠٤، في ذيل آية الإفك؛ وراجع: أيضاً تفسير القمي، ج ٢، ص ٩٩.

٣. راجع: تفسير الصافي، ج ٣، ص ٤٢٣؛ وتفسير القمي، ج ٢، ص ٩٩.

يصدر فعل منها مرددًا بين الصحيح والفاسد.
 إلا أن يقال: إن الإفك في مارية راجع إلى مبدأ ولدها، وهو مردد بينهما،
 والتوبيخ لأجل عدم حمل فعلها على الصحة.
 لكنه كما ترى بعيد عن ظاهر الآيات كما لا يخفى، فإن الظاهر منها أن القول
 بلا علم وحجة افتراء وإفك، وأن التوبيخ ورد لذلك، لا على القول مع الحجة
 والعلم على الخلاف.
 بل يحتمل أن يكون مبنى التوبيخ قيام الاستصحاب العقلاني أو الشرعي على
 عدم صدور القبيح بناء على أن البناء على العدم كاف في إثبات كون النسبة
 إفكًا، تأمل.

بل لقائل أن يقول: إن الآيات تدلّ على عدم حجّة أصالة الصحة في الأقوال،
 وإلا فمقتضى جريانها فيها وأماريتها على الواقع ثبوت الواقع بها، فيخرج
 الموضوع عن الافتراء، ولا وقع للتوبيخ مع حجبتها.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا

وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ١٩

[استدلال على كون الغيبة من الكبائر]

ويمكن الاستدلال على كونها [الغيبة] كبيرة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ
 يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.
 إما بدعوى أن الغيبة ملازمة لحب شيوعها، تأمل.

أو بدعوى أن المراد من حبّ شيوعها ولو بملاحظة ورود الآية في ذيل قضية الإفك، هو نفس إشاعتها، أو يقال: إن حبّ شيوعها إذا كان كذلك فنفس الإشاعة أولى به.

وبدعوى أن المراد بتشييع الفاحشة إظهارها وإفشاؤها.

وا احتمال أن يكون المراد به حبّ شيوع نفس الفاحشة والمعصية بين المسلمين. بعيد عن ظاهر اللفظ و سياق الآية.

وإن كان الاستدلال بنفس الآية للمدعى لا يخلو من تكلف وتعسف، فالأولى الاستدلال بها بضميمة بعض الروايات: كمرسلة ابن أبي عمير عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «من قال في مؤمن ما رآته عيناه وسمعته أذناه فهو من الذين قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾».

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ لِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ٣٥

[معنى النور واستعماله بحق الله والموجودات الأخرى]

الألفاظ وضعت لمفاهيم عامة ولم توضع لمفهوم مقيد بمصداق معين مثلاً لو

١. راجع: تفسير القمي، ج ٢، ص ٩٩، في ذيل الآية ١١ من سورة النور.

٢. راجع: حاشية المكاسب للعلامة الميرزا محمد تقي الشيرازي، ص ١٠٤، في حرمة الغيبة.

٣. وسائل الشيعة، ج ٨، ص ٥٩٨، الباب ١٥٢ من أبواب أحكام العشرة، ح ٦.

٤. المكاسب المحرمة، ج ١، ص ٣٧٣.

قلنا ان معنى النور هو ما تظهر به الأشياء؛ أي الشيء الذي لا تُمكن رؤية الأشياء إلا به. واطلاق النور الحقيقي يصدق على الله وعلى سائر الأنوار مجازي؛ لأن كل موجودات العالم كانت معدومة وظهرت وبرزت بنوره، إذًا: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^١.

وعلى العموم فإن للنور أقسام: نور الشمس، ونور القمر، ونور النار، ونور الجوهري، ونور الياقوت، ونور ذوي الطلعة الملائكية، والنور الآخر هو النور المنور لجميع الأنوار وهو النور الذي تُرى به الأنوار، والا فلا يمكن إطلاقاً أن تُرى ذرة واحدة في ظلمة العدم، وذلك إشراق نور الوجود المشرق على الماهيات المظلمة في ظلمة العدم.

إذاً بما ان معنى النور يصدق عليه، فهو حقيقة نور، وإن كان واضح كلمة النور لم يأخذ لها بنظر الاعتبار مصداقاً سوى نور الشمس، الا اننا العارفون بحقيقة الحال نوسّع ذلك ونطلق هذا المعنى على النور الذي هو مصدر الأنوار.^٢

[نور الموجودات جلوة من نور الله]

ان جهات التنقّص [في ذات الحق] ليست منه، ولا يصدر منه شيء آخر غير الجهة الوجودية التي هي منشأ جميع الكمالات. وهذا الوجود المنبسط ظل

١. هذا على خلاف رأي الإمام الخميني الذي يقول ان الألفاظ قد وضعت لروح المعاني واطلاقها على غيرها حقيقة لا مجازاً. انظر: مصباح الهداية، ص ٣٩؛ آداب الصلاة، ٢٤٩؛ تفسير سورة الحمد، ص ٢٧؛ شرح دعاء السحر، ص ٣٧؛ الاربعين، ص ٦١٨. وللزيد من التوضيح راجع: الفصل الخامس، المبنى السابع من مقدّمة هذا التفسير.

٢. النور (٢٤): ٣٥.

٣. تقارير فلسفة الإمام الخميني، ج ٢، ص ١٤٢.

الرب ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلُّ﴾^١ وهذا النور جلوة من نوره وجلوة من جماله ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^٢.

وهذه الحقيقة هوية بسيطة؛ لأن هذه الهوية البسيطة من تلك الهوية البسيطة التي هي في عين بساطتها، أول وآخر وظاهر، وعلم ونور وظهور ووجود وموجود: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾^٣. وهذا الظل البسيط أيضاً علم ونور وقدرة وإرادة ولكنه منفصل عن الذات؛ وهو ظل الذات وشعاع الذات ومرتبب بالذات. ولا فرق بينه وبين ذات المبدأ من جهة البساطة والوحدة وعدم انثلامه بواسطة صدق المفاهيم الكمالية - سوى انه مخلوقه وصادر عنه. جاء في الأدعية الرجبية: "لا فرق بينك وبينهما الا انهم عبادك وخلقك فتقها ورتقها بيدك" الى ان يقول: "فبهم ملأت سماءك وأرضك حتى ظهر أن لا إله الا أنت".^٤ وقد عبّر أمير المؤمنين عليه السلام عن هذا المضمون أيضاً في الأدعية الشعبانية^٥.

[النظر الى نور السموات والارض نظر الى النور الالهي]

يقول الله تعالى في سورة النور: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^٦ وهو هنا يقصد

١. الفرقان (٢٥): ٤٥.

٢. النور (٢٤): ٣٥.

٣. الحديد (٥٧): ٣.

٤. مصباح المتجّد، ص ١٧٤٠ مفاتيح الجنان، أدعية أيام شهر رمضان، توقيع الناحية المقدّسة.

٥. لعله اشارة إلى هذه الفقرة من المناجاة الشعبانية: "... فصل إلى معدن العظمة وتصير أرواحنا معلقة

بعض قدسك". راجع: اقبال الأعمال، ص ٦٨٥؛ مفاتيح الجنان، الأعمال المشتركة لشهر رمضان.

٦. تقريرات فلسفة الإمام الخميني، ج ٢، ص ١٨١ - ١٨٢.

٧. النور (٢٤): ٣٥.

النور، ولا يقصد النور والسماء كليهما. بل أن أصل القصد هو المضاف، ولكن طرف الاضافة هو السماء والأرض. فالنور واحد والسماء والارض مضافان إليه. والسماء والارض كلاهما يُريان بنور واحد، وليس لكل واحد منهما نور على حدة.^٢

[معنى كَوْن الله نوراً]

انظر العالم جلوة وانظر الله متجلياً فيه. نظام العالم هذا نور جماله: ﴿الله نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^٣ وهل يمكن بيان الموضوع على نحو أفضل من هذا؟ نعم وماذا يفعل أمير المؤمنين عليه السلام؟ لقد ابتلي عليه السلام بجماعة لم تكن لديها قدرة على الفهم. ولذلك فقد قال في ما يخص قضية ﴿الله نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: "أي منور السماوات والارض"^٤ مع انه قد قال هذا الكلام في لفاقة؛ وذلك لأن ذات المنور يجب ان يكون نوراً، وليس الشيء الذي من أوصافه إنارة الغير ولكنه هو ذاته لا يكون نورانياً. إذأ فهو النور الحقيقي؛ أي انه وجود صرف والعالم نوره.^٥

١. اشارة الى ما جاء في دعاء الشعبانية حيث كان الائمة يسألون الله ان يريهم حقيقة السماء والارض

لكي يُرى بنورهم نور الله: (واتر ابصارنا بضياء نظرها اليك) راجع اقبال الاعمال، ج ٣، ص ٢٩٩.

٢. تقارير فلسفة الإمام الخميني، ج ٢، ص ١٩١.

٣. النور (٢٤): ٣٥.

٤. راجع: مجمع البيان، ج ٨٠٧، ص ٢٢٤.

٥. تقارير فلسفة الإمام الخميني، ج ٢، ص ٣٢٠ - ٣٢١.

[لزوم توسيع مفهوم النور]

العالم كله كلمات الله. والقرآن فقط ليس كلمات الله. بل حتى القرآن قد نزل على قاعدة وضع الألفاظ للمعاني العامة. وهذه القاعدة نفسها تؤكد صواب الرأي القائل بأن القرآن ذو بطون؛ وذلك لأن ما يعبر عنه القرآن هو تمام نظام العالم. فإن جاء بكلمة النور مثلاً فهو يريد منها ذلك المعنى العام لواجب الوجود ويمتد هذا المعنى حتى يشمل نور هذه الشمس أيضاً.

ولكن عندما يتكلم شخص عاقل وحكيم مع طفل صغير، ويريد ان يبين له شيئاً، فعليه ان ينزل بالكلام الى حدّ المثال. ولهذا قال القرآن الكريم: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ...﴾.

هذا القرآن سار من العقل الأول الى آخر مرحلة في الوجود، غاية ما في الأمر انه يجب أن يسوق لجماعة من أمثالنا آلاف الأدلة والبراهين والأمثلة ليثبت لنا ان هناك عالم علوي أيضاً. ومع ذلك فاننا من حيث الاعتقاد أما ان نكون على شك واما ان نكون على ظن وهو كيف ينزل القرآن بتلك الحقيقة التي هي أعلى من هذا العالم بدرجة؛ لهذا فقد جاء القرآن الى هذه المرحلة.

والمراد من بطون القرآن، هو ان للقرآن عوالم سبعة؛ أي في كل عالم يكون قرآن ذلك العالم من سنخ ذلك العالم؛ ولو ان النبي أظهر القرآن الذي في العقل الأول لما فهمه الا من لا تكل أعينهم من تلك المرأة. وعلى العموم: فان كون القرآن ذا بطون يفيد بأن الألفاظ قد وضعت لمعاني عامة، وفي الوقت الذي يكون فيه القرآن حقيقة عامة، فهو شامل لكل العالم في أية مرتبة كان. غاية ما في الأمر ان الذي يفهم من النور هذا النور وحده، فمعنى ذلك انه يفهم قشر

١. النور (٢٤): ٣٥.

٢. عوالي اللثالي، ج ٤، ص ١٠٧، ح ١٥٩.

القرآن فحسب. وأما من يرى سعة اللفظ وما وضع له، فهو يعلم بطن القرآن.

[المراد من بطن القرآن وحدود الاخذ عنه]

والمراد من البطن هو ما سبق ذكره، وليس ما ذهب إليه صاحب الكفاية من أن المراد من بطون القرآن، لوازم المعاني القرآنية، وإنما كما قلنا ان المراد من البطون، هي تلك المعاني العامة التي تشمل على نحو الحقيقة جميع العوالم، بيد ان كل واحد يفهم المعاني العامة للقرآن على قدر سعته الانسانية للعوالم.

بما اننا قشريون، لذلك فقد نزل علينا ظاهر القرآن فقط، ومعناه هو ما سبق ذكره. لعل السبب الذي دعا الى التعبير عن القرآن عند نزوله بالحرف، فقيل ان القرآن نزل على سبعة أحرف^١ هو أننا لم نتوصل الى بطون القرآن، وكل ما نرى من القرآن نرى غير الله؛ لأننا قشور عالم الطبيعة.

ولعل هذا المعنى هو الذي جعل الإمام جعفر الصادق عليه السلام يقول لأبي حنيفة:^٢ «وما ورثك الله من كتابه حرفاً»؛^٣ لانه لا يمكن القول بأن ما نفهمه نحن

١. كفاية الاصول، ص ٣٨.

٢. الخصال، ج ٢، ص ٣٥٨، ح ٤٣؛ بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ٤٩، ح ١٠.

٣. النعمان بن ثابت الكوفي (٨٠ - ١٥٠هـ) من اصحاب المذاهب الفقهية لأهل السنة وامام الحنفيه. أول من وضع القياس في الفقه. وقد نهى الامام الصادق (ع) مراراً عن هذا العمل وحاججه في ذلك. درس على يد الامام الصادق مدة سنتين. وكان كثيراً ما يقول: لولا الستان لهلك النعمان. ومن تلاميذه محمد بن الحسن الشيباني وابي يوسف القاضي. ومن كتبه: المخارج في الفقه، والمسند في الحديث. وقبره في بغداد مزار لأهل السنة.

٤. علل الشرائع، ص ٩٠، ح ١٥ بحار الأنوار، ج ٢، ص ٢٩٣، ح ١٣.

من هذه الألفاظ العربية، لم يكن يفهمه أبو حنيفة. وعلى العموم ان نصيبنا من القرآن هو صورته الظاهرية، ونحن لم نخرج من الدنيا لكي نرى ما وراء دنيا القرآن. لا نظن ان فينا من يعمل الله. فالجنة دنيا أيضاً، وهل الجنة الآخرة؟ ان كل ما سوى الله دنيا، وكل ما سوى الله حقير ودنيء. ولكن ماذا نفعل ان كانت مشامنا فاقدة لقابلية استشمام شيء سوى هذه الدنيا، بل انها لا تشم الا أدنى مرتبة من الدنيا. فنحن لم نتوصل الى أي شيء سوى هذا القشر الأخير.^١

[تفسير النور وحقيقته في الآية]

فإذا انشرح صدره للإسلام^٢ و صار على هدى و نور من ربه، علم ان النور لم يكن محصوراً في هذه المصاديق العرفية... بل يظهر له ان العلم ايضاً نور يقذفه الله في قلب من يشاء من عباده؟ و حقيقة النور التي هي الظهور بذاتها و الاظهار لغيرها متجلية فيه بالطريق الأنتم و السبيل الأوضح الأقوم. فنور العلم متجل في مجالي جميع المدارك، بل في المراني التي فوق المدارك، من النفوس الكلية الإلهية و العقول المجردة القدسية و الملائكة المنزهة المقدسة. و يظهر به بواطن الاشياء كظواهرها؛ و ينفذ على تخوم الأرض و سحق السماء، و يبقى نفسه مرّ الليلي و الايام. بل بعض مراتبه على الزمان و الزمانيات و ينطوي لديه المكان و المكانيات،

١. تقارير فلسفة الإمام الخميني، ج ٢، ص ٣٥٧ - ٣٥٩.

٢. اشارة الى الآية الشريفة: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ (الانعام: ١٢٥) حيث اقتبس منها عدم انحصار النور في هذه المصاديق، و تحدث حول معنى النور و مكانته.

٣. اقتباس من حديث عنوان البصري، راجع: بحار الأنوار، ج ١، ص ٢٢٥، كتاب العلم، باب آداب طلب العلم و احكامه، ح ١٧. «العلم نورٌ يُقَدِّفُهُ اللهُ فِي قَلْبِ مَنْ يَشَاءُ.»

[و] بعض مراتبه واجب به و عمت الأراضي و السماوات و هو احاط بكل شيء علماً. و عند ذلك قد ينكشف لقلب السالك، بفضل الله و موهبتة، ان النور هو الوجود، و ليس في الدار غيره نور و ظهور. و اليه يرجع كل نور و ظهور: «يا منور النور»، «يا جاعل الظلمات و النور»، ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

و نورانية الأنوار العرضية و العلوم بمراتبها منه؛ و إلا فماهياتها ظلمات بعضها فوق بعض، و كدورات متراكمة بعضها في بعض.

فنورانية عوالم الملك و الملكوت و ظهور سرادقات القدس و الجبروت بنوره. و هو النور المطلق و الظهور الصرف بلا شوب ظلمة و كدورة؛ و سائر مراتب الأنوار من نوره. و في دعاء كميل: «و بنور وجهك الذي أضاء له كل شيء». و في الكافي عن القمي... عن ابي عبد الله، عليه السلام، قال: «ان الله كان اذ لا كان، فخلق الكان و المكان. و خلق نور الأنوار الذي نورّت منه الأنوار، و اجرى فيه من نوره الذي نورّت منه الأنوار. و هو النور الذي خلق منه محمداً و علياً، فلم يزالا نورين أولين؛ إذ لا شيء كوّن قبلهما. فلم يزالا يجريان طاهرين مطهرين في الأصلاب الطاهرة حتى افترقا في أطهر طاهرين، في عبد الله و أبي طالب».^٢

قد نسب داود بن محمود القيصري^٤ شارح فصوص الحكم، و محمد بن

١. دعاء الجوشن الكبير، الفقرة ٤٨.

٢. اقبال الاعمال، ص ٢١٤، ٢٢٤، (دعاء يومي ٢٣ و ٢٦ من شهر رمضان المبارك)، وأيضاً إشارة الى (الانعام ٦): (١).

٣. اصول الكافي؛ ج ١، ص ٤٤١-٤٤٢، كتاب الحجّة، باب مولد النبي (ص)، ح ٩.

٤. القيصري، داود بن محمود (٩٩٩-٧٥١هـ) من أعلام العرفان النظري، وله كتب متعددة في هذا المجال، وكتب مقدّمة شاملة لفصوص الحكم لابن عربي، وهي تدرس في الحوزات العلمية لمن لديهم رغبة في العرفان النظري.

حمزة ابن الفناري^١ شارح مفتاح غيب الجمع و الوجود للمحقق العارف محمد بن إسحاق القونوي^٢ في شرحيهما الى الشيخ الكبير محيي الدين العربي الاندلسي ان «النور» من أسماء الذات؛ و قد جعل الاسم الذي دلالة على الذات اظهر من أسماء الذات، و الذي دلالة على الصفات او الأفعال اظهر منهما...^٣

اقول: كون النور من أسماء الصفات بل من أسماء الأفعال اظهر، لأنه في مفهومه مأخوذ مظهرية الغير، فإذا اعتبر بالغير الاسماء و الصفات في الحضرة الإلهية كان من أسماء الصفات، و إذا اعتبر به مراتب الظهورات العينية كان من أسماء الأفعال، كما في قوله تعالى ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضِ﴾، و قوله تعالى ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾؛ و قول سيد الموحدين أمير المؤمنين، عليه السلام، في دعاء كميل «و بنور وجهك الذي أضاء له كل شيء». و كما في دعاء سمات: «و بنور وجهك الذي تجليت به للجبل فجعلته دكا و خرّ موسى صعقاً»^٤. فهو تحت الاسم الظاهر و رب الشهادة المطلقة او الشهادة المقيدة. و كذلك الرب الذي عيّن الشيخ انه من اسماء الذات، فهو ايضاً بأسماء الأفعال اشبه^٥.

١. شمس الدين محمد بن حمزة الفناري الرومي (٧٥١ - ٨٣٤هـ) عالم في المنطق و الاصول وله آراء في الأدب و علم القراءات. و هو من مدرّسي فصوص الحكيم لابن عربي. و من آثاره: شرح ايساغوجي، شرح الفوائد الفياضية، مصباح الانس بين المعقول و المشهود.

٢. ابو المعالي محمد بن اسحق القونوي (٦٧٣هـ). الملقب بصدر الدين. من أعلام العرفان، و من اشهر تلاميذ ابن عربي و شارحي آثاره.

٣. شرح مقدمة القيصري، ص ٢٥٥ - ٢٥٩؛ مصباح الانس، ص ١١٢ - ١١٣.

٤. النور (٢٤): ٣٥.

٥. مصباح المتجهد؛ ص ٣٧٦.

٦. شرح دعاء السحر، ص ٣٨ - ٤٠.

[سلوك الاولياء الالهيين من مقام ظهور الآلاء والنورانية]

إعلم إن كل واحد من العلماء رضوان الله تعالى عليهم قد تناول هذه الجملة «إعرفوا الله بالله»^١ وشرحها على ضوء مسلكه العلمي أو مذهبه الفلسفي... الاحتمال الذي قد خطر على بال الكاتب وهو يتنى على مقدمة مذكورة في علم الأسماء والصفات، وهي أن للذات المقدسة للحق عز جلاله اعتبارات، وأن لكل اعتبار إصطلاحاً خاصاً به. هي: منها: اعتبار الذات من حيث هي، أي الذات المجهولة بصورة مطلقة، من دون أن يكون له اسم أو رسم ومن دون إمكان بلوغ آمال العرفاء، وذوي القلوب والأولياء إليه. وقد يعبر عنه حيناً لدى أرباب المعرفة «بعنقاء المغرب».

قال الشاعر: أيها الصياد انتبه بأن العنقاء لا يسقط في الفخ فاسحب مصيدتك!^٢
وحياناً آخر: «بالعماء» أو «العمى»...^٣

وحياناً ثالثاً: «بغيب الغيوب» و«الغيب المطلق» وغير ذلك، فإن كل هذه التعبيرات والمصطلحات، تكون قاصرة عن أداء المعنى...

ومنها: اعتبار الذات حسب مقام التعيين الغيبي، وعدم الظهور المطلق، المسمى بمقام «الأحدية» والتعبيرات المذكورة في الاعتبار السابق تتلاءم مع هذا المقام: ويتحول في هذا المقام اعتبار الأسماء الذاتية، حسب اصطلاح العلماء، إلى الأسماء مثل: «الباطن» المطلق، و«الأول» المطلق، و«العلي» و«العظيم»...^٤

١. قال أمير المؤمنين (ع): اعرفوا الله بالله، و الرسول بالرؤساء، و اولى الأمر بالأمر بالمعروف و العدل و الاحسان. اصول الكافي؛ ج ١، ص ٤، كتاب التوحيد، ح ١.

٢. بيت شعر للشاعر الإيراني حافظ الشيرازي.

٣. عوالي اللثالي، ج ١، ص ٥٤. مسند أحمد بن حنبل، ج ٤، ص ١٢ (باختلاف ضئيل).

٤. اصول الكافي، ج ١، ص ١١٣، كتاب التوحيد، باب حدوث الأسماء، ح ٢.

ومنها: اعتبار الذات حسب مقام الواحدية، ومقام جمع الأسماء والصفات، الذي عبر عنه بمقام «الواحدية» ومقام «الأحدية لجمع الأسماء» و«جمع الجمع» وغير ذلك. ويقال لهذا المقام باعتبار مقام أحدية الجمع، مقام «الاسم الأعظم» و«الاسم الجامع لله».

ومنها: إعتبار الذات حسب مرتبة التجلي «بالفيض المقدس» ومقام ظهور الأسماء والصفات في مرائي الأعيان، كما أن مقام «الواحدية» يكون بسبب تجلي «الفيض الأقدس». ويقال لهذا المقام الذي هو مقام ظهور الأسماء، مقام «الظهور الإطلاقي» ومقام «الألوهية» ومقام «الله» أيضاً حسب الاعتبارات المقررة في الأسماء والصفات. وقد شرحناها في كتاب مصباح الهداية^١.

ولابد من معرفة أن هذه الاعتبارات المذكورة على السنة أهل المعرفة وأصحاب القلوب، إخبار عن دور تجليات الحق سبحانه على قلوبهم الصافية، وتكون تلك التجليات حسب مراتب ومقامات سلوك الأولياء، وحسب منازل سير السائرين إلى الله ومراحل، مبتدئة من مقام ظهور الأسماء والصفات، الذي هو مقام «الإلوهية» والمسمى بـ«الله» والتي تكون آية ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ إشارة إلى ذلك، ومنتية بمقام الغيب الأحدي، ومرتبة الأسماء الذاتية والاسم «المستأثر» الذي يكون نهاية السير والمقصد. ويمكن أن يكون قوله تعالى: ﴿وَأُذُنٌ﴾ إشارة إلى هذا المقام.

١. مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية، ص ٣٣ - ٣٨.

٢. النجم (٥٣): ٩.

[في سفر السالك، الله مبدأ السفر والسير في انواره وتجلياته]

وبعد هذه المقدمة نقول: إن الإنسان عندما يلجأ إلى الفكر والبرهان في طلبه للحق وسيره إلى الله، يكون سيره عقلياً علمياً، ولا يكون من نوع سير أهل المعرفة وأرباب العرفان، لأنه قد سقط في الحجاب الأكبر والأعظم، من دون فرق بين أن ينظر إلى الأشياء من ماهياتها، والتي تعتبر الحجب الظلمانية، ويبحث عن الحق المتعالي من خلالها، أو ينظر إلى الأشياء من خلال وجوداتها التي تكون حجياً نورانية... إن الشرط الأول في السير إلى الله، هو الخروج من البيت المظلم للنفس والذات والأنانية. فكما أن الإنسان في السفر الخارجي العيني المحسوس، لا يكون مسافراً مادام هو في مكانه وبيته رغم تخيله السفر الشرعي لا يتحقق إلا بعد مغادرة البلد واختفاء آثاره، فكذلك لا يتحقق هذا السفر العرفاني إلى الله، والهجرة الشهودية إلا بعد التخلي عن البيت المظلم للنفس واختفاء آثارها ومعالمها، لأنه مادامت آثار التعينات مشهودة وأصوات الكثرات مسموعة، لا يكون الإنسان مسافراً، بل أنه تخيل السفر وادعى السير والسلوك قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾.

فبعد أن يغادر السالك إلى الله بخطوات ترويض النفس والتقوى الكاملة من بيت النفس، ولم يصطحب معه في هذا الخروج العلقة الدنيوية، والتعينات، ويتحقق له السفر إلى الله سبحانه، يتجلى له الحق المتعالي قبل كل شيء، على قلبه المقدس بالألوهية ومقام ظهور الأسماء والصفات. ويكون هذا التجلي أيضاً

مرتباً ومنظماً، حيث ينطلق من الأسماء المحاطة مروراً بالأسماء المحيطة حسب شدة السير وضعفه وحسب قوة قلب السالك وضعفه على التفصيل الذي لا يستوعبه هذا الكتاب المختصر، حتى ينتهي إلى رفض كل تعينات عالم الوجود سواء كانت تعينات تعود إلى نفسه أو تعينات راجعة إلى غيره والتي تعتبر - أي هذه التعينات الغيرية - في المنازل والمراحل التالية من التعينات العائدة إلى نفسه أيضاً وبعد الرفض المطلق، يتم التجلي بالألوهية، ومقام الله الذي هو مقام أحدية جمع ظهور الأسماء، وتظهر «إِغْرَفُوا اللَّهَ بِاللهِ» في مرتبتها الأولية النازلة.

ولدى وصول العارف إلى هذا المقام والمنزلة، يفنى في هذا التجلي، فإذا وسعت العناية الأزلية، لحصل للعارف الفاني في هذا التجلي، إستيناساً، ولزالت عنه وحشة الطريق ونصب السفر، وإستفاق، فلم يقتنع بهذا المقام، ويستمر بخطوات ملؤها الشوق والعشق، وفي سفر العشق هذا يكون الحق المتعالي مبدأ السفر والباعث على السفر ونهاية السفر، وتتم خطواته في أنوار التجلي، ويسمع هاتفاً يقول له «تَقَدَّمَ» ويستمر في التقدم إلى أن تتجلى في قلبه بصورة مرتبة ومنظمة، الأسماء والصفات في مقام الواحدية، حتى يبلغ مقام الأحدية، ومقام الاسم الأعظم الذي هو إسم الله، فيتحقق في هذا المقام «إِغْرَفُوا اللَّهَ بِاللهِ» في مرتبة عالية. ويوجد أيضاً بعد هذا المقام، مقام آخر لا مجال لذكره فعلاً.^٢

١. ادنوا، خطاب الله تعالى للنبي الكريم(ص) في ليلة المعراج. راجع: روايات المعراج في

بحار الأنوار، ج ١٨، ص ٢٨٢، الباب ٣.

٢. اصول الكافي، ج ١، ص ٣٤ كتاب التوحيد، ح ١.

٣. شرح الأربعون حديثاً، ص ٦٢٣ - ٦٢٦.

[وجه الله نور الله]

إن الإنسان الكامل، مظهر الاسم الجامع، ومرآة تجلي الاسم الأعظم. كما أشير إلى هذا المعنى في الكتاب والسنة كثيراً. قال الله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ وقد تمّ هذا التعليم الإلهي على يدي الجمال والجلال تجاه باطن آدم بواسطة التخخير الغيبي الجمعي، لدى الحضرة الواحدية كما أنه تم التعليم الإلهي تجاه صورة آدم وظاهره، في عالم الشهادة بمظهره الطبيعي المادي، بواسطة ظهور الجلال والجمال. قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأُمَمَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾!

وتكون الأمانة لدى العرفاء الولاية المطلقة التي لا يليق بها غير الإنسان، وهذه الولاية المطلقة، هي مقام الفيض المقدس. وقد أشير إليه في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾^١.

وفي كتاب (الكافي) بسنده إلى أسود بن سعيد قال: «كنت عند أبي جعفر (عليه السلام) فأنشأ يقول ابتداءً مِنْهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ أَسْأَلَهُ نَحْنُ حُجَّةُ اللَّهِ، وَنَحْنُ بَابُ اللَّهِ، وَنَحْنُ لِسَانُ اللَّهِ وَنَحْنُ وَجْهُ اللَّهِ وَنَحْنُ عَيْنُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ وَنَحْنُ وِلَاةُ أَمْرِ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ»^٢

وفي دعاء الندبة «أَيْنَ وَجْهُ اللَّهِ الَّذِي يَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ الْأَوْلِيَاءُ؟ أَيْنَ السَّبَبُ الْمُتَّصِلُ بَيْنَ أَهْلِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ»^٣.

١. البقرة (٢): ٣١.

٢. الاحزاب (٣٣): ٧٢.

٣. القصص (٢٨): ٨٨.

٤. اصول الكافي، ج ١، ص ١٤٥، كتاب التوحيد، باب التوادر، ح ٧.

٥. زاد المعاد، الباب ١١، ص ٣٩٩. مفاتيح الجنان، ص ٥٣٧، دعاء الندبة.

وفي زيارة الجامعة الكبيرة «وَالْمَثَلُ الْأَعْلَى»^١. وهذا المثل الأعلى وذلك الوجه الإلهي، هو الوارد في الحديث الشريف «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ» ومعناه أن الإنسان هو المثل الأعلى للحق سبحانه، آيته الكبرى، ومظهر الأتم، وأنه مرآة لتجلي الأسماء والصفات وأنه وجه الله وعين الله ويد الله وجنب الله، «هُوَ يَسْمَعُ وَيُبْصِرُ وَيَبْطِشُ بِاللَّهِ، وَاللَّهُ يُبْصِرُ وَيَسْمَعُ وَيَبْطِشُ بِهِ»^٢. ووجه الله هذه هو النور المذكور في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وقال الإمام الباقر (عليه السلام) كما في كتاب (الكافي) بسنده إلى أبي خالد الكامل قال: «سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن قول الله عز وجل ﴿قَامُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾ فقال: يا أبا خالد النورُ والله نورُ الأئمةِ من آلِ مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وآله) إلى يومِ القيامةِ وهمُ والله نورُ الله الَّذِي أَنْزَلَ، وَهُمْ وَاللَّهُ نُورُ اللَّهِ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ»^٣.

وفي كتاب الكافي الشريف بسنده إلى الإمام الباقر روي لتراب مقدمه الفداء في تفسيره (عليه السلام) للآية الشريفة ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ^٤ قائلاً: «هي في أمير المؤمنين، كان أمير المؤمنين صلوات الله عليه يقول: ما لله تعالى آيةٌ هي أكبرُ مِنِّي، ولا لله من نبيٍّ أعظمُ مِنِّي»^٥.

-
١. من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٣٧٠، باب الزيارة الجامعة. عيون أخبار الرضا، الشيخ الصدوق، الباب ٧٨ ح ١.
 ٢. أصول الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب من آذى المسلمين، ح ٧.
 ٣. أصول الكافي، ج ١، كتاب الحجّة، باب أن الأئمة نور الله، ح ١.
 ٤. النبا (٧٨): ١، ٢.
 ٥. أصول الكافي، ج ١، كتاب الحجّة، باب أن الآيات التي ذكرها الله في كتابه، ح ٣.
 ٦. شرح الأربعون حديثاً، ص ٦٣٥ - ٦٣٦.

[حَقِيقَةُ الْوُجُودِ عَيْنَ النُّورِ وَعَيْنَ الْعِلْمِ]

تكون حقيقة الوجود عين النور، وعين العلم ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فالعلم عين النور وقد عبّر في الآيات الشريفة عن الإيمان والعلم بالنور ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَأَلَهُ مِنَ النُّورِ﴾!

وقد فسر (النور) حسب تفسير أهل بيت العصمة (عليهم السلام) في آية النور المباركة بالعلم، فعن الصادق (عليه السلام): «﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قَالَ: كَذَلِكَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾ قَالَ: مُحَمَّدٌ (صلى الله عليه وآله) ﴿كَمِشْكُوتَةٍ﴾ قَالَ: صَدْرُ مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وآله) ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ قَالَ: فِيهِ نُورُ الْعِلْمِ يَغْنِي النُّبُوَّةَ ﴿الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾ قَالَ: عَلِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى قَلْبِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - الْحَدِيثُ! وعن الباقر (عليه السلام) أنه يقول: «أنا هادي السماوات والأرض، مثل العلم الذي أُعْطِيْتُهُ - وَهُوَ النُّورُ الَّذِي يُهْتَدَى بِهِ - مَثَلُ الْمَشْكُوتَةِ فِيهَا الْمِصْبَاحُ، فَالْمِشْكُوتَةُ قَلْبُ مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وآله)، وَالْمِصْبَاحُ نُورُهُ الَّذِي فِيهِ الْعِلْمُ»!

وفي رواية قال: «فَالْمُؤْمِنُ يَنْقَلِبُ فِي خَمْسَةِ مِنَ النُّورِ: مَدْخَلُهُ نُورٌ، وَمَخْرَجُهُ نُورٌ، وَعِلْمُهُ نُورٌ، وَكَلَامُهُ نُورٌ، وَمَصِيرُهُ إِلَى الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نُورٌ»! وورد في الحديث المعروف: «الْعِلْمُ نُورٌ يَقْدِفُهُ اللَّهُ فِي قَلْبِ مَنْ يَشَاءُ»!

١. النور (٢٤): ٤٠.

٢. التوحيد، ص ١٥٧، باب تفسير آية النور، ح ٣.

٣. روضة الكافي، ج ٨، ص ٣٨٠، باب تفسير آيات من القرآن، ح ٥٧٤.

٤. البرهان، ج ٣، ص ١٣٥.

٥. بحار الأنوار، ج ١، ص ٢٢٥، كتاب العلم، الباب ٧، ح ١٧.

ولهذا النور مراتب، حسب مراتب إيمان وعلم ذوي النور. ولا بد من معرفة أن هذا النور الحقيقي الموجود في قلوب أهل الإيمان والعلم، لما كان من أنوار عالم الآخرة، ينبير في عالم الآخرة حسب فعالية النفس بالنور الحسي^١. وحيث أن هذا النور هو الذي ينبير الصراط، يكون نور طائفة مثل نور الشمس وأخرى مثل نور القمر حتى ينتهي الأمر إلى نور يضيء أمام قدميه فقط.^٢

[النور المقدس لله، مصدر الكمالات]

ان مصدر جميع الكمالات، وفي مقدمة جميع المقامات ومنشأ كل الأنوار المعنوية، في عالم الملك والملكوت، ومبدأ عموم الاضواء المنيرة في حضرة الجبروت واللاهوت هو النور المقدس لله جل جلاله. وما من موجود من الموجودات له نور وضياء وكمال وبهاء، الا اذا تجلّى فيه ظل نور الازل وشعاع جمال الجميل الأول، كما تشير الى ذلك الآية السنية الالهية: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الخ، من اشارة جليلة وانعكاسات جميلة لهذا المقصد الأعلى والمنظور الأسنى، حيث اشير في الآيات الالهية الشريفة وفي الاحاديث الكريمة لاصحاب الوحي والسفارة الى هذه اللطيفة التوحيدية بتصريحات وتلميحات كثيرة.^٣

١. المقصود من مقتضى فعالية النفس يُطرح من جانبيين: فمن جهة، مقتضى النفس ذاتها وهو ما يرتبط نوعاً ما بالمادة، وظهور هذا النور في نفس الانسان حسي. ومن جهة اخرى له حالة برزخية لأن تجسّم الأعمال ليس في الحياة المادية.

٢. شرح الأربعون حديثاً، ص ٤١٨.

٣. من جملة ذلك الآيات التالية: النساء (٤): ١٧٤، الأنعام (٦): ٩١، النور (٢٤): ٤٠، الشورى (٤٢): ٥٢، الزمر (٣٩): ٢٢ و ٦٩، الطلاق (٦٥): ١١، النور (٢٤): ٣٥، التحريم (٦٦): ٨ وغيرها من الآيات

ومثلما ان نورانية جميع عوالم الجمال وكمال النشآت كلها، ظهور النورانية والظل واشعاع كمال وجمال الذات المقدسة لله جلّ اسمه، كذلك كل النقائص وجميع مناحي القصور، والظلمات والكدورات كافة، وكذا كل مظاهر العدم والفقدان، ومجمل القذارات والشوائب وكل دناءة ورذيلة، وذلة ووحشة، تعود الى النقص الامكاني وبحر الاجاج الهيولائي. وهذه الشجرة الخيشة وام الفساد، ومادة المواد لكل هذه الامور، ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ﴾؛ بل كل نور وجمال يفيض من الساحة المقدسة لله عز وجل، وكل ضياء وبهاء يتجلّى من جلوة جميل الازل في مرآة الامكان وامتدت اليه يد الشر القذرة وبات موضع خيانة وجناية القصور الامكاني، وقع في معرض الظلمة والكدورة ومعترك العدم والقصور، الا العالم العقلي، الذي هو في الحقيقة، بواسطة كمال التجلّي الأسمائي وجلاء الانوار السبحانية، يسقط عنه حكم الامكان، بل هو ذلك عالم النور المحض والكمال الخالص، وساحته المقدسة منزّهة من تصرف الغير والغيرة.

فعلم من هذا البيان أن جنود العقل جنود إلهية وجنود الجهل جنود إبليسيّة، فما هو من النقص والقصور منسوب إلى إبليس وما هو من الكمال والتمام يرتبط بالحق وإن كان في نظر التوحيد التام وطبيّ بساط الكثرة يتأتى الأساس المحكم ﴿كُلُّ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ﴾. وإليك المثال الآتي لفهم هذا المعنى:

النور الذي يدخل إلى البيت من النافذة هو من الشمس، فمن جهة هو محدود

الآخري التي تبين صراحة مسألة نزول النور، والارتباط بالنور، وأهمية النور، وآفة انعدام النور، وفائدة النور الالهي.

١. النساء (٤): ٧٩.

٢. سورة النساء (٤): ٧٨.

بالنافذة، ومن جهة أخرى لو لم تكن الشمس موجودة لم يكن للنور ولا لحدود نور النافذة وجود.

وهذا مثال آخر: إذا وضعنا مرآة مقابل الشمس مساحتها ذراع واحد فإن نوراً ينعكس من المرآة على الجدار، هو في الحقيقة نور الشمس لكنه محدود بالمرآة. وتعبير آخر، لو لم تكن الشمس موجودة لما كان نور، ولا نور مرآة، ولا حدود نور مرآة.^١

[من شع نور الحق في قلبه بأنف عار المذلة]

إذا ما أدرك المسلمون في العالم دافع الأنبياء - عليهم السلام - الذي تجلّى نوره في آخر كتاب يرثي الإنسان وهو القرآن الكريم. هذا الكتاب الذي جاء للهداية من مبدأ النور ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إلى مشكاة القلب النوراني لخاتم الرسل - صلى الله عليه وآله وسلم - ليحرر قلوب الناس من حجب الظلمة ويجعل العالم نوراً على نور، واتصلوا بمحيط النور لا يمكن أن يقعوا في أسر الشيطان وابناء الشيطان ولن يقبلوا الذل من أجل أوهام المنصب والرياسة الخيالية ولن يؤيدوا معاهدة كعب ديفيد وأشباهها من أجل التقرب إلى الشيطان الأكبر. فانتبهوا يا من فصلتم أنفسكم عن القرآن والاسلام وعودوا إلى دينكم واستضيئوا بهذا النور المطلق حتى لا يطمع فيكم ناهبو العالم وتقطع عنكم أيادي التناول والعدوان لتنالوا الحياة الشريفة والقيم الانسانية.^٢

١. شرح حديث جنود العقل والجهل، ص ٣٥ - ٣٧.

٢. صحيفة الإمام، ج ١٦، ص ٥١٥، البيان الصادر بتاريخ ١٤٠٢/١١/٢.

[الحقيقة النورية لله حافظة للمراتب الاخرى وقيمة عليها]

ان الحقيقة النورية مع بساطتها، ذات صفة فضفاضة وذات مراتب وتختلف شدة وضعفاً. وتلك النقطة الأولى والمرتبة فوق الكمال التي: ﴿بِكَادُ زَيْتِهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ وفوق الشدة، من مراتب الوجود، والمراتب الاخرى النازلة متعلقة بها ومتقومة بوجودها؛ لأن الحقيقة البسيطة التي تكون بلا جنس ولا فصل هي مرتبة نازلة من تلك الحقيقة المتقومة بالمرتبة العالية. فوجودي ووجودك ووجود موجودات عالم المثال - استناداً إلى ثبوتها - وعالم العقل تحت النقطة الأولى ونقطة رأس مخروط الوجود وحافظة للمراتب الاخرى وقيمة عليها.^١

[للنبي ضمير صافٍ ونوراني ومؤهل لتقبل الفيوضات]

إنَّ من حلٍّ منذ البداية في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة وكان كلُّ آبائه انبياء، وانتقل منذ آدم أبي البشر صلباً عن صلب في هذه السلسلة، وكان كلُّ آبائه انبياء ومرسلين أو أوصياء أنبياء، وكانوا يتحرَّون الدقة في اختيار ما يتناولونه من الأطعمة، وكانوا يقومون بكلِّ أفعالهم ويمارسون أخلاقهم وفقاً لمعايير الأحكام الإلهية، ويربِّون أولادهم على العلوم وآداب الإنسان ويبدلون غاية الجهد في حسن تربيتهم، وإذا أصبحت نطفة لطيفة في الأصلاب الشامخة على هذا النحو، ونشأت هذه النطفة من جانب الامهات في أرحام مطهرة، وبعد أن تولد وتأتي الى الدنيا تغذى من ندي امرأة عاقلة نشأت على أغذية لطيفة.

١. النور (٢٤): ٣٥. اي ان ذلك النور الساطع، حتى وان لم تصله نار، ولكنه فيه زيت يسطع حتى وان تمسه نار. والنور الالهي ليس نوراً مادياً، وهو مصدر ومنشأ كل الانوار. ومثل هذا النور القوي

له درجات ومراتب من حيث الظهور والتجلّي في وجودات العالم.

٢. تقارير فلسفة الإمام الخميني، ج ٢، ص ٢٠.

وحين يصل دور تربيتها تحظى بتربية روحية سامية. ومن الطبيعي أن مثل هذا الموجود يكون على درجة عالية من الصفات والنقاء.

ومثل هذا الموجود المعتدل يتحلّى بصفات ذاتية مستعدة لقبول الفيوضات الغيبية، ويكون في صفاته وزلاله كالزيتون: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ بحيث لو طرحت قضية علمية يفهما، ويتقبل الفيض بمجرد الإشارة. كما قال الله تعالى ان مثل هذا الشخص كزيت الزيتون الذي يحترق بالنار عند مقاربتها حتى وان لم تلامسه؛ أي انه يجتذب اللهب سريعاً ويتفاعل معه.^١

[تقاء الضمير مدعاة لكسب مراتب الكمالات]

إنَّ الكَمَلين من الناس هم أولئك اخذوا معهم بالكسب الاختياري ما كان ينبغي أخذه، وخرجوا من هذا العالم. ومع انهم كانوا الى جوار الآخرين في اصل الحركة الجوهرية ولم يكن هناك فارق بينهم وبين غيرهم؛ لأنني أنا والنبات وخاتم الأنبياء صلّى الله عليه وآله وسلّم، لكل واحد منا نحن الثلاثة حركة جوهرية، والحركة الجوهرية التي تتمثل بالخروج من حالة القوة الى حالة الفعل والايخارج من دار الطبيعة، وهي قهريه لكل واحد من هذه الموجودات الثلاثة، إلا أن خاتم الأنبياء قد بلغ بالاكْتساب الاختياري مقاماً لا يتسنى لأحد غيره بلوغه.

١. النور (٢٤): ٣٥. ربما تعكس هذه الآية نوعاً من التمثيل للدلالة على صفاء وسطوع ونور النبي ومن يتصل بالمقام الغيبي للنبي ويستمد فيوضاته من مبدأ الوحي وينير بأذني تماس مع نور الحق. ومن جهة اخرى يمكن القول بأن اطلاق الآية الشريفة يشمل نور النبي أيضاً، وهو النور الذي يستقيه من الله وله قدرة على الانارة والسطوع، حتى وان لم يكن هذا النور على اتصال بالنار على الظاهر. ولهذا السبب يُستشهد بهذا المقطع من الآية ويُستدلّ به؛ لأنه كالنور الالهي الذي يفيض الانوار بغير تماس مع نور آخر.

٢. تقريرات فلسفة الإمام الخميني، ج ٣، ص ٣٣٤ - ٣٣٥.

وعلى العموم فرغم ان كل الافراد يخرجون بالحركة الجوهرية من دار الطبيعة، غير ان بعضهم يطوون هذه الطريق بمدّة مائتي سنة، وربما يتخلّص آخرون من المادة بمدّة خمسين سنة. ولعل هناك من الأفراد من يحظى بأنواع من اللطافة بفعل المصادفة أو نتيجة لاحتراز أبويه، ما يجعل جوهره رقيقاً وشفافاً بحيث تفيض عليه صورة أطف؛ اذ كلّما المادة أطف وأضعف كانت الصورة أطف أيضاً. واذا لم يتدنّس مثل هذا الشخص بأية كدورة وتسلسل في أصلاب آباء وأرحام امهات شامخة ومطهرة، يكون جوهرية في غاية الزلال والصفاء بحيث لا يحتاج في تحصيل الكمالات سوى الى الاشارة: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾^١ ومثل هذا الموجود لا يحتاج الى تعليم وتدرّيس، وتكفيه اشارة واحدة ليفهم كل حقائق عالم الوجود ويدركها ويستوعبها.^٢

[الممكنات تحتاج في بقائها إلى النور]

وصف المنورية الذي يُنسب إلى الأشياء ينسب مختلفة؛ نثبت وصف المنورية للأجسام من حيث الإشراق والنور الساطع من الشمس على هذه الأجسام، كالبياض الثابت في حد ذاته للأشياء في الخارج. فالجسم غير البياض

١. النور (٢٤): ٣٥.

٢. ان تأثير الاستعداد والظروف الوجودية الخاصة للتطور واكتساب المقامات على اثر نورانية الروح وشفافية الضمير ونقائه، مما يناله الانسان (وسائر الموجودات) او بتعبير آخر يستتير بنور الله. وهذا النور يسطع حتى وان لم يكن ظاهراً مثل الانوار المادية التي تنير عادة على اثر التماس مع النار، وانما هو نور معنوي، وصفاء الضمير، لا يلوئه صداً ولا دنس وهو بالنتيجة يعكس ما يتصف به من شفافية، ويشع لهذا النور الحقيقي على الاماكن الاخرى عن طريق الاقتراب مع نور خارجي. ووجه بيان هذا المقطع القرآني ينطبق على صفاء الضمير.

٣. تقريرات فلسفة الإمام الخميني، ج ٣، ص ٣٩٨ - ٣٩٩.

ولكن البياض عليه. كذلك النور فهو شيء خارج هذه الأجسام ولكنه عارض عليها. في حين ان وصف المنورة كأن به ضميمة لشيء خارج؛ أي ان النور منتزع من هذا الجسم. ويُقال لهذا الجسم منور كأنه محمول بالضميمة ومنتزع لجهة تقييدية. والقسم الآخر من هذه المراتب هي الأنوار التي تملأ هذه الغرف والبيوت، وهي مرتبة من مراتب نور الشمس وظل من شعاعها، وقيامها بمبدأ النور وذات جهة تعليلية. وعلّة نشوء هذه الأنوار مبدأ النور. والمنورية لها خارج المحمول وهو وصف منتزع من ذات الشيء، دون ان يكون موصوفاً ويُصم إليه شيئاً آخر كالبياض حتى نقول عنه انه موصوف بالبياض. بل المنورية خارج المحمول أو لها عينية مع موضوع الذات، بحيث يكون النور هو ذات الشيء المنور.^١

إذاً نقول لهذا الشيء نوراً ومنتزع المنورية من حاق الذات ونحملها عليها. ولكن من الناحية التعليلية حيث ان علة ذلك النور هي المبدأ، وهو عين الفقر؛ فقر وافتقار أيضاً. وإذا اعتبرنا وجود هذه الأنوار وظهورها من مصدر نور، واعتبرنا تراكم ولمعان النور الذي هو ذات النور الحقيقي - وعلى الفرض والاعتبار ان ذات مصدر النور هي الشمس - وقلنا انها غير محتاجة إلى علّة، وإنما هي بذاتها واجبة النورانية، وهي بالنسبة إلى المراتب المتترّلة لمبدأ الأنوار،

١. الفارق بين الحيثية التقييدية والحيثية التعليلية هو ان في الاولى نور القيد وجودي وامر خارج عن ذلك الوجود، والجسم شيء ونوائيته شيء آخر مضاف إليه، مثل الغرفة التي تُضاء بمصباح. فهنا تكون الغرفة شيء والمصباح شيء آخر. وأما في الحيثية التعليلية فالنورانية منبثقة من ذات الشيء، وعلّة نشوء النور هو ذلك الشيء نفسه. ويمكن توضيح ذلك بمثال ان ملحوظ الملح تأتي من الملح نفسه، وليس الملح شيء وملوحته شيء آخر. والزيت والدسومة حيثية تعليلية. وفي نوانية الوجود بالذات حيثية تعليلية. ومبدأ وجود النور منبثق من ذاته. واما في الموجودات الاخرى فهو قيد وجودي وامر خارج عن الوجود.

في هذه المرتبة لا جهة تعليلية ولا جهة تقييدية. انها بذاتها نور، وفي هذه المراتب التي نحن فيها تجلّى هذا المبدأ على نحو معين وصار علّة لها، وصار ظهورها منه. ولكن ليس هنا شيء ونور، وإنما ظل لمبدأ النور الذي هو كلّ نور. وعلى هذا الأساس فليس هنا شيء سوى ظلال. إذاً فلا فقر يكون غير فقير، ولا فقير يكون غير فقير، ولا افتقار غير فقر، ولا فقر ولا فقير يكون غير افتقار. هو عين الفقر وعين الافتقار وعين الفقير ﴿أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾. وهذا عين الربط الذي يكون مدعاة للتفاخر "الفقر فخري". إذاً فالماهيات الممكنة تنادي بصوت عالٍ: نحن الفقراء إلى الله في أي وعاء من الأوعية. ووجود الممكنات أشعة واطّلة لمبدأ الوجود، والماهيات لا متحصلة صرفة. وهذه الوجودات فقيرة إلى الله. ولهذا قال: "داخل في الأشياء لا بالمازجة وخارج عن الأشياء لا بالمباينة إليه".^٢ ﴿وَاللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ...﴾.^١ وإذا كان هذا النور ظل ومرتبة للشمس من الشمس فهو على الدوام يحتاج إلى مبدأ النور للبقاء. وهكذا الموجودات بالنسبة إلى نور السموات والارض.^٥

١. فاطر (٣٥): ١٥.

٢. عوالي اللئالي، ج ١، ص ٣٩، ح ٣٨، بحار الأنوار، ج ٦٩، ص ٣٠ و ٣٢ و ٥٥، ح ٨٥

٣. لم نجد هذه الرواية بهذا المضمون في المصادر الحديثية، راجع: توحيد الصدوق، ص ٧٣، الباب

٢، ح ٢٧ و ص ٣٠٨، الباب ٤٣، ح ٤٢ نهج البلاغة، ص ٤٠، الخطبة ١ و ص ٢٥٨، الخطبة ١٧٩

و ص ٢٧٤، الخطبة ١٨٦.

٤. النور (٢٤): ٣٥.

٥. تقارير فلسفة الإمام الخميني، ج ١، ص ٣٩ - ٤٠.

[النور الإلهي نور التجلي]

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ هذا النور هو التجلي الذي أشرق وتجلّى على شكل جلوات رأيناها في السموات والارض والزمان، واشرق على حقائق السموات فتوّرت السماء بنور الوجود. وإلا فما من سماء ولا أرض ولا جسم ولا روح. طلّت من أعلى الدار ونفضت السجادة، ولم يكن في السجادة غبار ولكن اظهرت ذاتك.

السماء ليس لها نور من ذاتها والارض لا نور لها من ذاتها وهذا نور الأسماء الذي أشرق فجاءت الكثرة تعبيراً عن ظهور الأسماء، وإلا فهي جميعها من مصدر واحد. ولهذا يقول الإمام الباقر عليه السلام في دعاء أسحار شهر رمضان المبارك: "اللهم اني أسألك من أسمائك بأكبرها وكلّ أسمائك كبيرة، اللهم اني أسألك من جمالك بأجمله وكلّ جمالك جميل، اللهم اني أسألك من عظمتك وكل عظمتك عظيمة".^١

وهذا نور الاسم العظيم هو الذي يتجلّى في العالم الفعلي، والاعظم منها الاسم الاعظم.^٢



[مفهوم النور في الله]

لقد وُضعت الألفاظ لأرواح المعاني، مثلاً وضع لفظ النور للشيء الظاهر في

١. النور (٢٤): ٣٥.

٢. راجع: اقبال الأعمال، ص ٧٧؛ مفاتيح الجنان، اعمال أسحار شهر رمضان المبارك.

٣. تقريرات فلسفة الإمام الخميني، ج ١، ص ٨٠ - ٨١.

نفسه والمظهر لغيره"، ووضع لفظ العلم لما يتحقق به الكشف.

[دفع شبهة حول وضع الألفاظ لجوهر المعاني]

لا يخفى اننا لا نقول: ان مصاديق الألفاظ كانت معلومة لدى الواضع ومائلة نصب عينيه - مثل وجود الحق الذي هو ظاهر بنفسه، ولكن بسبب ما فينا من نقص فان العين المحدقة لا تدركه، وهو مظهر لغيره لأنه قد أخرج المخلوقات من كتم العدم إلى الوجود واطهرها. وبناءً على هذا فإن الذات الأحادية نور، كما قال: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^١. حتى يُقال ان يعرُب بن قحطان لم يكن يفهم هذا الكلام.

ولكن نقول: ان الألفاظ قد وضعت لمفاهيم عامة وان لم يكن مصداقها موجوداً في زمان من وضعها، أو انه لم يكن يقبلها كمصداق، ولو قلنا ان واضع اللفظ كان دهرياً ولم يكن يؤمن بوجود مبدأ لهذا الوجود. ولكن في رأينا نحن أهل التوحيد انه مشمول بهذا اللفظ. ومن المصاديق التي وضع لها، بل الأتم

١. في هذا المجال راجع: مصباح الهداية، ص ٣٩؛ ومقدمة التفسير، المبادئ، الفصل الخامس.

٢. النور (٢٤): ٣٥.

٣. يعرُب بن قحطان، أحد ملوك العرب في الجاهلية. يوصف بأنه كان من حكمائهم وشجعانهم. وقد حفظ اللغة العربية مما داخلها من لغات الأمم الأخرى، ووضع لها قواعد لكي لا تفقد اصالتها واسلوبها. يعتبره البعض واضح اللغة العربية، ويقول آخرون انه أول من قال الشعر ووضع الأوزان الشعرية. والعرب الذين تفرعوا من نسله يتكلمون الكلام العربي الفصيح والخالي من أي لحن وخطأ.

٤. هذا الكلام اشارة الى منهجه في وضع الالفاظ لجوهر المعنى، ودفع ما يثار من شبهات حول هذه النظرية. وقد طرح هذا في كتاب مصباح الهداية، ص ٣٩ وآداب الصلاة، ص ٣٤٩، وشرح الأربعون حديثاً، ص ٦١٨ وغيرها من كتبه وقد تناولنا هذا الموضوع في مقدمة هذا التفسير في الفصل الخامس في المنهج السابع.

والأكمل، هو ان اللفظ ينطبق عليه تمام الانطباق بشكل أولى. مثلاً ان ما هو ظاهر ولا خفاء فيه تمام الكشف، ولا سبيل لظلمة الجهل إليه، ودلالة العلم على مثل هذا الكشف أولى من دلالاته على كشف تمازجه ظلمات الجهل. وكمثل على ذلك ان علمنا الذي تمازجه ظلمات الجهل متأخر عن علم جبرائيل عليه السلام؛ لأن علمه أكثر نقاءً من ظلمة الجهل نسبياً، وهكذا الحال بالنسبة إلى الكشف الذي لا سبيل لأية شائبة من الجهل إليه؛ أي العلم الأتم للحق، الذي يشمل هذا اللفظ ويدلّ عليه دلالة أوضح وبشكل أولى.

وهكذا بالنسبة إلى الوجود الصرف الذي لا نقص فيه ولا زوال له، ومنزه من جميع ظلمات العدم، يختلف في صدق مفهوم الوجود عليه، عن الوجود الذي هو ﴿ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ الذي يكثر فيه النقص وظلمة الماهية التي هي مصدر للشرور والأعداء.^١

[مفهوم الظلمة في مقابل النور]

الظلمة بذاتها ليست شيئاً؛ بل ان عدم النور عين الظلمة. وكما يقول علماء النجوم وأهل الرصد ان للارض ظل مخروطي، وإذا تأملنا جيداً نلاحظ ان هذا الظل لا يسقط على الأرض الا عند شروق نور الشمس على صفحة الأرض. وبما ان الأرض جسم كروي الشكل وكثيف فهو عندما يكون بموازاة الشمس وتشرق عليه بنورها لا يستطيع شعاع الشمس النفوذ في اعماق هذه الأرض. فقرص الأرض يمنع نفوذ وارسال النور. ولكن هذا النور قادر على الارسال والنفوذ، وستار الأرض يمكن ان يكون مفتوحاً فيغمر النور داخله. وحيثما تكون

١. النور (٢٤): ٤٠.

٢. تقريرات فلسفة الإمام الخميني، ج ١، ص ١١٦ - ١١٧.

الأرض مانعاً يبقى النور محصوراً هناك. وبما ان شكل الأرض كروي واطرافها مفتوحة، فان النور الذي ينبثق من قرص الشمس ينير اطراف الأرض، ولأن شعاع الشمس أوسع من الكرة الأرضية فهو يملأ ما وراء الكرة الأرضية ولكن ليس بالقدر الذي يغمر ما خلفها، بل بالقدر الذي يوازي الأرض. ومركز الأرض يطل برأسه إلى أمام، ولكنه غير قادر الإطلال بصدوره إلى أمام لأن اطراف الأرض مدوّرة. ولهذا يبقى مركز سطح الأرض محافظاً على موقعه في مقابل الشمس. ومن هنا فان هذا المركز يمنع بقدر قوته من نفوذ النور إلى الخلف. وانعدام النور في ذلك الرأس المخروطي سببه ممانعة هذه النقطة. والنقاط الأخرى تمنع أيضاً سقوط النور على الجهة الأخرى من سطح الكرة الأرضية، تبعاً لقربها من هذه النقطة. وعلى قدر قرب تلك النقطة من المركز في ذلك الظل المخروطي، تكون تلك النقطة أقرب إلى رأس المخروط.

وخلاصة القول، هي ان الظلمة عبارة عن عدم النور. اذاً حقيقة وجود النور بالحمل الصناعي الشائع كلما كانت أكثر، لا بد ان تتناقص ظلمة العدم قهراً، وتلك المرتبة من الوجود التي هي كلّ النور، يشع هناك بنوره على الحقيقة كلّها، وبكلّ شدة فعلية وواقعية، حيث لا يكون ثمة ضعف هناك ولا وجود للظلمة أصلاً. ومن هنا فان واجب الوجود ليست فيه جهة نقص فتكون له ماهية. فهو كلّ النور والنور كلّ هو وهو كلّ نور، وهو فوق التمام، وفي جميع الجهات في فعلية شديدة، وهو ذلك النور الذي جماله نور أيضاً. نافذة نور انفتحت من ذلك النور فغمرت أعماق العالم. وهذه سلسلة نظام الوجود، وذلك نور الجمال. غير ان هذه السلسلة كلما كانت أقرب إلى مبدأ النور كانت أنور، وحقيقة جماله أقرب إلى حقيقة ذي الجمال تلك، وكلما كانت أبعد كانت اقل نوراً: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا

كَوْكَبٍ...^١ إلى ان يصل إلى آخر نقطة حيث الهيولى الأولى التي تكون ذيل هذا الجمال وحاشيته وذات المرتبة الأضعف من نور الوجود، وهي اقرب إلى الظلمة المطلقة، وذلك الجانب من أفق العدم المطلق عدم بحث لا ينخرق.^١

[وصف النور للحق عين ذاته]

الأوصاف الحقيقية عين ذات الحق، وهي هوية حقة حقيقية ووجود صرف وبسيط في متن الواقع وحاق الأعيان، ولكن لأن مفهوم النور عبادة عن شيء ظاهر بذاته ومعلوم بحقيقته ومظهراً لغيره. وهذه حقيقة صرف الوجود الظاهر بذاته بل هو كلّ الظهور ولا شيء غير الوجود ليكون ظاهراً وتام ظاهراً الوجود، وظهور الأشياء منه. ولو لم يكن نور الوجود لبقى كل شيء مخفياً في ظلمة العدم الخالصة، ولما ظهر أي شيء من كتم العدم. وبانبثاق الوجود انفرج ضيق العدم وتبددت ظلمات فوق ظلمات العدم، وظهرت الأشياء ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ﴾^٢، ومن هنا فقد نعت العقل هذه الحقيقة بالنور، ومنها انتزاع مفهوم النور دون أن يكون في ذاتها تركيب، بحيث يتحقق في مقابل مفهوم النور حيثة وراء الحيثيات التي تنطبق عليها المفاهيم الاخرى.^١



١. النور (٢٤): ٣٥.

٢. تقريرات فلسفة الإمام الخميني، ج ١، ص ٣٨٠ - ٣٨١.

٣. النور (٢٤): ٣٥.

٤. تقريرات فلسفة الإمام الخميني، ج ٢، ص ١١٦.

[النور حقيقة واقعية]

النور الذي هو عين الاضافة النورية له حقيقة، ومع انه خارج الذات ولكنه ليس اعتبارياً وإنما له واقعية. والنور الذي يشع على الماهيات ويظهر من نوافذ الحدود والماهيات وهذه النوافذ مليئة من ذلك الوجود المفاض البسيط الواسع واكتسب ذلك الوجود في هذه النوافذ بريقاً ولمعاناً؛ لأن هذه النوافذ محدودة وهي حاضنة لهذه النور على قدر استعدادها. وكل واحدة من الماهيات تحد ذلك النور على حدتها، ومن تقيد ذلك النور الواسع المطلق بالحدودات، تحصل الكثرات والتكثرات. وفي كل مكان يحصل حد ومحدودية النور بواسطة الماهيات، والمثال الذي ذكرناه على ذلك هو الظل الذي قلنا انه عدم النور الذي ينتج من منع الأجسام لنفوذ النور، ويبدو بتوهم الواهمة ان هناك شيان: نُور، وظل، والنور محدود بالظل والنور يعني ظهور الكثرة مع أننا قلنا بأن الظل هو عدم النور.



[بواسطة اشعاع نور الله يسطع نور موجودات العالم]

وبالجملة: بواسطة اشعاع ذلك النور الذي هو اضافة إشراقية وغير ذاته - وإن كان صادراً منه ومتعلق بالأعيان الثابتة - سطعت موجودات العوالم وطلعت من ذلك النور، والموجودات ذاتها عين ذلك النور، غير ان ذلك النور تكثر وتعدد بسبب المحدودية التي وقعت عليه في النوافذ والحدودات والماهيات. إذأ موجودات العالم عين تلك الاضافة الإشراقية، والمضافات إليه لا واقعية لها. والنسبة بين المضاف والمضاف إليه في مرتبة متأخرة لا اعتبار لها، بل الاضافة

عين المضاف إليه الذي هو الموجودات. وهذه الموجودات حاصلة من ذلك النور المنبسط، وهي محدودة بتحديدات النوافذ بالحدود المتكثرة، والموجودات عبارة عن ذلك النور ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾. وهذه الاضافة عين المضاف إليه وليست متأخرة عن المضاف والمضاف إليه، وإنما متأخرة عن المضاف ومقارنة للمضاف إليه، بل هي عين المضاف إليه؛ لأن الماهيات عدم وبمنزلة الظل. وهذا ما سبق شرح كيفيته.

وبالجملة: فإن تلك الاضافة هي عماد كلّ ظهور، وقوام كلّ بروز وإشراق ذلك النور غير ذلك النور وجهته الحقيقية، عين الذات، وان ما أشرق من طبيعته يشعّ على جميع الماهيات والموجودات المقيدة للمجردات والماديات، وهو عارض على الماديات والماهيات ومن الجهة الوجودية عين الحق، ومن جهة ظهور الوجود عارض على الماهيات. وبهذه الاضافة يُقال ان النور المشرق اضافة إشراقية. مع ان الاضافة بالمعنى الأوّل ليست اضافة حقيقية وهي صرف الاعتبار، وإنما أصل كلّ شيء هو الوجود، وعماد كلّ شيء هو الظهور والنور. ولكن باعتبار انه برزخ البرازخ ويقع بين مرتبة الخفاء المطلق وغيب الغيوب التي عبّر عنها الحديث القدسي بالكثر المخفي^٢ وبين الوجودات المقيدة من المجردات والماديات ومشرق، يقال له اضافة إشراقية.^٣

١. النور (٢٤): ٣٥.

٢. اشارة الحديث القدسي: 'كنت كثرأ مخفياً فأحببت ان أعرف'. ولكننا لم نعر على هذه الجملة مستدة في المصادر الحديثية المعتبرة عند السنّة والشيعه. وقد نقل نجم الدين داية (م ٦٥٨) هذه الجملة في كتاب منارات السائرين عن النبي داود. وقال ابن تيمية ان هذه الجملة ليست من النبي وليس لها سند صحيح ولا ضعيف. راجع: المحيط الاعظم، ج ١، ص ٣٢٤؛ ونقل المجلسي هذه الرواية دون ذكر المصدر. راجع: بحار الانوار، ج ٨٤، ص ١٩٩ و ٣٤٤ ونقل الصدوق كلاماً مقارناً لمضمون هذه الرواية في: علل الشرائع، ص ٩، الباب ٩، ح ١.

٣. تقريرات فلسفة الإمام الخميني، ج ٢، ص ١١٨ - ١٢٠.

[تجلّي النور المنبسط الاطلاقي]

وبالجملة فان لهذا الحق الصرف الوجود - الذي كلّه ظهور وكلّه نور ﴿الله نورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^١ - تجلّي فعلي للنور المنبسط الاطلاقي. وهذا الوجود المنبسط الواسع المعلول والمرتبط الذي له أشدّ مراتب الحضور معلوم لديه، ولديه علم تفصيلي به "لا يشذ عن هذا الوجود المنبسط الاطلاقي شيء"^٢.



[العلاقة بين الخدمة والسعي والملكية، القوّة والنور الالهي]

يجب أن نكون جميعاً لله تعالى، ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾، فمهما كانت القوة فهي من عنده، ومهما كانت النعمة فهي من عنده وهو نور السماوات والأرض. ونحن مكلفون عقلاً وشرعاً بالعمل على تقوية دينه ونشر الإسلام بين بني الإنسان.^٣

[آية اهل المعرفة، آية النور]

كما تعلمون ثمة في القرآن، آيات شريفة يستفيد منها اغلب الناس، كما

١. النور (٢٤): ٣٥.

٢. اي بما ان الحق وجود صرف ونوانية مطلقة، فان هذا الوجود الواسع المقدّس لا ينقص منه شيء، وسطوع نوره لا ينقص من نوره شيئاً. ولما كان العلم نور فهو ذو علم تفصيلي.

٣. تقارير فلسفة الإمام الخميني، ج ٢، ص ١٧٨.

٤. صحيفة الإمام، ج ١٧، ص ٤٣٦، خطاب بتاريخ ١٤٠٣/٧/٢٧.

توجد آيات يستفيد منها الفقهاء العظام. وهناك آيات يستفيد منها الفلاسفة، وآيات تنفع العرفاء وآيات خاصة بالاولياء، وهناك آيات اختص بها الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله، ووصلت من خلاله الى اناس جديرين بها. كما يتضمن القرآن آيات نزلت في هذا المجال يستفيد منها اهل العلم، من قبيل: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، و ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾، و ﴿هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ﴾، وآيات من هذا القبيل يمكن ان يفسرها البعض حسب تعابيرها ومعانيها، لكنها في الواقع صعبة الفهم على غير المخاطبين بها.^٢

فمثلا [هُوَ الظَّاهِرُ، هُوَ البَاطِنُ]، عندما وصلت اليها قرأناها [هُوَ الْمُظْهَرُ]، فالمسألة ليست كذلك. كما ان آية: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ عندما وصلت بأيدي الناس العاديين فهموها بمعنى [مُنَوَّرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ]، في حين ان معناها ليس هذا. ويصدق الامر نفسه بالنسبة للروايات.^٤

[قصور ادراك بني الانسان عن فهم معنى نور السموات والارض]

ولكن أمثالنا من البشر العاديين عاجزين عن إدراك معنى - ﴿هُوَ مَعَكُمْ﴾^٥ وأي نوع من المعية هذه. وما معنى هو ﴿نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ - الله نُورُ السَّمَوَاتِ

١. الحديد (٥٧): ٣.

٢. الحديد (٥٧): ٤.

٣. المراد بمن خوطب به، حسبما جاء في الحديث الشريف: "انما يعرف القرآن من خوطب به" (الروضة من الكافي، ص ٣١٢) من توجه إليه القرآن بالخطاب. والمقصود من المخاطب هو من اوحى إليه، ومد جسور التواصل الفبي معه.

٤. المصدر السابق، ج ١٨، ص ١١٩، خطاب بتاريخ ١٤٠٣/١٢/١.

٥. الحديد (٥٧): ٤.

والأرض ﴿﴾. ما ذلك؟ ما معنى نور السموات؟ وكيف هو نور السموات؟ ولذلك سَمِيَ منوّر السموات ولا علاقة لذلك بالآية.^١

[كل الانوار تعود الى نور الله]

﴿الله نور السموات والأرض﴾ فكل مال لله، وكل نور لله، وكل شيء له، ولا نملك نحن شيئاً.^٢

[الفارق بين معرفة نور الله وتلقي نور الله]

عندما يقول الله تعالى: ﴿الله نور السموات والأرض﴾، و﴿هو الأول والآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾، ندرك ذلك بقلبنا ووجودنا لا بالإدراك العلمي، بل بالمشاهدة لأن الإدراك العلمي أمر سهل، لكن وصول الإنسان إلى فهم الأمور أمر صعب ويحتاج إلى المجاهدة، وقد وصل الأنبياء والأولياء بمجاهداتهم إلى هذه الأمور.^٣

١. صحيفة الإمام، ج ١٨، ص ٢٦٢ خطاب بتاريخ ١٤٠٤/٣/٢٥.

٢. المصدر السابق، ج ١٣، ص ٨٢ خطاب بتاريخ ١٤٠٠/٩/١٤.

٣. الحديد (٥٧): ٣.

٤. الإدراك الوجداني والتلقي بالمشاهدة والعلم الحضوري لا الحصولي، يتسنى حين يصل الانسان بالسير والسلوك الى مقام تزال فيه كل الحجب والاستار التي تحول دون وصول الانسان، ويبلغ الانسان مرتبة يرى فيها ويدرك عياناً ومباشرة كونه نوراً. وهذا هو المعنى الذي اراده الامام.

٥. المصدر السابق، ج ١٩، ص ٢٨٦، خطاب بتاريخ، ١٤٠٥/٧/١.

[تلخيص وتحليل لمغزى آية النور]

من الآيات والسور القرآنية الحساسة وذات المغزى العميق، سورة النور، وآية النور، حيث اكتسبت هذه السورة تسميتها من هذه الآية وهي الآية الخامسة والثلاثون منها. كتب الكثير من المفسرين تفسيراً مستقلاً لهذه الآية، وافرادوا لها رسائل خاصة بها، وتناولوها بالبحث من الجوانب الفلسفية والعرفانية والاعتقادية. وقد جاءت هذه المباحث فضلاً عما ورد في كتب العرفان، والفلسفة، والتفسير حول حقيقة واشراق الانوار، ومكانة النور الالهي في الوجود ونور النبي والصالحين، وما دار من كلام حول مقارنة حقيقته مع مظاهره وتجلياته في العالم الخارجي. ولو القينا نظرة على قائمة اسماء من كتبوا وألفوا في هذا المجال لاتضح لنا ما هي الشخصيات الكبيرة التي خامرتها هواجس وهموم تبين هذه الآية، وكانت أنظارهم تتطلع الى كشف تعقيدات هذه الآية وعمقها.

واما في ما يخص المضمون والبحث في حقيقة النور، فقد قيل الكثير منذ القدم حول ماهية النور وكانت هناك آراء وسجلات في هذا المضمار بين الاشراقيين، والافلاطونيين من الفلاسفة، ومثله يدور اليوم بين علماء الفيزياء والكم.

وعلى الرغم مما قيل حول النور بأنه ينبثق تلقائياً ويؤدي الى اضاءة سائر الاشياء، الا ان هذا ليس هو المفهوم الحقيقي للنور في ذهن الانسان. وهناك

١. ويمكن ان نذكر من هؤلاء الاعلام صدر المتألهين الشيرازي (م ١٠٥٠) ابن سينا (٤٢٨م)، ابن تيمية (م ٦٦١)، الملا علي النوري (م ١٢٤٦هـ)، الشيخ هادي الطهراني (م ١٣٢١) الشيخ احمد الاحساني (م ١٢٤١)، ابن قتيبة الدينوري، الملا عبد الرزاق الكاشاني (م ٧٣٥)، السيد محمد باقر الطباطبائي اليزدي (م ١٢٨٩)، ابو الاعلى المودودي (الميرزا ابو تراب شهيد القزويني (م ١٣٧٧)، وعشرات العلماء والمفسرين الذين فسروا الآية على حدة.

تعريفات انتزعت من خلال المقارنة بين الظلمة وعدم رؤية الاشياء. لاشك في انه اذا اراد احد معرفة حقيقة النور معرفة جيدة، لا بد ان يكون لديه اطلاع واسع على علم الفيزياء والكم والامواج، حتى يفهم ماهية النور ومراتبه وما اورده القرآن في هذه الآية من تشبيه، كما ينبغي عليه أيضاً ان يضع نصب عينيه المباحث الفلسفية والعرفانية، اضافة الى ما سبق ذكره.

وفي القرآن الكريم توجد بالاضافة الى هذه الآية آيات اخرى كثيرة تشير الى النور مثل قوله بأنه تعالى يخرج المؤمنين من الظلمات الى النور (البقرة: ٢٥٧)، وان الكافرين وليهم الطاغوت وهو يخرجهم من النور الى الظلمات (البقرة: ٢٥٨)، وانه قد جاء من الله نور وكتاب مبين (المائدة: ١٥)، وان القرآن يخرج الناس من الظلمات الى النور (ابراهيم: ١) والذين يخرجون الناس من الظلمات الى النور باذن الله (المائدة: ١٦) وان الله خلق السماوات والارض والحمد لله خالق النور والظلام (الانعام: ١).

وهناك آيات اخرى تشير الى ما يرمي إليه الكفار من اطفاء نور الله (التوبة: ٣٢)، او تقارن بين الظلمات والنور وتشير الى عدم تساويهما.

يستفاد من مجموع هذه الآيات ان الكلام حول النور المعنوي والالهي والغيبى الذي هو ليس من نوع هذا النور المادي المحسوس. ولكن رغم ذلك فان معرفة هذا النور المحسوس تيسر لنا مهمة التعرف على حقيقة النور المعنوي وحساسيته ووظيفته بشكل عميق وواسع ويقدم لنا فهماً أفضل لهذه الآية.

يُعد تفسير آية النور من أهم المباحث التفسيرية عند الامام الخميني، بل وابرزها رغم انه لم يتناول الآية من جميع جوانبها، غير ان كثرة تأكيده عليها في

مؤلفاته وكتابه وخطاباته ينم عن اهتمام فائق وولع باهر بهذه الآية. ^١ خاصة وانه يتبّه الى ان الانسان العادي قاصر عن معرفة كيف يكون الله نور السماوات والارض.^٢

وفي موضع آخر يصنّف آيات القرآن ويقسمها بين علماء المسلمين ويقول ان هناك مجموعة من هذه الآيات يستفيد منها الفقهاء، ومجموعة اخرى منها يستفيد منها الفلاسفة، ومجموعة اخرى أيضاً يستفيد منها العرفاء، كما ان هناك مجموعة من الآيات الخاصة بأولياء الله. ويصنّف آية النور في عداد الآيات التي يستفيد منها أهل المعرفة، رغم انها لا تتسم بصعوبة في البيان والفهم الظاهري، غير انها حسب الواقع والحظ الظاهري من العسير ان يدركها غير المخاطبين بها.^٣ ان المواضيع التي يتم جمعها في هذا المجال تتناول جوانب وابعاداً شتى فضلاً عن سعتها وتشعبها وذلك بسبب خصائص هذا الأثر والاهداف المتفاوتة التي يرمي اليها، رغن تثارها والموضوعات الخاصة التي يسمي اليها. وهذا ما جعل مهمة تنظيمها وترتيبها يسيرة الى حد ما في ضوء هذا الجمع والتلخيص.

واما بالنسبة الى أهم المباحث في آية النور فهي كالآتي:

١. هداية الانسان، اضاءة النور الالهي على قلبه. فرغم ان النور له مصاديق شتى، الا ان احد وجوه المهمة هو العلم. فالعلم ينير القلب وبه يُعرف سبيل الهداية. فاذا كان الله نوراً وهذا النور متجل في ذاته، وبما ان احد صفات الله العلم، لذلك فكون الله نور يظهر كضياء وكأنه مرآة تعكس نوره عز وجل وتجعله يسطع على اماكن اخرى، وعن طريق ذلك تصبح كوامن الاشياء

١. من حيث الجانب الاحصائي جاء ذكر هذه الآية في اكثر من ثلاثين مقطعاً في الكتب والخطابات. والمقارنة مع الآيات الاخرى كانت الآية الاكثر نصيباً في تفسيراته.

٢. صحيفة الإمام، ج٨، ص ٢٦٢.

٣. المصدر السابق، ج٨، ص ١١٩.

وخفاياها جليلة وبيّنة كظاهاها.

الانسان الذي يسير على طريق الرياضة الروحية والسلوك نحو الله ويزيح الحجب المانعة لشعاع النور وينقي قلبه من الكدورات والصدأ، ينعكس النور الالهي على صفحة قلبه وتظهر عليه نورانية الملك والملكوت وحریم القدس والجبروت.

ومن هنا ندرك ان الله عز وجل حين يصطفي أناساً فمعنى ذلك انه يجعل في قلوبهم نوراً يبقى ساطعاً في قلوب ذريّاتهم، ويكون هذا النور على الدوام منطلقاً ومصدراً للهداية واستمرار المسيرة الالهية.

لقد قيل كل ما سبق قوله من أجل ان يُعرف بأن مصدر النور ومنطلق فيض النور واستمرار الحقيقة هو النور الالهي الذي هو نور السموات والارض؛ أي نور العالمين.

٢. السالكون الى الله يطلعون في سيرهم على خطة تجليات الباري عز وجل، وهي الخطة التي ينالونها تبعاً لمقامات ومراتب السلوك، حيث يظهر في كل منزلة ومرحلة منها اسم من اسماء الله، واول مقام بينها هو مقام الالهية، وهو مقام الغيب الاحدي والاسم المستأثر والخفي لله تعالى، حتى يصلون الى غاية السير ومنتهى المقصد. وفي هذا السير يكون مبدأ السفر ومنتهاه هو الله تبارك وتعالى، وسيره مشي في انوار تجليات الله. وعلى السالك ان يعلم بانه طالما كان يخطو في السير الى خطوات الفكر والاستدلال فمعنى ذلك ان سيره عقلي وعلمي وان يكون من اهل المعرفة والعرفان.

واما اذا سار على هذا الطريق بخطى الرياضة والتقوى الكاملة ويختار هذا الطريق بالأنوار الالهية، سيتغير استمداده من النور الالهي، وهو في الحقيقة يختار الطريق الحقيقي والسفر الواقعي وينال معطيات العناية الازلية ومنافعها. ويتنعم في انوار التجليات.

٣. الانسان الكامل مظهر للاسم الجامع ومرآة تجليات الاسم الاعظم، وهذا الانسان تبرز في مرآة وجوده نور الله، ويستفيد الآخرون من النور الذي ينعكس في مرآة وجوده.

ولهذا السبب يكون وجه الله، وعندما يُقال: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾؛ فمعنى ذلك ان النور الذي يسطع في العالم، من الله.

٤. ان حقيقة الوجود عين النور وعين العلم، بحيث ان الايمان نور، والناس الكاملين نور، ولكن لهذا النور مراتب طبعاً وهي تأتي تبعاً لمراتب العلم والايمان والكمال. وهذا النور هو ما ينفع في الآخرة.

٥. مصدر جميع الكمالات، وعلى رأس القضايا، ومنبع جميع الانوار المعنوية في العالم هو النور المقدس لله تبارك وتعالى، وايماناً بوجود من الموجودات له نور، فانما هو ظل لنور الازل واشعاع عن جمال الجميل الاول. واذا كان في الموجودات نقص وقصور وكدورة وظلمة فهو يأتي بسبب النقص الوجودي والامكاني الذي يمنع اشعاع جلوة الازل في مرآة الموجودات، او ان القبايح والفواحش تقوّض ذلك النور. ومثل هذا كمثل نور الشمس الذي يدخل الدار من نافذة وينشر فيها الضوء، فان كان نقص في هذا النور فسببه ضيق النافذة وسلك التناثر.

٦. اذا كانت لدى احد هذه النافذة، فلا ينبغي له اغلاقها مخافة أوهام المساوئ والعوامل والمؤثرات السلبية، بل عليه ان يسعى لتبديد الحجب ويستميل ذاته ويحملها على الانتقال الى فسحة النور والنور على نور والاتصال بمحيط النور.

ما ذكرناه حتى الآن يدور حول المباحث الاساسية المتعلقة بالجوانب العامة لهذه الآيه وهي آيه النور. وجاءت بين ثنايا كلامنا مقتطفات عرفانية وتعاليم في الرياضة الروحية، ولكن في مباحث تفسير آيه النور قضايا فلسفية وتحليلات

عقلية تطرح في اطار تقرير بحوث الحكمة المتعالية، وانتقيت مباحثها من تقارير الفلسفة.

٧. الحقيقة النورية بسيطة وغير مركبة، الا انها ذات مراتب ودرجات؛ وبعض درجاتها على مرتبة من القوة والاشعاع بحيث انها حتى وان لم تكن ذات لهيب و نار (وهو ما يعبر عنه القرآن بالزيت الذي كان يستخدم للاضاءة) الا انها تضيء ما حولها.

٨ النبي محمد (ص) أحد مصاديق هذه الوجودات البسيطة والقوية، بحيث انه يضيء بأدنى تماس مع الحق جل وعلا ويجتذب اللهب بسرعة وبنير الآخرين.

٩. في المرتبة التالية تسري هذه الخاصية الى الناس الكاملين، ويصبح نقاء ضمائرهم أرضية مؤهلة لنيل مراتب الكمال والنورانية، فهم يطوون باليوم والساعة ما يطويه الآخرون في سنوات. ومثل هؤلاء الاشخاص لم يتدنسوا بأي شيء من الأرجاس والخبائث والنور الالهي مودع فيهم جيلاً بعد جيل، ويقومون باكتساب الكمالات بأدنى اشارة ويصبح لديهم ادراك لكل حقائق العالم.

١٠. المسألة الاخرى التي لا بد من بيانها في ما يخص كسب النور هي الاهتمام بالاتصال بمبدأ النور. فالممكنات تحتاج الى الاتصال بالنور ليس في الحدوث فحسب، وانما تحتاج الى النور في البقاء أيضاً. ومتى ما قُطع هذا الارتباط ينطفئ هذا النور حتى وان كان نوراً ساطعاً ومشعاً. كما هو الحال بالنسبة الى اجهزة الانوار الكاشفة؛ فهي ذات نور ساطع وقوي، الا ان هذا النور ينطفئ ويتلاشى بمجرد انقطاع السلك الموصل، أو عند اطفاء المحطة الكهربائية؛ وذلك لأن الموجودات فقيرة ومحتاجة، بل هي عين الفقر وعين التبعية وليس لديها شيء من ذاتها. وكل ما لديها مستمد من مبدأ الانوار وعين الانوار، ومحطة المحطات الكهربائية.

١١. السؤال الآخر الذي يُثار هنا هو من آية مرتبة ومقام يُستقى هذا النور وبأية منزلة يتصل؟ وجوابه واضح وهو ان الجلوات التي تنبثق في عالم الحق متصلة بنور الاسماء الالهية. وارتباطها معى مقام الفيض المقدس الذي هو مقام الكثرة ومعرض ظهور الاسماء. وبما ان هذه الأسماء لها مراتب ودرجات، فهي ذات تجليات شتى.

١٢. الكلام الآخر يدور حول المعنى اللغوي لكلمة النور، فهل وضعت كلمة النور لمعانٍ واسعة تشمل النور المادي والمعنوي، كما تشمل أيضاً درجات النور القوية والضعيفة، واتفق على نور المولا ونور العبد في الوقت ذاته؟ وان كان الأمر كذلك كيف يتسنى لووضح هذه الالفاظ معرفة المصاديق العليا لهذه الكلمة؟

ويجب عن مثل هذا التساؤل بالقول بأن وضع الالفاظ يكون عادة لجوهر المعاني ولروح المعاني، وليس من الضروري ان تكون كل مصاديقها معروفة عند واضع الالفاظ.

١٣. احد السبل المؤدية الى معرفة المفاهيم والحقائق هو سبيل المقارنة؛ اذ ان الاشياء تعرف بأشبابها. وهذا يعني القدرة على معرفة النور من خلال مقارنته بالظلمة، كما تعرف الظلمة أيضاً بالمقارنة مع النور. ولهذا السبب كان كلامه الفلسفي معرفة مفهوم الظلام في مقابل النور؛ حيث ان الظلام بحد ذاته لا يعني سوى انعدام النور.

١٤. ان الوجود يساوي النور والنور في ذاته له ظهور، ومُظهِرُهُ الغير، وحقيقة صرف الوجود هذه ليست ظاهرة فحسب، بل هي كل الظهور وليس شيئاً ظاهراً غير الوجود. ولولا نور الوجود يبقى كل شيء خافياً في ظلام العدم. وان كانت حقيقة النور - من الناحية العقلية - منتزعة من الوجود.

١٥. على صعيد آخر، النور ليس نوراً اعتبارياً في الوجود، وانما هو واقعي

وحقيقي، وان كان بالنسبة الى الممكنات خارج عن الذات.

١٦. في نظرة الانسان العارف كل ما في الوجود من امكانات انما هي لله. ونوره هو الذي يضيء هذا العالم. ولهذا يجب ان يكون الجميع لله. وبما اتنا منه، وكل ما لدينا منه، لذلك ينبغي توظيف كل شيء في خدمته.

١٧. ان آية أهل المعرفة هي آية النور. ويجب الاهتمام بهذه الآية وان كان ادراك الناس محدود وقاصر عن فهم المعنى الواقعي للنور ولهذه الآية.

١٨. كل ما سبق قوله كان عبارة عن معلومات حول معنى النور. وهناك فارق بين معرفة نور الله وادراك نور الله. ومن الصعب الوصول الى تلك الدرجة. وهذا يحتاج الى ترويض النفس والمجاهدة والسلوك الى الله.

﴿لِيُبَيِّنَ آيَاتِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُلُوِّ وَالْأَصَالِ﴾ ٣٦

[الحكمة من بيت الله المرفوع والشعائر في الاسلام]

وما من شك في أن التسبيح والابتهال يجري صباح مساء للإله في هذه البيوت، وأن الواردين إليها ينصرفون إلى الله، وقد أذن الله أن تكون هذه البيوت مرتفعة وفخمة وعظيمة، والجميع يعرفون كم لهذه العظمة من أثر في النفوس، وأنه يجعل الداخلين إليها يشعرون بالخشوع والتواضع، مع أن عظمة الإسلام والقرآن ورجال الإسلام إنما يتمثل في الواقع فيما تحمله من عظمة ومآثر وتعالم كفيفة بإشاعة النور والسعادة الأبدية.

وحيث إن أعيننا تنقل إلى القلب صوراً من العظمة، وتدرك من عظمة البيان عظمة صاحبه، فإن الإسلام اهتم بالبيوت التي تقام فيها العبادة، وتجسد فيها

عظمة الشعائر الدينية، وأدخل ذلك ضمن تعاليم القرآن؛ حتى تتجلى معالمه تجاه دنيا الغرب الفارق في المظاهر، والخالى من القيم الإنسانية.

ومن هنا فإن المباني الإسلامية المقامة في العالم قد جلبت بعظمتها وفخامتها أنظار الغربيين، ومن يريد معرفة تفاصيل ذلك عليه أن يراجع كتاب «الحضارة الإسلامية»^١.

﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَشْأَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ
بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْذِبْهَا وَمَنْ لَمْ يُجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ
نُورٍ﴾ ٤٠

[من لا يدرك المعارف، لم يجعل الله نوراً في قلبه]

إن القلب يخضع بالفطرة للقسمة العادلة، وينفر بالفطرة كذلك من العسف والجور. إن من الفطرة الإلهية الكامنة في أعماق البشر حب العدل والرضى به، وكراهة الظلم وعدم الإنقياد له. فإذا رأى خلاف ذلك فليعلم أن في المقدمات نقصاً. فإذا سخط على النعمة وأعرض عن القسمة، فذلك لأنه لا يرى ذلك عدلاً، بل يراه - والعياذ بالله - جوراً. وليس معناه أنه يرى القسمة عادلة ثم يعرض عنها، أو أنه يرى الخطة المرسومة مطابقة للنظام الأتم والمصلحة التامة، ثم يسخط عليها بل يرى أن هذا جور ومغاير للعدل.

أسفاً علينا! إن إيماننا ناقص، ولم تخرج أدلتنا العقلية من نطاق العقل لتصل إلى حدود القلب. ليس الإيمان بالقول والسمع والمطالعة والمباحثة والنقاش فحسب وإنما يتطلب أيضاً خلوص النية. إن الباحث عن الله يجده لامحالة،

١. كتاب غوستاف لوبون، تاريخ الحضارة الإسلامية والعربية.

٢. كشف الاسرار، ص ٦٣.

والذي يطلب المعارف يبحث عنها، ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ لَئِي الْآخِرَةِ
أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾^١ ﴿وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا لَّمَّا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾^٢.

[الإيمان والعلم نور]

إعلم أن حقيقة العلم والإيمان الذي يتقوم بالعلم، عبارة عن النور، وهذا الموضوع مضافاً إلى أنه مطابق مع البرهان والعرفان، موافق لنصوص وأخبار أهل العصمة والطهارة (عليهم السلام) أيضاً. لأن حقيقة النور التي هي عبارة عن الظاهر والمكشوف بالذات، المظهر والكاشف للغير، ثابتة للعلم وصادقة عليه، بل صدق هذه الحقيقة على العلم يكون حقيقياً، وعلى الأنوار الحسية، مجازياً، لأن النور الحسي، لا يظهر ذاتي له في الحقيقة وإنه من تعينات - مصاديق - تلك الحقيقة، وتكون لها الماهية، وأما حقيقة العلم، فهي عين الوجود ذاتاً، وغيره مفهوماً، فهو في حاق الحقيقة، وعالم الخارج موافق للوجود ومتحد معه، وتكون حقيقة الوجود عين النور، وعين العلم ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^٣ فالعلم عين النور وقد عبّر في الآيات الشريفة عن الإيمان والعلم بالنور ﴿وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا لَمَّا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾. وقد فسر «النور» حسب تفسير أهل بيت العصمة (عليهم السلام) في آية النور المباركة بالعلم^٤.

١. الإسراء (١٧): ٧٢.

٢. شرح الأربعون حديثاً، ص ١١٣.

٣. النور (٢٤): ٣٥.

٤. الصدوق، كتاب التوحيد، ص ١٥٧، ح ٣، تفسير برهان، ج ٥، ص ٣٨٨، ح ٦، ذيل آية الله نور السموات.

٥. شرح الأربعون حديثاً، ص ٤١٨.

[من لا نور له الى المعارف الباطنية، يفسر كل تلك الآيات بالامور الظاهرية]

لاشك أن من هم امثالي - أنا المسكين - من الجاهلين، وممن ليس لقلوبهم حياة بحياة المعرفة والمحبة الإلهية، اموات لا تمثل أبدانهم سوى قبور رفاتهم البالية، وهم محجوبون بغبار وظلمة ضيقه عن جميع عوالم النور، والنور على النور، ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾.

وهذه الطائفة تعمدُ - كلما تلى عليها من الاحاديث وآيات القرآن الكريم ما يتحدث عن المحبة والعشق الإلهي وحب اللقاء والانقطاع الى الحق - الى التأويل والتبرير والتفسير بما يوافق آراءهم. فهم يفسرون آيات لقاء الله وحبّه بالحياة بين اشجار الجنان والنساء الحسان!!



[انعدام النور الالهي يمنع من السلوك والعروج]

اعلم أن من غير الممكن طي هذا السفر الروحاني والمعراج الايماني بقدم كسيرة وعنان مقطوع وبصر كفيف وقلب مظلم ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾.

لذا يتحتم - لسلوك هذا الطريق الروحاني والعروج في هذا المعراج العرفاني - التمسك بمقام روحانية الهداة الى طرق المعرفة وأنوار سبيل الهداية وهم الواصلون الى الله تعالى والعاكفون عليه.

ومن ينبغي طي هذا الطريق بقدم أنانيته ودون التمسك بولايتهم، فسلكه الى الشيطان ونحو الهاوية.^١

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ٥٥

[كيف لانجعل لله شريكاً في عبادته]

هذه الآية الكريمة... من جهة ترتبط بالذات المقدسة لله سبحانه وتعالى، ومن جهة أخرى ترتبط بنا نحن أيضاً. فالقسم المرتبط بالقدرة الإلهية يتمثل في تبديل خوفنا إلى أمان واطمئنان. في الماضي كنا نخاف من قوى الأمن والشرطة وبفضل الله سبحانه وتعالى تبدل خوفنا إلى اطمئنان ولهذا فنحن نجلس الآن هنا بكل راحة بال.

ومن جهة أخرى فالمسألة تتعلق بنا أيضاً، ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾. فماذا يجب علينا أن نفعل؟ عبادة الله وعدم الإشراف به، أن نشرك بقدرة الله عز وجل قدرة أخرى، لا النفس الأمارة بالسوء، ولا الشياطين. علينا أن نعرف أن كل شيء من عنده، سبحانه وأنه على كل شيء قدير، أي أن كل القدرات من عند الله سبحانه وتعالى، وأن لا نظن أن هناك صاحب فضل علينا في هذا النصر، بل يجب أن نعرف أنه وحده صاحب هذا الفضل. لم يكن لدينا شيء، لا قوة ولا تنظيمات، كنا مفرقين كل واحد منا كان مشغول بعمله وأحواله، وكنا أسرى لدى القوى الجبارة، ولكنه سبحانه هو الذي جمعنا، وهو الذي وحد قلوبنا، وهو

الذي وُحِدَ مقاصدنا بعد أن كانت مختلفة ومتفرقة، إنها الذات المقدسة سبحانه وتعالى. فلا يوجد إنسان يستطيع أن يقوم بهذه النهضة، النهضة التي فُتِنَتْ في وطن واحد بعد أن كنا مجموعات مختلفة، وأفراد مشتتين، كنا مجتمعات متعددة وكل واحد على حدى، وأفكار كل شخص تختلف عن أفكار الآخر، ولكن الله تبارك وتعالى، وُحِدَ آراءنا في رأي واحد...

توجهوا إلى الله ولا تشركوا به شيئاً سواء في العبادة، وفي كل شيء. وإن هذه الأصوات التي تسمعونها هي أصوات قدرة الله. فالله هو من نصر هذه الثورة، ولو كانت الأمور تسير بحسب الموازين الطبيعية، فقد كنا أربعة معتمدين وعدة من الكسبة، أما أولئك فقد كانوا يمتلكون كل شيء. ولكن عندما بدأت نهضتنا، جعل الله الناس يلتحقون بنا أفواجا أفواجا. ولو أنهم أرسلوا الطائرات التي اشتروها من أمريكا لقصفتنا فلم يكن عندنا قدرة ندافع بها عن أنفسنا، ولكن الله صرفهم أيضاً عن ذلك ودب الرعب والخوف في نفوسهم، حيث ربطت أيديهم وأرجلهم، وكل ذلك يعود إلى تمزق باطنهم، حتى أن أصحاب الرتب الصغيرة لم يعودوا يطيعون من فوقهم. إن هزيمتهم هذه لم تكن عادية، لقد تزلزل وانهار حكمهم بإذن من الله. إن الله ينظر إلى هذه الأمور دائماً، وهو أشد وضوحاً من هذه الشمس. وإذا حافظنا على توجهنا إلى الله، وعلى هذه الأخوة والوحدة، فإننا سنواصل تقدمنا حتى النهاية.^٢

-
١. ان تعابير الامام هذه كثيراً ما تستدعي الى الأذهان ما قاله البارئ تعالى في نصره للدعوة النبوية: ﴿سَلِّقْ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ (آل عمران (٣): ١٥١)، وغيرها من الآيات الأخرى التي تحدث عن القاء الخوف والرعب في قلوب الأعداء. وكذلك جاء في الأحاديث ما يشير الى ان النصر بالرعب يعد من عوامل انتصار النبي وتسلط المزيد من الضوء على هذا المفهوم وتوضيح هذه الآيات، راجع: آيازي، السيد محمد علي، آزادي در قرآن (= الحرية في القرآن)، ص ٣٧٢.
 ٢. صحيفة الإمام، ج ٩، ص ١٢٥ - ١٢٨ خطاب بتاريخ ١٣٩٩/٨/٢١.





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَقَالُوا مَا لِيَ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ
فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ ٧

[نفس النبي ذات مراتب]

النفس ذات مراتب طويلة، وفي مراتب سلسلة الوجود حقيقة ذات مراتب، كما ان رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم في الوقت الذي كان فيه ﴿كُنْتُمْ دَلَاةً فَتَدُلُّونَ﴾ * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾، كان أيضاً رجل حرب ويقاقل في ميادين الوغى.

ما أغرب هذه النفس الانسانية، ولكننا ندعي زوراً بأننا قد بلغنا مقام الإنسانية، والحال اننا متوقفون في مرحلة البهائم. ان النفس الانسانية نموذج للذات

المقدسة. "عبدني أطعني أجعلك مثلي". وهذه الحقيقة ذات مراتب. طبعاً النبي صلى الله عليه وآله وسلم بشر، ولكن كيف من بشر؟ ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾، والوجه الفارق هو الوحي. وبالجملة: في الوقت الذي كان فيه النبي ﴿يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾^٢ كان أيضاً ﴿نُمُّ ذَا قَدْلَىٰ﴾^٣.

﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ ٣٠

[مهجورية القرآن ذو مراتب]

من الحجب الاخرى حجاب الآراء الفاسدة والمسالك والمذاهب الباطلة، والذي ينشأ من سوء استعداد الشخص نفسه احياناً، ومن الاتباع والتقليد في أغلب الأحيان. وهو من الحجب التي تحجبنا عن خصوص معارف القرآن الكريم، فإذا ترسخ في قلوبنا اعتقاد فاسد نتيجة التلقي عن الأب أو الأم أو بعض الجهال من اهل المنبر مثلاً، فإن هذا الاعتقاد يصبح حاجباً بيننا وبين الآيات الإلهية الشريفة، ولو أن آلاف الآيات والاحاديث الشريفة وردت بما يعارض ذلك الاعتقاد لعمدنا الى صرفها عن ظاهرها، أو عدم النظر اليها بنظرة فهم،

١. علم اليقين، ج ٢، ص ٦١٠.

٢. الكهف (١٨): ١١٠.

٣. الفرقان (٢٥): ٧.

٤. النجم (٥٣): ٨ ان مثل هذا الشخص الذي يبدو ذا سلوك بشري في الظاهر، ويعمل على تأمين احتياجاته البشرية، ويأكل، ويمشي، ولكنه مع كل ذلك يرتقي مدارج السلوك والسمو الروحي، ويحلّق من قوس النزول الى قوس الصعود، ويقترّب الى الافق الاعلى اكثر فاكثر ويعود الى عالم الناسوت، ويبين ما شاهده في عالم الغيب.

٥. تقريرات فلسفة الإمام الخميني، ج ١، ص ٢٩٢ - ٢٩٣.

والامثلة على هذه الاعتقادات والمعارف الباطلة كثيرة، أعرض عن ذكرها لعلمي أن هذا الحجاب لا يُحرق^١ بأقوال أمثالي، ولكنني اشير الى نموذج واحد يسهل إدراكه عموماً.

فلو أنك نظرت الى الآيات التي تتحدث عن لقاء الله^٢ ومعرفته والأحاديث الواردة في هذا الشأن لوجدت أنها كثيرة جداً، أضف إليها الإشارات والتلميحات والتصريحات المتوافرة في أدعية الأئمة (عليهم السلام) ومناجاتهم، ولكن رغم ذلك ترى البعض - ونتيجة لبعض الاعتقادات التي ابتدعها وروج لها بعض الجهال من القول بإغلاق السبيل الى معرفة الله تماماً نتيجة قياس معرفة الله ومشاهدة الجمال بالتفكير بالذات الإلهية بذلك الشكل المنهي عنه، بل الممتنع اصلاً - يؤولون كل تلك الآيات والروايات او يحجمون عن دخول هذا الميدان اصلاً، فيحرمون بذلك من المعارف التي تقرُّ بها عيون الانبياء والاولياء (عليهم السلام).

إن لما يبعث على عظيم الأسف لدى اهل الله، هو قيام تلك الفشة بإغلاق باب من المعرفة - يمكن القول عنها بأنها تمثل غاية بعثة الانبياء ومنتهاى مطلوب الاولياء - والاصرار على ذلك الى الحد الذي يجعل الحديث عن ذلك كفرأ محضاً وزندقةً صرفة^٣، فهؤلاء يضعون معارف الانبياء والاولياء ومعارف العوام

١. أي النماذج التي فهمت على نحو مغلوط والمعارف السامية التي طرحت بأسلوب سطحي، بل حتى بأسلوب خرافي.

٢. اي لا تحرق ولا تُزال. والمقصود هو ان الموعدة تزيل الحجب.

٣. ومن جملة ذلك: الأنعام (٦): ٣١، ١٥٤؛ يونس (١٠): ٤٥؛ الكهف (١٨): ١١٠؛ النكبات (٢٩): ٥٥؛ الروم (٣٠): ٥٨؛ الفرقان (٢٥): ٢١.

٤. اشارة الى ازدهار سوق تكفير العرفاء والفلاسفة في اوساط الحوزات العلمية بسبب عدم فهم احدهم لكلام الآخر وعدم التعمق في مغزى المعارف السامية لهذا الفريق من علماء المسلمين، وكيف تُسل هنا حراب التكفير. وقد اشار سماحته الى هذه الظاهرة مراراً وخاصة في البيان التاريخي والمهم الذي وجهه الى علماء الدين في عام ١٤١٨هـ-ش.

والنساء فيما يتعلق بذات الحق وأسمائه وصفاته في مستوى واحد، بل يرجحون الاخيرة - احياناً - على الأولى، فيقولون: إن لفلان عقائد عامية جيدة! فياليت لي مثل تلك العقائد العامية!! والمسكين محقٌ فيما يقول، فهو فاقد للعقائد العامية من جانب، وينظر الى المعارف الاخرى - وهي معارف الخواص واهل الله - بنظرة البطلان من جانب آخر. فأمنيته تماماً كأمنية الكافر التي تنقلها الآية الكريمة: ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾.

[آثار المهجورية]

ولو اردنا استقصاء الآيات والاخبار الواردة بخصوص موضوع لقاء الله، لإيضاح تهافت هذه العقيدة الفاسدة، الناشئة عن الجهل والغرور الشيطاني لاستلزم الأمر كتاباً مستقلاً، ناهيك عما يتطلبه الخوض في تفاصيل الموضوع لتبيان المعارف التي طوتها ستائر النسيان نتيجة هذا الحجاب الشيطاني الكثيف، ولإثبات أن ذلك هو الذي أدى الى درجة من درجات الابتعاد عن القرآن الكريم وهجره، بل لعله أكثر الامور مبعثاً للأسف كما تعبر الآية الكريمة: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾. فلهجر القرآن مراتبٌ ومنازل لا تُحصى ولعلنا متصفون بالأساسي منها، وإلا أقلسنا نتخذ القرآن مهجوراً عندما نضع هذه الصحيفة الإلهية في جلد ثمين ونقبله ونضعه على أعيننا فقط حين الاستخارة؟! وهل سنُخرج هذا الكتاب الشريف من حالة المهجورية اذا صرفنا جُلَّ أعمارنا في تجويده وفي جوانبه اللغوية والبيانية والبديعية؟! أم هل سنتخلص من عار الابتعاد عن القرآن اذا تعلمنا قراءاته المختلفة وامثال ذلك؟

وهل سينقذنا تعلمٌ وجوه إعجاز القرآن وفنون محسناته من شكوى رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟ هيهات هيهات، فليس في كلِّ هذه الامور ما يمثل مُراد القرآن ومنزله العظيم جلَّ وعلا.

ان القرآن كتابٌ الهيُّ يضمُّ الشؤون الإلهية، وهو الحبل المتصل بين الخالق والمخلوق، وبتعليماته يجب إقامة الرابطة المعنوية والارتباط الغيبي بين عباد الله ومربيهم، ومن القرآن ينبغي لنا تحصيل العلوم الإلهية والمعارف اللدنية، يقول رسول الله (صلى الله عليه وآله): «انما العلمُ ثلاثة: آية محكمة وفريضةٌ عادلة وسنةٌ قائمةٌ». والقرآن المجيد حاملٌ هذه العلوم، وإذا تعلمناها منه، اتخذنا القرآن غير مهجور، فإذا ما قبلنا دعوات القرآن الكريم، واخذنا بما يجب من قصص الانبياء (عليهم السلام) المشحونة بالمواعظ والمعارف والحكم، واذا تعظنا بمواعظ الله تعالى ومواعظ أنبيائه والحكماء المذكورة في القرآن الكريم، نكون حينئذ غير هاجرين للقرآن؛ وإلا فإن التعمق في صورة ظاهر القرآن، هو إخلادٌ الى الارض^٢ ايضاً، وهو بعد ذلك من وساوس الشيطان التي يجب

١. المعارف اللدنية، هي المعارف غير الكسبية والافاضات الوجودية التي ينالها الافراد بالسير والسلوك وطبي المراتب. ويشترط في نيلها الجهد والسعي، اضافة الى تهذيب النفس والسير على مدارج الكمال. وهذه المعارف من قبيل الالهامات والكشف والشهود والاتصال بعالم المعنى، ولهذا فهي من سنخ عين اليقين وليست علم اليقين. كما جاء في الآية السابعة من سورة التكاثر.

٢. اصول الكافي، كتاب فضل العلم - باب صفة العلم - فضله - الحديث الأول.

٣. اشارة الى الآية الشريفة ﴿ولو شئنا لرفعناه بها، ولكنك أنت أخلد إلى الأرض وأتبع هوى...﴾ (الاعراف ٧: ١٧٦). حيث كان الله تبارك وتعالى يريد ان يرفع بلعم بن باعوراء الى مرتبة رفيعة، الا ان تشبث بالأرض والحياة الدنيوية وطلب المال والجاه واتبع هوى نفسه، ولذلك لم يستطع الوصول الى مثل هذا المقام الرفيع. والمسألة الجديرة بالاهتمام هي ان الاخلاص جاء كناية عن التعلق بالدنيا، ولكن مع فارق انه يرى التعمق والغوص في الصورة الظاهرية للقرآن، واحدة من مراتب الاخلاص الى الارض. وكان الاخلاص الى الارض له مراتب، واحدى مراتبه الغور في الصورة الظاهرية للقرآن.

[مهجورية القرآن بترك المعارف و المخالفة في مقام العمل]

القرآن والاسلام مهجوران ومظلومان وذلك لان الكثير من البلدان الاسلامية اما انها تركت وهجرت احكام القرآن والاسلام المهمة، او انها تعمل على العكس منها. ومن هذه الاحكام المهمة سياسيا؛ دعوة القرآن الى الوحدة ونهيه عن التنازع والاختلاف، حيث تقول الآية: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾^١. ولكن هل التزم المسلمون وعملوا بهذين الاصلين السياسيين المهمين؟ وهل اهتم المسلمون بهذين الاصلين، وهل طبقوهما في حياتهم؟ علماً بان تطبيقهما يعني حل جميع مشاكل المسلمين، وتركهما يعني الفشل وزوال القوة^٢.

﴿أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَقَالَتْ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ ٤٣

[الألوهية والعبودية بالأنانية واتخاذ أهواؤه النفسانية]

وما دام في حجاب الأتية والأنانية فليس في لباس العبودية بل هو معجب بنفسه وعابد لها وإنما معبوده أهواؤه النفسانية ﴿أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾^٣ ونظره نظر ابليس اللعين إذ رأى آدم عليه السلام في حجاب أنانيته وفضل نفسه

١. آداب الصلاة، ص ١٩٦ - ١٩٩.

٢. الأنفال (٨): ٤٦.

٣. صحيفة الإمام، ج ١٦، ص ٣٤.

٤. الفرقان (٢٥): ٤٣.

عليه وقال ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾^١

وصار مطروداً من ساحة المقربين إلى الجناب المقدس.^٢

﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ

سَبِيلًا﴾^{٤٤}

[انكار الخالق والصابغ الحكيم، من قبل الانسان المحجوب، بل الحيوان بصورة انسان]

فلو افترض هذا إنسان محجوب «لا سمح الله» لا بل حيوان على صورة إنسان، بسبب مرض قلبه الذي هو منشأ لجميع الأمراض الباطنية، فهو خارج عن الفطرة الإنسانية، ولا بد له من العلاج القطعي لهذا المرض الباطني. هذا هو الميت الذي هو حي بصورته والذي يقول الله تعالى، في حقه مخاطباً الرسول العزيز في سورة فاطر آية ٢٢ ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَن فِي الْقُبُورِ﴾. هذا هو الحيوان الذي يرتع في مراتع الطبيعة ويأكل منها، الذي يقول تعالى في حقه ﴿ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَمْتَسُوا وَيُلْهَهُمُ الْأَمَلُ﴾^٣ ويقول: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾^٤.

١. ص (٣٨): ٧٦.

٢. سير الصلاة، ص ٨٨.

٣. سورة الحجر (١٥): ٣.

٤. سورة الفرقان (٢٥): ٤٤.

٥. شرح حديث جنود العقل والجهل، ص ١٢٢.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ

دَلِيلًا﴾ ٤٥

[امتداد ظل الوجود وانبساط الرحمة من مظاهر القدرة]

و هي «القدرة» على لسان الحكيم كون الفاعل في ذاته بحيث ان شاء فعل و ان لم يشأ لم يفعل. و المشيئة المأخوذة في القدرة الإلهية هي التي بحسب الحقيقة عين الذات المقدسة؛ و لا ينافيها تأخذ المشيئة في الحضرة الربوبية، لعقد الشرطية من الواجبتين و الممتنعين و الممكنتين: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾. و هو تعالى شاء بالمشيئة الأزلية الذاتية الواجبة الممتنعة العدم ان يمد ظل الوجود و يبسط الرحمة في الغيب و الشهود؛ لأن واجب الوجود بالذات واجب الوجود من جميع الجهات و الحثيات؛ و لو شاء ان يجعل الفيض مقبوضاً و ظل الوجود ساكناً لجعله ساكناً مقبوضاً، لكنه لم يشأ و يتمتع ان يشاء^١.

[تنوع الظلية يتناسب مع الدرجات الوجودية]

فالانسان الجامع لجميع العوالم و ما فيها ظل الحضرة الجامعة الالهية؛ و عالم الأعيان ظل الحضرة الغيب المطلق؛ و عالم العقول و النفوس ظل الحضرة الغيب المضاف الأقرب إلى المطلق؛ و عالم الخيال و المثال المطلق ظل الحضرة الغيب المضاف الأقرب إلى الشهادة؛ و عالم الملك ظل الحضرة الشهادة المطلقة. أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ، في الحضرة الأسمائية و الأعيان الثابتة بالظل

الأقدس، وفي الحضرة الشهادة و عالم الملك و الملكوت و الجبروت بالظل المقدس.

بل نقول: ان الوجود بمراتبها السافلة و العالية كلها مرتبط بالوجه الخاص مع الله تعالى بلا توسط شيء، فان المقيد مربوط بباطنه و سره مع المطلق، بل هو عين المطلق بوجه يعرفه الراسخون في المعرفة.^١

[العالم في نظر العارف، ظل الله]

فهو تعالى بهاء بلا شوب الظلمة، كمال بلا غبار النقيصة، سناء بلا اختلاط الكدورة، لكونه وجوداً بلا عدم و إتيّة بلا ماهية. و العالم باعتبار كونه علامة له و متسبباً إليه، و ظله المنبسط على الهياكل الظلمانية، و الرحمة الواسعة على الأراضي الهولانية بهاء و نور و اشراق و ظهور:

﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ﴾^١، و ظل النور نور: ﴿لَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَسَدُ الظِّلِّ﴾^٢. و باعتبار نفسه هلاك و ظلمة و وحشة و نفرة.^٣

١. شرح دعاء السحر، ص ١٢١.

٢. الاسراء (١٧): ٨٤

٣. هذه الآية من اكثر الآيات التي لفتت انتباه العرفاء. وهكذا فقد أصبحت قضية الظل و صاحب الظل من الامثلة المتداولة كثيراً في ما بينهم لتبيان طبيعة العلاقة بين الحق و الخلق و الدرجة الوجودية للموجودات و رسم وحدة الوجود و كذلك ايجاد فارق بين تقرير الظاهر و المظهر و الظل و النور. و هذا مشروع في كتب العرفان و لا مجال لشرحه هنا.

٤. شرح دعاء السحر، ص ١٢١.

[الوجودات غير الحقّة _ بناءً على تفسير _ هي ظلال

[الحق]

في النظرة العرفانية يُعتبر العالم والوجودات خيال كما قال الشيخ عبد الرزاق الكاشاني^١ في تفسير الآية الشريفة: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾: "الوجود المنبسط مثل الظل الذي هو لا شيء ويظن انه شيء".^٢ فعندما يحيط النور بشيء يلاحظ وجود ظل له، والظل طبعاً ليس شيئاً بل هو عدم، ولكنه ليس عدماً بسيطاً بحتاً، وإنما هو عدم متعلّق بذلك النور ومضافاً إليه. فقبل إشراق نور الشمس لا تكون للأشياء ظلال، وإنما تكون ظلمة بحتة وبسيطة. ولكن بعدما تشرق الشمس على جسم يتكوّن له ظل، والظل بذاته ليس شيئاً ولا حقيقة له، رغم انه ينشأ على أثر شروق الشمس. وبما ان نور الشمس يسقط على الجسم من جهة واحدة فمن الطبيعي ان امتداده يخلو من النور، لذلك يُتخيل ان هناك في مقابل النور شيء، ولكن في الواقع لا يوجد شيء سوى خيال وعدم، ولكنه ليس عدماً مطلقاً، وإنما

١. الملا كمال الدين أبو الغنائم عبد الرزاق بن اسحق الكاشاني من مشاهير العرفاء والمتصوّفة الإمامية، وكان من محققي العلوم الظاهرية والباطنية. بعض مؤلفاته هي: اصطلاحات الصوفية، شرح فصوص الحكم، شرح منازل السائرين، تأويلات القرآن. توفي في عام ٧٣٠ أو ٧٣٥هـ.
٢. الفرقان (٢٥): ٤٥.

٣. راجع: تفسير القرآن الكريم، ج ٢، ص ١٦٠. يُنسب هذا الكتاب إلى الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي، ولكنه في الحقيقة تأويلات الملا عبد الرزاق الكاشاني.

عدم متعلق بالنور الذي لا يكون له وجود هناك^٢.

[معنى الظل في مقابل النور]

الظل هو عدم النور، وهو ليس الوجود الذي يكون في مقابل وجود النور، ولكن عندما تشرق الشمس وينتشر نور منبسط في العالم، تمنع الأجسام التي تكون في مقابل الشمس ويشع نور الشمس عليها، تمنع النور عما وراءها على قدر حجمها. وعلى مقدار عدم النور يتحقق الظل. والظل في الحقيقة عدم النور حيث ان الشمس تشع على هذا الجانب من الجسم أو على ذلك الجانب ولكن الجسم يمنع نور الشمس على قدر حجمه، في حين أن الانسان بسبب ما لديه من وهم وخيال يظن ان الظل وجود يقع في مقابل وجود النور. وإذا كان الجسم انساناً وتحرك منتقلاً من نقطة الى اخرى، فالمكان الأول الذي كان ينعدم فيه النور بسبب وجود ذلك الجسم، سيضع عليه النور. واما النقطة الثانية التي انتقل إليها فسينعدم فيها النور على قدر وحجم ذلك الجسم، وكلما تحرك الجسم يبدو للعين ان الظل يتحرك أيضاً، بينما الظل ليس سوى انعدام النور.

١. يتخذ العرفاء مثال الظل والنور لوصف وتصوير العلاقة او النسبة بين الله والممكنات (المخلوقات). فالظل ليس له وجود واقعي وعيني، وان لم يكن هناك نور فلا وجود للظل. وكذلك الممكنات فقيرة بل هي عين الفقر ولا تكون شيئاً لولا وجود الله وانما هي عدم وظلمة محضة. وعندما يشع نور الله على ذرات العالم تكون لها ظل على مقدار سعتها الوجودية، ويمكن الاشارة اليها في الخارج. وهذا التمثيل لا يعكس طبعاً هذا الواقع، غير انه يشف عن نظرة العرفاء في وحدة الوجود وفقر الموجودات، كما انه تعبير آخر عن هذا الظاهر والمظهر.

٢. تقريرات فلسفة الإمام الخميني، ج ٢، ص ١٠.

ومن هنا فقد قال الحق في كتابه الكريم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾^١ فقد أشرق الباري عز وجل من مرتبة الغيب ومن وراء العالم ومن وراء أفق الماهيات الثابتة وتجلّى نوراً منبسطاً وواسعاً ومطلقاً، واصبحت الماهيات موضع إشراق ذلك النور تبعاً لاختلاف قابليّاتها. والماهيات طبعاً لم تتحقق سابقاً وإنما كانت في تلك المرتبة لا معدومة ولا موجودة، ولا كان لها اقتضاء وجود ولا اقتضاء عدم، ولا كان هناك من داع يدعوها إلى الظهور والبروز ولا داع يقتضي منها الخفاء والستر، بل الظلال تترآى للوجود في نور ذلك الوجود، والجاهل يحسب تلك الظلال وجوداً.^٢

[[إبطال قول المفوضة ببطلان الموجودات بالنسبة الى الله]]

وأما إبطال قول المفوضة فهو ان حكم العلية والمعلول هو صرف التعلّق وعدم استقلال المعلول، وإذا أريد زوال المعلول من تعلّقه فيجب ان يخرج من المعلولية؛ لأن زوال التعلّق عين زوال المعلولية. وعلى العموم ان العلية هي ليست تأثير الشيء في شيء اجنبي وايجاده، وإنما هوية المعلول هي تمام الاستناد والتعلّق بالعلّة وهوية العلة جامعة لهوية المعلول. والخلاصة هي ان الاستقلال في المعلول محال، وكل شيء يريد ان تكون له استقلالية يجب ان يكون واجب الوجود بحكم تعقل حقيقة العلية. إذا مبدأ المبادئ هو ذلك الشيء الذي له استقلال ذاتي، وكلّ الوجودات هي ظلال له بحكم ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾^٣ وتقع في امتداد ظلّه، وهو

١. الفرقان (٢٥): ٤٥.

٢. تقريرات فلسفة الإمام الخميني، ج ٢، ص ١١٧ - ١١٨.

٣. الفرقان (٢٥): ٤٥.

بحكم حقيقة العلية والمعلول أمر عقلي. كل الوجودات عين الارتباط به وهي منه حدوثاً وبقاءً. وكما مرّ سابقاً، وكلّ أثر تصدر من شيء من حيث الخصوصية التي يتّصف بها ذلك الشيء وتلك خصوصية كيفية وجوده ومبدأ التأثير هو ذلك الوجود دون ان يكون غير الوجود شيء آخر يعود له التأثير. وإن كان التأثير من شيء آخر ننقل الكلام الى ذات وجود ذلك الشيء.^١

[الاستدلال بالكتاب على أنّ الماء طاهر مطهّر]

وكيف كان، فقد استدلّ لإثبات ذلك بالكتاب:

قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَعْنَامًا وَأَنَاسِيًا كَثِيرًا﴾.

بتقريب: أنّ الطهور صيغة مبالغة من الطاهر، وحيث إنّ الطهارة في مقابل النجاسة غير قابلة للشدة والضعف، فلا محيص أن يكون المراد به المطهّرة للأحداث والخبائث، وهذا المعنى بضميمة أنّ كلّ ماء فهو نازل من السماء، وأنّ مقام الامتتان يقتضي التعميم لكلّ ماء، يُثبت المطلوب، وهو أنّ كلّ ماء مطلق طاهرٌ ومطهّرٌ.

أقول: الطهارة في اللغة، عبارة عن النظافة والنزاهة^٢؛ أي بحسب نظر العرف والعقلاء؛ من دون فرق بين أن يكون في نظر الشارع نجساً، أم لم يكن كذلك. ومن الواضح أنّ المراد بالطهور الطهارة بهذا المعنى اللغوي، وهو قابل للشدة والضعف والزيادة والنقصان، فيصحّ أن يقال: إنّ الماء النازل من

١. تقريرات فلسفة الإمام الخميني، ج ٢، ص ٣١٤.

٢. المعتمر ١، ص ٣٧، الحدائق الناضرة ١، ص ١٧٢، جواهر الكلام ١، ص ٦٢.

٣. راجع: الصحاح، ج ٢، ص ٧٢٧؛ لسان العرب، ج ٨، ص ٢١١؛ المصباح المنير، ص ٣٧٩.

السماء في غاية النظافة وشدّة النزاهة. والوجه فيه: كونه مُزبلاً للخبائث والأقذار، فهو الأصل في النظافة.

وبالجملة: فمقتضى الآية الشريفة كون الماء نظيفاً في الغاية وهذا لا يبدل على كونه طاهراً شرعاً، فضلاً عن كونه مطهراً لغيره، ولو سُلّم كون «الطهور» بمعنى الطاهر في نفسه المطهّر لغيره - كما صرح به بعض أهل اللغة^١ - فلا تدلّ الآية أيضاً على المطلوب؛ إذ مقتضاها مطهّريّة الماء النازل من السماء بنحو الإجمال، ولو سُلّم فمفادها التعميم لكلّ ماء نازل من السماء، ولا دليل على كون جميع المياه نازلة من السماء.^٢



[الماء في صورته المختلفة مظهر رحمة الله]

﴿الماء﴾ من المظاهر الكبرى لرحمته تعالى، فقد أنزله في عالم الطبيعة، وجعله أصل حياة الموجودات، بل إنّ أهل المعرفة يعبّرون بالماء عن الرحمة الإلهية الواسعة النازلة من سماء رفيع الدرجات لحضرة الأسماء والصفات لتحيي أراضي تعيّنات الأعيان.^٣

١. معجم مقاييس اللغة، ج٣، ص ٤٢٨؛ المصباح المنير، ص ٣٧٩.

٢. كتاب الطهارة، ص ١١ - ١٢.

٣. تعيّنات الأعيان: التعيّن عند العرفاء عبارة عن التشخّص، ويقول القيصري: التعيّن به يمتاز كل شيء عن غيره، والأمر الذي يتحقق به التعيّن، تارة يكون عين الذات، كتعيّن واجب الوجود الذي يتميز بالذات، وتارة يكون الحق الذي هو عين ذاتها. وتارة يكون ما به التعيّن زائداً على ذات التعيّن، كإمتياز الكاتب عن غير الكاتب، وتارة يكون ما به التعيّن وما به الإمتياز

ولما كان تجلّي الرحمة الإلهية الواسعة في ماء عالم الملك الظاهري هذا، أشدّ من تجليها في سائر الموجودات الدنيوية، جعل الحق تعالى الماء للتطهير من القذارات الصورية، بل إن ماء رحمة الحق حيثما ينزل ويظهر وفي أية نشأة من نشآت الوجود وفي كلِّ مشهد من مشاهد الغيب والشهادة، يقوم بتطهير ذنوب عباد الله وبما ينسجم وتلك النشأة، وما يناسب ذلك العالم.^١

اذن فبماء الرحمة النازل من سماء «الأحدية»، تُطهّر الذنوب العينية لتعيّنات الأعيان، وبماء الرحمة الواسعة النازل من سماء «الواحدية»، تُطهّر ذنوب عدميّة «الماهيات الخارجية». وهكذا في كل مرتبة من مراتب الوجود وبما يناسب تلك المرتبة.

كذلك فإن لماء الرحمة في مراتب النشآت الانسانية ظهوراً متفاوتاً، فبالماء النازل من حضرة الذات الى التعيّنات الجمعية البرزخية تُطهّر ذنوب «السرّ الوجودي» «وجودك ذنب لا يقاس به ذنب»^٢. وبالماء النازل من حضرات الأسماء والصفات وحضرة التجلّي الأفعالي يتم تطهير رؤية الصفة والفعل، وبالماء النازل من سماء حضرة الحكّم العدل يتم تطهير القذارات الخلقية الباطنية، وبالماء النازل من سماء الغفارية يتم تطهير ذنوب العباد، وبالماء النازل

عبارة عن عدم حصول أمر، يعني أمراً عدماً مثل امتياز الكاتب بعدم الكتابة. والعين: الحقيقة، والذات أو الماهية.

١. رحمة الله الواسعة، واحدة من التسميات التي يطلقها العرفاء على الماء. ففي العرفان يُسمى الماء رحمة الله. ومن مصاديق ومظاهر هذه الرحمة الماء الجاري. ولهذا حيثما يذكر الماء في القرآن يأوّل بمفهومه العام بل وبمفهومه العرفاني ويعتبرون صدوره في مقام الاسماء والصفات.

٢. راجع: الفناري، مصباح الانس، ص ٦٩٣؛ شرح فصوص الحكم، ص ٦٥٩.

من سماء الملكوت يتم تطهير القذارات الصورية^١.

[تفسير آخر لوجود الماء]

قال بعض أهل المعرفة «في الطهور»: وهو إما الماء الذي هو سر الحياة التي هي أصل العلم لمشاهدة الحي القيوم. قال الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً^٢﴾ وقال جل وعلا: ﴿وَيُنزَلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءٌ يُطَهِّرُكُمْ بِهِ وَيُذْهِبُ عَنْكُمْ رِجْسَ الشَّيْطَانِ^٣﴾. وإما التراب الذي هو أصل نشأة الإنسان قال عز من قائل: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ^٤﴾... وذلك لتفكر في ذاتك لتعرف من أوجدك وممّ أوجدك ولم أوجدك فتخضع له وترفع التكبر من رأسك لأن التراب هو الأصل في الذلّة والمسكنة. انتهى^٥.

يقول الكاتب: أصل الماء الرحمة الإطلاقيه في الوجود قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ^٦﴾... وذلك الأصل هو التجلي الذاتي بلا تعلقه

١. كما اشرفنا فان احد المفاهيم المهمة في باب التأويلات العرفانية للقرآن الكريم، مفهوم الماء. وقد بُحث هذا المفهوم عدّة مرّات في تفسير وتأويل الامام الخميني. فقد طرحت هذه المباحث في سورة النحل الآية ٦٥ والانفال، الآية ١١ والرعد، الآية ١٧. وللإطلاع على المزيد حول هذا الموضوع راجع: سر الصلاة، ص ٤٢ و ٤٣؛ آداب الصلاة، ص ٦٣؛ رحمة من الرحمن، ج ٢، ص ٤١٦. وستأتي لاحقاً مواضع تأويلية وعرفانية في تشبيه الماء وغير ذلك من الامور. وهذا ما سنشير إليه.

٢. آداب الصلاة، ص ٦٣.

٣. المؤمنون (٢٣): ١٨.

٤. الأنفال (٨): ١١.

٥. طه (٢٠): ٥٥.

٦. القمي، القاضي سعيد، اسرار العبادات و حقيقة الصلاة، ص ١٦.

٧. الأنبياء (٢١): ٣٠.

بمرآة وتعينه في مجالي الآيات.^١

[تشبيهه رحمة الله بالماء في تطهير الذنوب]

الوضوء تطهير الماء قبل التنزّل والتيمّم تطهير به بعد التنزّل ولهذا صار أحد الطهورين بمقتضى سراية حكم الباطن إلى الظاهر وحكم الغيب إلى الشهادة. وأيضاً الوضوء تطهير من النقائص والحدود: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ﴾^٢. والتيمم رجوع النقائص بالعرض إلى الحق: ﴿قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾^٣.

عن مصباح الشريعة عن الصادق عليه السلام: «إذا أردت الطهارة والوضوء فتقدم إلى الماء تقدمك إلى رحمة الله، فإن الله قد جعل الماء مفتاح قربته ومناجاته ودليلاً إلى بساط خدمته وكما أن رحمته تطهر ذنوب العباد فكذلك النجاسات الظاهرة يطهرها الماء لا غير. قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾^٤. ... فكما أحيا به كل شيء من نعيم الدنيا كذلك بفضله ورحمته جعل حياة القلوب بالطاعات وتفكر في صفاء الماء ورقته وطهوره وبركته ولطيف امتزاجه لكل شيء وفي كل شيء واستعمله في تطهير الأعضاء التي أمرك الله بتطهيرها...»^٥.

١. مير الصلاة، ص ٤١.

٢. النساء (٤): ٧٩.

٣. النساء (٤): ٧٨.

٤. الفرقان (٢٥): ٤٨.

٥. المجلسي، بحار الانوار، ج ٧٧، ص ٣٣٩، كتاب الطهارة، ابواب الوضوء، نقلاً عن مصباح الشريعة،

باب ١٠.

٦. مير الصلاة، ص ٤٢ - ٤٣.

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ ٦٨ ﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾ ٦٩ ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ٧٠

[تبدیل السيئات الى حسنات وشروطه]

ومن تلك الأحاديث، الأخبار الواردة في تفسير الآيات الشريفة المذكورة في سورة الفرقان.

قال الله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

ونحن نقتصر على ذكر واحدة من تلك الأخبار، لأنها جميعاً متقاربة في المضمون والمعنى:

عن الشيخ في أماليه بإسناده عن محمد بن مسلم الثقفي، قال: «سألت أبا جعفر محمد بن علي (عليهما السلام) عن قول الله عز وجل: ﴿فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ فقال (عليه السلام): يؤتى بالمؤمن المذنب يوم القيامة حتى يُقام بموقف الحساب، فيكون الله تعالى هو الذي يتولى حسابه لا يطلع على حسابه أحدًا من الناس، فيعرفه ذنوبه حتى إذا أقرَّ سيئاته قال الله عز وجل: لِلْكَتَبَةِ: بَدَلُوا حَسَنَاتٍ وَأَظْهَرُوهَا لِلنَّاسِ، فيقول الناس حينئذ: ما كان لهذا

الْعَبْدِ سَيِّئَةً وَاجِدَةً! ثُمَّ يَأْمُرُ اللَّهُ بِهِ إِلَى الْجَنَّةِ، فَهَذَا تَأْوِيلُ الْآيَةِ، وَهِيَ فِي الْمُنْذِرِينَ مِنْ شِيعَتِنَا خَاصَّةً^١.

...ومن يقرأ الآيات الثلاث المذكورة من أولها إلى آخرها، يفهم بأن الناس جميعاً مطوقون بأعمالهم ويحاسبون على قبائحها، إلا الذين آمنوا، وتابوا من جرائرهم، وعملوا عملاً صالحاً فكل من توفرت فيه هذه الأمور الثلاثة، فاز وشمלתه أطاف الله سبحانه وأصبح مكرماً أمام ساحة قدسه، فتحول سيئاته وآثامه إلى حسنات. وقد فسّر الإمام الباقر (عليه السلام) الآية المباركة بهذا التفسير أيضاً، وجعل كيفية حساب هؤلاء الأشخاص وموقفهم يوم القيامة على الشكل الذي ذكرناه.

ومن المعلوم أن هذا الأمر يختص بشيعة أهل البيت، ويحرم عنه الناس الآخرون، لأن الإيمان لا يحصل إلا بواسطة ولاية عليّ وأوصيائه من المعصومين الطاهرين (عليهم السلام)، بل لا يقبل الإيمان بالله ورسوله من دون الولاية، كما نذكر ذلك في الفصل التالي.

إذن؛ لا بد من اعتبار هذه الآية المباركة والأخبار التي وردت في تفسيرها، من الطائفة الأولى^٢ من الروايات، لأنها تدلّ على أن الشخص إذا كان مؤمناً ولم يحاول القضاء على سيئاته بالتوبة والعمل الصالح لما شملته الآية الكريمة^٣.

﴿قُلْ مَا يَتَّبِعُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ لَفَقَدْتُمْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ ٧٧

١. أمالي الشيخ الطوسي، ج ١، ص ٧٠.

٢. تشير الأدلة الأولية إلى أن معيار قبول الطاعات وغفران السيئات هو الإيمان وديمومته. وفي مقام الحث على التمسك بالدين وتبديد المخاوف أن ما يصدر أحياناً من الذنوب يغفره الله. وللإطلاع على المزيد من التفصيل في هذا المجال، راجع شرح الأربعون حديثاً، ص ٥٦٨ - ٥٧٦.

٣. شرح الأربعون حديثاً، ص ٥٧٤ - ٥٧٦.

[اهمية الدعاء والذكر]

بهذه الأدعية وبهذه الأمور الواردة عن الله ورسوله تتم تربية المجتمع، إن كنتم تقرأون القرآن فهو يمدح الدعاء ويدعو الناس له:
﴿قُلْ مَا يَتَّبِعُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾^١ إذن فالذين يدعون إلى ترك الدعاء والأخذ بالقرآن يرفضون القرآن أيضاً: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^٢
أسأل الله أن يجعلنا من أهل الدعاء وأهل الذكر وأهل القرآن بمشيئته تعالى.^٣

١. الفرقان (٢٥): ٧٧.

٢. غافر (٤): ٦٠.

٣. تفسير آية البسمللة، ص ١٥٤ - ١٥٥.

[تبلور الاستخارة في الدعاء]

للاستخارة معنيان؛ أحدهما: معنى حقيقي، وهو غالباً ما يرد ذكره في أخبارنا، وأصبح شائعاً عند الخاص والعام... وهو طلب الخير من الله.

والاستخارة مستحبة في جميع الأعمال التي يقوم بها الإنسان، وتعدُّ من الأدعية التي أعطاها الله في قرآنه المجيد أهمية بالغة، فقد قال سبحانه وتعالى:

﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾^١

إن الله يقول: إن هؤلاء السائبين لا يقيمون وزناً للدعاء، وإنهم يكذبونه، مع أنهم - لولا الدعاء - لما كان لهم أي وزن أو شأن.^٢

١. راجع بشأن ذلك: كتاب المقنعة للمفيد، ص ٣٦؛ البرقي، المحاسن، ص ٥٩٨ وسائل الشيعة، ج ٥،

ص ٢١٧، كتاب الصلاة؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٩١، ص ٢٢٢.

٢. الفرقان (٢٥): ٧٧.

٣. كشف الاسرار، ص ٩٠ - ٩١.





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ ٣

[أذى النبي بسبب عدم تربية الناس]

لقد كان رسول الإسلام يحزن لأن الناس كانوا لا يتلقون تربيته فكان الله تعالى يعزيه بذلك فكان الرسول في غناء حتى خاطبه الله تعالى بقوله: ما انزلنا عليك القرآن لتشقى. لقد كان حزن الرسول على الأمم اكبر من حب الأب العطوف لأبنائه. وكان يؤسفهُ أن لا يثوب الكفار إلى المسار الانساني الطبيعي.^١

[اسى النبي على اثر سعيه من اجل سعادة الناس]

إن الإسلام جاء لجميع البشر ويتطلع الى اسعاد البشرية جمعاء. لقد كان الرسول الأكرم يتألم للكفار الذين لا يهتدون... إن الرسول الأكرم، وجميع

١. صحيفة الإمام، ج ١٥، ص ٤٩٢، خطاب بتاريخ ١٤٠٢/٣/٤.

الرسول، كانوا يهدفون الى اسعاد البشرية، ولم يهتموا ببعث دون آخر. ففي الوقت الذي كان النبي الأكرم عربياً ومن الجزيرة العربية، كان يقول (ص): «لا فضل لعربي على أعجمي ولا أعجمي على عربي إلا بالتقوى. إن الميزان هو الطاعة وتقوى الله»^{٢١}.

[عَمَّ النَّبِيُّ لِعَدَمِ وَصُولِ الْعَالَمِ إِلَى النُّورِ]

جاء الرسل لنجاة هؤلاء الذين غرقوا في الظلمات، فهم لا يرون الأنفسهم، ولا يريدون شيئاً الا لأنفسهم، ولا يعيرون الآخرين أهمية وقيمة، وكل ما هو موجود يريدونه لأنفسهم، جاءوا لنجاة هؤلاء من ظاهرة الأنانية وحب النفس التي هي منشأ جميع الظلمات وإبصالحهم إلى الإيمان بالله الذي هو النور. والذين وصلوا إلى مقام الإيمان بالله الذي هو مرتبة من الكمالات، لا يفكرون مثل ما تفكروا نحن. فهؤلاء يفكرون بغيرهم قبل أن يفكروا بأنفسهم، إن الرسول الأكرم كان يعز عليه ويغتم للكافرين الذين لم يسلموا ولم يصبحوا مؤمنين. وقد جاء في الآية الكريمة: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ لِنَفْسِكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾. كان الرسول يريد لجميع العالم التوصل إلى النور. فقد بعث لكي ينهي جميع هذا الصخب الموجود في الدنيا، وهذا الصخب هو لأنفسهم، للتوصل إلى السلطة، ولكي يقضي على هذا الصخب ويزرع في نفوس الناس بذر الإيمان بالله والتوجه نحو

١. جاء نص هذا الحديث في المصادر الشيعية والسنية على النحو التالي: يا ايها الناس ألا إن ربكم واحد، ألا إن اباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأسود على احمر، ولا لأحمر على اسود إلا بالتقوى. إن اكرمكم عند الله اتقاكم. السيوطي، تفسير الدر المنثور، ج ٧، ص ٥٧٩ ذيل الآية ١٣ من سورة الحجرات.
٢. صحيفة الإمام، ج ١٠، ص ٣٣، خطاب بتاريخ ١٣٩٩/٧/٢٦.

النور الذي إذا بلغه الناس حلت نزاعاتهم.^١

[اسى النبي للمنحرفين واسلوب دعوتهم]

هؤلاء كان الرسول الأكرم - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - يألم لهم ويحزن عليهم، فنزل فيه القرآن: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ يقول له: كأنك تريد أن تقتل نفسك، لأن هؤلاء لم يؤمنوا - لنفرض أنكم حين ذهبتم رأيتم هناك انحرافات، فلا تتصوروا أنكم تستطيعون معالجتها بالانحراف، فالانحراف لا يمكن أن يقوم الانحراف. قوموا الانحرافات بنور هداية الله وباسم ربك. باسم ربك تحركوا، وباسم الله اهدوا، وباسم الله ادعوا إليه. وباسم الله قوموا الانحرافات... أحبوا الجميع، فبالمحبة يمكن تقويم المنحرفين أحسن من الشدة والجدة.^٢

[شدة شفقة النبي على الاسرة البشرية]

وتكفي شدة الشفقة والرأفة في قلبه (صلوات الله وسلامه عليه) جميع العائلة البشرية، كما في الآية الشريفة في أول سورة الشعراء حيث يقول تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾^٣ وقوله في أوائل سورة الكهف: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾^٤ سبحان الله ما

١. صحيفة الإمام، ج ١١، ص ٣٨٠ - ٣٨١، خطاب بتاريخ، ١٤٠٠/٢/٣.

٢. صحيفة الإمام، ج ٨، ص ٣٣٠ - ٣٣١، خطاب بتاريخ ١٣٩٩/٨/٢، خطاب موجه الى طلاب المدرسة الفيضية والوعاظ.

٣. سورة الشعراء (٢٦): ٣.

٤. سورة الكهف (١٨): ٦.

أصعب الأمر على رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلّم! من تأسفه على حال الكفار وجاحدي الحق وشوقه إلى سعادة عباد الله، أن الله تعالى يسليه ويحفظ قلبه اللطيف من التقطع من شدة

الهم والحزن على أحوال هؤلاء الجهال الأشقياء.^١

﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ ٨٠

[المرض منا والشفاء منا]

وقال سيد الأنبياء وسند الأصفياء، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين: «فمن وجد خيراً فليحمد الله؛ ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه»^٢ فالخير لكونه منه لا بد من حمده تعالى عليه؛ والشر لكونه من جهة النفس وحيثيتها الخلقية فلا لوم [به] إلا لها.

وقال تعالى حكاية عن خليله، عليه السلام: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾؛ [فانظر] كيف انتسب المرض الى نفسه ونقصان استعداده والشفاء الى ربه. فالفيض والخير والشفافة منه، والشر والنقصان والخسة منا: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ مَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾؛ وان كان الكل من عند الله

١. لا بد من الإشارة الى ان قسماً من المباحث المتعلقة بالأسى والأسف على عدم النجاح التام للنبي، قد جاء في ذيل الآية السادسة من سورة الكهف. وقد تحدثت سماحته عدّة مرّات في الكلمات والخطابات التي القاها من بعد انتصار الثورة الاسلامية عن أسف وأسى النبي. ومن جملة ذلك يمكن الرجوع الى: صحيفة الامام، ج ٩، ص ٣٦٩؛ ج ١٠، ص ٣٣، ٥١، ١٠٧، ٢٤٦، ص ١٨٥، ٣٨١؛ ج ١٢، ص ٤٢٤، ٥٠٨؛ ج ١٣، ص ٢٩١، ١٤، ص ٢١٤؛ ج ١٥، ص ٤٩٦.

٢. شرح حديث جنود العقل والجهل، ص ٢٣٤.

٣. راجع: المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٠، ص ٤٥٤، ح ١٩.

٤. النساء (٤): ٧٩.

﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ ٨٢

[المراد من الطمع في المغفرة]

المراد من الطمع رجاء مغفرة المعاصي، أو غفران مطلق النقائص، كما يقول تبارك وتعالى على لسان إبراهيم الخليل: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾^٢ والرجاء عبارة عن رجاء ثواب الله والنظر إلى رحمته الواسعة، ويمكن أن يكون على عكس هذا؛ وضده أيضاً يتميز بحسب المقابلة، وعلى أي حال

١. المقصود هو بما ان الاعمال كلها تُنسب الى الله وهو الخالق الذي يفيض الوجود على المخلوقات، لذلك فحتى القدرة على الشر أيضاً تُنسب الى الله بمعنى. ولكن في ما يخص الأعمال السيئة بما ان الله عندما يخلق الانسان يودع فيه استعدادات وقابليات شتى، وبهبه الارادة أيضاً؛ فهو اذاً قادر على القيام بأعمال الخير من جهة أو أعمال الشر والشيثات من جهة اخرى. واما في جانب الهداية والخير، فبالاضافة الى القدرات والاستعدادات فانه تعالى يأخذ بيد الانسان ويهديه، ولهذا تُنسب أفعال الخير الى الله بشكل خاص.

٢. شرح دعاء السحر، ص ١٣٥.

٣. سورة الشعراء (٢٦): ٨٢.

٤. المقصود من عكس الطمع بالثواب، الطمع بالمغفرة او غفران النواقص؛ وذلك انه طرح طمعه هنا على نحوين: احدهما الطمع بالثواب، والآخر عكسه، اي الطمع بالمغفرة. وربما يكون المقصود هو الطمع بالثواب والرحمة الالهية الواسعة، الذي يكون في مقابله الطمع بثواب غير الله. والطمع بمغفرة الله يقع في مقابله الطمع بمغفرة غير الله، وطلب الشفاء من غير الله. وهذا كلاهما من الشرك بالله.

وفي ضوء ذلك يمكن افتراض اربعة صور لمعنى الطمع؛ وصورتان منه محتملتان، والصورتان الاخرتان نهى عنهما القرآن.

ولاشك طبعاً في ان ما تحدثت عنه الآية هو الطمع في المغفرة الذي له افتراضان؛ احدهما الطمع في غفران المعاصي، والآخر الغفران وسد كل نقص وجبران كل خلّة وفاقة.

فالرجاء للذات المقدسة والطمع بها، والإنقطاع عن الخلق، والاتصال بالحق تعالى، من لوازم الفطرة المخمرة، ومورد مدح ذاته المقدسة ومدح المعصومين عليه السلام. قال الله تعالى: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾^١ ويقول في وصف المؤمنين ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾^٢.

وكما أن الرجاء للحق تعالى، والطمع برحمته الواسعة، والتطلع إلى نبع فيض ذاته المقدسة، هي من شعب التوحيد، ومن لوازم الفطرة الإلهية المخمرة، فقطع الطمع من غيره من الموجودات، والتفاصي عما في أيدي الناس، هما أيضاً من لوازم فطرة الله، كذلك فإن الطمع إلى غير الحق، والرجاء إلى المخلوق من شعب الشرك ووساوس إبليس، ومخالفة للفطرة، ومن لوازم الإحتجاب.

في الكافي الشريف بسند إلى السجاد عليه السلام أنه قال: «رأيت الخير كله قد اجتمع في قطع الطمع عما في أيدي الناس»^٣. وفي الوسائل عن أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لمحمد بن الحنفية قال: «إذا أحببت أن تجمع خير الدنيا والآخرة، فاقطع طمعك عما في أيدي الناس»^٤. وفيه عن أبي جعفر عليه السلام قال: «أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: علمني يا رسول الله شيئاً، فقال عليك باليأس مما في أيدي الناس فإنه الغنى الحاضر قال زدني يا رسول الله قال إياك والطمع فإنه الفقر الحاضر»^٥ الحديث^٦.

١. سورة الأعراف (٧): ٥٦.

٢. سورة السجدة (٣٢): ١٦.

٣. أصول الكافي، ج ٢، ص ٢٤٢، الباب ١٢٧، ح ٣.

٤. جامع الرواة، الأردبيلي، ج ٢، ص ٤٥؛ ريحانة الأدب، ج ٧، ص ٤٨٤-٤٨٥.

٥. وسائل الشيعة، ج ١٦، ص ٢٥، الباب ٦٧، ح ٦.

٦. شرح حديث جنود العقل والجهل، ص ١٩٥-١٩٦.

﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ ٨٩

[المراد من سلامة القلب خلوه من الاغيار]

يجب أن يخلو القلب من الغير ولا ينفذ فيه أحد غير الحق حتى يكون خالصاً. كما ورد في الحديث الشريف المنقول عن الكافي بسنده إلى سفيان بن عيينة «راوي الحديث العشرين». قال:

«سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ قَالَ: الْقَلْبُ السَّلِيمُ الَّذِي يَلْقَى رَبَّهُ وَتَيْسَ فِيهِ أَحَدٌ سِوَاهُ. قَالَ: وَكُلُّ قَلْبٍ فِيهِ شِرْكٌ أَوْ شَكٌّ فَهُوَ سَاقِطٌ وَإِنَّمَا أَرَادَ بِالزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا لَتَفْرَغَ قُلُوبُهُمْ لِلْآخِرَةِ!».

ومن المعلوم أن القلوب التي استقبلت غير الحق وتعرضت لهزات الشرك والشرك سواء كان الشرك جلياً أم خفياً فهي ساقطة في محضر القدس الربوبي. وإن من الشرك الخفي الاعتماد على الأسباب والركون إلى غير الحق.

وقد ورد عن أبي عبد الله (عليه السلام): «أَنَّ الشَّرْكَ أَخْفَى مِنْ دَيْبِ النَّمْلِ. وَقَالَ: مِنْهُ تَحْوِيلُ الْخَاتِمِ كَيْدُ كُرِّ الْحَاجَةِ وَشِبْهِ هَذَا». ودخول غير الحق المتعالي إلى القلب يعد من الشرك الخفي. وإخلاص النية هو إخراج غير الحق سبحانه من مقام الذات المقدسة - القلب - وكما أن للشرك مراتب، يكون للشك مراتب أيضاً، وأن منها الشك الجلي، ومنها الشك الخفي. وتحصل هذه المراتب نتيجة ضعف في اليقين ونقصان في الإيمان. إن مطلق الاعتماد على غير الحق سبحانه

١. اصول الكافي، ج ٢، ص ١٦، كتاب الإيمان والكفر، باب الإخلاص، ح ٥. حيث جاء فيه بدل

كلمة: اراد بالزهد، كلمة: ارادوا الزهد.

٢. وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٤٠٩، باب أحكام الملابس، الباب ٦١؛ معاني الأخبار، باب نواذر

المعاني، ص ٣٧٩، ح ١.

والالتفات إلى المخلوق يكون من جراء ضعف اليقين والإيمان، كما أن التزلزل في الأمور نتيجة لذلك أيضاً. ومرتبة إخفاء الشك، حالة من التلون في القلب وعدم التمكين في التوحيد. فالتوحيد الحقيقي، هو إسقاط الإضافات والتعينات والكثرات، حتى كثرات الأسماء والصفات، والتمكين فيه يكون بالخلاص من الشك. وإن ﴿الْقَلْبِ سَلِيمٍ﴾ هو القلب الفارغ من مطلق الشرك والشك. وفي هذا الحديث الشريف القائل «وإنما أرادَ بالزُّهد...» إشارة إلى أن الغاية من الزهد في الدنيا هو انصراف القلب شيئاً فشيئاً عن الدنيا وتنفره عنها، وتوجهه إلى المقصود الأصلي والمطلوب الواقعي - الحق المتعالي - ويبدو من صدر الحديث - المروي عن سفيان بن عيينة - أن المقصود من «الآخرة» النهاية القصوى لدائرة الوجود، ونهاية الرجوع. وهي الآخرة بالقول المطلق. فعليه تكون الدنيا كل دائرة الظهور، والزهد فيها يستلزم خلوص القلب من غير الحق تعالى. فكل من في قلبه غير الحق عز وجل، ينتبه إلى غيره سبحانه - من دون فرق بين أن يكون هذا الغير من الأمور الملكية المادية أو الأمور المعنوية ومن دون فرق بين أن تكون الصورة أخروية أو من الكمالات أو المدارج الشامخة، وملخص القول التوجه إلى غير الحق المتعالي - يعدّ من عمل أهل الدنيا ولا يكون زاهداً فيها ويكون محروماً من الآخرة الحقيقية، وجنة اللقاء التي هي أعلى مراتب الجنة، وإن كانت لهم مراتب أخرى من الكمالات المعنوية والجنان الرفيعة. كما أن أهل الدنيا ذو مقامات مختلفة بالنسبة إلى الأحوال الدنيوية، ولكن تلك المقامات بعيدة كثيراً عن أهل الله^١.

[القلب السليم ولقاء الله]

هل كان ما يقصده الإمام المعصوم (عليه السلام) بقوله - حينما سُئل عن تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَمَى اللَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾: القلب السليم الذي يلقي ربه وليس فيه أحد سواه... الحديث، و«خلو القلب من غير كرامة الحق» مما يرجع في معناه الى خلوه من مختلف ثمار الجنة من الأجاص والكمثرى؟^١

[القلب السليم لقاء الله والسلامة من حب الدنيا]

وعن الصادق عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿إِلَّا مَنْ أَمَى اللَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.^٢ قال: «السليم الذي يلقي ربه وليس فيه أحد سواه». وروي أيضاً عن الإمام الصادق عليه السلام، انه قال: ﴿الْقَلْبُ سَلِيمٌ﴾ هو الذي سلم من حب الدنيا.^٣

١. عن سفيان بن عيينة قال: سألت عن قول الله عز وجل: ﴿إِلَّا مَنْ أَمَى اللَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾، قال: القلب السليم الذي يلقي ربه وليس فيه أحد سواه. قال: وكل قلب فيه شرك أو شك فهو ساقط وإنما أرادوا الزهد في الدنيا لتفرغ قلوبهم للأخرة. راجع: اصول الكافي: كتاب الايمان والكفر، باب الاخلاص، ح ٥.

٢. آداب الصلاة، ص ١٦٨. المقصود هو ان لا يكون في حد الامور المادية والرغائب الدنيوية، وان لا يكون في قلبه غير الله، وغير كرامة الله.

٣. الشعراء (٢٦): ٨٩.

٤. نص هذه الرواية كالاتي: «هُوَ الْقَلْبُ الَّذِي سَلِمَ مِنْ حُبِّ الدُّنْيَا»؛ راجع: مجمع البيان؛ ذيل الآية

السابقة؛ تفسير نور الثقلين؛ ج ٤، ص ٥٨، ح ٥٠.

٥. سیر الصلاة، ص ٣٧.

[الوحي وانزال الكتاب من العلوم الربانية]

و قضية إحياء الوحي و إنزال الكتب إلى الأنبياء و المرسلين عليهم السلام من العلوم العالية الربانية التي قلما يتفق لبشر أن يكشف مغزاها كتكلمه تعالى مع موسى عليه السلام، و لقد أشار إلى بعض أسرارها قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ و قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ و قوله تعالى: ﴿إِن هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى * وَ هُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى * مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ إلى آخره، فأشار إلى كيفية الوحي و نزول الكتاب بوجه موافق للبرهان، غير منافي لتنزيهه تعالى عن شوب التغير، و وصمة الحدوث. ولعمري إن الأسرار المودعة في هذا الكلام الإلهي المشير إلى كيفية الوحي، و دنور روحانية رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم إلى مقام «التدلي»، و المقام المعبر عنه بـ ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾، و ما يشار إليه بقوله ﴿أَوْ أَدْنَى﴾، ثم تحقق الوحي مما لم يصل إليه فكر البشر إلا الأوحدي الراسخ في العلم بقوة البرهان المشفوع إلى الرياضات و نور الإيمان^١.

[مسألة نزول القرآن الكريم وتنزيله ومشاهدته]

فنحن نفهم القضايا التي يمكن لإدراكنا فهمها في القرآن تبيان كل شيء فيه أحكام شرعية، وله ظاهر، وفيه قصص لا نستطيع أن نفهم لبابها ما نفهمه هو ظواهرها والظواهر هي للجميع، لكن هناك شيئاً آخر ينتفع منه الجميع أما الانتفاع

١. النجم (٥٣): ٤ - ١١.

٢. الطلب والارادة، ص ١٤ - ١٥.

الذي يجب أن يتحقق فهو إنتفاع^١ إنما يعرف القرآن من خوطب به^٢ واستناداً لهذا النص، فهذا الإنتفاع مختص برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والآخرون محرومون منه إلا بتعليمه والأولياء أيضاً بتعليمه ولكن رغم هذه المنزلة فإنه ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾^٣ فهو- القرآن - قد نزل وتنزل أيضاً بيد الروح الأمين لكن رسول الله في مقام التنزل وذاك النزول كان بحيث يتلقى منه مباشرة ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾^٤ ففي ليلة القدر نزل جميعاً، يعني أنه تجلي بنفس ذاك التجلي في ليلة القدر، ولكن في مقام التنزل فالأعلى الروح الأمين.

يعني أن ما كان يرد على قلبه يجب أن يتنزل مراتب من هذا البطن إلى ذاك ومن هذا الحد إلى ذاك حتى يصل إلى الحد الذي يظهر على صورة ألفاظ.



١. عن زيد الشحام قال: دخل قتادة بن دعامة على أبي جعفر فقال عليه السلام: يا قتادة أنت قبيح أهل البصرة؟ فقال: هكذا يزعمون. فقال أبو جعفر عليه السلام: بلغني أنك تفسر القرآن؟ قال له قتادة: نعم، فقال له أبو جعفر عليه السلام: تعلم تفسره أم بجهل؟... إلى أن قال أبو جعفر عليه السلام: ويحك يا قتادة إنما يعرف القرآن من خوطب به.

لتوضيح هذا المطلب ومعنى الحقيقة القرآنية وكيفية تنزيلها، راجع: إضافات العارف الكامل المولى الشيخ الشاهابادي - أستاذ الإمام الخميني في العرفان - وقد أورد تحقيقات عرفانية دقيقة حول هذا الموضوع في كتابه رشحات البحار، ص ١٢-٣٤. طبعة طهران المذيلة بالترجمة الفارسية للنص العربي. بحار الانوار، ج ٤٦، ص ٣٤٩، تاريخ الإمام محمد الباقر، الباب ٢٠، ح ٢.

٢. ﴿وَأَنَّهُ لَنَزَّلُ رَبُّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ الشعراء

(٢٦)، ١٩٣-١٩٤.

٣. القدر (٩٧): ١.

[حقيقة القرآن ليست من مقولة السمع والبصر والالفاظ والاعراض]

القرآن ليس ألفاظاً، ليس من مقولة السمع والبصر ولا من مقولة الألفاظ ولا الأعراض، ولكن أنزل إلى الدرجة التي نستطيع نحن الصمم العمي أن نتفع به أيضاً، أما حال أولئك الذين ينتفعون منه بتلك الصور العليا فهو حال آخر ووضعهم التربوي وضع آخر،^١ وكيفية تلقيهم من القرآن هي على نحو آخر غير الموجود هنا فالفرق ما بينهما كالفرق بين عالم الطبيعة وعالم الجسم وعالم الظاهر مقارنة بمراتب الغيب إلى ما شاء الله حتى يصل إلى مرتبة التجلي الأول، فتجلي الحق تعالى هو الذي يظهر من عالم الغيب ويتنزل حتى يصل إلى عالم الطبيعة، وهو نفس الفرق بين إدراكاتنا وبين ما فوقنا وما فوق هؤلاء وما فوق حتى يصل إلى مرتبة خاصة أولياء الله والأنبياء الذين هم في مرتبة ذلك التجلي.

القرآن فيه تبيان كل شيء ولن الذي يدركه هو: إنما يعرف القرآن من خوطب به^٢ ما هو القرآن الذي لا يعرفه سوى من خوطب به؟ معلوم أنها مرتبة القرآن الذي: "نزل به الروح الأمين" ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ ونزل على قلبه^٣ ففضية هذه المرتبة لا يمكن لأحد غيره صلى الله عليه وآله وسلم إدراكها ومشاهدتها، فالفضية هنا ليست قضية إدراك عقلي ولا قضية برهانية، بل هي قضية مشاهدة ومشاهدة غيبية مشاهدة ليست بالعين ولا بالنفس ولا العقل ولا القلب، المشاهدة كانت لذلك القلب الذي هو قلب العالم، قلب نبي، هو وصل وأدراك^٤ إنما يعرف القرآن من خوطب به^٥ هو أدراك وشاهد ولكنه لا يستطيع أن يوضح ذلك إلا في شكل الأمثلة والألفاظ، فكيف تستطيعون أن تفهموا

١. المقصود بهذا الصمم والعمى وجود حجب تمنع ادراك تلك الحقيقة العليا.

الأعمى ما هي الشمس وما هو النور؟!^١

[اقتران الامامة بالنبوة]

كانت الامامة في الاسلام مقارنة للنبوة منذ اليوم الاول والى النفس الأخير للنبي. ففي ذلك اليوم الذي لم يكون فيه للاسلام أي وجود أمر رب العالمين نبيه ان أنذر عشرتك الاقربين: ﴿وَ أَنْذِرْ عَشْرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ فدعا النبي عشيرته الاقربين الذين كان عددهم يناهز الاربعين رجلاً وكان فيهم أعمامه، وقال لهم: يا بني عبد المطلب إنني والله ما أعلم شابا في العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتكم به إنني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه فأياكم يوازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟ قال علي عليه السلام: فأحجم القوم عنها جميعا وقلت: وإني لأحدثهم سنا وأرمصهم عينا، أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه فأخذ برقبتي ثم قال: إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا قال: فقام القوم يضحكون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع.^٢

١. تفسير آية البسطة، ص ١٣٨ - ١٤١.

٢. في هذا المجال وردت أحاديث كثيرة جمعها المرحوم البحراني في (البرهان، ج ٥، ص ٥٠٨ - ٥٢٠) في ذيل الآية ٢١٤ من سورة الشعراء. ومن هذه الروايات ما قاله النبي لبني عبد المطلب: يا بني عبد المطلب، هذا أخي وورائي، ووزير، وخليفتي فيكم بعدي. فقام القوم يضحك بعضهم إلى بعض، ويقولون لا يي طالب، قدامك أن تسمع وتطيع لهذا الغلام. راجع: علل الشرايع، ج ١، ص ٢٠٢، الباب ١٣٣، ح ٢. وفي مصادر أهل السنة راجع: الحاكم الحسكاني، شواهد التنزيل، ج ١، ص ٥٤٢ - ٥٤٧، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٨، ص ٩٧ - ٩٩.

٣. كشف الاسرار، ص ١٥٠ - ١٥١.





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَوَرِّثْ سُلَيْمَانَ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مَنَظِقَ الطَّيْرِ وَأَوْعَيْنَا مِن كُلِّ شَيْءٍ
إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ ١٦

[استبْرَاطُ الْأَنْبِيَاءِ]

جاء في كتب التاريخ المهمة، وفي صحيح أهل السنة، أن فاطمة ابنة النبي جاءت أبا بكر ذات يوم وطالبته بإرث والدها، فقال أبو بكر: إن النبي قال: "إننا معشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة".

وفي "صحيح البخاري" ومسلم ورد شيء قريب من ذلك. بل وقيل أيضاً: إن فاطمة أعرضت عن أبي بكر، ولم تتكلم معه حتى مات. والكتابان الأخيران من أكبر كتب أهل السنة!

وما نسه أبو بكر إلى النبي إنما هو مخالف للآيات الصريحة حول إرث

الأنبياء، نذكر هنا بعضها:

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾^١.

﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا • يَرِيئِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾^٢.
 ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِينَكُمْ لَا
 يَخْطِبَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^٣ ١٨

[كل الموجودات ذات شعور وعلم و ارادة]

إن حقيقة الوجود عين الشعور والعلم والإرادة والقدرة والحياة وكافة الشؤون الحياتية، فإذا لم يكن لشيء علم ولا حياة نهائياً فليس له وجود. ومن ذاق طعم حقيقة أصالة الوجود واشترাকে المعنوي، على مسلك العرفاء مثل العلم والإرادة والتكلم و... وإذا بلغ مقام المشاهدة بواسطة ترويض النفس والحالات المعنوية، لشاهد بأمر عينه وسمع دويّ تسييح الموجودات وتقديسها. ومن المؤسف أن سكر المادة والطبيعة قد أوهن العين والسمع والحواس الأخرى، ومنعنا من الوقوف على الحقائق الوجودية والهويات العينية. فكما أن بيننا وبين الحق عزوجل حجباً من الظلام وحجباً من النور تمنعنا من مشاهدة ألطاف الحق سبحانه، فكذلك بيننا وبين الكائنات الأخرى؛ بل بيننا وبين أنفسنا حجب تَفْصَلْنَا عن إدراك حياتها وعلمها وكافة شؤوناتها. والأسوأ من كل الحجب هو حجاب إنكار حياة الموجودات وعلمها وشؤونها الأخرى انطلاقاً من الأفكار المحجوبة التي تمنع الإنسان من كل شيء. وخير وسيلة لأمثالنا المحجوبين هو التسليم

١. النمل (٢٧): ١٦.

٢. مريم (١٩): ٦-٥.

٣. كشف الاسرار، ص ١١٥.

والتصديق لآيات الله الكريمة وأحاديث أوليائه، وسدّ باب تفسير القرآن بالرأي، وتطبيقه على الواقع الخارجي عبر هذه العقول الضعيفة.

[تكلم النمل دليل على شعور الحيوانات]

إذا فرضنا إمكان تأويل آيات «التسييح» على أساس التسييح التكويني أو الفطري، فماذا نستطيع أن نفعل مع هذه الآية المباركة: ﴿قَالَتْ نُمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِئَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^١ أو الآية المباركة: ﴿فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَّأٍ بِنَاءٍ يَقِينٍ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾^٢ أو الأخبار المأثورة عن أهل بيت الطهارة والعصمة الموجودة في أبواب مختلفة والصريحة في وعي الحيوانات والكائنات الأخرى، والتي تمتنع التأويل؟

وملخص الكلام أنه لا بد من اعتبار حياة الكائنات وتسييحها عن وعي وإدراك، من البديهيات والضروريات في الفلسفة العالية، من مسلمّات أصحاب الشرائع والعرفان.^٣ ولكن لكيفية تسييح كل موجود، وللأذكار الخاصة بكل

١. في هذه الآية ينقل القرآن الكريم ان غلة قالت لبقية النمل ان ادخلوا بيوتكم مخافة ان يحطمكم سليمان وجيشه وهم لا يشعرون. وهذا الكلام الذي ينم عن تنبؤ النمل واستشرافه للامور وكذلك القدرة على الكلام، والأهم من كل ذلك والاكثرا اثاره هو ما لها من آلة النطق القادرة على اظهار الصوت بحيث ان سليمان سمعه وتبسّم لقولها. وهذا كله دليل ان ان الحيوانات ذات نطق وشعور. وقد شكر سليمان ربّه لما اعطاه من هذه القدرة على فهم كلام الحيوانات.

٢. النمل (٢٧): ٢٢، ٢٣. اشارة الى الآيات ٢٠ - ٢٤ من سورة النمل التي قدّم فيها الهدهد تقريراً مفصلاً عن ملكة سبأ وفهمه النبي سليمان واتخذ بعض الخطوات بناءً عليه.

٣. بالنظر الى ما قيل في هذه الآية الشريفة، وطرح أيضاً في آيات قرآنية اخرى، وكذلك البحث البرهاني للعرفاء والفلاسفة المتألهين، يتضح ان هذه المسألة ضرورية ومسلمّ بها. ويمكن في هذا المجال الرجوع الى: صدر المتألهين شيرازي، الحكمة المتعاليه في الاسفار الاربعه، ج٧، ص

واحد من الكائنات، وأن للإنسان الذكر الجامع ولكافة الموجودات أذكار تتناسب مع نشأتها وتكوينها، ولكيفية تسييح كل موجود أبحاث ودراسات: إجمالها أن هناك مقياساً علمياً وعرفانياً يرتبط بعلم الأسماء، وتفصيلها يرتبط بالعلوم التي تشهد بالعيان وتكشف على الإنسان، وهي مختصة بالأولياء الكاملين.^١

[وهم أفضلية كل الناس على جميع الحيوانات وتفنيده]

لا ينبغي ان يُظن بأن جميع أفراد البشر أفضل من الحيوانات؛ وذلك لأن الكثير من الحيوانات لها نصيب من الارادة والاختيار والشعور، ولديها مقدرة على التمييز بين الحُسن والقبح، والصلاح والفساد، فقد لوحظ في مواقف كثيرة ان القطعة عندما تقوم بعمل قبيح تظهر آثار الخجل عليها. وكذلك إذا أعطي لحمار تبناً وشعيراً فهو يراهما ويشم رائحتهما ولكنه يختار الشعير أولاً، واختيار الشعير هو التمييز بين الحسن والقبح؛ وذلك لأن الشعير ألدّ عنده من التبن. مثلما ان الإنسان يستطيع بعض الأطعمة وتكون عنده أطيّب من غيرها. وهذا الارتياح لبعض الاطعمة واستلذاذها قد يكون بتأثير العادة، أو ان طبيعة تلك الأطعمة أطيّب وألدّ لمذاقه.

إشكال: ان كانت القضية على هذا النحو، فلماذا المتعارف بين افراد البشر ان الإنسان أفضل من سائر أنواع الحيوان؟ ولماذا نعتقد نحن بنو الإنسان ان

١٥٣، باب اثبات ان جميع الموجودات عاشقة له. وكذلك بحث العلة والمعلول في الأسفار الأربعة.

١. شرح الأربعون حديثاً، ص ٦٥٥ - ٦٥٦.

الحيوانات لا تتصف بالقدرة على مضاهاة النوع البشري؟

الجواب: سبب هذا التصور الباطل، وهذا الاعتقاد الذي يعتقده الإنسان بأفضليته على سائر أنواع الحيوان، يأتي من منطلقين:

الأول: لأن القلم بيد العدو؛ ولأن الإنسان في هذه المنازعة هو الخصم وهو الحَكَم. والحَكَم يرى هنا انه أسمى واعز وأشرف من ان يقارن نفسه بسائر الحيوانات. ولأنه يعتبر ذاته أعلى منها بمراتب وأرقى منها في درجة الوجود، لذلك يحكم بأفضليته عليها. وبما ان القلم في يده فهو يكتب على صفحات الورق ما يشاء ويحكم بأفضلية وأشرفية وأعلمية أفراد البشر. والحكم بالفضيلة مقتضى فطرة كل يرى ذاته أعلى وأجل من الآخرين.

ولو ان النملة الضعيفة والعاجزة أمسكت بقلم القضاء لحكمت بجهل الإنسان وخلو من العلم، حتى وان كان المقابل هو النبي سليمان عليه السلام واتباعه: ﴿حَتَّىٰ إِذَا تَوَّأَ عَلَىٰ وَادِي الثَّمَلِ قَالَتْ ثَمَلَةٌ يَا أَيُّهَا الثَّمَلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَّا يَخْطَمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ لِي عَبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾.

في هذه الآية جعلت النملة النبي سليمان عليه السلام في عداد من ﴿لَّا يَشْعُرُونَ﴾. ويلاحظ في آية اخرى من هذه السورة المباركة ان الهدهد يعتبر نفسه أكثر احاطة من النبي سليمان عليه السلام: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ * لِأَعَذَّبْتَهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحْتَهُ أَوْ لِيَأْتِنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحْطُ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبِيلٍ بَنِيَّ يَقِينٍ * إِنِّي

وَجَدَتْ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٤٠﴾ إِذَا فَالْحَاكِمَ يَعْتَبِرُ
نفسه وأبناء جنسه ذوي فضيلة، حتى وإن كان منشأ الحكم بفضيلته وفضيلة أبناء
جنسه هو معرفة معلومات مثل الواحد نصف الاثنين.

الثاني: السبب الآخر الذي وكّد مثل هذا الاعتقاد هو ان الشيخ الرئيس ابن سينا
مثلاً لديه في كتاب الشفاء باب اسمه: الحيوان والإنسان. وعلماء المنطق يفصلون
بين النباتات والحيوانات والإنسان. وهذه البحوث المنفصلة والكتب المستقلة
هي التي أدت الى نشوء هذا الوهم الباطل والى ايجاد اعتقاد خاطئ مفاده ان
الإنسان أفضل من سائر أنواع الحيوان.

ولابد من التنبيه الى ان البحوث والكتب المستقلة التي كتبها علماء المنطق
والفلاسفة حول الإنسان كانت لها دواعي اخرى، وهي ان الفلاسفة والمناطق
رأوا ان الكَمَل من بني الإنسان قد خرجوا حقاً من حالة الحيوانية وبلغوا درجة
من الكمال التي لا يمكن معها أن يُعدّوا في عداد الحيوانات؛ وذلك لأنهم وصلوا
الى ما فوق مرتبة التجرد واصبحوا يرون الحقائق العقلية بالمشاهدة. وبما ان
الفلاسفة والمناطق لاحظوا وجود أمثال هؤلاء الاشخاص الأفضل والنادرين في
المجتمع البشري، لذلك فقد جعلوا للإنسان شأنًا أفضل، واثبتوا له احكاماً اخرى.

وبما انهم يستطيعون ادراجهم تحت غائلة الحيوانية لذلك فقد وضعوا لهم
احكاماً خاصة بفردهم ونوعهم. وهؤلاء الكَمَلين الذي غدوا سبباً لوضع احكام
منفصلة، ودفَعوا الفلاسفة والمناطق الى تأليف كتب وبحوث مستقلة للجنس
البشري، صاروا سبباً في أن يصبح هذا الاعتقاد متعارفاً بين الناس، وهو ان النوع
الإنساني أفضل وارقي من سائر الحيوانات وانه يتحلّى بفضيلة خاصة، غافلين عن

ان القضية ليست بهذا الشكل الذي يظنونه.^١

[ادراك الموجودات وفقاً لذهنياتها ومتطلباتها]

وقد ورد في رواياتنا أن النملة تتوهم أن الله زبائيتين،^٢ وهذا من حب النفس ويفهم أنه موجود في النملة أيضاً، والنملة مخلوق عجيب حقاً، وهي عندما تتصور أن الله زبائيتين فلكونها تعتبر أن امتلاك زبائيتين كمالاً - على ما يبدو - ونحن أيضاً عندما نريد أن نعبر عن كمالاته تعالى نطلق مما نتصوره كمالاً عندنا. هذه النملة تصف سليمان وجنوده بأنهم لا يشعرون ﴿يَا أَيُّهَا الثَّمَلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ * فَتَسَمَّ صَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا ﴿٢﴾ ضحك من أن تقوله ذلك وقول النملة هذا موجود في كل مكان ينطق به كل شيء.^٤

١. تقريرات فلسفة الإمام الخميني، ج ٣، ص ٣٩٦ - ٣٩٨.

٢. الإمام الباقر (عليه السلام) قال: ولعل النمل الصغار تتوهم أن لله زبائيتين فإنهما كمالها، وتتصور أن عدمها نقصان لمن لا يكونان له. المحجة البيضاء، ج ١، ص ٢١٩ - ٢٢٠.

وفي كلام الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام إشارة إلى هذا المعنى حيث قال: «كل ما ميزتموه في أدق معانيه مخلوق مصنوع مثلكم مردود إليكم ولعل النمل الصغار تتوهم أن الله تعالى زبائيتين فإن ذلك كمالها وتتوهم أن عدمها نقصان لمن لا يتصف بهما وهكذا حال العقلاء فيما يصفون الله تعالى به». انتهى كلامه صلى الله عليه وآله وسلم. كتاب التوحيد العلمي والعيني، ص ٢٥٢ - ٢٥٣. نقلاً عن كتاب الأربعين للشيخ البهائي.

٣. النمل (٢٧): ١٨ - ١٩.

٤. تفسير آية البسملة، ص ١٨٨ - ١٨٩.

﴿فَمَكَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبِيٍّ يَقِينٍ﴾ ٢٢

[كيفية احاطة الهدد بما اطلع عليه]

قال مثله الهدد أيضاً ﴿أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحِطْ بِهِ﴾^١ والخطاب هنا هو لسليمان النبي الذي جلب أحد أصحابه وجلساؤه عرش بلقيس ﴿قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾^٢ ولم يحدث مثل هذا للإنسان حتى الآن فكيف جلبه وماذا كانت حقيقة الأمر؟! هل كانت اتصالاً أم إعداماً وإيجاداً أم تحويلاً للعرش إلى موجات كهربائية ثم إيصاله وإعادته إلى ما كان عليه؟! نبي الله سليمان كان أحد أصحابه يعرف حرفاً من الاسم الأعظم - كما ورد في الروايات -^٣ وهو يأتي له بالعرش ﴿قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ ويخاطبه الهدد: ﴿أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحِطْ بِهِ﴾ وسليمان عليه السلام لا يعترض فهو كان يجيب على قدر فهمهم ويتعامل معهم وفق ذلك.^٤

١. النمل (٢٧): ٢٢.

٢. النمل (٢٧): ٤٠.

٣. جابر الجعفي عن الباقر (عليه السلام) قال: "إن اسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً وإنما كان عند آصف منها حرف واحد فتكلم به فحُصِفَ بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس حتى تناول السرير بيده ثم عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفه عين وعندنا نحن الاسم الأعظم اثنان وسبعون حرفاً، وحرف واحد عند الله تبارك وتعالى أستأثر به في علم الغيب عنده ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم". راجع: الكافي للكليني، ج ١، ص ٢٣٠. وهناك طرق أخرى عديدة للحديث المتقدم كما وردت أحاديث أخرى بمعناه في الكافي وغيره.

٤. تفسير آية البسلة، ص ١٨٩.

[في فضلية البسمة واعطائها لسليمان]

وروي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «إِنَّ اللَّهَ (تعالى) قَالَ لِي: يَا مُحَمَّدُ، ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾^١، فأفرد الامتنان عليّ بفاتحة الكتاب وجعلها بإزاء القرآن. وإنّ فاتحة الكتاب أشرف ما في كنوز العرش، وإن الله خصّ محمداً وشرفه بها، ولم يشرك فيها أحداً ما خلا سليمان، فإنّه أعطاه منها بسم الله الرحمن الرحيم.

ألا تراه يحكي عن بلقيس حين قالت: ﴿إِنِّي أَلْقِي إِلَيْكَ كِتَابَ كَرِيمٍ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾^٢. ألا فمن قرأها معتقداً لموالاة محمد وآله متقاداً لأمرها مؤمناً بظاها وبباطنها أعطاه الله بكل حرف منها حسنة كل واحدة منها أفضل له من الدنيا بما فيها من أصناف أموالها وخيراتها. ومن استمع الى قارئ يقرؤها كان له ثلث ما للقارئ. فليستكثر أحدكم من هذا الخير المعرض له، فإنّه غنيمة، لا يذهبنّ أوانه فتبقى في قلوبكم الحسرة»^٣.

[ليس من الشرك طلب شيء غير عادي من الله]

قد يقال: إن طلب إنجاز أعمال غير عادية من أحد - بأي شكل كان - إنما هو شرك. ورداً على ذلك نقول: إنه لا يوجد ثمة دليل على ذلك، وأن العقل يحكم

١. الحجر (١٥): ٨٧.

٢. النمل (٢٧): ٢٩ - ٣٠.

٣. عيون أخبار الرضا، ج ١، ص ٣٠١، فيما جاء عن الإمام علي بن موسى من الأخبار المتفرقة،

الحديث رقم ٦٠، بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ٢٢٧ ح ٥.

٤. تفسير آية البسمة، ص ٨٦ - ٨٧.

بعكس ذلك، وخير دليل على ما نقول هو ما جاء في القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَ عَفْرَيْتُ مَنْ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ * قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي﴾^١!

﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِلَهًا مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ ٦٢

[استجابة الدعاء وقضاء الحاجات من نعم الله وقدرته]

قد قال القرآن الكريم:

﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾^١.

إن الله يمتحنكم هنا، ويسألكم: هل هناك غير رب العالمين من يجيب دعوة المساكين، ويستجيب لدعائهم ورجائهم، ويكشف عنهم السوء، ويبعد الشر عنهم. فهل هناك إله غيره يلجأ إليه الناس، ويطلبون منه العون والإنقاذ من الشر؟ وفي المأزق والملمات. ليس هناك غير الإله من يجيب دعوة الداعين الحائرين،

١. النمل (٢٧): ٣٨ - ٤٠.

٢. غاية الامام من الاستدلال بهذه الآيات هي مثلما اراد سليمان من المحيطين به الاتيان بعرش بلقيس بسرعة غير طبيعية وغير عادية، وهذا الطلب الخارق للعادة من غير الله، بمفهوم طلب الحاجات والكرامات من غير الله وهو ليس شركاً، فان من يطلبون من النبي والأئمة قضاء حاجاتهم فهذا ليس شركاً؛ وذلك لأن قدرة الأئمة، حسب اعتقاد الشيعة، مستمدة من قدرة الله، وكل ما يقومون به انما هو من الله.

٣. كشف الاسرار، ص ٢٨ - ٢٩.

٤. النمل (٢٧): ٦٢.

ويبعد عنهم الضر.

على سبيل المثال، هناك شاب مريض يعقد عليه أبواه العجوزان الآمال، اجتمعت اللجنة الطبية العليا، فلم توافق على إجراء عملية له، لأن في ذلك خطراً على حياته، كما أن عدم إجراء العملية هو الآخر يشكل خطراً على حياته؛ هنا نجد أن نور العلم لم يستطع أن يرشد هؤلاء الأطباء أو يجعلهم يتخذون قراراً قطعياً بشأنه... فما الضير هنا ان تتوسلوا إلى الله، وتتوجهوا إليه بالدعاء، لعله يفتح أمامكم وأمام الأطباء باباً، ويوجد لكم بارقة أمل، ويرشدكم أنتم والأطباء إلى ما هو خير وشر؟ فهل في مثل هذه الأحوال من مجير غير الله؟^١

[كرامة من يحبهم الله ويأخذ بأيديهم]

إذا وجدت في نفسك حلاوة مناجاة الحق، وتذوقت لذة ذكر الله، وشربت بكأس رحمته وكراماته، ولمست في نفسك حسن إجابته وإقباله عليك، فاعلم أنك قد صلحت لخدمته المقدسة، فادخل فلك الإذن والأمان.

اما اذا غابت عنك هذه الأحوال في نفسك، فقف على باب رحمته وقوف مضطر قد انقطعت به السبل والحيل، فاذا فعلت، وعلم منك الصدق والصفاء، نظر اليك بعين الرحمة والرأفة وأعانك ووقفك لرضاه، لأنه «كريم يحب الكرامة لعباده المضطرين... وهو القائل سبحانه: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾»^٢.

١. كشف الاسرار، ص ٩٢ - ٩٣.

٢. آداب الصلاة، ص ١٠٦.

[شرط استجابة الدعاء ان يكون معبراً عن لسان الحال والقلب وبلهجة صدق]

وإذا صار همهم همّاً واحداً ولم يشغلهم تكاثر الأموال والأولاد فيجدون لذة المناجاة ويسكرون من كأس رحمة الحق وكراماته ويكونون صالحين للخدمة ولانقين للأنس فيمشون على بسيط العالم الذي هو مسجد الربوبية بإذن الحق وأمانه، ولا تكون تصرفاتهم عن غضب ولا جور. وأما الذين لم يحصلوا على هذا الإذن والأمان فهم غاصبو بيت الله وظالمو الحق تعالى فلا بدّ لهم أن يستشعروا اضطرابهم وانقطاع حيلتهم ووسيلتهم وقصر آمالهم، يلتجئوا إلى المقام المقدس للحق جلّ شأنه من هذا التقصير والقصور والنقص والفتور، ويكون لسان حالهم وقلوبهم ﴿أَمْنٌ يُجِيبُ الْمُضْطَرُّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾^١. فإذا رأى الحق تعالى صدق لهجتهم فيجبر نقصهم برحمته ويوفّقهم لتحصيل مرضاته فإنه كريم يحبّ الكرامة لعباده المضطرين إليه^٢.

[حالة الاضطراب شرط لاستجابة الدعاء]

فحينئذ نحن العاجزون ومتحيرّو وادي الضلالة والمخمورون من كأس الغفلة والعجب إذ حرمانا من صلاة أهل المعرفة وسجود أصحاب القلوب، فحقيق بنا أن نتوجّه إلى حالة قصورنا وتقصيرنا وذلتنا ومسكنتنا وتأسف على حالة

١. النمل (٢٧): ٦٢.

٢. مقتطف من رواية جاءت نقلها كتاب مصباح الشريعة، وجاءت في بحار الانوار، ح ٨٠، ص ٣٧٣. وهي اقتباس وتوضيح للآية الكريمة: ﴿أَمْنٌ يُجِيبُ الْمُضْطَرُّ إِذَا دَعَاهُ﴾. راجع: سر الصلاة، ص ٥٧ - ٥٩.

٣. سير الصلاة، ص ٥٩.

حرماننا، ونتلهف على كيفية احتجاجنا ونستعبد بالحق تعالى من هذا الخسران وتسلط النفس والشيطان، لعله تحصل لنا حالة الاضطراب فتجيب تلك الذات المقدسة المضطرين ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾. فنضع رؤوسنا على تراب المذلة الذي هو أصل خلقتنا بحالة مغمومة ومضطربة وقلب محزون مغموم وتذكر نشأة ذلنا ومسكنتنا ونطلب بلسان الحال من الحق تعالى ولي النعم جبران نقائصنا.^١

[بقاء الصورة الجوهرية في كل حال]

رغم ان الصورة الجوهرية عابرة وتمرّ في حركتها كمرّ السحاب، إلا انها باقية بما سبق ان ذكرناه سابقاً لبقائها من البيانات المختلفة.

"وان تمرّ مرّ السحب" إشارة الى أمثال قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدًا وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾^٢ وقوله تعالى: ﴿أَفَعَيْنَا بِالْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي نَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾^٣ شاهد على بقاء الشيخ لمثل من كان في عنفوان الشباب رغم التبدلات التي مرّت عليه من أوّل الى آخر عمره. وهذا المقطع من البيت الشعري "كالشيخ عين الشارخ الطار الصبي" تشبيه لعالم الكبير بعالم الصغير، كما قال الله تعالى: ﴿مَا خَلَقُكُمْ وَلَا بِعُنُكُمْ إِلَّا كُنُفُسٍ وَاحِدَةً﴾^٤.

لأن الانسان بكلّ ما يطرأ عليه من تبدلات واضحة روحية وجسدية في أوّل

١. النمل (٢٧): ٦٢.

٢. سر الصلاة، ص ٧.

٣. النمل (٢٧): ٨٨.

٤. ق (٥٠): ١٥.

٥. لقمان (٣١): ٢٨.

التكوّن ﴿لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّدْكُورًا﴾، وبعد ذلك يتجانس مع العناصر، ثم يرتقى في ما بعد. مثلاً في أول طفولته ما كان من اعجز الموجودات، ثم يرتقى في الكمال حتى انه ربما يبلغ ما بلغه سليمان الذي صار خليفة الله وحكيماً وعالماً ومقتدراً ومالكاً للشرق والغرب، رغم انه ما وجه التناسب بين الشمس البيضاء والحرباء. وخلاصة الكلام هي ان الانسان الذي له مثل التفاوت في أوله وآخره، عين ذلك الهيكل المحسوس، لهو اعجز المخلوقات.^{١، ٢}

[الامان من الفرع يحصل في حالة المحبة والعبادة الكريمة]

وأيضاً في الوسائل عن «العلل والمجالس والخصال» للشيخ الصدوق رضوان الله عليه بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال الصادق جعفر بن محمد عليه السلام «إن الناس يعبدون الله عزّ وجل على ثلاثة أوجه: فطبقة يعبدونه رغبة في ثوابه فتلك عبادة الحرصاء وهو الطمع، وآخرون يعبدونه خوفاً من النار فتلك عبادة العبيد وهي الرهبة، ولكني أعبده حباً له عز وجل فتلك عبادة الكرام وهو

١. الانسان (٧٦): ١.

٢. الحرباء حيوان من فصيلة الزواحف تعيش بين الاعشاب والاشجار وعلى الصخور وتتلون تبعاً لطبيعة ولون المنطقة التي تكون فيها.

٣. الملاحظة التي تلفت الانتظار في ما يخص الأخذ عن تمثيل القرآن هي تشبيه العالم الصغير بالعالم الكبير. ففي العالم الكبير، الغيوم في حركة والجبال ثابتة، كذلك الصورة الجوهرية في الانسان عند الطفولة وفي الشباب والشيخوخة في حالة تبدل، في حين ان حقيقة هذا الانسان ثابتة.

٤. تقريرات فلسفة الإمام الخميني، ج ٢، ص ٥٠٥-٥٠٦.

الأمّن لقوله عز وجل ﴿وَهُمْ مِنْ فِرْعَ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾^١ ولقوله عز وجل ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾^٢ فمن أحب الله عز وجل أحبّه الله ومن أحبّه الله تعالى كان من الآمنين^٣.

١. النمل، (٢٧): ٨٩

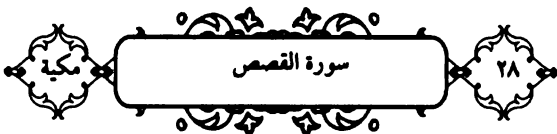
٢. الصدوق، علل الشرايع، ص ١٢، ح ١٨ الأماي، ص ٤١، ح ٤؛ الخصال، ص ١٨٨، ح ٢٥٩، وسائل الشيعة، ج ١، ص ٦٢، الباب ٩ من ابواب مقدمة العبادات، ح ٢.

٣. آل عمران (٣): ٣١.

٤. الخصال، ص ١٨٨، باب الثلاثة، ح ٢٥٩.

٥. سير الصلاة، ص ٧.





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَّبِعُ
أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ ٤

[العلاقة بين تسليط الطاغوت والفساد في الارض]

وفي الوقت نفسه نحن مسؤولون عن تهيئة الجو المناسب لتربية وتنشئة جيل مؤمن فاضل يحطم عروش الطواغيت، ويقضي على سلطاتهم غير الشرعية، لأن الفساد والانحراف ينمو على أيديهم، وهذا الفساد ينبغي أزالته ومحوه وأنزال العقوبة الصارمة بمسببيه. وقد وصف الله في كتابه المجيد فرعون ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾. ففي ظل حكم فرعوني يتحكم في المجتمع ويفسده ولا يصلحه، لا يستطيع مؤمن يتقي الله أن يعيش ملتزماً ومحافظاً بإيمانه وهديه. وامامه سيلان لا ثالث لهما: أما أن يقسر على ارتكاب اعمال مردية، أو يتمرد على حكم الطاغوت ويحاربه، ويحاول أزالته، أو يقلل من آثاره على الاقل.

[بعث الله الى اعلى وافسد الافراد اكثر الناس تواضعاً وكمالاً]

هذا فرعون الذي وصل طغيانه حداً لأن يقول: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾، وبلغ من عتوه وفساده درجة جعلت الباري تعالى يقول عنه: ﴿يَذَّبِحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾، حيث اندفع - لمجرد رؤيا رآها في المنام، عبرها له الكهنة والسحرة بظهور موسى بن عمران (عليه السلام) - يفرق بين الأزواج ويذبح الأطفال الأبرياء ويرتكب كل تلك المفاسد.

وفي المقابل، نرى أن الرحمن جلّت عظمته نظر برحمته الرحيمية الى جميع من على الأرض ليختار أشد بني الانسان آنذاك تواضعاً وأعلى كمالاً، النبي العظيم والرسول المكرم موسى بن عمران «على نبينا وآله وعليه السلام» والذي كان قد رباه وعلمه ورعاه، فهو القائل بحقه: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾^١، وشدّ أزره بأخيه العظيم هارون (عليه السلام).^٢

﴿وَكُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا لَهَا الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ

الْوَارِثِينَ﴾ ه

١. النزاعات (٧٩): ٢٤.

٢. بما ان ارسال الرسل والهداية المعنوية للناس لها بعد اخروي ومعنوي، فان اختيار النبي موسى كان من باب الرحمة الرحيمية لله وليس الرحمة الرحمانية التي تشمل المؤمن والكافر.

٣. القصص (٢٨): ١٤.

٤. آداب الصلاة، ص ٢٣٧ - ٢٣٨.

[سنة الله في انقاذ المستضعفين]

الإرادة الإلهية تريد أن تخلص الناس من ريقه الحكم الطاغوتي، وتسلمهم زمام أمورهم بقيادة الأنبياء الكبار وورثتهم.^١

[الامل بالمستقبل وتصحيح مفهوم الانتظار]

آمل أن يتحقق إن شاء الله وعد الله المؤكد ويملك المستضعفون الأرض فهذا وعد الله ولن يخلف الله وعده، غاية الأمر هي هل إننا ندركه أم لا ندركه وهذا بيد الله. فمن الممكن أن تتهياً في لحظة بعض الأسباب فتكتحل أنظارنا بجمال طلعتة. إن وظيفة المهمة في هذا العصر هي إنتظار ظهوره المبارك، لكن الإنتظار وحده - مع الوضع الذي عليه الكثيرون - لا يكفي، بل علينا ملاحظة واجباتنا الشرعية الإلهية في الوقت الحاضر ولا يخشى شيئاً.^٢

[الدعوة للقيام من أجل النصر النهائي]

لينهض المسلمون في جميع أقطار العالم، بل لينهض المستضعفون، إن الوعد الإلهي قد شمل المستضعفين حيث يقول عز من قائل: ﴿وَوَيْدُ أَنْ لَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُوا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَهُمْ أَيْمَةً وَجَعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾. فالإمامة حق المستضعفين والوراثة للمستضعفين. وأما المستكبرون فإنهم غاصبون. يجب إخراج المستكبرين من الساحة، لقد طردنا مستكبري إيران من الساحة وجلس مكانهم

١. صحيفة الإمام، ج ٣، ص ٤٣٧، البيان الصادر بتاريخ ١٣٩٨/٩/١.

٢. المصدر السابق، ج ١٩، ص ٢٤٦.

المستضعفون.^١

[انتصار المسلمين الاوائل كان بسبب مساعيهم المخلصة]

لو كان المسلمون في صدر الإسلام مثلما عليه المسلمون اليوم، لكانوا انتهوا وقضي عليهم في مكانهم. ولكنهم سعوا بكل وجودهم من أجل الإسلام. ليس من أجل أن يكون لهم بلد، فما جدوى البلد للإسلام؟ وانما من أجل بناء الإنسان. سعوا إلى محاربة الظالمين وإنقاذ المظلومين. انطلقوا لتحقيق وعد الله تعالى: "ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين". وقد نجحوا في ذلك إلى حد كبير، ولكنهم لم يحققوا كل ما كانوا يريدونه، فقد كانوا يريدون اشاعة الإنسانية في كل العالم.^٢

[الفهم الصحيح للاستضعاف]

إن الله سوف يسلم الحكم الى هذه الطبقة التي تحسبها الطبقة العليا متدنية. كان منطوق المستكبرين الاستعلاء والتكبر على المجتمع وكانوا يعتبرون شعبنا من الطبقة المتدنية، فمن هم الذين في الطبقة العليا؟ إنه السيد «آريا مهر» وبطانته! أما أنتم ونحن والشعب فلا يحسبون لنا حساباً! إن قضية الاستضعاف هي هذه، وليس ما يقول عنهم الله: الضعفاء. المستضعفون هم الذين لديهم قوة الإيمان، ولكن أولئك لا يدركون ويقولون إنهم ضعفاء وهم ليسوا من الضعفاء.

١. المصدر السابق، ج٧، ص ٢٩٢.

٢. المصدر السابق، ج١٧، ص ٢١١، خطاب بتاريخ ١٧/٣/١٤٠٣.

فبعض الذين لا يفهمون معنى كلمة المستضعف يقولون لماذا يجب أن نكون مستضعفين^١ وهؤلاء يعتبروننا مستضعفين وضعفاء! في حين ليس معنى ذلك أنكم ضعفاء! إن لديكم قوة الإيمان والرغبة بالاستشهاد، وأنتم الذين هزتم مثل تلك القوة بقبضاتكم^٢.

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَىٰ الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ ٢٩

[اجتياز المراحل الصعبة والعسيرة للوصول الى مقام الرسالة]

على آية حال، لقد أعدَّ الله تعالى موسى الكليم (عليه السلام) ورباه بالرياضات الروحانية... فأرسله ليقضي سنين في خدمة الشيخ الكبير شعيب، رجل الهداية وخبير عالم الانسانية... ثم بعثه الى صحراء في طريق الشام ليعرضه لامتحان وافتتان اسمائي، فأضله في طريقه وأهطل عليه الأمطار وأحاطه بالظلمة وجعل ألم المخاض يجيء زوجته؛ وعندما أغلقت أبواب الطبيعة كلها بوجهه وأصبح قلبه الشريف متضجراً من الكثرات، وانقطع الى الحق بالفطرة النقية وأكمل السفر الإلهي الروحاني في تلك الصحراء الموحشة: ﴿آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا﴾ * فلما

١. من اجل ازالة اللبس وتوضيح الأمر يميّز المرحوم الامام هنا بين كلمتي الضعيف والمستضعف ويقول ان الضعيف هو العاجز والفاقد للقدرة واقعاً، واما المستضعف فهو غير عاجز ويتصف بالايمان والقوة ولكن الآخرين يفرضون عليه العجز والضعف فرضاً. وقد عرض هذا التوضيح من أجل ازالة اللبس المتداول على ألسنة العامة.

٢. المصدر السابق، ج ١٠، ص ١٢١، خطاب بتاريخ، ١٣٩٩/١١/٤.

أتاها نودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين ﴿١﴾.

ولماذا كل هذه الامتحانات واشكال المنعطفات التربوية المعنوية؟ كل ذلك من أجل دعوة وهداية وإرشاد وإنقاذ فرد واحد طاغ شرير كان ما يفتأ يقول: «أنا ربكم الأعلى» ولا يتوانى عن ارتكاب كل ذلك الإفساد في الأرض. ألم يكن من الممكن أن يحرقه الله تعالى بصاعقة غضبه؟ ولكنه تعالى لرحمته الرحيمية بعث إليه نبيين من الأنبياء العظام وأوصاهما بأن يقولوا له قولاً لينا: «اذهب الى فرعون إنه طغى فقولا له قولاً لينا لعله يتذكر أو يخشى»، لعله يذكر أو يخشى من عاقبة أمره وفعله!

[قبول دعوة الانبياء لم يكن اعتباراً]

ان الرسل أثبتوا دعواتهم بين الناس عن طريق المعجزات، وان أحداً لم يتبع نبياً من الأنبياء عبثاً وبدون تعقل، فقد جاء في القرآن الكريم:

﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ * اسْأَلْكَ يَدْرِكُ لِي جَبِّكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾^٢.

١. آداب الصلاة، ص ٢٣٨ - ٢٣٩.

٢. القصص (٢٨): ٣١ - ٣٢.

٣. كشف الاسرار، ص ٤٦.

[بيان المعارف الإلهية صعب]

الذين خرجوا من ستار الغيب النوراني وابتعدوا عن المحبوب، حتى وإن كان ذلك بأمر المحبوب، تصعب عليهم الحياة مع الناس السطحيين البعيدين عن المعارف. وكما أن أفهام الصبيان تعجز عن ادراك الامور التي يدركها الاستاذ العالم البصير بالدقة العقلية، كذلك يصعب ايصال هذه المعارف إلى اذهان هؤلاء اللاهين. ولعلّه لو شاء ان ينطق بالحقيقة ويوصل نفحة من المعارف إلى الأفهام المغلقة الحواس لنتوه بالجنون. ولهذا فهم غير مؤهلين لهذا الأمر، لأن التناسب والتجانس بينهما ضعيف جداً. ولهذا السبب قال كليم الله: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي﴾^١.

إلهي لقد اعترت لساني لكنة، وإذا شئت ان انقل لهم من المعارف فان إشراقات الحق اندلعت وتدلح من لساني، وستكون مرّة الطعم في أفواه هؤلاء الناس المصايين بعاهة في ذانتهم. وعلى هذا الأساس فبما ان هارون في الحد الوسط، فهو أقدر على التكلّم معهم، ولديه معرفة بمدى استيعاب أفهامهم^٢. وفي ضوء هذا المعنى نلاحظ ان الأنمة بِطَائِفِهِمْ حينما كانوا يريدون التعبير لله عمّا في قرارة أنفسهم، كانوا يقولون في الأدعية: اللهم اني أسألك من أسمائك

١. القصص (٢٨): ٣٤.

٢. طرح مساحة الامام الخميني عدة مرات قضية ان الانبياء كانت في ألسنتهم عقدة، وكانوا يدعون الله (ط (٢٠): ٢٧) ان يحل هذه العقدة عن السنتهم؛ وذلك لانهم لم يكونوا قادرين على الافصاح عن كل ما يدور في اذهانهم. وهذا ما ورد في ما يخص النبي موسى (ع) في عدة مواضع من القرآن الكريم. (القصص (٢٨): ٣٤، الشعراء (٢٦): ١٣، طه (٢٠): ٣٦، الزخرف (٤٣): ٥٢) راجع: آداب الصلاة، ص ١٩٣، تفسير آية البسملّة، ص ١٣٦. ومع ان هذا العموم صحيح بشكل عام، غير ان هذه الآيات ليست بصدد الحديث عن هذه القضية. وللاطلاع على المزيد حول هذا الموضوع، راجع: مقدمة التفسير، الفصل ٥، مقدمة الفصل.

بأكبرها وكلّ أسمائك كبيرة، اللهم اني أسألك بأسمائك كلّها. ' إلى آخر دعاء السحر الذي يُقرأ في أسحار شهر رمضان، ودعاء أبي حمزة الشمالي ' ودعاء كميل،^٢ أو قولهم: 'بمجدك الذي تجليت به لموسى كليمك في طور سيناء،' وهكذا. وعندما يتحدث القرآن مع النبي نلاحظ في مقام الكلام حول المعارف كيفية ما يطرحه من بيانات. إذا يفهم من هذا ان القضية لا تتمثل في اننا أخذنا عقائدنا من العجائز ونتسلى بها، وإنما هناك رموز وأسرار.^٣

﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ٥٠



١. راجع: اقبال الأعمال، ص ٢٧٧؛ مفاتيح الجنان، أعمال أسحار شهر رمضان المبارك.

٢. الثقة الجليل الثابت بن دينار المعروف بأبي حمزة الشمالي. من مشايخ أهل الكوفة وزهادها. ادرك الائمة الثلاثة: السجاد والباقر والصادق (عليهم السلام)، وردحاً من زمان الامام الكاظم. قال فيه الامام الرضا (ع) ان ابي حمزة في زمانه كان كلقمان في زمانه، وفي رواية اخرى انه كان سلمان زمانه.

قال له الامام الصادق (ع)، اني لاستريح اذا رأيتك. نقل عن الامام السجاد (ع) الدعاء المعروف بدعاء ابي حمة الشمالي، الذي يُقرأ في أسحار شهر رمضان. توفي في عام ١٥٠هـ

٣. كميل بن زياد النخعي اليماني، من خواص أصحاب امير المؤمنين (ع) وأعظمتهم. كان مدة من الزمن والياً له على هيت، واليه يُنسب الدعاء المعروف بدعاء كميل. كان صاحب سر امير المؤمنين. قتله الحجاج بن يوسف الثقفي في عام ٨٣هـ وكان في التسعين من عمره. قبره معروف في الثوية؛ بين النجف والكوفة.

٤. مصباح المتجهد، ص ٣٧٥؛ مفاتيح الجنان؛ دعاء السمات.

٥. تقريرات فلسفة الإمام الخميني، ج ١، ص ٨٦-٨٧.

[في ذم الانقياد للنفس بدون الهداية الالهية]

كما أن ميزان منع الحق والصدّة عنه هو اتباع الهوى، فكذلك ميزان اجتذاب الحق وسيادته هو متابعة الشرع والعقل. وبين هذين المقياسين وهما التبعية التامة لهوى النفس والتبعية التامة المطلقة للعقل منازل غير متناهية، بحيث أن كل خطوة يخطوها في اتباع هوى النفس، يكون بالمقدار نفسه قد منع الحق، وحجب الحقيقة، وابتعد عن أنوار الكمال الإنساني وأسرار وجوده. وبعكس ذلك، كلما خطا خطوة مخالفة لهوى النفس ورغبتها، يكون بالمقدار نفسه قد أزاح الحجاب وتجلّى نور الحق في المملكة.

يقول الله تعالى في ذم اتباع النفس وأهوانها: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ﴿... وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾.

وجاء في الكافي الشريف، بسنده عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال:

«قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وَعَظَمَتِي وَكِبْرِيَانِي وَتُورِي وَعُلُوبِي وَارْتِفَاعُ مَكَانِي لَا يُؤَثِّرُ عَبْدٌ هَوَاهُ عَلَى هَوَايَ إِلَّا شَتَّ عَلَيْهِ أَمْرُهُ وَكَبَسَتْ عَلَيْهِ ذُنُوبَهُ وَشَغَلَتْ قَلْبَهُ بِهَا وَلَمْ أَوْتِهِ مِنْهَا إِلَّا مَا قَدَّرْتُ لَهُ وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وَعَظَمَتِي وَتُورِي وَعُلُوبِي وَارْتِفَاعُ مَكَانِي لَا يُؤَثِّرُ عَبْدٌ هَوَايَ عَلَى هَوَاهُ إِلَّا اسْتَحْفَظْتُهُ مَلَائِكَتِي وَكَفَلْتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَيْنِ رِزْقَهُ وَكُنْتُ لَهُ مِنْ وَرَاءِ تِجَارَةٍ كُلِّ تَاجِرٍ وَأَنْتَ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ!».

وهذا الحديث الشريف من محكمات الأحاديث التي يدل مضمونها على أنه

١. ص (٣٨): ٢٦.

٢. اصول الكافي، ج ٢، ص ٣٣٥، كتاب الإيمان والكفر، باب اتباع الهوى، ح ٢.

ينبع من علم الله تعالى الرائق حتى وإن كان مطعوناً فيه بضعف السند^١.
**﴿أُولَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ
يُنْفِقُونَ﴾ ٥٤**

[التقية وافشاء الاسرار من مصاديق الحسنة والسيئة]

ويدل على هذا القسم ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَفُونَ فِي الْأَسْجَارِ أَفَلَا مَعْرِفَةٌ أَمْ كُنْتَ تُرِيدُ أَن يَمُوتُوا فَيَكُونُوا مِنْ الَّذِينَ ضَلَّ سَبِيلَهُمُ اللَّهُ فَأُولَئِكَ أَسْمَاءُ لَعْنَةُ اللَّهِ الَّذِينَ فَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسٍ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾^٢. وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْتَوَى الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾^٣ عن أبي عبد الله قال: «**﴿الْحَسَنَةُ﴾: التقية، و**﴿السَّيِّئَةُ﴾: الإذاعة**»^٤. وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْتَوَى الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾^٥ عن أبي عبد الله قال: «**﴿الْحَسَنَةُ﴾: التقية، و**﴿السَّيِّئَةُ﴾: الإذاعة**»^٦ فمقتضى مقابلتها للإذاعة أنها هي الاستتار والكتمان^٧.****

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ ٥٦

١. اعتبر هذا الخبر ضعيفاً من حيث السند بسبب وجود ابي حمزة في سنده، الا انه من حيث قوة المضمون وعدم التعارض مع كتاب الله، خال من الاشكال ويمكن الاستناد إليه.
٢. شرح الأربعون حديثاً، ص ١٦٩ - ١٧١.
٣. هو الثقة الفقه أبو محمد هشام بن سالم الجواليقي، صاحب الصادق والكاظم (عليهما السلام) وروى عنهما وعن سليمان بن خالد ... وكان من الرؤساء والأعلام المأخوذ منهم الحلال والحرام والفتيا والأحكام الذين لا يطعن عليهم بشيء. روى عنه الحسن بن محبوب وصفوان بن يحيى ومحمد بن أبي عمير. الرسالة العددية، ضمن مصنفات الشيخ المفيد، ص ٤٥؛ رجال النجاشي، ص ٤٣٤؛ الفهرست، ص ١٧٤؛ معجم رجال الحديث، ج ١٩، ص ٣٠١ - ٣٠٢.
٤. اصول الكافي، ج ٢، ص ٢١٧، ح ١؛ وسائل الشيعة، ج ١٦، ص ٢٠٣، كتاب الأمر والنهي، الباب ٢٤، ح ١.
٥. فصلت (٤١): ٣٤.
٦. المحاسن، ص ٢٥٧، ح ٢٩٧؛ اصول الكافي، ج ٢، ص ٢١٨، ح ٦؛ وسائل الشيعة، ج ١٦، ص ٢٠٦.
٧. كتاب الأمر والنهي، الباب ٢٤، ح ١٠.
٧. الرسائل العشرة، ص ٣٤ - ٣٥.

[النبي لا يستطيع ان يهدي كل من احب]

قد قال الله تبارك وتعالى لنبي الاسلام الذي هو اشرف من النبي عيسى - سلام الله عليه - : «إنك لا تهدي من احببت». لقد كان سيدنا عيسى يحيي الموتى الطبيعيين، ولكن الميت الذي مات قلبه، الميت الذي تم القضاء على كيانه، وعلى وجوده وتحولت قادسيته^١ إلى فناء، فان عيسى لا يفعل ذلك وليس بإمكانه^٢.

[الخوف من عدم اهتداء الناس الى الحد الذي يدفع نحو رياضة روحية مطوكة]

وقال شيخنا العارف الكامل الشاه آبادي: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) عندما دعا الناس إلى رسالته ولم يجد الإصغاء المطلوب والدخول في دين الله حسب المستوى المرغوب فيه، أبدى احتمالاً في نفسه وهو النقص في دعوته - الداعي - فانصرف إلى ترويض نفسه طيلة عشرة أعوام حتى ورمت قدماه، فنزلت هذه الآية المباركة مخاطبة إياه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى، إنك طاهر وهاد، ولا يوجد عيب ونقص فيك، بل النقيصة في الناس ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾^٣.



١. كناية عن الاموال والثروة. طبعاً اذا كانت الكلمة "قاسية" فهي تعني ظلمة القلب وكدورته، وفي هذه الحالة لا تكون الجملة ذات معنى.
 ٢. صحيفة الإمام، ج ١٦، ص ٢٨١.
 ٣. شرح الأربعون حديثاً، ص ٣٥٢.

[اليأس من الهداية يعود الى عدم استعداد الافراد انفسهم]

الأمل معدوم في تنبه هذه الطائفة الى نقصها وعيبها أو استيقاظها من نومها العميق: ﴿إِنَّكَ لَاتَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾، ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾، ولا شك أن من هم امثالي - أنا المسكين - من الجاهلين، ومن ليس لقلوبهم حياة بحياة المعرفة والمحبة الإلهية، اموات لا تمثل أبدانهم سوى قبور رفاتهم البالية، وهم محجوبون بغبار وظلمة ضيقه عن جميع عوالم النور، والنور على النور، ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾^١.

﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوءَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ٧٩ ﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ٨٠

[المقام الاول في الزهد عدم الاهتمام بزينة الدنيا]

الزهد الذي هو عبارة عن النفور من النقص والاعراض عن غير الحق، يعود الى الفطرة التي جبل عليها الناس، وهو من الاحكام الفرعية لفطرة الله. كما ان الميل الى غير الحق - مهما كان - يأتي بسبب احتجاب الفطرة؛ وذلك لان الفطرة من بعد الاحتجاب يحجب الطبيعة؛ كأن تظن مثلاً عن طريق الخطأ ان محبوبها في شعبة من شعب الطبيعة، فتعتقد محبته في القلب وتعلق به؛ فتتأخر بذلك عن جمال الجميل وتبقى محجوبة ومحرومة من لقاء الله.

١. فاطر (٣٥): ٢٢.

٢. النور (٢٤): ٤٠.

٣. آداب الصلاة، ص ١٦٦ - ١٦٧.

إذا فالزهد الحقيقي من اعظم جنود العقل والرحمن؛ إذ به يحلّق الانسان الى عالم القدس والطهارة، ويحزم امتعته مبتعداً عن هذا العالم، ويحصل له كمال الانقطاع الى الله. كما ان الرغبة في الدنيا وزخارفها والاهتمام بها وحبّ زينتها من اعظم جنود ابليس والجهل، ومن اخفى مصائد النفس، وبه يقع الانسان في فخ البلاء ويضل سبيل الهداية والرقي، ويُحجب عن الوصول الى نتيجة الانسانية ونيل ثمار شجرة الولاية.

وعندما يفهم الانسان هذا المعنى وينظر بعين الانصاف والبصيرة اول وآخر أمره، يجد لزاماً عليه ان يعمل جهد الامكان على ازالة هذه الشوكة عن طريق سلوكه؛ أعني حب الدنيا والرغبة في مالها ومناهاها، وان يخرج من قلبه هذه الخطيئة المهلكة التي هي رأس كل خطيئة^١ وام كل مرض، وان يطهر منزل قلبه الذي هو محطة نزول المحسوب وموضع تجلّي المطلوب، يطهره من كل رجس وقذارة ومن جنود ابليس وحياتل الشيطان، وان يقطع يد الشيطان الغاصبة عن منزل ربّه، ويُخلّي غرفة ورواق القلب من الأصنام، حتى يُقبل صاحب البيت الى بيته ويفيض عليه ضياء من نوره.

قال الله تعالى: ﴿لَكَيْلًا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾^٢ في الوسائل أن رجلاً سأل علي بن الحسين صلى الله عليه وآله وسلم عن الزهد فقال: ألا وإن الزهد في آية من كتاب الله: ﴿لَكَيْلًا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾^٣، وهذا شاهد على كلامنا السابق، بأن الزهد من الصفات النفسانية الملازمة للعمل

١. اقتباس من الحديث الشريف: حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ. اصول الكافي؛ ج ٢، ص ٢٣٨، باب

حُبِّ الدُّنْيَا والحرص عليها، ح ٨

٢. سورة الحديد (٥٧): ٢٣.

٣. وسائل الشيعية، ج ١٦، ص ١٢، الباب ٦٢ من ابواب جهاد النفس، ح ٦.

لا نفس الترك.

والقلب الذي خلا من محبة الدنيا وأعرض عنها وانصرف، لن يتأسف عن أدبارها ولن يفرح بإقبالها.

ويحصل للقلب الزاهد حالة التساهل وعدم الاهتمام بحيث لا يتوجه إلى الدنيا وزخارفها فكيف بالتأسف على فوتها والفرح من إتيانها.

وقال تعالى شأنه في وصف قارون: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾^١ إن الذين كانوا فرحين بالحياة الدنيوية وكان مقصودهم ومرادهم الدنيا وزينتها، لما رأوا قارون بزينته على قدر آمالهم، وصاروا في حسرة من زينته، ولكن أصحاب العلم الذين أوتوا العلم بالغيب من الحق تعالى، لم يكونوا يهتمون بزينة الدنيا وكانوا طالبيين لثواب الله، ويرون أنهم يصلون إلى تلك المثوبات بالصبر.

وهذه الآية الشريفة إشارة إلى مقام الزهد الأول ويحتمل أن لا تكون الآية راجعة إلى مقام الزهد أيضاً.^٢

قال الله تعالى: ﴿لَكَيْلًا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾^٣ في الوسائل أن رجلاً سأل علي بن الحسين صلى الله عليه وآله وسلم عن الزهد فقال: ألا وإن

١. سورة القصص (٢٨): ٧٩-٨٠.

٢. بما أن البحث لا يدور حول النفور من النقص والإعراض عن الدنيا، وإنما يتطلع أهل العلم إلى ثواب آخر، ولكن لا بمعنى أنهم لا يطلبون الدنيا، فهم يقولون إن ثواب الله خير. ولهذا فهو يحتمل أن الآية لا تقصد الزهد وإنما تتحدث عن مقام الصابرين.

٣. شرح حديث جنود العقل والجهل، ص ٣٠٣-٣٠٦.

٤. سورة الحديد (٥٧): ٢٣.

الزهد في آية من كتاب الله: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾، وهذا شاهد على كلامنا السابق، بأن الزهد من الصفات النفسانية الملازمة للعمل لا نفس الترك.

والقلب الذي خلا من محبة الدنيا وأعرض عنها وانصرف، لن يتأسف عن أدبارها ولن يفرح بإقبالها.

ويحصل للقلب الزاهد حالة التساهل وعدم الاهتمام بحيث لا يتوجه إلى الدنيا وزخارفها فكيف بالتأسف على فوتها والفرح من إتيانها.

وقال تعالى شأنه في وصف قارون: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَن آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَاقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾^١ إن الذين كانوا فرحين بالحياة الدنيوية وكان مقصودهم ومرادهم الدنيا وزينتها، لما رأوا قارون بزينته على قدر آمالهم، وصاروا في حسرة من زينته، ولكن أصحاب العلم الذين أوتوا العلم بالغيب من الحق تعالى، لم يكونوا يهتمون بزينة الدنيا وكانوا طالبين لثواب الله، ويرون أنهم يصلون إلى تلك المثوبات بالصبر.

وهذه الآية الشريفة إشارة إلى مقام الزهد الأول ويحتمل أن لا تكون الآية راجعة إلى مقام الزهد أيضاً.^٢

١. وسائل الشريعة، ج ١٦، ص ١٢، الباب ٦٢ من ابواب جهاد النفس، ح ٦.

٢. سورة القصص (٢٨): ٧٩-٨٠.

٣. شرح حديث جنود العقل والجهل، ص ٣٠٣-٣٠٦.

[عدم التفاخر بل عدم ارادة العلو شرط لنيل الدار الآخرة]

اعلموا أنكم في خدمة عباد الله فلا تكبروا على الناس. إن هؤلاء الناس كبار، إنهم عباد الله. إن الله جعل الآخرة لمن لا يريدون علواً على الناس ولا فساداً ولا يريدون العلو أصلاً «لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً»^١.

[دور الاعتقاد بالفناء وهلاك جميع الاشياء في اجتناب

[الذنوب]

المعصومون (عليهم السلام) وبعد أن خلقوا من طينة طاهرة ونتيجة للرياضات واكتساب الملكات الخلقية الفاضلة، أصبحوا يرون أنفسهم دائماً في محضر الله سبحانه الذي يعلم ويحيط بكل شيء^٢، ويؤمنون بمعنى «لا إله إلا الله»، وعلى يقين من أن كل شيء زائل إلا الله وليس بمقدور أحد التأثير على مصائرهم: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾. فإذا ما تيقن الإنسان وآمن بأن كل العوالم الظاهرة والباطنة هي في محضر الله تعالى، وأنه سبحانه حاضر وناظر في كل مكان، يستحيل أن يصدر منه ذنب أو معصية^٣.

١. صحيفة الإمام، ج ١٠، ص ١٥٥، خطاب بتاريخ، ١٣٩٩/١١/٦.

٢. احد الامور المهمة في بحث العصمة وعدم ارتكاب الانبياء وائمة الهدى للمعاصي هو انهم يعتبرون انفسهم على الدوام بين يدي الله ولديهم عين اليقين الى درجة انهم ينفرون من الذنب

وينظرون إليه كشيء قبيح وبمناية السم وهذا ما يجعلهم يُحجمون عنه على الدوام.

٣. الجهاد الأكبر، ص ٤٩.

[وجه الله الولاية المطلقة والفيض المقدس وكل ما سواه

[هالك]

وتكون الأمانة لدى العرفاء الولاية المطلقة التي لا يليق بها غير الإنسان، وهذه الولاية المطلقة، هي مقام الفيض المقدس. وقد أشير إليه في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾.

وفي كتاب (الكافي) بسنده إلى أسود بن سعيد قال: «كنت عند أبي جعفر (عليه السلام) فأنشأ يقول ابتداءً مِنْهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ أَسْأَلُهُ نَحْنُ حُجَّةُ اللَّهِ، وَنَحْنُ بَابُ اللَّهِ، وَنَحْنُ لِسَانُ اللَّهِ وَنَحْنُ وَجْهُ اللَّهِ وَنَحْنُ عَيْنُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ وَنَحْنُ وِلَاةُ أَمْرِ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ» وفي دعاء الندبة «أَيْنَ وَجْهُ اللَّهِ الَّذِي يَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ الْأَوْلِيَاءُ؟ أَيْنَ السَّبَبُ الْمُتَّصِلُ بَيْنَ أَهْلِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ؟». وفي زيارة الجامعة الكبيرة «وَالْمَثَلُ الْأَعْلَى»^١.

وهذا المثل الأعلى وذلك الوجه الإلهي، هو الوارد في الحديث الشريف «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ»^٢ ومعناه أن الإنسان هو المثل الأعلى للحق سبحانه، آيته الكبرى، ومظهر الأتم، وأنه مرآة لتجلي الأسماء والصفات وأنه وجه الله وعين الله ويد الله وجنب الله، «هُوَ يَسْمَعُ وَيُبْصِرُ وَيَبْطِشُ بِاللَّهِ، وَاللَّهُ يُبْصِرُ وَيَسْمَعُ وَيَبْطِشُ بِهِ»^٣.

١. اصول الكافي، ج ١، ص ١٤٥، كتاب التوحيد، باب النوادر، ح ٧.
٢. زاد المعاد، الباب ١١، ص ٣٩٩، مفاتيح الجنان، ص ٥٣٧، دعاء الندبة.
٣. من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٣٧٠، باب الزيارة الجامعة. عيون أخبار الرضا، الشيخ الصدوق، الباب ٧٨ ح ١.
٤. اصول الكافي، ج ١، ص ١٣٤، كتاب التوحيد، باب الروح، ح ٤.
٥. اصول الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب من آذى المسلمين، ح ٧.
٦. شرح الأربعون حديثاً، ص ٦٣٥.

[بقاء الوجه الوجودي مبعثه تلك الذات نفسها]

فهو تعالى بهاء بلا شوب الظلمة، كمال بلا غبار النقيصة، سناء بلا اختلاط الكدورة، لكونه وجوداً بلا عدم وإتية بلا ماهية. والعالم باعتبار كونه علامة له ومنتسباً إليه، وظله المنبسط على الهياكل الظلمانية، والرحمة الواسعة على الأراضي الهولانية بهاء ونور و اشراق و ظهور:

﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ﴾، وظل النور نور: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظَّلْمَ﴾. وباعتبار نفسه هلاك وظلمة و وحشة و نفرة: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾. فالوجه الباقي بعد استهلاك التعينات و فناء المهيات، هو جهة الوجود المتدلية إليه، التي لم تكن مستقلة بالتقوم و التحقق، و لا حكم لها بحيالها، فهي بهذا النظر هو^١.



[مفهوم الهلاك والفناء]

في عالم الأفلاك لا يتوقف أي ناسك عن عمله ولا يفتر عن عبادته. ونوع كل فلك وفلكي منحصر في الفرد. وهذا الحكم يعرفه كل حكيم ذكي عالم بأن أفراد الطبيعة الجسمية الواحدة عند تجزئتهم تتكثر الطبيعة ويمتنع الخرق والإلتام على الفلك.

في الأفلاك ليس هناك قسر كما انه ليس هناك شر، وكل ما هناك مظاهر سلام وبرّ وخير محض.

وليس في الأفلاك كوّنٌ وفساد بمعنى التكوّن من شيء والفساد والتحلل الى شيء. نعم، الكوّن بمعنى الانشاء من العدم المحض، والفساد بمعنى الفناء موجودان في الأفلاك؛ لأن الله هو الذي يوجدّها ويفنيها: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾^١.



١. القصص (٢٨): ٨٨

٢. تقارير فلسفة الإمام الخميني، ج ٢، ص ٥٦٢.





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ ٢

[امتحان الافراد حسب ادعائهم وموقفهم]

إن الناس جميعاً في معرض الامتحان «أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً وهم لا يفتنون».

هل يظن الناس أن يتركوا دون إمتحان وتمحيص، لمجرد إدعائهم الإيمان أو لمجرد إدعائهم أنهم طلاب للحرية والعدالة والمساواة وخدام للأمة والدولة والشعب؟ أم أنهم سيمتحنون ويسلمون المناصب ومواقع المسؤولية، ليعرف الصادقون من الكاذبين؟ إنكم ستمتحنون، وإنكم الآن في معرض الإمتحان، وكل البشر دون استثناء في معرض الإمتحان، حتى الأنبياء والأولياء، ومجرد الإدعاء والكلام لن يعفي أحداً من الإمتحان. فقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا السَّيِّئِينَ

مِنْ قَبْلِهِمْ فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ لْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿١﴾

فليعلم جميع أبناء هذه الأمة من مسؤولين وفلاحين، وعمال وتجار وعسكريين وجميع فئات الشعب الأخرى، حتى الفئات الفاسدة، أنهم في محضر الله وفي معرض الإمتحان، فمن السهل أن يدعي الإنسان بأنه الشيء الفلاني، وأنه سيفعل كذا ويقدم الخدمة الكذائية...، لكنه سيمتحن في نفس ما إدّعاه. فذلك الذي يدعي احترام حقوق الإنسان وأنه محب للبشرية سيمتحن في ذلك، وذلك الذي يدعي الدفاع عن المظلومين والمحرومين سيمتحن في ذلك، فإن تساوت حاله قبل استلامه المنصب مع حاله بعده، وبقي خطه نفس الخط ونهجه نفس النهج وروحه نفس الروح، ولم يؤثر عليه المنصب سلباً، كان من أتباع علي بن أبي طالب (ع) الحقيقيين، وقد خرج من الإمتحان مرفوع الرأس.^١

﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ٤١

[قصر النظر والاشدّاد الى عالم الطبيعة كالتعلق بخيوط العنكبوت]

و هذا العلم مختص بأصحاب القلوب، من المشايخ المستفيدين من مشكاة

١. هذا المعنى مستقى من آيتين؛ احدهما هي الآية: (وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ) (العنكبوت (٢٩): ٣)؛ والاخرى هي الآية الشريفة: (وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ) (عنكبوت (٢٩): ١١). وقد ورد هذا المعنى في آية اخرى أيضاً وهي: (وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَ جَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ) (الدخان (٤٤): ١٧). وعلى العموم فان هذا المعنى مستقى بمجموعه من القرآن الكريم وليس موجوداً في آية واحدة، وإن كان المقطع الاول منه يشير الى هذه الآية.

٢. صحيفة الإمام، ج ١٣، ص ٤٦٠، خطاب بتاريخ، ١٤٠١/٣/٢٠.

النوبة و مصباح الولاية بالرياضات و المجاهدات. هيهات! نحن و امثالنا لا نعرف من العلم الا ظاهره، و لا من مرموزات الأنبياء و الأولياء و رواياتهم إلا سوادها و قشرها؛ لتعلقنا بظلمة عالم الطبيعة و قصر نظرنا عليها و تشبثنا بمنسوجات عناكب المادة و وقف همنا عندها، مع انها أوهمن من بيت العنكبوت: ﴿وَإِنْ أُوْهِنَ الْبُيُوتِ لَبَيَّتِ الْعَنْكَبُوتُ﴾^١.

﴿إِنَّهُ مَا أَوْحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَلِمَ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ ٤٥

[الدور الرابع للصلاة مشروط بحضور القلب]

والسلطنة الإلهية هذه إنما تمنح للعبد بعد تركه إرادته و تخلصه من سلطنة الأهواء النفسانية و سلطة إبليس و جنوده. و لا تتحقق واحدة من هذه النتائج إلا بالحضور الكامل للقلب، و إلا فإن القلب اذا كان غافلاً ساهياً حين العبادة، فإن عبادته لا تصبح حقيقة، و لا تكون سوى أمر شبيه باللهو و اللعب.

ولاشك أن مثل هذه العبادة - كما اشارت الى ذلك بعض الروايات^٢ - لا تؤثر في النفس إطلاقاً، و لن ترقى من الشكل و الظاهر الى الباطن و الملكوت. و لن تسلّم قوى النفس قيادها الى النفس بمثل هذه العبادة، و لن تظهر سلطنة النفس عليها. و بالنتيجة فإن القوى الظاهرة و الباطنة لا تستسلم لإرادة الله و لن تخضع لمملكة وجود الإنسان لكبرياء الحق تعالى. و هذا أمر في غاية الوضوح.

١. شرح دعاء السحر، ص ١١٩.

٢. توجد في هذا المجال روايات كثيرة، منها على سبيل المثال: بحار الانوار، ج ٧٤، ص ٩٨٢ الكليني، الروضة من الكافي، باب مواظب النبي، ح ٢؛ الفروع من الكافي، ج ٢، ص ٢٦٥، كتاب الصلاة، باب فضل الصلاة؛ بحار الانوار، ج ٨١، ص ٢٤٩، كتاب الصلاة، الباب ١٦، ح ٤١؛ وسائل الشيعة، ج ٤، ص ٦٨٧، كتاب الصلاة، ابواب افعال الصلاة، الباب ٣.

ولهذا نرى عدم تحقق أثر من الآثار فينا بعد أربعين أو خمسين سنة من العبادة المتواصلة، إن لم تزد قلوبنا - على العكس - ظلمة يوماً بعد آخر ويشدتمرد قوى النفس ويتضاعف حبنا للعالم، وترسخ طاعتنا للأهواء النفسانية والوسواس الشيطانية. وما كان كل ذلك ليحصل لولا خواء عبادتنا ولولا تركنا للشروط الباطنية والآداب القلبية لتلك العبادات، وإلا فإن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر بنص الآية المباركة: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾. ويقيناً فإن النهي ليس نهياً عن المنكرات الشكلية الظاهرية، فلا بد أن يتقد في القلب نبراسٌ ويتوهج في الباطن نور يهدي الانسان الى عالم الغيب، ويكون في الإنسان رادع إلهي يردعه عن التمرد والعصيان.^١

[العلاقة بين التسليم في نهاية الصلاة والنهي عن الفحشاء]

الحديث يعرف «السلام» في آخر الصلاة بأنه «الأمان». بمعنى أن من يؤدي الأوامر الإلهية والسنن النبوية بخشوع قلبي فهو آمن من بلاء الدنيا وعذاب الآخرة، أي أنه آمن من التصرفات الشيطانية في الدنيا لأن أداء الأوامر الإلهية بخشوع قلبي يؤدي الى قطع تسلط الشيطان: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾.^٢

﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا

يَعْلَمُونَ﴾ ٦٤

١. آداب الصلاة، ص ٣٣ - ٣٤.

٢. بحار الأنوار، ج ٨٢، ص ٣٠٧، نقلاً عن مصباح الشريعة، الباب ١٨ في السلام.

٣. آداب الصلاة، ص ٣٦٨.

[الآخرة دار الحياة]

هنا مطلب آخر وهو ان البعض قد تنطوي أذهانهم على فكرة ان عالم الآخرة هو عالم الدنيا هذا، بيد ان هذه الدنيا تكون في وقت موضع تكذيب وتكفير الله والأنمة، ثم تكون بعد ذلك موضع ثناء، وهذا الاعتقاد مخالف لجميع آيات القرآن وكلّ الاخبار؛ فالقرآن يكذب هذه الدنيا من أولها الى آخرها. ولا يمكن القول ان هذه النشأة ستكون يوماً وروداً وأزهار. بل ان عالم الدنيا والآخرة نشأتان وهناك يكون الظهور الكامل للنفس، وكلّ ما كان ظهور النفس فيه ستكون في بروز على نحو الشدّة، ويكون الجسم الانساني اقوى من الجبال. فكيف يمكن القول بأن عين هذه النشأة في الوقت الذي يكون الجسم فيه قوياً هناك الى درجة ان جبال هذه الدنيا لا تطيق الصمود أمام حلقة حديد من نار ذلك العالم، وتذيبها، وتخرق تلك الحلقة هذا العالم كلّه وتجتازه وتخرج منه. والجسم الذي لا يتحمل وضع اصبعه دقيقة واحدة في نار هذه الدنيا، يلبث هناك سنوات قد يكون كلّ يوم منها مائة الف سنة من سنيّ هذه الدنيا. ولو وضعت كلّ الجبال فوق ذلك الجسم يستطيع حملها، وأجسام الكفار تبقى من يوم الحشر الى الأبد في تلك النار التي ﴿تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾. فكيف له من جسم، وكيف له من عالم؟! نعم، سيكون الحال كذلك؛ لأن الجسم قائم هناك بكلّ ظهور النفس، والنفس محيطة بكلّ العوالم.

ولهذا فان كلّ ما يكون بكلّ همّة وفعالية النفس، يكون ذا عمادية على جسم ظله بكلّ قوّة ويظهره، ويستطيع الجسم حمل كلّ العالم القيته عليه، بل ويستطيع حمل اعظم الجبال لو وضع على اصبع واحد من أصابعه. فما هذه النشأة التي جاء

الخبر الشريف في وصف أحوال أهل السعادة انهم: "جُرْدٌ مُرْدٌ" وفي وصف أحوال أهل الشقاء والمعاصي: "غلظ جلد الكافر اثنان واربعون ذراعاً"، وأن الكافر يسحب لسانه الفرسخ والفرسخين يتوطؤه الناس،^١ وأن مقعد الكافر من النار مسيرة ثلاث مثل الربذة.^٢ وهذه الاخبار الشريفة تعبّر عن أحوال أهل الناس بكل وضوح. وعلى العموم فهي النشأة التي "كلها لهي الحيوان" كما تنص الآية الشريفة: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾.^٣

وخلاصة الكلام هي ان البدن الانساني سيأتي بعينه في الآخرة، وان تلك النشأة غير هذه النشأة في مراتب شدة الوجود، وما ورد في صفة أهل الجنة يؤيد صحة كلامنا في تبدل الأبدان.^٤

[الحياة الملكوتية في الآخرة في تجسم أعمال الانسان]

والأخبار تدل على أن لجميع الموجودات حياة ملكوتية، وأن عالم الملكوت كله حياة وعلم. ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾.

وفي الكافي بإسناده عن أبي عبد الله (عليه السلام) في حديث طويل: «إذا بعث الله المؤمن من قبره خرج معه مثالٌ يُقدّمُ أمامه، كلما يرى المؤمن هولا من أهوال يوم القيامة قال له العنابل: لا تنزع ولا تحزن وأبشِرْ بالسُّرور والكرامة من الله عز وجل، حتى يقف بين يدي الله عز وجل فيحاسبه حساباً يسيراً ويأمر به إلى

١. بحار الأنوار، ج ٨، ص ٢٢٠.

٢. كنز العمال، ج ١٤، ص ٥٢٩، ح ٣٩٥١٩.

٣. كنز العمال، ج ١٤، ص ٥٢٨، ح ٣٩٥١٤.

٤. كنز العمال، ج ١٤، ص ٥٣٠، ح ٣٩٥٢١ و ٣٩٥٢٢.

٥. العنكبوت (٢٩): ٦٤.

٦. تقارير فلسفة الإمام الخميني، ج ٣، ص ٢١٤ - ٢١٦.

الْجَنَّةِ وَالْمِثَالُ أَمَامَهُ، يَقُولُ لَهُ الْمُؤْمِنُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ نِعَمَ الْخَارِجِ، خَرَجْتَ مَعِيَ مِنْ قَبْرِي وَمَا زِلْتَ تُبَشِّرُنِي بِالسُّرُورِ وَالْكَرَامَةِ مِنْ اللَّهِ حَتَّى رَأَيْتُ ذَلِكَ، يَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ يَقُولُ: أَنَا السُّرُورُ الَّذِي كُنْتَ أَدْخَلْتَهُ عَلَيَّ أَخِيكَ الْمُؤْمِنَ فِي الدُّنْيَا، خَلَقَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُ لِأُبَشِّرَكَ^١.



[الصورة الغيبية وحياة الأعمال في الآخرة]

عن الإمام الصادق (عليه السلام): «من صَلَّى المفروضات في أول وقتها وأقام حدودها ورفعها المَلَكُ الى السماء بيضاء نقيَّةً تقول: حفظك الله كما حفظتني واستودعك الله كما استودعتني ملكاً كريماً. ومن صلاها بعد وقتها من غير علة فلم يُقم حدودها، رفعها المَلَكُ سوداء مُظلمة وهي تهتف به: ضيعتني ضيَّعك الله كما ضيعتني، ولا رعاك الله كما لم ترعني»^٢.

وهذا الحديث يدلُّ على أن ملائكة الله يرفعون الصلاة الى السماء: إما نقيَّة بيضاء إذا أُقيمت في أول وقتها وروعت آدابها، وهي - والحال هذه - تدعو لمصلحتها بالخير؛ أو سوداء مظلمة إذا أُخِرَتْ دون عُذْرٍ ولم تُقَمْ حدودها، وهي - والحال هذه - تدعو على مصلحتها.

وفضلاً عن تضمن الحديث دلالة واضحة على ان للصلاة صوراً غيبيةً ملكوتية، فهو يدلُّ كذلك على وجود الحياة فيها، وهو أمر ثابت دلت عليه الآيات والروايات، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِِيَ الْحَيَوَانُ﴾.

١. اصول الكافي، ج ٢، ص ١٩٠، كتاب الإيمان والكفر، باب إدخال السرور على المؤمنين، ح ٨

٢. شرح الأربعون حديثاً، ص ٤٣٨ - ٤٣٩.

٣. وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٩٠، الباب ٣، كتاب الصلاة، ابواب المواقيت.

وهناك العديد من الأحاديث التي تعضد الحديث السابق، أعرضنا عن ذكرها تجنباً للإطالة^١.



[من خصائص الحياة المعنوية التجرد من المادة الجسمانية]

...والذي دعاه إلى ذلك ما زعم من عدم إمكان وجود الصور المقدرية بلا مادة جسمية... وليس هذا بكثير الإشكال عندنا...^٢

ولقد اشير إلى ما ذكرنا في لباس الرمز في الكتاب الإلهي بقوله: «وإن الدار الآخرة لهي الحيوان» فإن مقتضى سريان الحياة في شراشر دار الآخرة - التي أوّل منزلها العالم البرزخي المضاهي للعالم المثالي، ويازائه في قوس الصعود كما هو مقابله في قوس النزول - أن لا يكون فيها المادة الجسمية التي هي مبدأ لكل موت وليست فيها حياة أصلاً.

واشير إلى ذلك أيضاً في النبوي المشهور: «الدنيا مزرعة الآخرة»^٣ فإن الدنيا إذا كانت مزرعة للآخرة كانت الآخرة دار الحصاد، فإذا كانت الآخرة دار الحصاد لم يكن فيها قابلية وهولوية، فإن الهولوية بذاتها محلّ الزرع، ووجودها بلا زرع لغو وعبث تعالى عن أن يكون في ملكه اللغو والعبث.

١. على سبيل المثال، راجع: نُقل في ما سبق حديث عن الكافي، ج ٢، ص ١٩٠.

٢. آداب الصلاة، ص ٣ - ٤.

٣. أوضح المرحوم الإمام في مباحث سابقة كيف تصير اعمال الإنسان ذات تجسم برزخي. وهناك روايات دالة على هذا المعنى، والمقصود هو الحياة في عالم الآخرة وليس الحياة الجسمانية؛ لأنها في هذه الحالة تكون كالحياة الدنيا فانية وزائلة.

٤. ابن أبي جمهور الاحساني، عوالي اللئالي، ج ١، ص ٢٦٧، ح ٦٦.

و هاهنا أسرار و رموز بعضها راجعة إلى أحوال أهل البرزخ و القيامة من السعداء و الأشقياء و كيفية الانتقالات الواقعة في الدار الآخرة، ليس هاهنا محلّ ذكرها^١.

﴿وَالَّذِينَ جَاهَلُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ٦٩

[شرط الاعانة و الهداية قَدَمَ الحق و التوجّه الى الله]

يقول أستاذنا الشيخ محمّد علي الشاه آبادي دام ظله: إن المعيار في الرياضة الباطلة و الرياضة الشرعية الصحيحة هو خطى النفس و خطى الحق، فإذا كان تحرك السالك بخطى النفس و كانت رياضته من أجل الحصول على قوى النفس و قدرتها و تسلطها، كانت رياضته باطلة و أدى سلوكه إلى سوء العاقبة. و تظهر الدعاوى الباطلة - عادة - من مثل هؤلاء الأشخاص.

أما إذا كان تحرك السالك بخطى الحق و كان باحثاً عن الله، فإن رياضته هذه حقّة و شرعية و سيأخذ الله تعالى بيده و يهديه كما تنص على ذلك الآية الشريفة التي تقول: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَلُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا...﴾ و سيؤول عمله إلى السعادة، فتسقط عنه «الأنا» و يزول عنه الغرور. و معلوم أن خطوات الشخص الذي يعرض أخلاقه الحسنة و ملكاته الفاضلة على الناس ليلفت أنظارهم إليه هي خطوات النفس، و هو متكبر و أناني و معجب بنفسه، و عابد لها.

و مع التكبر تكون العبودية لله و همأ ساذجاً، و أمراً باطلاً و مستحيلاً^٢.



١. تعليقة على الفوائد الرضوية، ص ١٣٩ - ١٤٠.

٢. شرح الأربعون حديثاً، ص ٤٥.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوءَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا
يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ١٠

[عاقبة المداومة على الذنب وعدم الاهتمام له]

فإذا أردتم - لاسمح الله - إهانة أحد من المسلمين واغتيابه والمساس بكرامته، فاعلموا أنكم في محضر الربوبية وفي ضيافة الله تبارك وتعالى، وأنكم بمحضره تسيئون الأدب مع عباده. وأن إهانة عباد الله هي بمثابة إهانة الله تبارك وتعالى. فهؤلاء عباد الله لاسيما إذا كانوا من أهل العلم والتقوى وعلى الصراط المستقيم. فأحيانا ترون أن الإنسان ونتيجة لهذه الأفعال، يصل إلى مرحلة تكون عاقبته عند الموت بأن يكذب الله تعالى وينكر آياته: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوءَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

وإن مثل هذه النتيجة السيئة المدمرة لا تحصل دفعة واحدة، بل بالتدرج.

فاليوم نظرة غير سليمة وغداً كلمة غيبة، وفي يوم آخر إهانة مسلم ... هكذا شيئاً فشيئاً تنكس هذه المعاصي في القلب فيسود. وإن القلب الأسود المظلم يمنع الإنسان من معرفة الله تعالى حتى يصل إلى مرحلة ينكر الحقائق الإيمانية ويكذب بآيات الله تعالى.^١

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ ٢٠

[تقسيم وتنظيم كتاب التكوين ككتاب التدوين]

بين فاتحة الكتاب وخاتمة سور وآيات و ابواب و فصول. فإن اعتبر الوجود المطلق و التصنيف الإلهي المنسق بمراتبه و منازله كتاباً واحداً، يكون كل عالم من العوالم الكلية باباً و جزءاً من ابوابه و اجزائه، و كل عالم من العوالم الجزئية سورة و فصلاً، و كل مرتبة من مراتب كل عالم او كل جزء من اجزائه آية و كلمة. و كأن قوله تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ إلى آخر الآيات، راجع الى هذا الاعتبار.^٢

﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ٢٧

[الله منزله من الشبيهه، ولكن له مثل وآية وعلامة]

إن الإنسان الكامل، مظهر الاسم الجامع، ومرآة تجلي الاسم الأعظم. كما أشير إلى هذا المعنى في الكتاب والسنة كثيراً...

١. الجهاد الأكبر، ص ٤٢.

٢. شرح دعاء السحر، ص ٥٣.

وفي كتاب (الكافي) بسنده إلى أسود بن سعيد قال: «كنت عند أبي جعفر (عليه السلام) فأنشأ يقول ابتداءً مِنْهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ أَسْأَلَهُ نَحْنُ حُجَّةُ اللَّهِ، وَنَحْنُ بَابُ اللَّهِ، وَنَحْنُ لِسَانُ اللَّهِ وَنَحْنُ وَجْهُ اللَّهِ وَنَحْنُ عَيْنُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ وَنَحْنُ وِلَاةُ أَمْرِ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ» وفي دعاء الندبة «أَيْنَ وَجْهُ اللَّهِ الَّذِي يَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ الْأَوْلِيَاءُ؟ أَيْنَ السَّبَبُ الْمُتَّصِلُ بَيْنَ أَهْلِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ؟» وفي زيارة الجامعة الكبيرة «وَالْمَثَلُ الْأَعْلَى».^٢

وهذا المثل الأعلى وذلك الوجه الإلهي، هو الوارد في الحديث الشريف «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ»^١ ومعناه أن الإنسان هو المثل الأعلى للحق سبحانه، آيته الكبرى، ومظهر الأتم، وأنه مرآة لتجلي الأسماء والصفات وأنه وجه الله وعين الله ويد الله وجنب الله...^٥

وملخص الحديث أن الإنسان الكامل الذي يكون آدم أبو البشر فرداً منه، أكبر آية ومظهر لأسماء وصفات الحق سبحانه، وأنه مثل الحق المتعالي وآيته. ولا بد من تنزيه الله سبحانه وتقديسه عن المثل بمعنى الشبه ولا يلزم تنزيه ذاته المقدسة عن المثل الذي هو بمعنى الآية والعلامة. ﴿وَأَلَّهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾.

إن كافة ذرات الكون، آيات ومرآة تجلي ذاك الجمال الجميل عز وجل كل حسب حجمه ومنزلته الوجودية. ولكن لا يكون شيء آيةً للاسم الأعظم الجامع

١. اصول الكافي، ج ١، ص ١٤٥، كتاب التوحيد، باب النوادر، ح ٧.

٢. زاد المعاد، الباب ١١، ص ٣٩٩؛ مفاتيح الجنان، ص ٥٣٧، دعاء الندبة.

٣. من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٣٧٠، باب الزيارة الجامعة؛ عيون أخبار الرضا، الشيخ الصدوق، الباب ٧٨ ح ١.

٤. المجلسي، مرآة العقول، ج ٢، ص ٨٤، كتاب التوحيد، باب الروح، ح ٤؛ اصول الكافي، ج ١، ص ١٣٤، كتاب التوحيد؛ ح ٤؛ عيون أخبار الرضا، ج ١، ص ١١٩، الباب ١١، ح ١٢.

٥. الكليني، اصول الكافي، ج ٢، ص ٣٥٢، باب من اذى المسلمين، ح ٧ و ٨.

أي «الله» عدا الكون الجامع، والبرزخية الكبرى المقدسة جلّت عظمته بعظمة بارية^١.

[سهولة البعث والنشور عند الله]

هناك مجموعة من الآيات الواردة في بحث المعاد جعلت العلة الفاعلية حداً وسطاً وتقيم البرهان من ناحية العلة الفاعلية. وهذه هي تلك الآيات التي تبين خلق السماوات والأرض والإنسان والموجودات الأخرى، وتطرقت الى جانب ذلك الى البعث والنشور، ونصّت بعض الآيات على سهولة البعث والنشور: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾^٢ وجعلت الفاعلية حداً وسطاً في اثبات الموجودية للأشياء؛ نظراً الى ان الموجودات فوق عالم الطبيعة، فهي في موجوديتها اضافة الى العلة الفاعلية لا تحتاج الى علة مادية، بل يكفي في تحققها الجهة والعلة الفاعلية. وبما انها فوق الزمان والمكان ودرجتها الوجودية تقع فوق الطبيعة وتنزلها في الوجود ليس في الحد الذي يجعلها بعيدة عن قابلية الوجود، فمثل هذه الموجودات ابداعية وبمجرد الفيض من المبدأ، تكون لها أهلية الموجودية.

ولكن في القوس النزولي، لأن شعاع الوجود لا يتّصف بالصرافة والحد الأعلى للوجود، وتتخذ الموجودات بُعداً رتبيّاً، لذلك فبمجرد صدور الفيض من المبدأ، لا تكون لها صلاحية الموجودية. وهذا طبعاً لا لقصور في المبدأ بل لقصور فيها. وعلى هذا الأساس فانها مالم تخضع لتربية رب العالمين ومالم يهب عليها نسيم الرحمة، لا تكتسب أهلية الوجود. وإنما هي عند مرور الربيع وبعدها تلامسها الرطوبة ثم الحرارة والنضج تكتسب تدريجياً تربية تكوينية بفعل تربية

١. شرح الأربعمون حديثاً، ص ٦٣٥ و ٦٣٦.

٢. الروم (٣٠): ٢٧.

رب العالمين. وأمثال هذه الموجودات لا تكفي في خلقتها الجهة الفاعلية وإنما تتطلب مُخَصَّصات ومُقَرَّبَات ومرور الزمان. ومثل هذه الموجودات لا يمكن ان تكون ابداعية، وإنما خلقية، ويأتي تخليقها في اعقاب حصول مقدمات ويلزمها صورة بعد صورة، وهي ليست بلا مقدّمة مثلما هو الحال بالنسبة الى القسم الأول. وخلاصة الكلام ان بين هذين القسمين فارق، وهو أنّ أحدهما أكثر لياقة لافاضة الفيض ولا تتوقف على غيرها، بينما الاخرى تحتاج الى مؤونة أكثر. وهذا طبعاً لا يوجب ان تكون القدرة الواجبة بالنسبة الى احدهما أقوى، وأخف بالنسبة الى الاخرى، وان يكون الله قادراً على احدهما وغير قادر على الاخرى - والعياذ بالله - أو حتى إن كان قادراً على احدهما فقدتره مقرونة بالعجز، كلا طبعاً وحاشا الله أن يكون الحال كذلك؛ لأنه تام القدرة. ولكن بعض الموجودات تكتسب القابلية بعد أيام وعلى أثر هبوب نسيم الرحمة والتطوّر الذي يحصل في صورتها. وهذا لا يتعلّق بتفاوت القدرة؛ كأن يكون الحال كالمعلم الذي يختلف الأمر لديه فيما لو أراد ان يلقي موضوعاً على شخص متعلّم، أو على طفل صغير. ومثل هذا التفاوت لا علاقة له بقدرة المعلم طبعاً، وإنما يمكن هذا التفاوت في فهم هذين الشخصين؛ المتعلّم وغير المتعلّم. كما ان الفارق بين عالم الطبيعة وما وراءه هو أن الثاني مكفي ذاتاً بالفاعل ولا يحتاج سوى الى العلة الفاعلية، في حين ان الأول غير مكفي بالعلّة الفاعلية وإنما يحتاج الى الهيولى وتطوّر الاستعدادات^١.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٣٠

[المعنى اللغوي للفطرة]

يقول أهل اللغة والتفسير: إن ﴿فِطْرَةَ﴾ تعني «الخلق». وفي الصحاح ﴿فِطْرَةَ﴾ بالكسر «الخلق». ويمكن أن تكون الكلمة مأخوذة من «فَطَرَ» أي «شقّ ومزق» كأن الخلق أشبه بشق حجب العدم والغيب. وبهذا المعنى يكون «إفطار» الصائم، فكأنه يمزق استمرارية الإمساك المتصل.

على كل حال، البحث اللغوي خارج عن نطاق بحثنا...^٢

[معنى الفطرة في الثقافة القرآنية]

إعلم أن المقصود من ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ﴾ التي فطر الناس عليها هو الحال والكيفية التي خلق الناس وهم متصفون بها والتي تعد من لوازم وجودهم. ولذلك «تخمرت» طبيعتهم بها في أصل الخلق. والفطرة الإلهية - كما سيتبين فيما بعد - من الألفاظ التي خصّ الله تعالى بها الإنسان من بين جميع المخلوقات، إذ إن الموجودات الأخرى غير الإنسان إما أنها لا تملك مثل هذه الفطرة المذكورة وإما أن لها حظاً ضئيلاً منها.

وهنا لابد من معرفة أن ﴿فِطْرَةَ﴾ وإن فسرت في هذا الحديث الشريف وغيره من الأحاديث^٣ «بالتوحيد» إلا أن هذا هو من قبيل بيان المصداق، أو التفسير بأشرف أجزاء الشيء، كأكثر التفاسير الواردة عن أهل بيت العصمة (عليهم

١. الجوهرى، الصحاح (تاج اللغة و صحاح العربية)، ج ٢، ص ٧٨١.

٢. شرح الأربعون حديثاً، ص ١٧٩.

٣. اصول الكافي، ج ٢، ص ١٢، ١٣، كتاب الإيمان والكفر، فطرة الخلق على التوحيد، ح ١، ٥٥

التوحيد، ص ٣٢٨ - ٣٣١ الباب ٥٣ الأحاديث ١، ٢، ٤ - ٤٨ تفسير البرهان، ج ٣، ص ٢٦١ - ٢٦٣،

ذيل الآية ٣٠ من سورة الروم.

السلام) وفي كل مرة تفسر بمصداق جديد بحسب مقتضى المناسبة، فيحسب الجاهل أن هناك تعارضاً. والدليل على أن المقام كذلك هو أن الآية الشريفة تعتبر «الدين» هو «فطرة الله» مع أن الدين يشمل التوحيد والمبادئ الأخرى. وفي «صحيحة» عبدالله بن سنان فسرت الفطرة على أنها تعني «الإسلام». وفي «حسنة» زارة فسرت «بالمعرفة» وفي الحديث المعروف: «كل مولود يولد على الفطرة» جاءت في قبال «التهود» و «التنصر» و «التمجس»^١ كما أن الإمام الباقر (عليه السلام) في حسنة زارة المذكورة فسرها «بالمعرفة». وعليه، «الفطرة» ليست مقصورة على التوحيد، بل إن جميع المبادئ الحقة هي من الأمور التي فطر الله تعالى الإنسان عليها.



١. المقصود هو انه قد نُقلت عن الائمة روايات متباينة في ما يخص شرح كلام أو تطبيق مفهوم آية على الواقع الخارجي، واذا لم يلتفت أحد الى ان الأئمة يعينون مصداقاً لذلك المفهوم، لا ان ذلك الكلام له معان مختلفة، فمن الطبيعي ان تذهب به الظنون الى وجود تعارض في كلامهم. نذكر من ذلك على سبيل المثال ان هناك روايات مختلفة جاءت في ذيل الآية ٧٢ من سورة الاحزاب لبيان معنى الأمانة وما المراد بهذه الامانة. واذا لم يلتفت احد الى ان الروايات المتباينة انما جاءت من باب بيان مصاديق الكلام، ولهذا فهي متفاوتة في ما بينها، فمن المحتمل ان تبدو له شبهة التعارض.

٢. قال (ص)، كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه. عوالي اللئالي، ج ١، ص ٣٥، الفصل الرابع، ح ١٨.

[في تشخيص احكام الفطرة]

لابد أن نعرف بأن ما هو من أحكام الفطرة لا يمكن أن يختلف فيه اثنان، من ناحية أنها من لوازم الوجود وقد تخمّرت في أصل الطبيعة والخلفة. فالجميع، من الجاهل والمتوحش والمتحضر والمدني والبدوي، مجمعون على ذلك. وليس ثمة منفذ للعادات والمذاهب والطرق المختلفة للتسلّل إليها والإخلال بها. إن اختلاف البلاد والأهواء والمأنوسات والآراء والعادات، التي توجب وتسبب الخلاف والاختلاف في كل شيء، حتى في الأحكام العقلية، ليس لها مثل هذا التأثير أبداً في الأمور الفطرية.

[غفلة الناس عن الفطرة]

كما أن اختلاف الإدراك والأفهام قوة وضعفاً لا تؤثر فيها. وإذا لم يكن الشيء بتلك الكيفية فليس من أحكام الفطرة ويجب إخراجها من فصيلة الأمور الفطرية. ولذلك تقول الآية: ﴿فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ أي أنها لا تختص بفئة خاصة ولا طائفة من الناس. ويقول تعالى أيضاً: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِمَخْلَقِ اللَّهِ﴾ أي لا يغيّره شيء، كما هو شأن الأمور الأخرى التي تختلف بتأثير العادات وغيرها.

ولكن مما يثير الدهشة والعجب أنه على الرغم من عدم وجود أي خلاف بشأن الأمور الفطرية، من أول العالم إلى آخره، فإن الناس يكادون أن يكونوا غافلين عن أنهم متفقون، ويظنون أنهم مختلفون، ما لم ينبههم أحد على ذلك، وعند ذلك يدركون أنهم كانوا متفقين رغم اختلافهم في الظاهر - كما سيتضح ذلك فيما يأتي من البحث إن شاء الله - وهذا ما تشير إليه الجملة الأخيرة من الآية الشريفة: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

فيتضح مما سبق ذكره أن أحكام الفطرة أكثر بدهاة من كل أمر بديهي. إذ

لا يوجد في جميع الأحكام العقلية حكم مثلها في البدهة والوضوح، حيث لم يختلف فيه الناس ولن يختلفوا. وعلى هذا الأساس تكون الفطرة من أوضح الضروريات وأبده البديهيات، كما أن لوازمها أيضاً يجب أن تكون من أوضح الضروريات. فإذا كان التوحيد أو سائر المعارف من أحكام الفطرة أو من لوازمها، وجب أن يكون من أوضح الضروريات وأجلى البديهيات ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^١.

[مصاديق وكيفية فطرية الدين]

إعلم أن المفسرين، من العامة والخاصة، فسروا كلَّ على طريقته، كيفية كون الدين أو التوحيد من الفطرة. ولكننا في هذه الوريقات لانجري مجراهم وإنما نستفيد في هذا المقام من آراء الشيخ العارف الكامل «الشاه آبادي» الذي هو نسيج وحده في هذا الميدان^٢ ولو أن بعضها قد ورد بصورة الإشارة والرمز في بعض كتب المحققين من أهل المعارف، وبعضها الآخر مما خطر في فكري القاصر.

إذاً؛ لا بدَّ أن نعرف أن من أنواع الفطرة الإلهية ما يكون على «أصل وجود المبدأ» تعالى وتقدس ومنها الفطرة على «التوحيد» وأخرى على «استجماع ذات الله المقدسة لجميع الكمالات» وأخرى على «المعاد ويوم القيامة» وأخرى على «النبوة» و «وجود الملائكة والروحانيين وإنزال الكتب وإعلان طريق الهداية». وهذه الأمور بعضها من الفطرة، وبعضها من لوازم الفطرة. فالإيمان بالله تعالى وبملائكته وكتبه ورسوله ويوم القيامة، هو الدين القيم المحكم والمستقيم والحق

١. شرح الأربعون حديثاً، ص ١٨٠ - ١٨١.

٢. رشحات البحار، ص ٢٨ - ٣١، كتاب الإنسان والفطرة.

على امتداد حياة المجموعة البشرية...

[ادراك وجود الباري تعالى من الامور الفطرية، وتقدير ذلك]

وهذا يتضح بعد التنبيه إلى مقدمة واحدة هي: أن من الأمور الفطرية التي جبلت عليها سلسلة بني البشر بأكملها، بحيث أنك لن تجد فرداً واحداً في كل المجموعة البشرية يخالفها، وأن العادات والأخلاق والمذاهب والمسالك وغيرها لا يمكن أن تبدلها ولا أن تحدث فيها خلافاً، إنها «الفطرة التي تعشق الكمال». فأنت إن تجولت في جميع الأدوار التي مرَّ بها الإنسان، واستطقت كل فرد من الأفراد، وكل طائفة من الطوائف، وكل ملة من الملل، تجد هذا العشق والحب قد جبل في طبيئته، فتجد قلبه متوجهاً نحو الكمال. بل إن ما يحدّد الإنسان ويدفعه في سكناته وتحركاته، وكل العناية والجهود المضنية التي يبذلها كل فرد في مجال عمله وتخصصه، إنما هو نابع من حب الكمال، على الرغم من وجود منتهى الخلاف بين الناس فيما يرونه من الكمال؟ وأين يوجد الحبيب ويشاهد المعشوق؟.

فكلُّ يجد معشوقه في شيء، ظاناً أن ذلك هو الكمال وكعبة الآمال، فيتخيله في أمر معيّن، فيتوجه إليه، ويتفانى في سبيله تفاني العاشق. إن أهل الدنيا وزخارفها يحسبون الكمال في الثروة، ويجدون معشوقهم فيها، فيبدلون من كل وجودهم الجهد والخدمة الخاصة في سبيل تحصيلها فكل شخص، مهما يكن نوع عمله، ومهما يكن موضع حبه وتعشقه، فإنه لا اعتقاده بأن ذلك هو الكمال يتوجه نحوه. وهكذا حال أهل العلوم والصناعات، كلُّ يرى الكمال في شيء ويعتقد أنه معشوقه، بينما يرى أهل الآخرة والذكر والفكر غير ذلك...

وعليه، فجميعهم يسعون نحو الكمال. فإذا ما تصوّروه في شيء موجود أو موهوم تعلّقوا به وعشقوه. ولكن لا بدّ أن نعرف أنه على الرغم من هذا الذي قيل، فإن حب هؤلاء وعشقهم ليس في الحقيقة لهذا الذي ظنوه بأنه معشوقهم، وإن ما توهموه وتخيّلوه ويبحثون عنه ليس هو كعبة آمالهم. إذ لو أن كل واحد منهم رجع إلى فطرته لوجد أن قلبه في الوقت الذي يظهر العشق لشيء ما فإنه يتحوّل عن هذا المعشوق إلى غيره إذا وجد الثاني أكمل من الأول، ثم إذا عثر على أكمل من الثاني، ترك الثاني وانتقل بحبه إلى الأكمل منه، بل أن نيران عشقه لتزداد اشتعالاً حتى لا يعود قلبه يلقي برحاله في أية درجة من الدرجات ولا يرضى بأي حد من الحدود.

مثلاً، إذا كنت تحب جمال القدود ونضارة الوجوه، وعثرت على ذلك من تراها كذلك، توجّه قلبك نحوها. فإذا لاح لك جمالٌ أجمل، لاشك في أنك سوف تتوجه إلى الجميل الأجمّل، أو أنك على الأقلّ تطلب الاثنين معاً، ومع ذلك لاتخذم نار الاشتياق عندك، ولسان حال فطرتك يقول: كيف السبيل إليهما معاً؟ ولكن الواقع هو أنك تطلب كل جميل تراه أجمل، بل قد تزداد اشتياقاً بالتخيل، فقد تتخيل أن هناك جميلاً أجمل من كل ما تراه بعينك، في مكان ما، فيخلق قلبك طائراً إلى بلد الحبيب، ولسان حالك يقول: أنا بين الجمع وقلبي في مكان آخر. وقد تعشق ما تمنى. فأنت إن سمعت بأوصاف الجنة وما فيها من الوجوه الساحرة - حتى وإن لم تكن تؤمن بالجنة لاسمع الله - قالت فطرتك: ليت هذه الجنة موجودة وليتهن كُنَّ من نصيبي!

وهكذا الذين يرون الكمال في السلطان والنفوذ وإتساع الملك، يتّجه حبهم

١. وهذا البيت للشاعر سعدي الشيرازي، وهو باللغة الفارسية كما يلي:

هرگز وجود حاضر و غایب شنیده ای
من در میان جمع و دلم جای دیگر است

واشتياقهم إلى ذلك. فهم إذا بسطوا سلطانهم على دولة واحدة، توجّهت أنظارهم إلى دولة أخرى، فإذا دخلت تلك الدولة أيضاً تحت سيطرتهم، تطلعت أعينهم إلى أكثر من ذلك. فهم كلما استولوا على قطر، اتجه حبههم إلى الاستيلاء على أقطار أخرى، بل تزداد نار تطلعاتهم لهيباً، وإذا بسطوا سلطانهم على الأرض كلها، وتخيّلوا إمكان بسط سلطتهم على الكواكب الأخرى، تمنّت قلوبهم لو كان بالإمكان أن يطيروا إلى تلك العوالم كي يخضعوها لسيطرتهم.

وقس على ذلك أصحاب الصناعات ورجال العلم، وغيرهم، وكل أفراد الجنس البشري، مهما تكن مهنتهم وجرّفهم، فهم كلما تقدموا فيها مرحلة متقدمة، رغبوا في بلوغ مرحلة أكمل من سابقتها، ولهذا يشتدّ شوقهم وتطلّعهم.

إذا؛ فنور الفطرة قد هدانا إلى أن نعرف أن قلوب جميع أبناء البشر، من أهالي أقصى المعمورة وسكان البوادي والغابات إلى شعوب الدول المتحضرة في العالم، وابتداء بالطبعيين والماديين وانتهاء بأهل الملل والنحل، تتوجه قلوبهم بالفطرة إلى الكمال الذي لانقص فيه، فيعشقون الكمال الذي لا عيب فيه ولا كمال بعده، والعلم الذي لا جهل فيه، والقدرة التي لاتعجز عن شيء، والحياة التي لاموت فيها، أي أن «الكمال المطلق» هو معشوق الجميع. جميع الكائنات والعائلة البشرية، يقولون بلسان فصيح واحد وبقلب واحد: إننا نعشق الكمال المطلق، إننا نحب الجمال والجلال المطلق، إننا نطلب القدرة المطلقة، والعلم المطلق. فهل هناك في جميع سلسلة الكائنات، أو في عالم التصور والخيال، وفي كل التجريزات العقلية والاعتبارية، كائن مطلق الكمال ومطلق الجمال، سوى الله تقدست أسماؤه، مبدأ العالم جلّت عظمته؟ وهل الجميل على الإطلاق الذي لانقص فيه إلا ذلك المحبوب المطلق؟.

فيأيها الهائمون في وادي الحشرات والضائعون في صحاري الضلالات. بل أيتها الفراشات الهائمة حول شمعة جمال الجميل المطلق، ويا عشاق الحبيب

الخالِي من العيوب والدائم الأزلي، عودوا قليلاً إلى كتاب الفطرة وتصفحوا كتاب ذاتكم لتروا أن قلم قدرة الفطرة الإلهية قد كتب فيه: ﴿إِلٰهِي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ﴾ فهل أن ﴿فَطَرَتَ اللهُ إِلٰهِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ هي فطرة التوجه نحو المحبوب المطلق؟ وهل أن الفطرة التي لا تتبدل ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ﴾ هي فطرة المعرفة؟ فإلى متى توجه هذه الفطرة التي وهبك الله إياها نحو الخيالات الباطلة، نحو هذا وذاك من المخلوقات لله؟ إذا كان محبوبك هو هذا الجمال الناقص والكمالات المحدودة، فلماذا عندما تصل إليها يبقى اشتياقك ملتهباً لا يخبث، بل يزداد ويشتد؟

تَيْقِظُ من نوم الغفلة واستبشر فرحاً بأن لك محبوباً لا يزول، ومعشوقاً لانقص فيه، ومطلوباً من دون عيب، وأن لك مقصوداً يكون نور طلعه هو النور ﴿اللهُ نُورٌ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ﴾ وإن محبوبك ذو إحاطة واسعة ﴿لَوْ ذُكِّمْتُمْ بِحَبْلِ إِلَى الْأَرْضِينَ السُّفْلَى لَهَيَّطْتُمْ عَلَى اللهِ﴾^٢ إذن يستوجب عشقك الحقيقي معشوقاً حقيقياً، ولا يمكن أن يكون شيئاً متوهماً متخيلاً، إذ أن كل موهوم ناقص، والفطرة إنما تتوجه إلى الكمال. فالعاشق الحقيقي والعشق الحقيقي لا يكون من دون معشوق، ولا يكون غير الله الكامل، معشوقاً تتجه إليه الفطرة. فلازماً تعشق الكمال المطلق وجود الكمال المطلق. وقد سبق أن عرفنا أن أحكام الفطرة

١. الأنعام (٦): ٧٩.

٢. النور (٢٤): ٣٥.

٣. لم نعر على هذا الخبر في المصادر الشيعية المتقدمة ولا المتأخرة، ولكنه جاء في المصادر العراقية مراراً وكراراً. راجع: الفيض الكاشاني، علم اليقين، ج ١، ص ٧٨، المقصد الأول، الباب ٣، الفصل ٥. أما في المصادر الحديثية لأهل السنة، فراجع: الترمذي، الجامع الصحيح، ج ٥، ص ٤٠٤، كتاب التفسير، (الباب ٥٨ من سورة الحديد (٥٧)، ح ٣٢٩٨.

ولوازمها أوضح من جميع البديهيات ﴿إِلَهِي اللهُ شَكُّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾!

[فطرية ادراك توحيد الله وصفاته الاخرى]

في بيان أن توحيد الحق - تعالى شأنه - واستجماع ذاته لكل الكمالات من الأمور الفطرية، وبالإنابة إلى ما جاء في المقام الأول يتضح ذلك أيضاً إلا أننا سنبرهن على ذلك ببيان آخر هنا أيضاً.

إعلم أن من الأمور الفطرية التي «فطر الناس عليها» هو النفور من النقص، ولذلك فإن لإنسان ينفر من كل ناقص، فهو ينفر منه لأنه وجد فيه نقصاً وعبأً. إذاً؛ فالفطرة تنفر من النقص والعيب كما أنها تنجذب إلى الكمال. فالفطرة لا بدُّ وأن تتوجه إلى «الواحد» «الأحد»، لأن كل كثير ومركب ناقص، ولا تكون الكثرة دون محدودية والمحدودية ناقص. وكل ناقص مرغوب عنه من جانب الفطرة وليس بمرغوب فيه. إذاً؛ أمكن من هاتين الفطرتين: «فطرة حب الكمال» و «فطرة النفور من النقص» إثبات التوحيد. بل إن استجماع الله لجميع الكمالات، وخلو ذاته المقدسة من كل نقص، قد ثبت بالفطرة أيضاً. وسورة «التوحيد» المباركة التي تبين نسب الحق المتعالي، وبحسب رأي شيخنا الجليل (روحي فداه)^١ إن الهوية المطلقة، التي تتوجه إليها الفطرة، والتي أشير إليها في صدر سورة التوحيد المباركة بكلمة «هو»، «هو»، المباركة، تعدُّ برهاناً على الصفات الست المذكورة بعد ذلك. إذ لما كانت ذات الله المقدسة هوية مطلقة، والهوية

١. إبراهيم (١٤): ١٠.

٢. المقصود بالشيخ الجليل كما يتضح من تكرار ذكره في آثاره هو استاذة في العرفان المرحوم الشاهابادي.

المطلقة يجب أن تكون كاملة مطلقة، وإلا لكانت محدودة، ولم تكن مطلقة، فهو مستجمع لجميع الكمالات، فهو (الله). وفي الوقت الذي يكون مستجمعاً لجميع الكمالات يكون بسيطاً، وإلا فالهوية لا تكون مطلقة، إذأ فهو «أحد» ولازم الأحادية هو الواحدية ولما كانت الهوية المطلقة المستجمعة لجميع الكمالات منزهة عن جميع النقائص، التي تعود بأجمعها إلى الماهية، إذأ فتلك الذات المقدسة هي ﴿الصَّمَدُ﴾ وليست جوفاء. ولما كانت الهوية مطلقة، فلن يتولد منها شيء ولا ينفصل عنها شيء، ولا ينفصل هو عن شيء ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ وإنما هو مبدأ كل شيء ومرجع جميع الموجودات، بدون الانفصال الذي يوجب النقصان. والهوية المطلقة أيضاً ليس لها كفو، إذ لا يمكن تصور التكرار في الكمال الصرف. إذأ فالسورة المباركة «الإخلاص» من أحكام الفطرة ولييان نسب الحق المتعال.



[المعاد من الامور الفطرية]

إن «المعاد» أو يوم القيامة من الأمور الفطرية المجبولة عليها طينة البشر. وهذا أيضاً، مثل المقامين السابقين، يمكن البرهنة عليه بطرق كثيرة وأمور فطرية عديدة، ونحن هنا نشير إلى بعض منها.

إعلم أن من الفطريات الإلهية التي فُطرت عليها العائلة البشرية كافة هي فطرة حب الراحة. فلو أنك في كل أدوار التمدن والتوحش، والتدين والعناد رجعت إلى هذا الإنسان، الجاهل والعالم، والوضيع والشريف، والمدني والبدوي، سألته: «لِمَ كل هذا التعلق المتنوع والأهواء الشتى، وما الغاية من تحمل كل هذه المشقات والصعوبات والمعاناة في الحياة؟» فإنهم جميعاً وبكلمة واحدة وبلسان

الفطرة الصريح يجيبون قائلين: بأن كل ما يتوخونه إنما هو لراحتهم، والغاية النهائية والمرام الأخير وأقصى ما يتمنونوه هو الراحة المطلقة الخالية من كل تعب ونصب. فلما كانت هذه الراحة التي لاتمازجها مشقة والتي لا يشوبها ألم ونقمة هي معشوقة الجميع، وكانت هذه المعشوقة المفقودة لدى كل إنسان مقصورة في شيء، لذلك فهو عندما يحب شيئاً يتصور محبوبه فيه، مع أن مثل هذه الراحة المطلقة لا وجود لها في كل أرجاء العالم وزواياه. إذ ليس من الممكن أن تعثر على راحة غير مشوبة بالألم. إن جميع نعم هذا العالم يصاحبها العناء والعذاب المضني، وما من لذة إلا وفيها ألم. إن العذاب والتعب والألم والحزن والهم والغم تملأ أرجاء الأرض.

وعلى امتداد حياة الإنسان لن تجد فرداً واحداً يتساوى عذابه وراحته، ونعمته توازي تعب ونعمته، ناهيك عن الراحة الخالصة المطلقة. وبناءً على ذلك فإن معشوق الإنسان لا يوجد في هذا العالم الدنيوي. إن العشق الفطري الذي جبل عليه أبناء البشر لا يكون من دون معشوق موجود فعلاً.

إذاً؛ لابدٌ من أن يكون هناك في دار التحقق وعالم الوجود عالم لاتشوب راحته شائبة من ألم وعذاب وتعب، راحة مطلقة لا يخالطها شيء من العناء والشقاء، سرور دائم خالص لا يعتوره حزن ولاهم. ذلك العالم هو «دار نعيم الله» عالم كرم ذات الله المقدسة.

وهو عالم يمكن إثباته بفطرة الحرية ونفوذ الإرادة الموجودة في فطرة كل إنسان. ولما كانت مواد هذا العالم وما به من العسر والضيق مما يستعصي على حرية الإنسان وإرادته، فلا بدٌ إذاً؛ أن يكون هناك عالم آخر تكون للإرادة فيه كلمة نافذة، ولاتستعصي مواده على إرادة الإنسان، ويكون الإنسان في ذلك العالم فعلاً لما يشاء والحاكم بما يريد، حسبما تقتضيه الفطرة.

إذاً؛ يعتبر العشق للراحة والعشق للحرية هما الجانبان المودعان لدى الإنسان،

بموجب فطرة الله التي لا تتبدل، فيخلق بهما في عالم الملكوت الأعلى متقرباً إلى الله. وفي المقام مواضع أخرى لاتسعها هذه الأوراق، وفيها فطرات أخرى لإثبات المعارف الحقّة، مثل إثبات النبوة، وبعثة الرسل، وإنزال الكتب السماوية. بل بفطرة واحدة من هذه الفطر المذكورة يمكن إثبات جميع المعارف. ولكننا نكتفي بهذا القدر لئلا نخرج عن الموضوع... إلى هنا عرفنا أن العالم بالمبدأ، والكمالات، ووحدتها، والمعاد، وعالم الآخرة كلها من الأمور الفطرية. والحمد لله^١.

[حقيقة الفطرة]

إن المقصود منه حقيقة الفطرة التي أشير إليها في الآية الشريفة: ﴿فَطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾^١ غاية الأمر أن الخير عبارة عن الفطرة المخمرة والشر عبارة عن الفطرة المحجوبة، والشرح التفصيلي لهذا الإجمال هو أن الحق تبارك وتعالى بعنايته ورعايته ويد قدرته التي خمر بها طينة آدم الأول أعطاه فطرتين وجلبتين: إحداهما أصلية، والأخرى تبعية، وهما بمثابة براق السلوك ورفرف العروج إلى المقصد والمقصود الأصلي، وهما أيضاً أصل جميع الفطر التي خمرت في الإنسان، وبقية الفطر أغصانها وأوراقها، إحدى هاتين الفطرتين - التي لها سمة الأصليّة - هي فطرة العشق إلى الكمال المطلق والخير والسعادة المطلقة...

والثانية من الفطرتين - التي لها سمة الفرعية والتابعة - هي فطرة النفور من النقص، والابتعاد عن الشرّ والشقاوة، وهذه مخمّرة بالعرض، وبتبعية فطرة التوق

١. شرح الأربعون حديثاً، ص ١٨٠-١٨٧.

٢. سورة الروم (٣٠): ٣٠.

إلى الكمال.

والنفور من النقص أيضاً مطبوع ومخمر في الإنسان ونحن بعد هذا نذكر شرحاً في هذا الباب من هاتين الفطرتين اللتين ذكرتا، فطرة مخمرة غير محجوبة ولا محكومة بأحكام الطبيعة، قد بقي فيها التوجه إلى الروحانية والنورانية. ولو توجهت الفطرة إلى الطبيعة وصارت محكومة بأحكامها، ومحجوبة عن الروحانية وعالمها الأصلي لجميع لصارت مبدأ الشرور، ومنشأ لجميع الشقاوات والتعاسات...

[خصائص الأحكام الإلهية التطابق مع الفطرة]

من هنا، بنيت الأحكام السماوية والآيات الإلهية الباهرة، ودساتير الأنبياء العظام والأولياء الكرام، طبقاً للفطرة والجلّة.

وجميع الأحكام الإلهية تنقسم بكليتها إلى مقصدين: أحدهما أصلي ومستقل، والآخر فرعي وتابع، وجميع الدساتير الإلهية ترجع إلى هذين المقصدين إما بواسطة أو بدونها. فالمقصد الأول الأصلي المستقل، هو توجيه الفطرة إلى الكمال المطلق الذي هو الحق جلّ وعلا وشؤونه الذاتية، الصفاتية والأفعالية، ويرتبط به، بواسطة أو بلا واسطة، أبحاث المبدأ والمعاد ومعاني الربوبيات من الإيمان بالله والكتب والرسل والملائكة واليوم الآخر، وعمدة مراتب السلوك النفساني والكثير من فروع الأحكام كفريضتي الصلاة والحج.

والمقصد الثاني وهو العرضي والتبعي هو تنفير الفطرة من الشجرة الدنيوية الخبيثة والطبيعة التي هي أم النقائص والأمراض، ويرجع إليه كثير من مسائل الربوبيات، وعمدة الدعوات القرآنية، والمواعظ الإلهية والنبوية، ومواعظ الأئمة

وعمدة أبواب الرياضة والسلوك، والكثير من الفروع الشرعية كالصوم والصدقات الواجبة والمستحبة والتقوى وترك الفواحش والمعاصي...

[مشاكل وآفات الفطرة ووجود الحجب]

يجب ان يُعلم بان عشق الكمال المطلق الذي يتفرع منه عشق العلم المطلق والقدرة المطلقة والحياة المطلقة والارادة المطلقة وغير ذلك من اوصاف الجمال والجلال، خصلة فُطر عليها كل أبناء الاسرة البشرية، وما من فئة او طائفة تتميز على اخرى في اصل هذه الفطرة، وان كانت هناك بينها فوارق في المدارج والمراتب، ولكن الناس يختلفون ويفترقون في تشخيص الكمال المطلق تبعاً للاحتجاب بحجب الطبيعة والكثرة، أو قلة تلك، أو قلة وكثرة الانشغال بالدنيا وتشعباتها الكثيرة.

ان اختلاف البيئات والعادات والمذاهب والمعتقدات وما شابه ذلك من الامور التي أثرت في السلالة البشرية، أثرت أيضاً في تشخيص متعلق الفطرة ومراتبه، وادى الى ايجاد اختلافات كبيرة، وليس في اصلها.

اذاً فجميع الشرور التي تصدر في هذا العالم من هذا الانسان المسكين، تأتي من احتجاب الفطرة، بل من الفطرة المحجوبة، بل ان الفطرة ذاتها اكتسبت طابعاً شريراً بالعرض واصبحت شريرة بسبب تداخلها واندكاكها بتلك الحجب، وذلك بعد ان كانت خيرة، بل وبعدها كانت خيراً^١.

[الكمال المطلق والجمال المطلق معشوق الفطرة]

إن الكمال والجمال المطلقين اللذين يعشقهما جميع البشر هما الحق تعالى جلّ جلاله فلقد ثبت بالبرهان أن الذات المقدسة هي بسيط الحقيقة^١ وبسيط الحقيقة لا بد من أن يكون كمالاً وجمالاً مطلقين وبقيّة الموجودات جلوة من جلوات فعله ورشحة من رشحات فيضه المقدس، فلكل منها محدودية حدود وظهور وهو التنزل من الكمال المطلق وهذا المعشوق الحقيقي وهو الذات المقدسة لا بد من أن يكون واحداً على الإطلاق وإلا خرج عن بساطة الحقيقة ولم يعد كمالاً مطلقاً. كما أن هذه الذات التي تعشقها سلسلة البشر قاطبة بفطرتها الأصلية، وهي واحدة لجميع الكمالات وإلا لخرجت عن الكمال المطلق. والمعشوق هو الكمال المطلق...

و حيث أن حقيقة الولاية عند أهل المعرفة عبارة عن الفيض المنبسط المطلق^٢ - وهو الفيض الخارج من جميع مراتب الحدود والمظاهر ويعبر عنه بالوجود المطلق - فالفطرة متعلقة بتلك الحقيقة وهي حقيقة الولاية، وهو حصول الفناء في الكمال المطلق. فحقيقة الولاية أيضاً من الفطر.

ولهذا فسرت ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾^٣ في الروايات الشريفة تارة

١. المقصود من بسيط الحقيقة هو الموجود الذي يخلو من اي واحد من اقسام التركيب الخارجي. فهو غير مركب من اجزاء خارجية كالمادة والصورة، ولا من اجزاء عقلية كالجنس والفصل، ولا اعتباري واتحادي ولا مقداري ولا انضمامي، ولا اسم ولا رسم. وهذا الموجود في عالم الوجود واحد وواجب الوجود بالذات ومن جميع الجهات. ولهذا السبب له كمال وجمال مطلق، وسائر الموجودات تجليات له.

٢. الفيض والمطاء الواسع والشامل وفاعله في حالة فيض وعطاء دائم، ولا محدودية له في هذا وهو لا يتوقف على غرض ولا عوض. راجع: رشحات البحار، ص ١٤، ٣٩، ٤١.

٣. سورة الروم (٣٠): ٣٠.

بفطرة المعرفة وأخرى بفطرة التوحيد وثالثة بفطرة الولاية ورابعة بالإسلام. وفي بعض الروايات عن الباقر عليه السلام أنه قال: ﴿بِفِطْرَةِ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾: لا إله إلا الله ومحمد رسول الله وعلي أمير المؤمنين ولي الله، وإلى هنا التوحيد. وهذا الحديث الشريف شاهد على مقالنا بأن الولاية من شعب التوحيد لأن حقيقة الولاية فيض مطلق، والفيض المطلق هو ظل الوحدة المطلقة، والفطرة متوجهة بالذات إلى الكمال الأصلي، وبالتبع إلى الكمال الظلي...^١

[كل موجود عاشق للكمالات بالفطرة]

إذن أعرض عن حديث لست أهلاً له وأتناول ما من شأنه أن يوصلك يا ولدي إلى شاطيء الأمان بفضل الله تعالى وعون أوليائه الكرام (ع) فتلك ﴿بِفِطْرَةِ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾؛ إن الاهتمام بهذه الفطرة سواء في العلوم والفضائل أم في المعارف وأمثالها أم في الشهوات والأهواء النفسية، وسواء الاهتمام بجميع الأشياء من قبيل أوثان المعابد أو المحبوب الدنيوي والأخروي والظاهري والخيالي والمعنوي والصوري نظير حب المرأة والولد والعشيرة والزعامة الدنيوية كالمملوك والأمراء والقادة والأخوية كالعلماء والعرفاء والأولياء والأنبياء (ع)، كل ذلك عين الاهتمام بالواحد الكامل المطلق؛ فلا ينبغي أن تحصل حركة إلا لبلوغ الحق تعالى، ولا تخطى خطوة إلا نحو ذلك الكمال المطلق.

١. يتناول سماحته هذا البحث من جانبين: أحدهما مثلما ان الانسان مجبول على التوحيد بالفطرة، كذلك هو مجبول على الولاية في توضيحها الخاص بمعنى. والآخر من حيث ان الولاية فيض الهي مطلق، والفيض المطلق يأتي في ظل الوحدة المطلقة. وللإطلاع على المزيد حول هذا البحث راجع ما كتبه في كتاب: مصباح الهداية، ص ٨٢-٨٣.
٢. شرح حديث جنود العقل والجهل، ص ٩٩-١٠٠.

ونحن الآن في حجب وظلمات بعضها فوق بعض، وكل الآلام والعناء والعذاب ناشيء من هذا الاحتجاب، وأول قدم لرفع هذه الحجب أن نعتقد بأننا محجوبون ونعزم على كسر هذا الطوق الذي كبل تمام وجودنا في السر والعلن والظاهر والباطن رويداً رويداً، وهذه «اليقظة» اعتبرها بعض أهل السلوك المنزل الأول، وليس القضية كذلك، بل إن هذه اليقظة مقدمة للدخول في السير؛ ورفع كافة الحجب المظلمة ثم النورانية عبارة عن الوصول الى أول منازل التوحيد، ولو سرنا بقدم العقل المكبلة لعزفت نفس النعمة وقالت: الكمال المطلق هو جميع الكمالات وإلا فليس مطلقاً، ويستحيل أن يظهر كمال وجمال وجميل في غير الحق تعالى، فهذه الغيرية عين الشرك إن لم نقل إلحاداً.

عزيزي: يجب أن تتقدم أولاً ماشياً مشية الأعرج بقدم العلم، وأي علم كان هذا فهو الحجاب الأكبر، ومع ولوجك هذا الحجاب تتعرف على أسلوب رفع الحجب.

فهلم بنا نسير نحو الوجدان عله يفتح لنا باباً؛ كل إنسان بل كل موجود عاشق للكمالات ومبغض وقالٍ للنقص بفطرته؛ فان كنت باحثاً عن العلم فكأنما تبحث عن الكمال، لذا يستحيل أن تقتنع فطرتك بأي علم نالته، وإذا علمت أن لهذا العلم مراتب أسمى طمحت إليها ورغبتها وأبغضت مألديها من علم لنقصه

١. اشارة الى الآية الشريفة ﴿وَإِذْ كَفَّلْنَا فِي بَحرٍ لَجِيٍّ يَنْشَاءُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ مَظْلَمَاتٌ بِغَضَبٍ فَوْقَ غَضَبٍ إِذَا أُخْرِجَ يَذَرُ لَمْ يَكُنْ يَرَاهَا﴾ (النور (٢٤): ٤٠).

٢. اليقظة هي الانتباه من نوم الغفلة. والسالك حين ينصرف عن الدنيا والانشغال بالأمور الزائدة على اثر المعرفة وتجلي الانوار الالهية، وهذا يُسمى في اصطلاح العرفاء يقظة. ويقول الخواجة عبد الله الانصاري ان اليقظة هي الافاقة من نوم الغفلة ومن ورطة الضلالة. ويعتبر هذا العمل اول مقام واول منزل في سلوك السائرين: راجع: الكاشاني، عبد الرزاق، شرح منازل السائرين، ص ٣٤ -

وتقيده وعشقت الأرقى لكمالها ؛ وان توجه مقتدر لقدرته فهذا توجه لكمال القدرة لا نقصها، لذا يبحث ذوو القدرات عن قدرات أعلى وأكبر من حيث لا يعلمون.

القدرة المطلقة موجود مطلق، وكلما أقبلت على شيء فقد أقبلت عليه وأنت لا تعلم أنه محبوب مثلك؛ ولئن أدركت هذا المقدار بالوجدان فمن المستحيل أن تلتفت الى شيء سوى الموجود المطلق، وهذه خزانة تغني الانسان عن غيره، وكل ما كسبه فمن المحبوب المطلق وكل ما سلب منه فالمحسوب المطلق سلبه منه، وفي هذه الحال تتلذذ بدم وهجر وثرثرة الأعداد ؛ لأنها من المحبوب لانهم، عندئذ لا تعشق سوى مقام الكمال المطلق.^١

[من الخصائص المهمة للسان، فطرته الالهية]

إن الانسان ممتاز من سائر الموجودات باللطيفة الربانية والفطرة الالهية - ﴿فَطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ - وهذه بوجه هي الأمانة المشار إليها في الكتاب العزيز الالهية: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾^٢.

وهذه الفطرة هي فطرة توحيد الله في المقامات الثلاثة^٣، بل رفض التعينات وإرجاع الكل إليه وإسقاط الإضافات حتى الأسمائية وإفناء الجلّ لديه. ومن لم يصل الى هذا المقام، فهو خارج عن فطرة الله وخائن في أمانة الله، وجاهل بمقام

١. صحيفة الإمام، ج ٢٠، ص ٤٣٨ - ٤٤٠. رسالة بعثها الى ولده السيد احمد الخميني بتاريخ

١٤٠٨/٣/٢٦

٢. الأحزاب (٣٣): ٧٢.

٣. المقصود بالمقامات الثلاثة، توحيد الله في الذات والصفات والافعال. اي ان الانسان يدرك بفطرته

اجملاً وحدانية الله في الذات والصفات والافعال.

الانسانية والربوبية، وظالم لنفسه والحضرة الالهية^١.



[تقسيم الفطرة الى اصلية وتبعية]

اعلم أنّ الله تعالى و إن أفاض على المواد القابلة ما هو اللائق بحالها من غير ضنة وبخل - و العياذ بالله - ، و لكنّه تعالى فطر النفوس سعيدها و شقيها، خيرها و شريرها على ﴿فطرة الله﴾ ؛ أي العشق بالكمال المطلق فجلت النفوس بقضها و قضيتها إلى الحنين إلى كمال لا نقص فيه و خير لا شر فيه و نور لا ظلمة فيه و إلى علم لا جهل فيه و قدرة لا عجز فيها. و بالجملة: الإنسان بفطرته عاشق الكمال المطلق، و تبع هذه الفطرة فطرة اخرى فيها هي فطرة الانزجار عن النقص أي نقص كان. و معلوم أنّ الكمال المطلق و الجمال الصرف و العلم و القدرة و سائر الكمالات على نحو الإطلاق بلا شوب نقص و حد، لا توجد إلّا في الله تعالى فهو هو المطلق و صرف الوجود و صرف كلّ كمال، فالإنسان عاشق جمال الله تعالى و يحنّ إليه و إن كان من الغافلين. و في الروايات فسرت الفطرة بفطرة المعرفة و فطرة التوحيد^٢ ﴿أَلَا بِذِكْرِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ و إليه المرجع و المآب و المصير و هو تعالى غاية الغايات و نهاية المآرب، فهو تعالى بلطفه و عنايته فطر الناس على هاتين الفطرتين: الفطرة الأصلية هي فطرة العشق بالكمال المطلق، و الفطرة التبعية هي الفطرة الانزجار عن النقص؛ لتكونا براق سيره و رفراف معرجه إلى الله تعالى، و هما جناحان

١. صحيفة الإمام، ج ١، ص ٩، من رسالته العرفانية، ١٣٥٤/٣/٢٧.

٢. الكليني، اصول الكافي، ج ٢، ص ١٢، ح ٣، الصدوق، كتاب التوحيد، ص ٣٣٠، الباب ٥٣،

الأحاديث ١ و ٢ و ٤ و ٥.

بهما يطير إلى وكره و هو فناء الله و جنباه.^١

[كمال كل موجود تبعاً لذاته وعلى اساس ادراكه

[الفطري]

كانت الاخلاق الانسانية الصحيحة و كل ما هو في صلاح الإنسان هدفهم منذ البداية، وان يربوهم على تلك العقائد وان يلتزموا بكافة الأحكام التي امروا بها، كل هذه الامور تأتي بهدف ان يتربى الإنسان وان يبلغ الهدف المرسوم وفقاً لفطرته، ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾.

إنها فطرة التوحيد فطرة الله الموجودة عند الجميع، فحتى الكافر ينشد شيئاً ويطلبه ويريد ان يصل اليه ولكنه لا يعلم ولا يشعر انه يبحث عن الكمال المطلق، ويحسب ان ذلك هو الكمال. فكل عمل يؤدبه الإنسان يعتبره شيئاً جيداً وفيه نوع من الكمال. حتى قطاع الطرق يرون في قطع الطريق على الناس نوعاً من الكمال، ويتفاخرون بذلك. فالجميع يبحثون عن الله ولكنهم لا يعلمون. الإنسان يريد الله ولكن الانحرافات تحول دون ذلك وتطفئ فطرته.^٢

[في التحليل العقلي، كل ثناء يعود عليه]

ولكن من أين أبدأ؟ فالأفضل أن أبدأ بالفطرة ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ لا تبديل لخلق الله ﴿﴾ واكتفي هنا بالفطرة الانسانية وإن كان ماذكر عنها من خواص

١. الطلب والارادة، ص ٨٥ - ٨٧.

٢. صحيفة الإمام، ج ١٢، ص ٥٠٩، خطاب بتاريخ، ١٤٠٠/٨/٢٢.

الخليقة ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾^١
 فالجميع يقولون «إننا نسمع ونبصر ونعي ولكننا نسكت عنكم لأنكم غير
 جديرين بمعرفة ذلك»^٢.

إننا ننظر الآن إلى العرفان الفطري عند البشر فنقول بأن الانسان لا يمكنه أن
 يتجه نحو شيء غير الكمال المطلق حسب فطرته وخلقه ولا يمكن أن يتعلق
 بغيره، إن جميع النفوس والأفئدة تهوي إليه ولا تريد غيره فالجميع يحمده
 ويشنون عليه والثناء على شيء يعني الثناء عليه فالذي يشني يظن بأنه يشني على
 غيره. مادام الحجاب يحيط بقلبه. وكذا الأمر في التحليل العقلي الذي هو
 حجاب آخر.

إن من يطلب الكمال - كاتنا ما كان - فإن في قلبه حباً للكمال المطلق لا
 الناقص. فكل كمال ناقص محدود بعدمه وإن الفطرة تكره العدم. إن طالب العلم
 يريد العلم المطلق وهو يحب العلم المطلق، وكذا طالب القدرة وطالب أي
 كمال آخر. إن الانسان بفطرته يحب الكمال المطلق، فهو يبحث في الكمالات
 الناقصة عن الكمال الذي ليس ناقصاً. فالفطرة تكره ذلك والحجب النورانية
 والمظلمة هي التي توقع الانسان في الخطأ.

فالشعراء المادحون يظنون بأنهم يمدحون الأمير القوي الفلاني، أو الفقيه
 العالم الفلاني، إنهم يمدحون القدرة والعلم لايشكلهما المحدود وإن ظنوا بأن ما
 يريدونه محدود. فلن تتغير هذه الفطرة ﴿لَا تُبَدِّلُ لَخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾^٣.

١. الاسراء (١٧): ٤٤.

٢. المثنوي المولوي؛ المجلد الثالث، البيت ١٠١٩، شرح الدكتور استعلامي، ج ٣، ص ٥٢.

٣. استمرار آية الفطرة (الروم (٣٠): ٣٠).

٤. صحيفة الإمام، ج ١٨، ص ٤٤٢ - ٤٤٣.

[بالادراك الفطري يتضح فقر وحاجة جميع الموجودات الى الموجود الكامل]

سواء كان العالم ازلياً وابدياً أم لا، وسواء كانت سلسلة الموجودات غير متناهية أم لا، فإنها كلها فقيرة لان الوجود ليس ذاتياً لها. وانت اذا نظرت بالاحاطة العقلية إلى جميع السلاسل غير المتناهية فانك ستسمع صوت الفقر والاحتياج الذاتي في وجودها وكمالها بالوجود الذي هو موجود بالذات والكمالات، ذاتية له.

وإذا خاطبت بالمخاطبة العقلية السلاسل الفقيرة بالذات قائلاً: ايها الموجودات الفقيرة، من الذي يستطيع سد احتياجاتك؟ فإنها جميعها ستصرخ بلسان الفطرة: نحن محتاجون إلى موجود ليس فقيراً مثلنا في الوجود وكمال الوجود؛ على ان هذه الفطرة نفسها ليست منها هي نفسها «فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله».

ان فطرة التوحيد من الله والمخلوقات الفقيرة بالذات لا تتبدل إلى الغني بالذات وهذا التبديل غير ممكن. ولانها فقيرة ومحتاجة فان احدا لا يستطيع رفع فقرها سوى الغني بالذات. وهذا الفقر الذي هو لازم ذاتي لها هو دائم، سواء كانت هذه السلسلة ابدية أم لا.^١

١. المصدر السابق، ج ١٦، ص ٢٠٧ - ٢٠٨، رسالة أخلاقية وعرفانية بعثها الى ولده السيد احمد الخميني بتاريخ ١٤٠٣/٧/١٤. وللمزيد من التوضيح والاستفادة من التمثيلات، راجع: المصدر السابق، ج ١٤، ص ٢٠٩.

[تلخيص بحث الفطرة]

في ختام بحث الفطرة وما جاء في تراث سماحة الامام الخميني من توضيحات مختلفة حول هذا البحث، نود الاشارة الى ان هذا البحث من اكثر الموارد تفصيلاً من بين الآيات التي تناولها بالتفسير. ونشير في البداية الى ما يلي: اولاً: نعرض تلخيصاً لعموم الكلام لكي تتكون لدينا فكرة عن المباحث التي طرحها.

ثانياً: نبين ما معنى مفهوم الفطرة طبقاً لما طرحه من توضيحات بشأنها.

وهنا نأتي على بسط الكلام حول النقطتين السابقتين:

الاولى: يتضح من خلال النظرة العامة - وبغض النظر عن التكرار في بعض المباحث الذي وقع بسبب تنوع الكتب انه طرح في بداية الامر المعنى اللغوي والاصطلاحي للفطرة وفقاً للثقافة القرآنية. ففي الثقافة القرآنية يُقال بان الفطرة هي عبارة عن الحالة والهئية التي بُنيت عليها طينة الانسان وميزته عن جميع المخلوقات الاخرى. وليست هناك اية فوارق بين الناس في هذه الفطرة، ولا يؤثر فيها اي من عوامل اللغة والعلم والعادات والاديان والمذاهب.

كما ان اختلاف درجات الفهم وضعف أو قوة الادراك عند الناس لا ينتقص من هذه الفطرة، ومع كل هذا فان الناس عموماً غافلون عن وجود هذه الفطرة فيهم ولذلك فهم يظنون بأنهم مختلفون.

ويشير في القسم الآخر من مباحثه الى اهم مسائل الفطرة وهو ادراك وجود المبدأ والمنتهى، ويطرح ذلك بأسلوبه وبيانه الخاص.

والمسألة التالية التي تناولها بالبحث هي بيان كيفية فطرية الدين، فهو يبدأ بتبيين مسألة الفطرة من نزعة حب الكمال المغروسة في ذات الانسان، وحب الكمال هذا - الذي يتفق بشأنه الناس أجمعين - هو الركيزة في ادراك وجود

المبدأ تعالى. فالناس - مع اختلافهم في الدوافع والخصال - يسرون نحو الكمال. وعندما يصلون الى ما يظنونه كاملاً ويجدون ناقصاً، يبحثون بعدئذ عمّا هو اكمل منه، ويتفانون في سبيل الوصول إليه، وبعدها يصلون الى هذا الكامل، يبادرون الى السير نحو ما هو اكمل منه. وبما ان هذا الطريق لا نهاية له لكي يصل الى موجود لا نقص فيه، ويكون ذا حياة مطلقة وقدرة مطلقة وعلم مطلق، وعندها يقر قراره. ولهذا فان من ضرورات السعي الى الكمال، حب الكامل ووجود الكامل المطلق والميل الى الارتباط به. وهذا المعنى ينطبق على المعاد أيضاً؛ فالناس يدركون ضرورة المعاد وواقعيته بواسطة هذه الفطرة الميالة الى البحث عن الحقيقة. وبحثه الآخر في بيان حقيقة الفطرة؛ حيث يقسمها الى قسمين أصلي وتبعي، واستقلالي وعرضي. وبعبارة اخرى يمكن ان يسميها أيضاً بالايجابي والسلبى.

وبعد الانتهاء من هذا البحث يأتي على جرد مشاكل الفطرة وآفاتها حيث ان الفطرة عند بعض الناس تراكم عليها الحُجب تارة، وفي هذه الحالة تصبح وزيراً للجهل، وتارة اخرى تزيع عنها الحجب، وفي هذه الحالة تغدو وزيراً للعقل.

ثم يعود بعد ذلك الى البحث الاول الذي بين فيه ان الكمال المطلق والجمال المطلق هو ما تحبّه الفطرة وتميل إليه. وهذا هو ما يدفع الانسان نحو هذا الاتجاه. واذا ضلّ السبيل فما ذلك الا بسبب الحجب وعدم القدرة على التشخيص واتباع الطريق المغلوط. والمسألة الاخرى التي يأتي عليها هي ان الفطرة من أهم خصائص الانسان وكمال كل موجود يتحدد حسب ذاته وعلى اساس مدى ادراكه الفطري.

والثانية: في ضوء هذه التوضيحات التي قدّمها حول معنى الفطرة، تتبيّن لنا مجموعة من الامور التي نوجزها في ما يلي:

١. افتراض تصور الفطرة متساوية لدى كل الناس وبغض النظر عمّا بينهم من

اختلاف في اللون والمستوى الفكري والثقافي وتباين الافكار والموقع الجغرافي الذي يعيشون فيها، وعلى مدى القرون والاعصار؛ وذلك لانها مودعة في ذات الانسان وهو مجبول عليها من حيث كونه انساناً.

٢. هناك تفاوت بين الفطرة والغريزة لدى بني الانسان؛ وكل ما يتعلّق بالبعد المشترك بين الناس وسائر الموجودات يعود الى الغريزة، واما ما يتعلّق بالبعد الذاتي للانسان فيعود الى الفطرة.

٣. السبب المهم لفهم الفطرة هو ان الانسان يدرك عن طريق الوعي والعلم الحضوري مجموعة من الامور التي يتوصل اليها بالوجدان والضمير دون اية ضرورة لدليل خارجي. وعند التأمل في هذا المعنى تكون الفطرة قابلة للفهم والادراك. ولهذا السبب فان الوجود والعلم والمعرفة والادراك وقيمة هذه الامور مجبولة في الفطرة ولا يحصل عليها احد عن طريق الاكتساب، وهي من الامور البديهية واطهر الضروريات.

٤. فطرة الانسان لا تقتصر على ادراك المبدأ والمعاد، ولا تتوقف عند استيعاب قضايا الرؤية الكونية والمعتقدات، وتشمل جميع المعارف الاسلامية الحقة. بل ويمكن تقسيم هذه الفطرة الى قسمين:

القسم الاول: ما يتعلّق بالامور الموجودة في هذا العالم والواقعات فيه، وهو ما يدركه الانسان بالفطرة.

القسم الثاني: الامور التي يدرك بفطرته ضرورة فعلها أو تركها ويعلم هل مثل هذه الامور ينبغي فعلها أم تركها.

٥. ان الفطرة لا تعني المعرفة قبل الولادة (حسبما تفيد نظرية المُثُل الافلاطونية) وعندئذ تتعارض مع الآية الشريفة: ﴿وَاللّٰهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (النحل: ٧٨)؛ وانما الفطرة بمعنى عدم الحاجة الى التعليم والاستدلال.

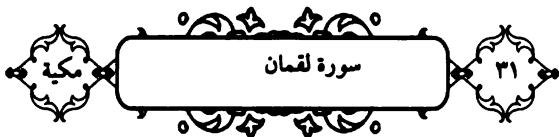
٦. ان اهم حقيقة في الفطرة وأهم سبب لسريان حركة الفطرة لمعرفة وجود الخالق في رأي الامام الخميني، نزعة حب الكمال والبحث عن الحقيقة. ومن هنا تنطلق الافعال الاخرى للانسان.

٧. ان أهم النوازع في ذات الانسان هي نوازع الخير والفضيلة، وحب الجمال والنفور الظلم والقبح، والرغبة في الابداع والخلاقية، والعشق والعبادة، وبهذه النوازع والتوجهات تتبلور شخصية الانسان.

٨ الفطرة هي الحالة والهيئة التي خُلِقَ عليها الانسان، وهي من ألطاف الله به. وهذا المعنى من مختصات الانسان. واذا كان لدى الموجودات الاخرى شيء منها فهو ناقص، وليس لها منه الا الخط القليل.

٩. تُقسم الشؤون الفطرية الى قسمين: أصلي وفرعي؛ بمعنى ان احدهما أساسي وهو مصدر الادراكات والتوجهات لدى الانسان، والقسم الآخر فرعي وتابع للفطرة الأصلية، ومنه مثلاً حب الكمال المطلق والخير والسعادة المطلقة واما فطرة النفور من النقص والامتعاض من الشر والشقاء فهي تابعة للادراك الاولي وفرع منه.





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ ٦

[معنى لهو الحديث ومصاديقه]

ومما ذكرناه يظهر الكلام في طائفة أخرى من الروايات وهي المفسرة لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾: كرواية محمد بن مسلم عن أبي جعفر - عليه السلام - ولا يبعد أن تكون موثقة - قال: سمعته يقول: «الغناء مما وعد الله عليه النار»، وتلا هذه الآية: ﴿وَمِنَ النَّاسِ...﴾ وقريب منها روايات أخرى^١.

١. وسائل الشريعة، ج ١٢، ص ٢٢٦، كتاب التجارة، الباب ٩٩ من أبواب ما يكتسب به، ح ٦.

٢. نفس المصدر والباب، الأحاديث ٧، ١١، ١٦، ٢٠ و٢٥.

ووجه دخوله في لهو الحديث هو الوجه في دخوله في قول الزور. نعم، هنا كلام آخر، وهو أن الظاهر من الآية أن لهو الحديث قسمان، والمحرم منه هو ما يشتري وتكون الغاية به إضلال الناس عن سبيل الله، وغاية ما تدلّ الروايات هو كون الغناء داخلاً فيها، ومقتضاه أن يكون الغناء قسمين: محرّم هو ما يوجب الإضلال ومحلل هو غيره.

ويمكن أن يقال: إن المراد بالإضلال عن سبيل الله ليس خصوص الإضلال عن العقائد، بل جميع الواجبات فعلاً والمحرمات تركاً من سبيل الله، وكل شيء يوجب ترك واجب أو فعل محرّم يكون صادراً عن سبيل الله ومضلاً عنه. فلو تعلم أحد أحاديث لهوية ليحدثها على قوم يوجب تحديثها ولو اقتضاء ترك معروف أو فعل منكر، يصدق عليه أنه اشترى لهو الحديث ليضلّ عن سبيل الله. فحينئذ نقول: لولا الروايات المفسرة كان ظاهر الآية حرمة اشتراء لهو الحديث، أي الأخبار الموجبة بمدلولها لإلهاء الناس وإضلالهم عن سبيل الله، كما ورد في سبب نزولها أن النضر بن الحرث كان يخرج إلى فارس فيشتري أخبار الأعاجم ويحدث قريباً ويصرفهم عن استماع القرآن، فلم تكن شاملة للغناء الذي هو من كميّات الصوت ولا دخل له بمدلول الحديث ومضمونه.

لكن بعد تفسيرها به وقلنا بدخوله فيها بالتقريب المتقدّم في الآية المتقدمة^٢ يصدق على من تعلم الغناء للتغني أنه اشترى لهو الحديث ليضلّ عن سبيل الله، إمّا لأنّه بنفسه حرام وبإيجاده يخرج المغني والسامع عن سبيل الله، وإمّا لأنّه

١. راجع: حاشية المكاسب للعلامة الميرزا محمد تقي الشيرازي، ص ٩٠، في بيان حرمة الغناء.

٢. مجمع البيان، ج ٨ - ٧، ص ٤٩٠؛ وأيضاً تفسير الكشاف، ص ٢١٠، في ذيل الآية ٥ من سورة لقمان.

٣. إشارة إلى الآية الشريفة: (وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ) في سورة الحج (٢٢): ٣٠. التي طرحت في كتاب المكاسب المحرمة، ج ١، ص ٣٠٧.

بذاته مع تجريده عن معاني الألفاظ ومع سماعه و عدم فهم المعنى ممّا يترتب عليه ولو اقتضاء الصدّ عن سبيل الله والغفلة عن ذكر الله وربّما ينجرّ به إلى فعل الكبائر وترك الواجبات كما عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «الغناء رقية الزنا»^١.

ومع العلم بأنّ ذلك من مقتضيات ذات الغناء وتعلّمه للتغني، يصدق أنّه تعلّم للإضلال، أي تعلّم ما يترتب عليه ذلك.

فلا يقال: إنّ التغني بالمواعظ والقرآن لا يترتب عليه ذلك، لأنّ هذا من مقتضيات نفس الغناء لوجرد عن مداليل الألفاظ، والمفروض أنّ الغناء بذاته داخل في الآية كما هو مفاد الأخبار. مع أنّ مقتضى إطلاق الأخبار أنّ مطلق الغناء داخل في الآية وأوعد الله عليه النار. مع أنّه قلّمًا يتفق لشخص أن يكون غاية تعلّمه للغناء أو تغنيّه، الإضلال عن سبيل الله والصدّ عنه.

فعلية يكون عدّ الغناء من الآية بنحو الإطلاق على الاحتمال المتقدّم في الإشكال كحمل المطلق على الفرد النادر جدّاً. فقلوه: «الغناء ممّا وعد الله عليه النار»^٢ في الآية مع عدم دخوله فيها إلّا ما هو نادر كالمعدوم يعدّ مستهجنًا قبيحاً. فلا بدّ وأنّ تحمل اللام على النتيجة أعمّ من كونها غاية أوّلاً، فلا ينافي ذلك ما ورد في شأن نزولها، كقلوه تعالى: ﴿فَأَلْقَاهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾^٣ وكقول الشاعر: «لدوا للموت وابنوا للخراب»^٤.

١. مستدرك وسائل الشيعة، ج ١٣، ص ٣١٤، كتاب التجارة، الباب ٧٨ من أبواب ما يكتب به، ح

١٤

٢. وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٢٦، كتاب التجارة، الباب ٩٩ من أبواب ما يكتب به، ح ٦.

٣. سورة القصص (٢٨): ٨.

٤. راجع: نهج البلاغة، صبحي الصالح، الحكمة ١٣٢.

والإنصاف أن دلالة الطائفتين المتقدمتين على حرمة الغناء بذاته لا تأمل فيها.^١
**﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ
 فَخُورٍ﴾ ١٨**

[العلاقة بين الحكمة الواقعية والتواضع وترك مدح النفس]

إن من بين الحكماء أيضاً أناساً، يرون أنهم بما يملكون من براهين ومن علم بالحقائق، ويكونهم من أهل اليقين بالله وملائكته وكتبه ورسله، ينظرون إلى سائر الناس بعين التحقير، ولا يعتبرون علوم الآخرين، علوماً، ويرون عباد الله جميعاً ناقصي علم وإيمان، فيتكبرون عليهم في الباطن، ويعاملونهم في الظاهر بكبرياء وغرور، مع أن العلم بمقام الربوبية، وفقر الممكن «المخلوق»، يقضيان بخلاف ذلك. والحكيم من تحلّى بملكة التواضع بوساطة العلم بالمبدأ والمعاد. لقد وهب الله لقمان الحكمة بنص القرآن الكريم؛ فمن جملة وصايا ذلك العظيم لابنه، كما ورد في القرآن الكريم: **﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾**^٢.

[بقاء الصورة الجوهرية في كل حال]

رغم ان الصورة الجوهرية عابرة وتمرّ في حركتها كمرّ السحاب، إلا انها باقية بما سبق ان ذكرناه سابقاً لبقائها من البيانات المختلفة.

١. المكاسب المحرمة، ج ١، ص ٣١٢ - ٣١٤.

٢. اشارة الى الآية الشريفة ٢٨٥ من سورة البقرة.

٣. ولقد اتينا لقمان الحكمة أن أشكر لله. لقمان (٣١)، ١٢.

٤. شرح الأربعون حديثاً، ص ٨٢ - ٨٣.

وان تمرّ مرّ السحب" إشارة الى أمثال قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ وقوله تعالى: ﴿أَفَعَبْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي نَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ شاهد على بقاء الشيخ لمثل من كان في عنفوان الشباب رغم التبدلات التي مرّت عليه من أوّل الى آخر عمره. وهذا المقطع من البيت الشعري "كالشيخ عين الشارخ الطار الصبي" تشبيه لعالم الكبير بعالم الصغير، كما قال الله تعالى: ﴿مَا خَلَقْكُمْ وَلَا بَعَثْكُمْ إِلَّا كُنُفُسٍ وَاحِدَةً﴾^٢.

لأن الانسان بكلّ ما يطرأ عليه من تبدلات واضحة روحية وجسدية في أوّل التكوّن ﴿لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكَورًا﴾، وبعد ذلك يتجانس مع العناصر، ثم يرتقى في ما بعد. مثلاً في أوّل طفولته ما كان من اعجز الموجودات، ثم يرتقى في الكمال حتى انه ربّما يبلغ ما بلغه سليمان الذي صار خليفة الله وحكماً وعالماً ومقتدراً ومالكاً للشرق والغرب، رغم انه ما وجه التناسب بين الشمس البيضاء والحرباء.^٣ وخلاصة الكلام هي ان الانسان الذي له مثل التفاوت في أوّله وآخره، عين ذلك الهيكل المحسوس، لهو اعجز المخلوقات.^٤

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾^٥

١. النمل (٢٧): ٨٨

٢. ق (٥٠): ١٥

٣. لقمان (٣١): ٢٨

٤. الانسان (٧٦): ١

٥. الحرباء حيوان من فصيلة الزواحف تعيش بين الاعشاب والاشجار وعلى الصخور وتلون تبعاً لطبيعة ولون المنطقة التي تكون فيها.

٦. الملاحظة التي تسترعي الاهتمام في هذا البحث الفلسفي هي سهولة حفظ جوهر الموجودات مع تبدل صورتها، كما اعتبر الله في الآية الشريفة موضوع الخلق كبعث الموجودات من عالم القبر.

٧. تقارير فلسفة الإمام الخميني، ج ٢، ص ٥٠٥-٥٠٦.

[على احد الآراء، الباء بمعنى "من"]

ونقل عن ابن عباس مجيئها بمعنى «من» في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي لِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ﴾، ومثله قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾؛ أي من علم الله^{١٢}.



١. لقمان (٣١): ٣١، مجمع البحرين ٤، ص ١٩٦.

٢. هود (١١): ١٤، مجمع البحرين ٤، ص ١٩٦.

٣. أي ألم تروا الفلك تجري في البحر بنعمة الله. وهذه النعمة واحدة من النعم الالهية. وبعبارة اخرى اذا كانت الباء في "نعمة" سببية، يكون المعنى ان هذه الحركة تجري بعناية الله وقدرته. واما اذا

كانت هذه الباء بمعنى "من" يكون المعنى ان هذه الحركة واحدة من آيات الله وقدرته.

٤. كتاب الطهارة، ص ٤٤٧.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ ١١

[عدم استقلال العطل عند الباري تعالى]

الآيات الواردة في قضية خضر و موسى - على نبينا و آله و عليهما السلام - فإن فيها إشارة لطيفة إلى هذه الحقيقة. و الآيات التي وردت فيها نسبة التوفي تارة إلى الله تعالى فقال: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾، و اخرى إلى ملك الموت فقال: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾، و ثالثة إلى الملائكة فقال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةَ﴾^١.

﴿تَتَجَالَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ ١٦ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا

١. الزمر (٣٩): ٤٢.

٢. رسالة الطلب والإرادة، ترجمة السيد احمد الفهري، ص ٥٦، وكذلك هذا الكتاب، ص ٨٥.

يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾

[اهمية صلاة الليل]

وعن علي بن إبراهيم بإسناده عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «مَا مِنْ عَمَلٍ حَسَنٍ يَعْمَلُهُ الْعَبْدُ إِلَّا وَكَلَهُ ثَوَابٌ فِي الْقُرْآنِ إِلَّا صَلَاةَ اللَّيْلِ فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يُبَيِّنْ ثَوَابَهَا لِعَظِيمِ خَطَرِهَا عِنْدَهُ فَقَالَ: ﴿تَتَجَالَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»!

[المراد من قرّة العين]

ترى ما «قرّة العين» هذه التي يدخرها الله ويخفيها حتى لا يعلم أحد عنها شيئاً، وما يمكن أن تكون؟ فلو كانت من قبيل «أنهار جارية» و«قصور عالية» ومن نعم الجنة المختلفة، لذكرها الله، مثلما بيّن ما للأعمال الأخرى وأطلع الملائكة عليها. ولكن يبدو أنها ليست من ذلك السنخ، وأنها أعظم من أن ينوّه بها لأحد، وخصوصاً لأحد من أهل هذه الدنيا. إنه لا تقارن نعم ذلك العالم بالنعيم هنا، ولا تظن أن الفردوس والجنان تشبه بساتين الدنيا، أو ربما أوسع وأبهى. هناك دار كرامة الله ودار ضيافته. فكل هذه الدنيا لاشيء إزاء شعرة واحدة من الحور العين في الجنة. بل ليست شيئاً إزاء خيط من خيوط الحلل الفردوسية التي أعدت لأهل الجنة. ومع كل هذا الوصف، لم يجعلها الله ثواب من يؤدي صلاة الليل، وإنما ذكرها من باب التعظيم له. ولكن هيهات! نحن الضعفاء في الإيمان لسنا من

أصحاب اليقين، وإلا لما كنا نستمر في غفلتنا، ونعائق النوم حتى الصباح. لو أن يقظة الليل تكشف للإنسان حقيقة الصلاة وسرّها، لأنس بذكر الله والتفكير في الله، ولجعل الليالي مركوبة للعروج إلى قربه تعالى^١ ولما كان ثمة ثواب له إلا جمال الحق الجميل وحده.^٢



[رجاء رحمة الله والطمع فيها من لوازم الفطرة الإلهية]

ويقول في وصف المؤمنين ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾^٣.

وكما أن الرجاء للحق تعالى، والطمع برحمته الواسعة، والتطلع إلى نبع فيض ذاته المقدسة، هي من شعب التوحيد، ومن لوازم الفطرة الإلهية المخمرة، فقطع الطمع من غيره من الموجودات، والتفاضي عما في أيدي الناس، هما أيضاً من لوازم فطرة الله، كذلك فإن الطمع إلى غير الحق، والرجاء إلى المخلوق من شعب الشرك ووساوس إبليس، ومخالفة للفطرة، ومن لوازم الإحتجاب.^٤

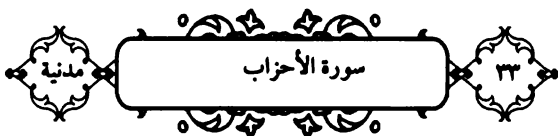
١. إشارة الى قوله تعالى في صلاة الليل: ان ناشئة الليل هي أشد وطناً وأقوم قبلاً ان لك في النهار سبحاً طويلاً. المزمّل (٧٣): ٦ - ٧. وقول الإمام الحسن العسكري (ع): الوصول إلى الله سفر لا يدرك إلا بامتطاء الليل. مقدمة كتاب سر الصلاة، ص ١٢.

٢. شرح الأربعون حديثاً، ص ٢٠٤ - ٢٠٥.

٣. سورة السجدة (٣٢): ١٦.

٤. شرح حديث جنود العقل والجهل، ص ١٩٦.





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ ١

[الامر للنبي بالتقوى ليس دليلاً على عدم تقواه]

المصالح الإسلامية اليوم تقتضي أن تتفق جميعاً لا أن نطرح كل يوم موضوعاً لإضعاف الحكومة أو المجلس أو بعض الشخصيات المرموقة. أنا أنصح الحكومة بأن تشرك أبناء الشعب في أعمالها. لأنكم لا تقدرّون على القيام بالأعمال لوحدهم، ولا يمكن ذلك. إذ نرى فجأه أن الشياطين يهاجمون الدولة من جميع الجهات بأنكم كنتم تعملون دائماً بما يغير الشرع. عند ما ينصح الله تبارك وتعالى نبيه لقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ فهذا يعني في رأيكم أن النبي (ص) لم يكن متقياً ليقول له الله: ﴿اتَّقِ اللَّهَ﴾! إِنَّ اللَّهَ تبارك وتعالى

يقول للمؤمنين جميعاً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾، فيقتضي أنّ المؤمنين لم يكونوا متقين ليقول لهم الله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾^١.

﴿الَّتِي أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾^٢

[المراد من الاولوية الامارة]

نحن نستطيع ان نستفيد من قوله تعالى: ﴿الَّتِي أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾، ان منصب الولاية ثابت للعلماء أيضاً، بيان ان المراد من الاولوية في أقل تقدير هي الولاية والامرة كما ورد ذلك في مجمع البحرين تعقياً على هذه الآية في حديث عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنه قال: «أنها نزلت في الامرة، يعنى الامارة»^٣. فالنبي ولي للمؤمنين، وأمير عليهم، وكل ذلك ثابت للعلماء، مع ان

١. البقرة (٢): ٢٧٨؛ الحديد (٥٧): ٢٨؛ الحشر (٥٩): ١٨.

٢. للاطلاع على ما يشابه هذا التفسير والفهم للآية، راجع: صحيفة الإمام، ج ١٧، ص ٣٨٠. والملاحظة التفسيرية التي يطرحها سماحة الامام استناداً الى هذه الآية هي ان الله حينما يدعو المؤمنين الى التقوى فليس معنى ذلك انهم الآن غير متقين. وهذه الجملة ليست ذات طابعي سلبى.

٣. صحيفة الإمام، ج ١٩، ص ٦٧.

٤. مجمع البحرين، ج ١، ص ٤٥٧.

الآية ذكرت النبي بما هو نبي من غير اضافة أعتبار آخر^١.

[مقام ولاية وحكومة النبي على المؤمنين]

ثبوت الولاية والحاكمية للامام (عليه السلام) لا تعني تجرده عن منزلته التي هي له عند الله، ولا تجعله مثل من عداه من الحكام. فإن للامام مقاماً محموداً ودرجة سامية وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون، وان من ضروريات مذهبنا ان لائمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب، ولا نبي مرسل. وبموجب مالدينا من الروايات والاحاديث فان الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) والأئمة (عليهم السلام) كانوا قبل هذا العالم أنواراً فجعلهم الله بعرضه محققين، وجعل لهم من المنزلة والزلفى ما لا يعلمه إلا الله^٢. وقد قال جبرئيل - كما ورد في روايات المعراج -: لو دنوت انملة لاحتقرت^٣. وقد ورد عنهم (عليهم السلام): ان لنا مع الله حالات لا يسمعها ملك مقرب ولا نبي مرسل^٤. ومثل

١. المقصود بالوصف العنواني هو الوصف الذي يتصف بعنوان ذلك الوصف التي يقصد بها هنا نبوة النبي. بمعنى ان مثل هذه الولاية لم تأت بالنسبة الى الشخص، ولهذا السبب ثبت لمن في الطريق وتنزل هذه المرتبة.

وقد يقول قائل بان مثل هذه الولاية ثابتة للنبي ولا يمكننا سحب هذه الولاية على الآخرين. والوصف العنواني غير كاف لتسرية الحكم، وأنم يجب احراز تساوي العنوان. مثلاً ثبت وحدة الحكم بين عنوان النبي والعالم والفقهاء. ويبدو من الصعب اثبات مثل هذا الشيء.

٢. ولاية الفقيه، ص ١٠٠.

٣. بصائر الدرجات، ج ١، ص ٢٠ - الباب ١٠؛ بحار الأنوار، ج ٢٥، ص ١٣٠.

٤. بحار الأنوار، ج ١٨، ص ٣٨٢، باب اثبات المعراج ومعناه وكيفية.

٥. الاربعون، العلامة المجلسي، ص ١٧٧، شرح حديث ١٥؛ الكلمات المكنونة، ص ١٠١، بتغيير يسير

في العبارة؛ بصائر الدرجات، ص ٢٣، الباب ١١.

هذه المنزلة موجودة لفاطمة الزهراء (عليها السلام)، لا بمعنى أنها خليفة أو حاكمة أو قاضية، فهذه المنزلة شيء آخر وراء الولاية والخلافة والأمرة، وحين نقول: ان فاطمة (عليها السلام) لم تكن قاضية أو حاكمة أو خليفة، فليس يعني ذلك تجردها عن تلك المنزلة المقربة، كما لا يعني ذلك أنها امرأة عادية من أمثال ما عندنا. وإذا قال قائل: النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم، قد أقر له بمرتبة هي فوق كونه ولياً أو حاكماً على المؤمنين.^١

[المراد من الاولوية الامور الاعتبارية والولاية]

الولاية كغيرها يمكن انتقالها الى الآخرين في نظر عرف العقلاء. وإذا نظرنا في قوله تعالى: ﴿الَّتِي أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ وتأملنا في قوله (عليه السلام): «العلماء ورثة الانبياء»^٢ عرفنا ان الولاية من الأمور الاعتبارية التي يمكن انتقالها، وذلك غير مستحيل عرفاً.^٣

[النبي اسوة في التضحية لاجل الاسلام]

إننا قدمنا شهداءنا بكل حزن وبكل فخر في سبيل الهدف الذي هو قلب النظام الطاغوتي ورفع راية الإسلام الخفاقة، وهذا هو بعينه طريق الإسلام ومنهج المسلمين الحقيقيين في صدر الإسلام، وسيظل كذلك طول التاريخ «ولكم في

١. علل الشرائع، ج ١، ص ١٢٣، الباب ١٤٣، ح ١١ معاني الأخبار، ص ٦٤ و ١٠٧ بحار الأنوار، ج ٤٣، ص ١٢.

٢. ولاية الفقيه، ص ٥٣ - ٥٤.

٣. الكليني، اصول الكافي، ج ١، ص ٤٢، كتاب فضل العلم، باب ثواب العالم والمتعلم، ح ١.

٤. ولاية الفقيه، ص ١٠١.

رسول الله أسوة حسنة».

لقد ضحى رسول الله بكل ما يملكه في سبيل الإسلام، ليرفع راية التوحيد،
وعلينا أن نضحى بكل ما نملكه حتى تظل راية التوحيد خفاقة تأسياً بهذا الرجل
العظيم^١.

﴿وَقُرْآنَ لِي يُبَيِّنْكُمْ وَلَا تَبْرُحْنَ تَبْرُجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ
وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ
تَطْهِيرًا﴾ ٣٣

[طهارة اهل البيت من آخر مراتب الطهارة]

فللكمّل من الأولياء جميع أنواع الطهارة محققة فإن ظاهرهم طاهر من جميع
القذارات الصورية، وحواسهم طاهرة عن الاطلاق فيما لا يحتاج إليه وأعضاؤهم
طاهرة عن التصرف فيما يخالف رضا الحق تعالى إلى آخر مراتب الطهارة.^٢ قال
تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^٣؛
﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ
أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ ٣٦

١. صحيفة الإمام، ج ٣، ص ٤٢١، البيان الصادر بتاريخ ١٣٩٧/٧/٢٢.

٢. المقصود بآخر مراتب الطهارة حينما يظهر الشخص ذاته كلياً استعداداً للوفود على الله، ويفضل
ببنوع الحياة القلبية وجهه ويديه وبفضل ذلك يطهر نفسه من رأسه الى قدميه ومن اوله الى
آخره.

٣. الاحزاب (٣٣): ٣٣.

٤. سر الصلاة، ص ٣٥.

[القضاء اشمل من حكم القاضي وأمر الوالي]

لا يبعد أن يكون القضاء أعمّ من قضاء القاضي، وأمر الوالي وحكمه، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾^١ وكيف كان لا ينبغي الإشكال في التعميم.

﴿تَرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ وَتُؤَيِّبُ إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنْ ابْتِغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقْرَءَ آغِيثُهُمْ وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلَّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ ٥١

[اهمية الحكم ونسبته الى الله]

أما فضائل الحلم، من طريق العقل، فهي معلومة وثابتة، ولا تخفى على صاحب العقل السليم، الآثار الشريفة المترتبة عليه. ويكفي في فضله أن الله تعالى في القرآن الكريم نسب الحلم إلى نفسه؟ فقال في سورة بني إسرائيل الآية ٤٤ ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ وفي سورة الأحزاب الآية ٥١ ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ وهذا دليل على أن الحلم من الأوصاف الكمالية المطلقة، التي يتصف بها الموجود بما أنه موجود، لأنه قد قرر في الفلسفة، أن أوصاف الحق تعالى عبارة عما يكون من الكمالات المطلقة ومن صفات الموجود بما أنه موجود ولا يحتاج في اتصاف الوجود به تخصص استعداد رياضي وطبيعي.^٢ وجميع

١. سورة الأحزاب (٣٣): ٣٦.

٢. كتاب البيع، ج ٢، ص ٦٤٢.

٣. الأسفار الأربعة، ج ٦، ص ١٣٣.

الأوصاف الكمالية من جنود الرحمن لأن جنود الحق والرحمن ظله، وظل الشيء ليس مبايناً له مباينة عزلية، وإنما يباينه مباينة وصفية تتفاوت بالكمال والنقص. وقد عبر القرآن الشريف عن هذا المعنى العرفاني الدقيق والحقيقة البرهانية الثابتة بالآية والعلامة^١.

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ ٧٢

[وفقاً لاحد المعاني، التكاليف الالهية امانة]

إن التكاليف الإلهية أمانات للحق سبحانه كما ورد في الآية الكريمة ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ الخ. حيث فسّر بعض المفسرين الأمانة بالتكاليف الإلهية^٢، بل إن جميع الأعضاء، والجوارح والقوى، أمانات للحق المتعالي واستعمالها على خلاف رضا الحق سبحانه، خيانة، كما أن توجيه القلب إلى غير الحق يعدّ من الخيانة^٣.

١. شرح حديث جنود العقل والجهل، ص ٣٨٢.

٢. صاحب مجمع البيان في تفسير الآية ٧٢، سورة الاحزاب، ينقل هذا الرأي عن ابن عباس ومجاهد.

٣. شرح الأربعون حديثاً، ص ٤٧٥.

[ذكر "انا" التفخيم الباري تعالى بمبدئية تنزيل هذا الكتاب]

ولعل الحكمة في ورود ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ بصيغة الجمع هي ذاتها العلة في قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾، فالأمانة بحسب الباطن هي حقيقة الولاية، وبحسب الظاهر ظاهر الشريعة او دين الاسلام أو القرآن او الصلاة.^١

[تفسير لمعنى الظلوم والجهول]

أي إنسان آخر لا شئ عنده، والأنبياء كذلك لم يكونوا يملكون شيئاً والكل هباء، الله هو وحده كل شئ والكل تابع له وكل فطرة تابعة له، وبما أننا محجوبون فلا نفهم أننا تابعون له. أمّا الذين يفهمون فإنهم يتحررون من كل شئ، ويتبعونه هو. وهذا هو كمال الانقطاع الذي طلبوه، وكمال الانقطاع يعني التنحي عن كل ما في وجوده.

ويفسر بعضهم قول الله تعالى: «ظلوماً جهولاً» الوارد في الآية الشريفة: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ...﴾ ثم يقول: «إنه كان ظلوماً جهولاً». فسروه بأنه على وصف الله به الإنسان وقالوا: إنه قال «ظلوماً» لأنه كسر الأصنام وكل شئ، و«جهولاً» لأنه لم يلتفت إلى أي شئ

١. في باب ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ قيل ان الضمير (انا) هنا جاء بصيغة الجمع لتفخيم مقام الحق تعالى بمبدئية تنزيل هذا الكتاب الشريف. ولعل هذا الجمع للجمع الأسامي وإشارة الى ان الباري تعالى قد جعل جميع الشؤون الأسمانية والصفانية مبدءاً لهذا الكتاب الشريف. وللإطلاع على مزيد من التفاصيل حول هذا البحث، راجع ذيل سورة القدر.

٢. آداب الصلاة، ص ٣٢١.

٣. طرحت تفسيرات شتى لكلمتي الظلوم والجهول خاصة في ضوء الاوصاف التي جاءت في مستهل الآية، وهي ان الامانة عرضت على السماء والارض والجبال فأبين ان يحملنها، بينما قيل الانسان

ولم يلتفت إليه شئ وغافل عن الجميع، ونحن لا نقدر أن نكون هكذا، ولا نقدر أن نكون مؤتمنين، لكننا يمكن أن نكون في هذا الطريق.^١

[الامانة هي الولاية الالهية المطلقة]

تكون الأمانة لدى العرفاء الولاية المطلقة التي لا يليق بها غير الإنسان، وهذه الولاية المطلقة، هي مقام الفيض المقدس. وقد أشير إليه في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾.

مهمة حملها، فامتدح، الا ان عبارة الظلوم الجهول تبدو في ظاهرها نوعاً من الذم. وانطلاقاً من هذا التفسير يجري تعريف الظلوم والجهول. حول هذا الاحتمال، راجع: حقي البروسوي، روح البيان، ج ٧، ص ٢٥٤. ويبدو ان اول من طرح هذا الرأي هو الشاعر الجامي الذي أخذ الظلوم والجهول على معنى مغاير للتفسير الشائع لهما. تجدر الاشارة الى ان حقي البروسوي طرح هو الآخر قدّم تفسيراً مختلفاً للظلوم والجهول، ولكنه يؤكد على ان الظلوم والجهول عند أهل الحقيقة، صفتا مدح لمؤذي الأمانة: "فان الانسان ظلم نفسه بحمل الامانة، لانه وضع شيئاً في غير موضعه فافنى نفسه و ازال حُجُبها الوجودية، و هي المعروفة بالانانية، و جهل ربه فانه في أول الامر يُخَب هذه البهيمية التي تأكل و تشرب.....". واما الذين فهموا من هذه الكلمة معنى الذم، فقد تناولوها بتعابير رمزية، كما قال الشاعر جلال الدين الرومي (المولوي):

عجزت السماء عن حمل عبء الامانة فظهرت قرعة الفأل باسمي انا المجنون
وكتب المييدي في كشف الاسرار: لقد خشيت السموات والارض والجبال حمل الامانة وامتنت
عن النهوض بها؛ فأوكلها رب العزة الى آدم للطاعة والخدمة. (كشف الاسرار، ج ٧، ح ١٠١).
وعلى كل حال اذا اخذنا الظلم والجهل على انه نوع من الذم، يصبح من الصير فهم الآية ونواجه
معضلة في مستهلها. واما اذا اعتبرها مدحاً فان هذا المعنى لا يتناسب مع مفهوم الظلم والجهل.
ولهذا السبب عدّوا هذه الآية في عداد متشابهات القرآن.

١. صحيفة الإمام، ج ١٩، ص ٢٥٣. خطاب بتاريخ، ١٥/٨/١٤٠٥.

وفي كتاب (الكافي) بسنده إلى أسود بن سعيد قال: «كنت عند أبي جعفر (عليه السلام) فأنشأ يقول ابتداءً مِنْهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ أَسْأَلَهُ نَحْنُ حُجَّةُ اللَّهِ، وَنَحْنُ بَابُ اللَّهِ، وَنَحْنُ لِسَانُ اللَّهِ وَنَحْنُ وَجْهُ اللَّهِ وَنَحْنُ عَيْنُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ وَنَحْنُ وِلَاةُ أَمْرِ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ» وفي دعاء الندبة «أَيْنَ وَجْهُ اللَّهِ الَّذِي يَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ الْأَوْلِيَاءُ؟...»
وملخص الحديث أن الإنسان الكامل الذي يكون آدم أبو البشر فرداً منه، أكبر آية ومظهر لأسماء وصفات الحق سبحانه، وأنه مثل الحق المتعالي وآيته.^١

[المقصود من الأمانة المقام الإطلاقي]

لعلّ الأمانة المعروضة على السموات والأرض والجبالات التي أبين أن يحملنها، وحملها الإنسان الظلوم الجهول، هي هذا المقام الإطلاقي.
فإن السموات والأرضين وما فيهنّ محدودات مقيدات، حتّى الأرواح الكلية؛ ومن شأن المقيد أن يأبى عن الحقيقة الإطلاقيّة؛ والأمانة هي ظلّ الله المطلق، وظلّ المطلق مطلق، يأبى كلّ متعيّن عن حملها. وأمّا الإنسان بمقام الظلوميّة التي هي التجاوز عن قاطبة الحدودات والتخطي عن كافّة التعينات واللامقامي المشار إليه بقوله، تعالى شأنه، على ما قيل: «يا أهل يثرب، لا مقام لكم»^٢ والجهوليّة التي هي الفناء عن الفناء قابل لحملها. فحملها بحقيقتها الإطلاقيّة حين وصوله إلى مقام «قَابَ قَوْسَيْنِ». وتفكّر في قوله تعالى: «أَوْ أَدْنَى». وأطف السراج، فقد طلع الصبح.^٣

١. أصول الكافي، ج ١، ص ١٤٥، كتاب التوحيد، باب النوادر، ح ٧.

٢. شرح الأربعون حديثاً، ص ٦٣٥ - ٦٣٦، حديث ٣٨.

٣. الأحزاب (٣٣): ١٣.

٤. مصباح الهداية، ص ٥٦.

[تعبير آخر لتفسير الامانة بالولاية]

إن ولاية أهل بيت العصمة والطهارة، ومودّتهم، ومعرفة مرتبتهم المقدسة، أمانة من الحق سبحانه. كما ورد في الأحاديث الكثيرة الشريفة في تفسير «الامانة» في الآية ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ بولاية أمير المؤمنين (عليه السلام).^١ كما أن غضب خلافته وولايته، خيانة لتلك الامانة وأن رفض المتابعة للإمام علي (عليه السلام) مرتبة من مراتب الخيانة.^٢

[عدم قبول السموات للأمانة منشؤه نقص القابلية]

أول من آمن بهذا الرسول الغيبي و الولي الحقيقي، هو سَكَّان سَكْنَةِ الْجِبْرُوتِ مِنَ الْأَنْوَارِ الْقَاهِرَةِ النَّوْرِيَّةِ وَالْأَقْلَامِ الْإِلَهِيَّةِ الْعَالِيَةِ. فَهِيَ أَوَّلُ ظَهْوَرٍ بَسَطَ الْفَيْضَ وَمَدَّ الظِّلَّ؛ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ نُورِي. أَوْ «رُوحِي».^٣ ثم، على الترتيب النزولي من العالي إلى السافل، و من الصاعد إلى النازل، حتى انتهى الأمر إلى عالم المادّة و الماديات و سَكَّانِ أَرْضِي السَّافِلَاتِ، بِلَا تَعْصَ و لَا اسْتِنْكَارِ. وَ هَذَا أَحَدُ مَعَانِي قَوْلِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ: أَدَمَ

١. من الأحاديث التي رواها الكليني في الكافي عن الإمام الصادق (ع) في تفسير الآية الكريمة: أَنَا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ أَنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا، قَالَ: هِيَ وَايَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (ع). اصول الكافي، ج ١، ص ١١٣، كتاب الحجّة، باب فيه نكت و تنف من التنزيل في الولاية، ح ٢.

٢. شرح الأربعون حديثاً، ص ٤٨٠.

٣. المجلسي، بحار الأنوار ج ١٥، ص ٢٤، تاريخ الأنبياء، الباب الأول، ح ٤٤ و ج ٢٥، ص ٢٢. أول ما خلق الله النور، أو رُوحِي.

و من دونه تحت لوائي^١، و أحد معاني عرض الولاية على جميع الموجودات^٢.
 و أمّا عدم قبول بعضها - كما في الخبر - فمبنيّ على نقصان القابلية و
 الاستعداد من قبول الكمال؛ لا عدم القبول مطلقاً، حتّى في مقام الوجود، بل في
 مقام كماله. و بعبارة أخرى، قبول مقام «الرحمانيّة»، و عدم قبول مقام
 «الرحيميّة».

و لإفكّل موجود على مقدار سعة وجوده و قابليته قبل الولاية و الخلافة
 الباطنيتين؛ و هما نافذتان في أقطار السموات و الأرضين؛ كما نطق به الأحاديث
 الشريفة^٣.

[تلخيص لمعنى الامانة]

من غرر آيات القرآن الكريم آية الأمانة. وهي من اصعب الآيات أيضاً من
 المفهوم والمصداق. فكيف عرض الله الامانة على السماوات والارض والجبال
 فأبين حملها وحملها الانسان؟ وما معنى هذا العرض وكيف جاء؟ وبعد قبول
 الانسان تلك الامانة وحمله اياها كيف اصبح ظلوماً جهولاً؟ وهل هاتان صفتنا
 مدح أم ذم؟ وهذه الامور تتعلق بالتساؤلات المفهومية حول الآية.
 واما بالنسبة الى المصداق فالسؤال الذي يثار هنا هو ما مصداق هذه الامانة؟
 وهل الانسان الذي قبل حملها هو الانسان النوعي ويشمل كل الناس، ام يقتصر
 على اناس خاصين؟

١. المصدر السابق، ج ١٦، ص ٤٠٢، الباب ١٢، ح ١: آدم ومن دونه تحت لوائي.

٢. المصدر السابق، ج ٢٧، ص ٢٨١، نقلاً عن فرحة الغري، ص ١٨. واما الأخبار العامة التي جاءت

في معنى الامانة: اصول الكافي، ج ١، ص ٤١٣، كتاب الحجّة.

٣. مصباح الهداية، ص ٥٥.

لم يقدم الامام الخميني في تراثه الفكري اجابة عن كل هذه التساؤلات، الا انه اخذ بنظر الاعتبار اكثرها أهمية، وقدم شرحاً عرفانياً لها. على الوجه التالي:

١. ان الله عز وجل بدأ كلامه في هذه الآية بكلمة "انا" التي تفيد الجمع وأخبر عن عطاء جاء في الكثير من المواضع الاخرى بصيغة المفرد؛ فصيغة الجمع تأتي للتعظيم والاحترام. وبما ان الكلام يركز هنا على أهمية الامانة؛ بمعنى ان الامانة التي عرضها الله على الانسان مهمة وذات قيمة عليا. والامانة هي حقيقة الولاية في الباطن، واما في الظاهر فهي الدين والشريعة. ولهذا جاءت بصيغة الجمع.

٢. وردت كلمة الامانة بمعانٍ مختلفة؛ وذكرت لها في الروايات مصاديق شتى، مثل التكليف الالهي، والولاية، والاحكام العامة للدين، والدين نفسه، واعضاء الانسان وجوارحه وقواه التي يمارس بها عمله وافعاله، ولوجودها دور حاسم في قدرة الانسان ونجاحه. وكل هذه المعاني يمكن التوفيق بينها، واذا كانت الروايات قد أشارت الى موارد متفاوتة منها فهذا لايعني التنافي والتعارض؛ اذ من الممكن ان تكون لهذا المفهوم مصاديق شتى من جهة، وتكون له من جهة اخرى طبقات وبطون متعددة.

٣. يثار تساؤلات حول ما وصف به الانسان بالظلم والجهول؛ السؤال الاول حول معنى هذا الوصف. والسؤال الثاني حول ما يحمله من مدح أو ذم. ويرى سماحة الامام الخميني ان هذين الوصفين من أسمى الاوصاف واعلاها. فالظلم الذي يفيد كثرة الظلم أتما وصف به الانسان - حسب رايه - لما قام به من تحطيم الأصنام وانكارها وجحوده اياها وذلك بقبوله للأمانة الالهية. واما الجهول فلاته لم يبال الا لذات الباري عز وجل ولم يهتم بشيء سواه، ومتجاهلاً كل ما عداه. ولكن هل هذه الخصلة تشمل الناس كلهم، أم تنطبق فقط على حملة الامانة الواقعيين الذين تتوفر فيهم هذه الاوصاف؟

٤. لماذا امتنعت السماوات والارض والجبال عن قبول الأمانة؟ وحسب

تحليله ان هذا الامتاع كان تكوينياً ومردّه نقصها وما تتصف به من القصور وعدم الأهلية، وعدم تحليها بالأهلية لقبول الكمال. ولهذا وجدت نفسها مضطرة الى رفض قبول الامانة.

٥. لدى سماحة الامام الخميني رأي تأويلي في هذه الآية أيضاً، ونظر الى ما تتسم به من صعوبة لغوية من زاوية التأويل العرفاني. فالأمانة عند أهل العرفان الولاية المطلقة. وهي الولاية التي يُعبّر عنها في العرفان نفسه وتحدث عنها بالتفصيل في كتابه "مصباح الهداية". ومثل هذه الولاية التي تبين ارتباطاً خاصاً بالباري عز وجل، من مختصات الانسان ولا تليق لأي موجود آخر سواه. وهذه الولاية هي مقام الفيض المقدس، والانسان الكامل أحد مصاديقها. وبما ان نقطة التقاء الفيض المقدس بالفيض الاقدس هي الأسماء والصفات الالهية، لذلك فالانسان الكامل المظهر التام للاسماء والصفات الالهية.

وبعبارة اخرى، ان الانسان الظلوم والجهول في التحليل العرفاني له مقام اطلاقى واسع، وله ميادين من الرقي أو الانحطاط، في حين ان السماوات والارض محدودة ومقيّدة وذات سعة معروفة. الامانة ظل الله المطلق، وظل المطلق لا بد وان يكون مطلقاً هو أيضاً. والظلمية مقام يمكن ان يجتاز جميع الحدود والتعينات، ويصل الى موضع لا يستطيع ان يصله حتى جبرائيل. والجهولية أيضاً وفقاً لهذا التحليل مقام فيه الفناء المطلق وحتى الفناء من الفناء. وفي هذا المقام لا يرى شيئاً ولا حتى الذات والذاتية، في موضع يصل فيه الى مكانة قاب قوسين. ولهذا السبب ينال مكرمة قبول الامانة.

ورغم ان البحث حول هذه الآية وان كان قليلاً بالمقارنة مع البحوث التي

جاءت حول آيات اخرى مثل آية النور، والفطرة، ونزول القرآن، وهو الاول والآخر، الا انه تُعدّ من اغزر تفسيراته العرفانية واعمقها مغزى، وفيها متسع للمزيد من التحليل والتفصيل.







بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَ
هُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ ١ ﴿يَقْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ
السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾ ٢

[العلم بما يلج في الارض وما يخرج منها دليل على علم الله عز
وجل بالجزئيات]

أشير في نهاية الآية المباركة بقوله: ﴿يَقْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾ إلى علم الحق
المتعالي بكل جزئي من مراتب الوجود في سلسلة عالم الغيب والشهود في قوس
النزول والصعود. وأشير بقوله: ﴿وَهُوَ فَعْكُمْ﴾ إلى المعية القيومية للحق سبحانه.
ولا يعرف أحد كيفية علم الحق سبحانه بالجزئيات، الذي يكون على أساس
الإحاطة الوجودية، والسعة القيومية، وكذلك لا يعرف أحد إدراك حقيقة هذه

القيومية للحق سبحانه، إلا الخواص من أوليائه تعالى^١.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْفَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ٣

[لله مقام التجلي العلمي، لذلك لا يغيب عن علمه مقدار ذرة]

إن الحضرة المشيئة لكونها ظهوراً لحضرة الجمع تجمع كل الأسماء و الصفات بأحدية الجمع. وهذه مقام تجلي العلمي في نشأة الظهور والعين: فلا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات والأرضين. فكل مراتب الوجود مقام «العلم» و «القدرة» و «الإرادة» وغيرها من الأسماء و الصفات. بل كل المراتب من أسماء الحق. فهو مع تقدسه ظاهر في الأشياء كلها؛ ومع ظهوره مقدس عنها جلها. فالعالم مجلس حضور الحق و الموجودات حضار مجلسه^٢.

[سبب عدم الخفاء، علم الله وقدرته]

بما ان الله القادر مريد وعالم بالفعل، فهو ليس فاعلاً موجباً، وبما انه مختار ويصدر عنه الفعل عن اختيار، فهو ليس فاعلاً مضطراً. اذاً فصدور الفعل عنه بعلمه وصدور الفعل عنه بارادته وصدور الفعل عنه باختياره. اذاً فهو القادر على الاطلاق أزلاً وأبداً ولا يعجز عن شيء. وإلى هذا المعنى أشار معادن العلم ونقاد

١. شرح الأربعون حديثاً، ص ٦٥٩.

٢. مصباح الهداية، ص ٤٦.

الحقائق أعني ائمة الهدى عليهم السلام بقولهم: "خلق الأشياء بالمشيئة" إذا ﴿لَا يَغْرُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾ ولا يعجز عن شيء له قابلية الوجود.^٢

[علم الله بالأشياء علم تفصيلي]

الله تعالى عالم بجميع الأشياء علماً تفصيلاً من أزل الأزال إلى أبد الآباد، دون ان يستلزم هذا كثرة في ذات الباري تعالى البسيطة. وسوف نثبت أيضاً: إن كان لله علم معقول فلديه علم محسوس أيضاً، وانه عالم بجزئيات الأفراد كما هي: ﴿لَا يَغْرُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ﴾^١ ﴿أَلَّا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾. ومن شعب هذا القول، القول بعدم الزيادة.^٢

١. قيل الكثير حول تفسير المشيئة في سورة الحمد عند تفسير آية البسملة. ونقلت بعض الاحتمالات التي طرحها الفيض الكاشاني. في هذا المجال، راجع: تفسير آية البسملة، ص ١٦ و ١٢٠؛ اصول الكافي، ج ١، ص ١١٠، ح ٤٤؛ توحيد الصدوق، ص ١٤٨، ح ١٩ و ص ٣٣٩، ح ٨.
٢. سبأ (٣٤): ٣.
٣. تقريرات فلسفة الإمام الخميني، ج ١، ص ١٥٣ - ١٥٤.
٤. سبأ (٣٤): ٣.
٥. الملك (٦٧): ١٤.
٦. المراد من الزيادة، زيادة الصفة على الذات. بمعنى ان علم الله تبارك وتعالى عين ذاته. ووجوده يعني وجود كل شيء. وهو بسيط؛ وذلك لو لم يكن وجوده عين هذه الاوصاف فذلك يعني انه مركب. وجاء في وصف المركب انه ينطوي على الاحتياج الى غيره. في حين ان الباري تعالى غني مطلق. وهو منزّه عن الفقر والحاجة.
٧. تقريرات فلسفة الإمام الخميني، ج ٢، ص ١٦١.

[كيفية علم الله التفصيلي]

العلم التفصيلي في مرتبة الذات وراء العلم التفصيلي في مرتبة الفعل. ومجد وكمال الله عز وجل يكشف الأشياء ليس له، بل ان انكشاف الأشياء ينطوي في انكشاف ذاته بذاته لذاته.

وخلاصة الكلام هي ان مناط المجد ليس في انكشاف الأشياء للذات، وما هي الأشياء حتى يكون انكشافها موجباً لكمال الذات؟ وان الذي يكون مدعاة لمجده وكماله، ذاته وعلمه بذاته، وهو ان العلم بالذات عين الذات، والعلم بما عداه منطوي فيه. إذاً انكشاف الأشياء لا يستلزم الاستكمال في الذات. وهذا الانكشاف المنطوي هو ذلك الحضور على نحو أعلى لكل وجود بالوجود الواحد البسيط، عند الله. وهذا هو ما يُعبر عنه أحياناً بالانطواء - وأحياناً اخرى - باستتباع علم الله بذاته ازاء علمه بما عداه.

قوله: "فذاته تعالى عقل بسيط وفي عين بساطته جامع في مرتبة ذاته لكل معقول وكل خير وكمال بنحو أعلى وابسط"، إشارة الى مسألة الكثرة في الوحدة وانه الوجود البسيط لكل الوجودات بنحو أعلى - كما قال أرسطو

١. هذه العبارة منقولة من اقوال الملا هادي السبزواري التي طرحها في شرح المنظومة في احكام صفات الله واثبات وجود العلم التفصيلي ولتفنيد الشبهة القائلة بان الله عز وجل لو كان لديه علم كلي بجميع ما في العالم وليس له علم جزئي بها، فمعنى ذلك انه غير عالم بالجزئيات. وقد ردّ الحكماء على هذه الشبهة وقالوا ان الحدود والتصرّم والكثرة لا يكون في العالم بل في المعلوم. وعلى هذا فان علم الله بالعلم الكلي وليس بالعلم الجزئي؛ اي لديه علم بالاحاطة الوجودية للأشياء، كنور الشمس الذي يحيط بالفضاء الواسع ويغطي ملايين الكيلومترات من الفضاء وهو غير محدود في غرفة معينة. وهذه الآية الشريفة تبين هذه النقطة أيضاً.

طاليس،^١ وأحياء صدر العلماء المتألهين^٢ وتدل على مضمونه عبارة السيد الداماد في التقديسات.^٣ وهو أيضاً إشارة الى ان قوله: "البسيط كلّ الوجودات وليس بشيء منها" انه ليس هناك شيء خارج مفاد القرآن؛ كما ان: ﴿لَا يَغْرُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾^٤ شاهد على هذا.^٥

﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَ تَمَائِيلَ وَ جِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَ قُدُورٍ رَاسِيَاتٍ

اغْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَ قَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشُّكُورُ﴾ ١٣

[معنى الشكر وتحققه]

اعلم ان الشكر حسب موارد استعماله عبارة عن اظهار نعمة المنعم، أو لما يظهر له النعمة، كما نقل عن الراغب الاصفهاني قوله: ان الشكر هو تصوّر النعمة واظهارها.^١ وقيل هو مقلوب "كشر" بمعنى كشف، وضده الكفر وهو اخفاء النعمة والتعتيم عليها ونسيانها. ودابة شكور مظهرة بسمنها اسداء صاحبها اليها.

وقيل ان اصله "عين شكرى" أي ممتلئة. فالشكر على هذا هو الامتلاء من ذكر المنعم عليه.^٢ وقال البعض: الشكر مقابلة النعمة بالقول والفعل

١. راجع: اثولوجيا، ص ١٣٤.

٢. الأسفار، ج ٢، ص ٣٦٨، وج ٦، ص ١١٠ و ٢٦٩.

٣. التقديسات، ص ٥٨؛ الأسفار، ج ٦، ص ١١١.

٤. سبأ (٣٤): ٣.

٥. تقريرات فلسفة الإمام الخميني، ج ٢، ص ٢٧٢ - ٢٧٣.

٦. مفردات في غريب القرآن؛ مادّة شكر، ص ٤٦١، تحقيق داودي.

٧. المصدر السابق. يقسم الراغب الاصفهاني الشكر الى ثلاثة اقسام، هي: شكر القلب وهو تصوّر النعمة. وشكر اللسان وهو الثناء على المنعم، وشكر سائر الجوارح وهو مكافأة النعمة بقدر

والنية. ' وله ثلاثة اركان، هي: الاول: معرفة المنعم وصفاته اللائقة به ومعرفة نعمه. الثاني: الحال الذي هو ثمرة هذه المعرفة، وهو التواضع والسرور بالنعمة، من حيث الدلالة على عناية المنعم.

الثالث: العمل الذي هو ثمرة هذه الحالة.

والعمل على ثلاثة أقسام: قلبي، وهو قصد تعظيم المنعم وحمده وتمجيده. ولساني وهو اظهار هذه الغاية وهذا القصد بالحمد والتسبيح والتهليل. وجوارحي وهو توظيف النعم الظاهرة والباطنة التي من بها الباري تعالى، في طاعته.^١



[حقيقة الشكر وكيفية ظهوره في القلب واللسان

والجوارح]

يقول الكاتب: الشكر عبارة عن تقدير نعم المنعم. وهذا المعنى يظهر في مملكة القلب على نحو، ويظهر في اللسان على نحو آخر، وعلى الجوارح على نحو غيرهما. وهذا التقدير متقوم بمعرفة المنعم ونعمته، كما هو معروف.^٢

استحقاقه. وهذا النقل يختلف قليلاً عما ورد في النص. ولهذا فنحن نحمله على النقل بالمعنى من جهة، ومن حيث تقسيمات الشكر من جهة اخرى. وبمناسبة هذا التقسيم اشار الراغب الى طريقة تحقيقه وقال: والشكر ثلاثة اضرب: شكر القلب، وشكر اللسان، وشكر سائر الجوارح..

١. المفردات في غريب القرآن؛ مادة شكر، ص ٢٦٥.

٢. راجع: احياء علوم الدين، ج ٤، ص ٨١-٨٥ المحجة البيضاء؛ ج ٧، ص ١٤٤-١٥١.

٣. نقل هذا المعنى بعبارة اخرى في المقطع السابق مع التوضيح.

٤. شرح حديث جنود العقل والجهل، ص ١٨١ - ١٨٢.

[القيام بالشكر لا يقدر عليه كل أحد]

ومن هنا يعلم أن النهوض بحق شكره لا يكون في مستطاع أي شخص، كما يقول الحق المتعالي جل جلاله ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ فإن القليل من العباد يعرفون كما ينبغي نعم الحق. ولهذا فإن القليل من العباد يؤدون الشكر للحق جل جلاله كما يستحق^١.

[مراتب شكر الله]

اعلم أن مراتب الشكر تختلف حسب مراتب معرفة المنعم ومعرفة النعم، وأيضاً تختلف بحسب اختلاف مراتب الكمال الإنساني، فهناك فرق كبير بين من يكون في حدود الحيوانية، ويسير في مدارجها، ولا يعرف شيئاً غير النعم الحيوانية، وهي عبارة عن قضاء الشهوات والوصول إلى المآرب الحيوانية، ويرضي نفسه بمنزل الحيوانية ومشتهياتها وهي عبارة عن المأكول والملبوس والمنكوح الحيواني، وليس له اطلاع على سائر مراتب الوجود والمقامات، ومدارج الكمال، غير أفق الطبيعة والدنيا، فلم يتطرق مطلقاً إلى العوالم الغيبية المجردة، وبين من خرج من هذا الحجاب، ودخل في المنازل الأخرى، وحصل في قلبه تجلٍ من طليعة عالم الغيب.

وهناك أيضاً فرق كبير بين من ينظر نظرة استقلالية إلى الأسباب الظاهرية والباطنية، وإلى الأسباب والمسببات والوسائط، وبين الذين لهم علم بالروابط بين الحق والخلق ويرجعون بدء مراتب الوجود وختامها إلى الحق تعالى، ويرون بنورانية قلوبهم تجلي مسبب الأسباب من وراء الحجب والأستار النورانية والظلمانية.

وإذا تحقق شكر النعم الإلهية بجميع مراتبه من تجلي الوجود الأول، وبسط بساط رحمته إلى تجليه الأخير بالتجلي القبضي، الذي يطوي بساط الملك والقهر، في قلب السالك بالمشاهدة الحضورية، بل يكون قلب السالك نفسه مظهراً للتجلي الرحماني والرحيمي والملكي والقهري. وهذه الحقيقة لا تحصل إلا للكامل من الأولياء، بل لا تحصل في الواقع إلا لخاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم بالأصالة وللکامل من الأولياء عليه السلام بالتبعية، ولهذا قال الحق تعالى تقدست ذاته: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾^١.

[السبب في قلة من يتيسر لهم القيام بواجب الشكر]

نعم إن الذين ليس لهم علم بتجليات الذات الأحدية ويرون للموجودات ذاتيات أصلية فهم يقعون في كفران النعم الإلهية، وكذلك الذين لم يشاهدوا تجليات الأسماء والصفات، ولم تكن قلوبهم مرآة للحلول فيها، والذين ليس عندهم علم بتجليات الأفعال وتوحيد الأفعال والصفات فهم يكفرون بالنعم وهم عنها غافلون: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾^٢ والذين جمعوا بين الحلوات الإلهية الخمسة، وتحققوا بالسرائر الإنسانية الخفية، وجلسوا في منزل البرزخية الكبرى، وتنعموا بالنعم الباطنة والظاهرة فهم يشكرون الحق جلّ وعلا بجميع الأشكال ويشنون عليه بكل كلام لأن الشكر ثناء على النعم التي أعطها المنعم تعالى شأنه، فإذا كانت تلك النعمة من قبيل النعم الظاهرية، فلها شكر وإن كانت من النعم الباطنية، فلها شكر آخر مختلف، وإذا كانت من قبيل تجليات الأفعال فشكرها على نحو، وإذا كانت من تجليات الصفاء والأسماء فشكرها على نحو

١. سورة سبأ (٣٤): ١٣.

٢. سورة الأعراف (٧): ١٨٠.

آخر، وإذا كانت من قبيل تجليات الذات فشكرها على نحو آخر مختلف.
وحيث أن هذا النحو من النعم يحمل لقليل من خلص العباد فلا يتيسر القيام
بوظيفة الشكر والثناء على المعبود إلا لقليل من خلص الأولياء: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ
عِبَادِي الشَّاكِرُونَ﴾^١

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَشْفَىٰ ذُوِّ الْأَعْرَابِ وَمَا يَبْصُرُ بِمَا يَكْتُمُونَ
مِنَ الْجِنَّةِ إِنَّا هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ ٤٦

[اول مراتب السلوك القيام]

المرتبة الأولى القيام ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ﴾^١ وقد اعتبر
أصحاب السير هذا القيام المنزل الأول ولعله ليس منزلاً بل مقدمة، اعتبره
صاحب "منازل السائرين"^٢ المنزل الأول، ولكن من الممكن أن يكون مقدمة
والمنزل الذي يليه هو المنزل الأول. ما في الآية وصية وموعظة من موجود
عرف نفسه يقول له: - قل لهم: ﴿إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ﴾ موعظة واحدة هي: "أن
تقوموا لله" ومن هنا تبدأ كافة القضايا، القيام لله، أن ينهض الإنسان لله من هذه
النومة، قل لأولئك النائمين الذين سقطوا هنا فاقدى الوعي: - لي عندكم موعظة
واحدة هي أن تقوموا من مكانكم لله، من أجله اسلكوا الطريق، ونحن لم نصفي
بعد لهذه الموعظة الواحدة ولم نسلك الطريق من أجله فطريقنا يؤدي إلينا.^٣

١. شرح حديث جنود العقل والجهل، ص ١٨٢ - ١٨٤.

٢. سبأ (٣٤): ٤٦.

٣. من تصنيف الخواجه الشيخ المولى عبد الله الأنصاري، وعليه شرح للمولى عبد الرزاق الكاشاني.

٤. تفسير آية البسمة، ص ١٤٥ - ١٤٦.

[اهم موعظة هي القيام لله، ومعطياتها]

يَبِّنُ اللهُ - سبحانه - في هذه الآية الشريفة المسيرة الانسانية من المبدأ الاول للطبيعة المظلمة حتى المنتهى. وقد اختار إله العالم، من بين كل المواعظ، افضل المواعظ ليضع إزاء الانسان كلمة تمثل طريق الاصلاح الوحيد للعالمين: القيام لله، الذي أوصل ابراهيم خليل الرحمن - الى مقام الخلّة، وحرره من أسر المظاهر المختلفة لعالم الطبيعة.

اطرق كالخليل باب علم اليقين أصرخُ بنداء ﴿لَا أُجِبُّ الْآفِلِينَ﴾^١

القيام لله هو الذي نصر موسى الكليم بعصاه، على الفراعنة والقى بتيجانهم وعروشهم في مهب الريح، وهو الذي أوصله أيضاً الى ميقات المحبوب وأحلّه مقام الصعق والصحو.

القيام لله هو الذي نصر خاتم الانبياء (ص) بمفرده، على كل عادات الجاهلية وتقالدها، وطهر بيت الله من الاصنام وأحلّ محلّها التوحيد والتقوى، وهو الذي اوصل هذه الذات المقدسة أيضاً الى مقام قاب قوسين أو أدنى!^٢

[خصائص ونتائج هذا القيام]

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْفَىٰ وَإِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ﴾^٣ الواعظ هنا هو الله - تبارك وتعالى - وناقل الموعظة هو النبي الأكرم، وهو يقول في الآية: ﴿إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ﴾ أي ينبغي أن تكون هذه الموعظة على درجة كبيرة من الأهمية

١. اشارة الى الآية ٧٦، سورة الأنعام.

٢. اشارة الى الآية ٩، سورة النجم.

٣. صحيفه الإمام، ج ١، ص ٢١، البيان الصادر بتاريخ ١٤٠٤/١١/٤.

لكي يتحدث بها، بهذا التعبير^١.

وهي ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَشْيًى وَّفُرَادًى﴾ أي: أن تقوموا لله، في سبيل إقامة الحق، ولا يشترط أن تشكل مجاميع أولاً ثم يقوم بعدها الإنسان بذلك بل إن هذا التكليف يشمل حالات الفرادى مثلما يشمل حالات المشى.

فالتكليف بالقيام لله قائم عندما يكون الإنسان وحيداً، وكذلك في التجمعات وأقلها المؤلفة من اثنين، وهذه البداية، ثم يرتفع العدد صاعداً. إذن المعيار هو أن يشخص الإنسان كون القيام لله، فإذا أصبح قياماً لله، فلا خوف من كوننا وحدنا أو من قلة عددنا، فلا خسران ولا ضرر في القيام إذا كان لله.

أما أشكال القيام والتحرك من أجل الحصول على الدنيا، فلها وجهان: - ضرر ونفع، الإنسان يقوم بالأعمال التجارية والكسبية بمختلف مجالاتها، ولهذه الأعمال جميعاً وجهان، فارة يتضرر ويخسر وأخرى ينتفع ويربح.^٢

١. وقد جاءت في آيات اخرى كلمة يعظ: (البقرة:٢) (٢٣١) ويعوظ (البقرة:٢) (٢٣٢) ويعظكم (النساء:٤) (٥٨) وموعظة (الأعراف:٧) (١٤٠)، النور (٢٤) (٣٤)، ولكن اما أن لا يكون لذلك صلة بالله، واما ان الموضوع يشير الى الأشخاص ويقدم لهم الموعظة على لسان الآخرين او يوصي بالموعظة او يدعو الى الأخذ بالموعظة (النحل:١٢٥). ولهذا رغم ان موضوع الوعظ والموعظة قد جاء في آيات متعددة الا ان الواعظ ليس الله، هذا أولاً واما ثانياً فانه لم يرد بتعبير حصري باستعمال عبارة "انما"، ويخلو من حالة الوعظ المباشر. ومن ذلك مثلاً جاء: ﴿جَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَ مَوْعِظَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (هود:١١) (١٢٠). فهذه الآية جاءت فيها الموعظة من الله، الا ان الخطاب فيها موجهة الى النبي ولأجل تسلية خاطره من خلال ذكر قصص الأنبياء، كما ان الموضوع الذي تركّز عليه هذه الموعظة هو تاريخ الانبياء، وموضوع الموعظة محدود وغير قابل للتعميم على جميع المسائل الكلية.

وعلى كل الاحوال فان عبارة "اعظكم" استثنائية وفريدة، واذا كانت هناك مواضع اخرى قد جاءت في اليات فهي ربّما تشير الى موضوع القيام.

٢. صحيفة الإمام، ج ٥، ص ٣٤، خطاب بتاريخ، ١٣٩٨/١٢/٧.

[في المرتبة الاولى للقيام، الأهمية للكيفية لا للكمية]

﴿تَقُومُوا لِلَّهِ﴾ حتى لو كنتم فرادى، فإذا كان قيامكم لله وفي سبيله، فهو عظيم القيمة، لأن قيمته إلهية: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ وَفَرَادَى﴾. اتصلوا بذلك البحر الإلهي، واجعلوا أعمالكم إلهية، واهتموا بأحكام - الله تبارك وتعالى - فهدف كل هذه التحركات النهضوية القائمة التي تفجرت منذ سنين طويلة هو إقامة أحكام الله - تبارك وتعالى -^١



[المبادئ المعنوية شرط للقيام]

سيستمر الانتصار حليفكم في حالة الحفاظ على هذين الركنين، أي أن تكون انتفاضتكم للحق: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ﴾ قوموا لله، لا للشهوات النفسانية، فلن يحقق الإنسان شيئاً وسيؤول مصيره الى الخسران، إذا كانت حركته في سبيل الشهوات النفسانية، وليس في سبيل الله، فلا يدوم الامر ما لم يكن لله، اجتهدوا في أن يكون قيامكم لله، وأن تكون نهضتكم هذه إلهية وفي سبيل الله.

لا أستطيع التصديق أصلاً بأن يقوم الانسان الفاقد للقيم المعنوية بخدمة للناس حقاً، فيمكن للمرء أن يعقل بأن يقوم أحد أصحاب القيم المعنوية المؤمنين بالله والمعاد والعقاب والثواب، بالتحضية بروحه سعياً للحصول على روح أسمى، يقدم كل ما يملك ويأخذ من الله ما هو أعظم مما لا عين رأيت ولا أذن سمعت،

فمن المعقول أن نقدم عبادة واحدة ونسلم مائة، نقدم هذه الروح المحبوسة في هذا الجسد، فتتحرر ونحصل على روح إلهية حرة محيطية وذات إرادة فعالة تقول للشيء كُن فيكون، ويكون لها كلما تريد....

ولذلك يختار الله تبارك وتعالى - من بين كل المواعظ التي يوجهها الآخرون موعظة واحدة، والواعظ في هذه الموعظة الواحدة هو الله - تبارك وتعالى - ومبلغها هو رسوله - صلى الله عليه وآله وسلم - والكتاب الذي سجلت فيه هو القرآن الكريم، فهو مصدرها، وهي: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ﴾، أي: عليكم أن تقوموا، وأن يكون قيامكم لله.

فاذا أردتم أن يكون قيامكم مشمراً يوصلكم الى ما تريدون، لا الى التشرذم والتفرق وأمثال ذلك، فعليكم أن تكون كل همتكم متوجهة نحو نقطة واحدة هي ما وراء عالم الطبيعة، الى النقطة غير المتناهية المطلقة في جميع الابعاد، فليكن توجهكم جميعاً إليها، فاذا تحقق ذلك كان قيامكم ونهضتكم إسلامية سليمة دائمة، لأن مستنداها دائم، ومن كان مستنده دائماً فهو أيضاً دائم.

هذه هي موعظة الله - تبارك وتعالى - أبلغها لكم بلسان القرآن، وهي تفهمنا وجوب أن تكون كلمتنا متحدة حول وجهة واحدة هو الله، أن تقوموا لله وحينئذ لن توجه هذا نحو هذا السبيل، وذاك نحو سبيل آخر.

وإذا رأيتم تشرذم الأحزاب وتعدد الجبهات في هضبة معينة، فاعلموا أن وحدة الكلمة تقوم على الدعوة لوحدة العقيدة التي تثمر بحد ذاتها وحدة الكلمة ووحدة العمل ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ﴾.

فهي موعظة واحدة فقط، لكنها تشتمل على كل شيء، فأصغوا لهذه الموعظة الواحدة، اعملوا بها، ففيها كل شيء، فهي موعظة الله وموعظته الواحدة لا أكثر، ففي هذه الكلمة كل ما تتصورون، وهذا سر كون القرآن معجزة، فهو يدير جميع شؤون البشر في ثلاث كلمات أو أربع. ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ﴾

إذا كان القيام لله، فإن كل شيء يتمركز في هذه الألوهية، ولأنه قيامكم ونهضتكم تفوح بعقب من رائحة الالهوية، فقد بلغت مرتبة سحق كل القوى البشرية، وتغلبت القبضات الخالية على الدبابات والمدافع التي جلبوها وكدسوها في إيران، فتحدثها قبضات شبابنا وشيبتنا الذين أعلنوا أنها لم يعد لها أدنى تأثير فيهم، والسبب هو أن قيامهم لله، ولا يمكن مواجهة الله والرد عليه؟! هذا التحرك إلهي، فهو لله ولذلك أبطل كل دعاويهم وألقاها جانباً!

[العمل الذي لله لا خسارة فيه]

إذا كانت النهضة نهضة الالهية سيكون النصر حليفها حتى وان كنا مهزومين بحسب الظاهر فنحن منتصرون، وإن لم نهزم فمنتصرون ايضاً، لان عملنا لله. فاذا كان القيام لله فهو نصر، اما اذا كان القيام شيطانياً ومستنداً لاهواء النفس والهوى الشيطاني فهو هزيمة حتى وان كان نصراً في الظاهر. مثال ذلك مواجهة امير المؤمنين علي بن ابي طالب لمعاوية، فقد وقف الجيشان امام بعضهما، احدهما كان طاغوتا وممثلاً لجيش الطاغوت، والآخر جيش الله، ولو ان الامام انتصر وانتصر معه جيشه فهو منتصر، ولو هزم فهو منتصر ايضاً.^١

[احدى معطيات القيام لله، الازدهار]

انني اسأل الله تبارك وتعالى ان يوفقكم جميعاً لخدمة البلاد، والمهم ان تكون نهضتنا الالهية. انني اشعر بان الآية الشريفة: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ

١. صحيفة الامام، ج ٥، ص ٥١٠-٥١٢. خطاب بتاريخ، ١٣٩٩/٢/٢٢.

٢. صحيفة الامام، ج ٦، ص ١٠٥، خطاب بتاريخ، ١٣٩٩/٣/١٠.

مُثَىٰ وَفَرَادَىٰ ﴿١﴾ والتي تشير الى ان القيام ينبغي ان يكون لله، تنطبق علينا، فإله تبارك وتعالى يقول بان لديه موعظة واحدة فقط وهي ان تقوموا وان تهضوا لله، والقيام حينما يكون لله فانه سيؤتي أكله. انني أشعر بان النهضة التي قام بها الشعب الايراني كانت لله لانها أتت أكلها ولا نرى فيها حالات نفسانية، بل تجلت الانسانية بين الناس وهذا لا يمكن له ان يكون ما لم يستند الى الايمان والعبودية لله ونوع من التمثل لله^١.

[القيام والاستقامة شرطان لتحقيق الغايات]

لما بدأ الانبياء دعوتهم كانوا وحيدين. فموسى كان وحيداً، والرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) عندما أمر بالدعوة كان وحيداً ﴿قَمِ فَأَنْذِرْ﴾^٢ أي انهض وادع الناس، لقد بدأ الدعوة من نفسه. عندما أعلن نبوته آمن به امرأة واحدة وصبي، لكن الاستقامة - وهي من ضروريات قيادة الأنبياء الكرام - كانت متجسدة وبشكلها الكامل في الرسول الأكرم ﴿اسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتُ﴾^٣ انهض واستقم.

إن هذين الأمرين كان لهما دور كبير في نجاح نبي الإسلام بتحقيق أهدافه الكبيرة: النهوض والاستقامة. فالاستقامة كانت سبباً في عدم شعوره باليأس رغم عدم امتلاكه القوة مقابل أعدائه الذين كانوا يملكون كل القوة لدرجة أنه لم يكن يستطيع الدعوة علناً في مكة، ولكنه لم يشعر باليأس لعدم تمكنه من دعوة

١. المصدر السابق، ج ٦، ص ١٧٥، خطاب بتاريخ ١٣٩٩/٣/١٩.

٢. المدثر (٧٤): ٢.

٣. الشورى (٤٢): ١٥.

الناس علناً، فقام بالدعوة السرية وبدأ بجذب الناس إليه واحداً بعد آخر إلى أن هاجر إلى المدينة فأمر حينئذ بدعوة الناس إلى النهوض والقيام ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ﴾ وهذه دعوة للقيام والنهوض. دعوة الجميع لقيام والمهم هو القيام لله، من أجل الله. فقد كان سر انتصار جيش الإسلام في صدر الإسلام رغم عدم امتلاكهم للعدة الحربية يكمن في القيام لله، فالنهوض لله والإيمان بالله هو الذي جعل النبي الأكرم ينتصر. إن عدم اليأس والاستقامة في سبيل الله كانتا وراء انتصار النبي.. إن أصحاب الرسول الأكرم في صدر الإسلام كانوا يتمتعون بقوة الإيمان، وبها نجحوا في مواصلة انتصاراتهم، فرغم عددهم الضئيل وفقدانهم للأسلحة الحربية، استطاعوا التغلب على الإمبراطوريتين العظيمتين آنذاك - الروم وإيران - لأنهم كانوا قد نهضوا من أجل الله واستقاموا. وأنتم أيها الشعب الإيراني، يا شعب إيران العظيم، حققتم هذا المعنى الذي كان موجوداً في صدر الإسلام!

[يجب ان يتصل قيام الجمع بقيام الواحد]

آمل... أن نعمل كلنا بما رسم لنا الإسلام والقرآن من وظائف تحت لواء حضرة صاحب الزمان - سلام الله عليه - ونعطي المضامين صوراً حقيقية ونعطي الألفاظ مضامين حقيقية.

ولعل هذا الوصف الذي ذُكرَ لحضرة صاحب - سلام الله عليه - بعد هذه الآية الشريفة ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى﴾.

لعلها جاءت لهذا المعنى وهو أنه يجب القيام علينا كافة قياماً واحداً، فأعلى قيام ما كان قيام رجل واحد، وكل قيام يجب أن يلحق به، فيكون لله.

فالله - تبارك وتعالى - يأمر نبيه الأكرم أن يعظ أمته موعظة واحدة هي أن قوموا لله: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَشِيٍّ وَتُرَادَى﴾.

إن صاحب الزمان ينهض لله سبحانه وهذا الإخلاص الذي لديه لله تعالى لا يوجد عند الآخرين وعلى شيعة الإمام أن يقتدوا به في أن يقوموا لله. فإن العمل إذا كان لله لا يبور و النهضة إذا كانت لله لا تحور.

فما كان لله إذا مرَّ بواره في الخيال، فإنه لا يبور في الواقع. فأمر المؤمنين - سلام الله عليه - حارب معاوية وهُزم، لكن تلك لم تكن هزيمة. كانت هزيمة صورية لاحقيقية، لأنَّ حَرْبَهُ كانت قياماً لله، والقيام لله لاهزيمة له فهو غالب حتى اليوم وإلى أبد الأبد.

قام سيد الشهداء - سلام الله عليه - بعدد من أصحابه وذوي رحمته ومخدراته بالثورة، ولأن قيامه كان لله دَمَّرَ سلطان ذلك الخبيث.

قُتِلَ في الظاهر، لكنه قضى على أساس الملك الذي كان يُريد أن يجعل الإسلام مُلكاً طاغوتياً.

فخطر معاوية ويزيد على الإسلام لم يكن في أنهما غضبا الخلافة، فهذا أقل من ذلك.

خطرهما كان في أنهما كانا يريدان أن يجعلوا الإسلام ملكاً عضواً. كانا يريدان أن يُحيلوا المعنوية إلى الطاغوت، ويجعلها نظاماً مستتبداً بدعوى أنهما خليفتا رسول الله... كان هذان يرميان إلى اجتثاث الإسلام من جذوره، فكان السلطان والخمر والقمار في مجالسهما.

خليفة رسول الله وفي مجلسه الخمر والقمار؟ وكان الخليفة يصلي ويؤم الناس في صلاتهم.

هذا هو الخطر الكبير على الإسلام الذي رفعه عنه سيد الشهداء.

لم تكن القضية غضب الخلافة، فتورة سيد الشهداء - سلام الله عليه - كانت

ثورة على السلطان الطاغوتي الذي كان يريد أن يصبغ الإسلام - لو كان يستطيع - صبغة تحيله إلى شيء آخر مثل نظام ٢٥٠٠ سنة من الحكم الملكي...

يقول الله - تبارك وتعالى -: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْطُكُمْ بِوَاحِدَةٍ﴾.

فالرسول الأكرم واسطة، والله واعظ، والأمة متعظة.

والموعظة واحدة لا أكثر هي أن تقوموا الله عندما ترون دينه في خطر.

فأمير المؤمنين كان يرى دين الله في خطر إذ رأى معاوية يقلبه، فقام لله،

وسيد الشهداء أيضاً قام لله على هذا النحو. كلما رأيتم الإسلام في خطر قوموا لله،

وهذه موعظة ليست لزمان دون زمان، فموعظة الله دائمة.

في كل حين رأيتم أعداء الإسلام المخالفين للنظام الإنساني الإلهي يريدون

قلب أحكام الإسلام باسمه، ويعملون على حطمه باسم الإسلام، وجب عليكم

القيام لله. ولا تخشوا قاتلين: ربما لا نستطيع، ربّما نُهزَم، فليس فيه هزيمة!

[القيام لله يقظة من نوم الغفلة]

يخاطب الله تعالى نبيه بأن يقول للناس: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْطُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا

لِلَّهِ﴾. فالواعظ هو الله، والواسطة هو الرسول الأكرم، والموجه إليهم الوعظ هم

الخلق جميعاً وكافة الشعوب بمن فيهم نحن. وينبغي أن تمثل هذه الموعظة

الواحدة التي أمر الله تعالى نبيه أن يقولها للناس، قمة ما وعظ الله والأنبياء

والأولياء بها العباد، والأمر كذلك حقاً. وهذه الموعظة الواحدة هي: ﴿أَنْ تَقُومُوا

لِلَّهِ﴾ أن تنهضوا لله...

[القيام في البُعد المعنوي والتهدبي]

يقول أهل المعرفة: إن أول منازل السالكين ﴿اليقظة﴾، يعني الاستيقاظ والتنبه من الغفلة، ويستدلون بهذه الآية كشاهد على ذلك. ويذكر الشيخ عبد الله الأنصاري في كتابه منازل السائرين - حيث يذكر منازل السالكين إلى الله - اليقظة على أنها أول منزل، ويستشهد بهذه الآية الشريفة، وقد فسّر القيام في قول الله تعالى: ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ﴾ بالاستيقاظ، على اعتبار أن الاستيقاظ نوع من القيام. وأن جميع الثورات التي تحدث في العالم هي قيام، قيام من النوم، قياماً بعد اليقظة والصحو...

إن موعظة الله، حسب قول هذا الرجل السالك، هي الاستيقاظ من هذه الغفلة ومن هذا النوم العميق الذي دبّ فينا من هيمنة المادة علينا. فالخطوة الأولى هي أن نستيقظ ونعي حقيقة هذا العالم، وإلى أين سائرون؟ فكلنا نسير، ولكن أين سينتهي بنا هذا المسير؟ فالخطوة الأولى للسالكين إلى الله، هي أن يستيقظوا ويخرجوا من عالم الغفلة ويهتموا بعالم الروح والمعنويات وعالم ما وراء الطبيعة. فهذا الطريق طريق طويل وما نحن إلا في أوله، وعلينا أن نواصل السير فيه حتى النهاية. فإن بقينا على غفلتنا والآخرون يسرون بنا، ولم نستيقظ قبل الرحيل عن هذا العالم المادي، فلن نكون من السعداء.

وأما إذا صحونا من غفلتنا ووجدنا الطريق، الذي سمّاه الله تعالى بالصراط المستقيم، الصراط ﴿إلى الله﴾ وسرنا في هذا الصراط، مجتنبين جميع أنواع

١. الخواجة عبد الله الأنصاري، منازل السائرين، شرح كمال الدين عبد الرزاق الكاشاني، ص ٣٤، باب اليقظة. فقد كتب في هذا الكتاب ما يلي: القومة لله، هي اليقظة من سينة الغفلة والنهوض عن ورطة الفترة. وهي أول ما يستتير قلب العبد بالحياة لرؤية نور التبيه.

الانحراف، ومتوجهين إلى الله وعاملين بأحكامه، فإنه الصراط الذي سيفضي بنا حتماً، إذا ما اخترناه، إلى عالم السعادة وعالم النور، ويرفعنا من هذا العالم إلى العالم الآخر. فهذا العالم هو دار الظلمة ﴿ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾^١ فإذا نحن علمنا تكليفنا واستيقظنا وفهمنا بأن علينا أن نسير إلى الله، ونجاهد في سبيله، ونقوم له، وأن نعمل في جميع أبعاد حياتنا بتكليفنا التي حددها الله لنا على لسان أنبيائه ورسله، وسرنا على هذا الصراط المستقيم، فإنه سيتهي بنا إلى السعادة.^٢

[النصر حتمي في القيام لله]

تعالوا وأصغوا للموعظة واحدة من القرآن الكريم. حيث يقول الله عز وجل ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفِرَادَىٰ﴾ قوموا جميعاً لله، قوموا بشكل فردي ازاء جنود شيطان باطنكم، وبشكل جماعي ازاء القوى الشيطانية، فإن كان قيامكم إلهياً ومن أجل الله سيتحقق النصر.^٣

[ارجحية الموعظة لله على غيرها من المواعظ]

يخاطب الله رسوله ويطلب منه أن يخبر أمته بأن لديه موعظة واحدة لهم، وهي أن تقوموا في سبيل الله منفردين أو مجتمعين. وإن كل ثورة ليست في سبيل الله هي ثورة شيطانية. لأن أي ثورة إما أن تكون في سبيل الله أو في سبيل غيره. فتورة الظالم على الظالم هي ثورة طاغوتية. إن الله يأمرنا بالثورة في سبيله

١. النور (٢٤): ٤٠.

٢. صحيفة الإمام، ج ١٠، ص ٢٤٢ - ٢٤٤، خطاب بتاريخ ١١/٨/١٣٩٨.

٣. صحيفة الإمام، ج ١٠، ص ٣٣٩، البيان الصادر بتاريخ ١٢/٨/١٣٩٩.

وعلينا أن ندرك أنه عندما يدعونا لذلك فإنه سيسانداً وسيؤيدنا في هذا الأمر. إذاً فالله معنا يؤيدنا ويمن علينا بفضائله عندما تكون ثورتنا في سبيل إزالة الظلم وإحقاق الحق وتطبيق الأحكام الإلهية ونشرها.^١

[لا تخشوا الوحدة في القيام]

على المسلمين أن ينهضوا، عليهم أن يقوموا. فقد قال الله [تعالى]: «إنما أعظكم بوحدة أن تقوموا لله مثنى وفرداً». لا تقولوا: إننا لوحداً. بل عليكم القيام لوحداً أيضاً. كما عليكم أن تقوموا مجتمعين. قوموا سوية. جميعنا مكلف بأن نقوم لله، ونقوم لحفظ البلدان الإسلامية.^٢

[القيام الفردي للوصول الى معرفة الله، والاجتماعي للوصول الى مقاصد الله]

من بين كل المواعظ اختار الله سبحانه وتعالى هذه الموعدة: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَأَحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى﴾ لأن فيها كل شيء، حيث ان كل الامور موجودة ومتضمنة في القيام لله. فالقيام لله يتضمن معرفة الله، والتضحية لله. والقيام لله يتضمن التضحية والايثار من اجل الاسلام. ولهذا السبب فالموعدة الوحيدة التي اختارها الله سبحانه وتعالى من بين كل المواعظ هي ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى﴾، اي القيام والثورة بشكل جماعي او فردي. فالقيام الفردي من اجل بلوغ معرفة الله والقيام الجماعي للوصول الى مقاصد الله.^٣

١. المصدر السابق، ج ١٣، ص ١٣٧، خطاب بتاريخ ١٤٠٠/٧/٧.

٢. المصدر السابق، ج ١٦، ص ٣٣٠، خطاب بتاريخ ١٤٠٢/٨/٢٠.

٣. صحيفة الإمام، ج ١٨، ص ١٢٦ - ١٢٧، خطاب بتاريخ ١٤٠٣/١٢/١٠.

[التركيز على العمل المخلص يؤتي ثماره]

يُستفاد هذا المعنى من كلام الأقدمين ومن أقوال الحكيم الهندي في قضية الحمامة المطوقة في كتاب كليلة ودمنة^١، فالحمامة المطوقة التي رأت افراد جنسها وقعوا في الشبكة، لو أنها لم تدخل بينهم لما كان من الممكن ان تعلمهم طريق الخلاص. ولذلك فهي قد دخلت معهم في الشبكة، ثم علمتهم طريق الخلاص لكي يركزوا كلَّ جهودهم على اتجاه واحد ويمزقوا الشبكة. وبما انهم كلهم عملوا بكلمة ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ﴾^٢، لهذا قطعوا الشبكة وتمكنوا من الطيران^٣.

[خلاصة اجمالية لتفسير الآية]

لاشك في ان هذه الآية واحدة من الآيات المهمة جداً، وهي موضع تأكيد بالغ من قبل الإمام الخميني في كلماته وكتاباته. فقد كان كثيراً ما يكرر هذه الآية في خطاباته وكتاباته خاصة في اعقاب انتصار الثورة، ويعظ بها اولئك الثوريين الذين هبوا في تلك الثورة لدوافع إلهية. كما انه سلط الضوء على هذه

١. كليلة ودمنة، ص ١٥١.

٢. سبأ (٣٤): ٤٦. هذه النظرة الى القيام الفردي والاجتماعي جاءت برؤية مغايرة عما طرحه في كلامه السابق.

٣. تشبيه مقتبس من قصة الحمامة التي علمت ابناء جنسها من الحمامات اللواتي وقعن في شباك الصياد كيف يطيروا سوية. ونقطة الالتقاء بين هذه القصة ومفاد الآية الشريفة هو اعتماد التفكير والعمل الجماعي. وقد طرح كل من ابن سينا وجلال الدين الرومي هذه القصة على نحو آخر. فقد وردت هذه القصة في المتنوي، المجلد الاول، ص ٧٦، من طبعة هرمس، على لسان البيضاء. وهذا التشبيه شائع على نطاق واسع وخاصة في الكتب العرفانية والفلسفية. راجع: بورنامداريان، تقى، رمز وداستان هاى رمزي، ص ٤١٣.

٤. تقريرات فلسفة الإمام الخميني، ج ٣، ص ٥٤٤.

الآية في تفسير سورة الحمد وفي كتاباته العرفانية. فكان تارة يشير إلى إلى القيام كمرتبة اولى في السلوك ومعتبراً آياه المنزل الأول في طريق السير إلى الله (تفسير سورة الحمد: ١٤٥)، وكان تارة اخرى يشير إليه كمقدمة للحركة، ويقول لعله ليس حتى منزلاً من المنازل.

وعلى اية حال، بما انه يكرر هذه الآية في مواضع مختلفة وكان قد ذكرها في مقاطع على نحو متناثر، يبدو من المناسب ان يجري تلخيص المقطعات المهمة من كلامه، ويُشار إلى ما فيها من امور وقضايا مهمة.

١- يعتبر هذه الآية من أهم آيات القرآن الكريم، وبعبارة اخرى انه ينظر إليها على انها من غرر الآيات، وانها تعظ مرّة واحدة وبهذا التعبير الاستثنائي. وانها تهدف إلى ادارة جميع حيثيات البشر ببضعة كلمات، وتكشف عن توجهات المجتمع وسرّ نجاحه وانتصاره؛ لأن الله عزّ وجلّ قال في جميع القرآن مرّة واحدة اني اعظكم ولم يتكرر هذا المعنى بهذا البيان الخاص في موضع آخر!

٢- يقسّم القيام إلى جانبيين: فردي واجتماعي، ومعنوي واخلاقي من جهة، وقيام للجهد والمجاهبة من جهة اخرى. فالقيام الفردي لمعرفة الله، والقيام الاجتماعي لأجل الوصول إلى مقاصد الله. وحينما تكون القضية متعلّقة بالسير والسلوك وتهذيب النفس، يصفها بأنّها مبدأ الحركة والخطوة المهمة على طريق التهذيب. واما إذا كان القيام جهادياً ومن اجل مجابهة الظالمين والمفسدين ومقارعة الطواغيت واسقاطهم، فهو يعتبر ذلك قياماً اجتماعياً.

٣- هذا القيام المعنوي أول مراتب القيام. فقد كتب سماحته ما يلي: ان كل المسائل تبدأ من هنا. وإذا تكلفت هذه المرحلة بالنجاح، فلا خشية من المراحل الاخرى، والنجاح فيها حتمي، وان كانت تبدو في الظاهر وكأنها هزيمة أو فشل.

٤- الملاحظة الاخرى حول مفهوم واتجاه هذا القيام الذي ينبغي ان يكون لله، سواء كان في الجانب المعنوي ويصب في صالح السير والسلوك، ام كان قياماً اجتماعياً وجهادياً. فالمطلوب هو ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ﴾. وان يكون جميع الحركات والأعمال منصبة نحو الله ومتجهة إليه؛ أي ان تكون لله.

وأن يتسم بالخلوص لكي تكون له نتائج ومعطيات. وقد كتب في هذا المجال ما يلي: لا أستطيع ان أصدق بأن احداً يسعى من أجل الناس ما لم يكن يحمل مبادئ معنوية. فهذا لا يُصدّق ابداً.

٥- المعنى الآخر هو أن الواعظ بهذا القيام هو الله. فهنا أداة الحصر ﴿أِنَّمَا﴾ وهو ينسب هذا العمل لنفسه ﴿أَعْظَمُكُمْ﴾. فهذه ليست على لسان لقمان أو لرفع اختلاف بين زوج وزوجة لكي يعظ الآخرين برفعه. يقول: أنا اعظهم، وموعظتي الوحيدة هي هذه.

٦- هذا القيام الاجتماعي لله ولأجل إقامة الحق، مثلما ان القيام الفردي والمعنوي يأتي من أجل التهيو لطبي الطريق والسلوك والسفر من الحق إلى الخلق. لا ينبغي الظن أن الإنسان يهذب نفسه ويقوم، من اجل ذاته فقط، وإنما يفعل ذلك ويبني ذاته من اجل خدمة الخلق، ولإعلاء كلمة الحق.

٧- القيام يبدأ من الفرد ثم ينتهي إلى المجتمع، وحتى إن كان المجتمع خليطاً من توجهات واهواء شتى، فإن هذه المسؤولية وهذا القيام يبقى على قوته. ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ (المائدة: ١٠٥).

ومن ناحية اخرى، لو لم يكن هناك الا شخص واحد، فلا تتوقف الحركة ولا بد من القيام. وإذا كان هناك شخصان، فان هذا العمل له قيمة إلهية أيضاً ﴿مَنْشَى وَفَرَادَى﴾، عليكم ان توصلوا انفسكم بهذا المحيط الأبدي.

٨- ان القيام لله له على كل الاحوال آثاره ومعطياته الخاصة. فمن يحمل مبادئ معنوية ويعمل لله، لا يبالي ابداً للنفعة والضرر المادي والظاهري، ولا

يسعى وراء مردودات ونتائج عابرة وقصيرة الأجل. وهو لا يأبه للعالم ومغرياتهما لكي يأمنس بها. وعلى صعيد آخر لا يهتم ما يلقاه من فشل ظاهري، ولا يخشى الوحدة ولا تقلقه قلة الناس.

وفضلاً عن كل ذلك فإن القيام لله طريق طويل يجب ان نسلكه إلى آخره. وإذا حصل ان وضعونا على هذا الطريق وسيرونا عليه ونحن في غفلة، ثم استيقظنا وسرنا ووجدنا الطريق، فاننا حين نتنقل من هنا إلى العالم الآخر، فيكون هذا كله من موجبات السعادة.

٩- الرجحان في هذا المسير للكيفية على الكمية. والأصل هنا هو ان الافراد الذين يسرون على طريق الجهاد والمواجهة، يجب ان يكون قيامهم لله، حتى وان كانوا قلة. وإذا كان هؤلاء الافراد قد هذبوا انفسهم، فالنصر حليفهم. وأما إذا لم يكن قيامهم لله فلن يُحققوا اية نتيجة، حتى وان كانوا كثرة. «ولو انجزوا فتوحات واحرزوا نصراً في الظاهر».

١٠- إذا اريد توصيف القيام ومعرفة خصائصه فلا بد من النظر إلى آثاره ونتائجه من ناحية، كما ينبغي استكناه جوانبه وآفاقه من ناحية اخرى. فالجانب الوجودي للقيام على الصعيد الاجتماعي يعني وحدة الكلمة ونبذ النزاع والاختلاف. والجانب السلبي للقيام هو ترك الشهوة، وحب التسلط، والهوى. كما انه يعني نبذ الاهواء النفسية والنزعة الأنانية. وإذا وجدتم ان القيام تتجاذبه نوازع الاحزاب، والفئات، والتيارات، فاعلموا انه ليس لله. وأما إذا توجه الجميع نحو نقطة واحدة ودعوا إلى وحدة الكلمة، فيكون هناك عمل موحد. كان كل واحد من الانبياء في بداية بعثته وحيداً ووضع خطاه على هذا الطريق بمفرده، ثم انهم نجحوا في مساعيهم تدريجياً؛ فتلك الوحدة لم تكن مانعاً أمامهم يعيقهم عن مواصلة الطريق.

١١- عدل هذا القيام الاستقامة. فإذا كان هناك قيام، فلا بد ان يكون هناك

استمرار وثبات ودوام على طريق هذا القيام. ولا بد من الاستقامة لكي يثمر ثمره ويؤتي أكله، كما قال تعالى: ﴿اسْتَقِيمْ كَمَا أَمَرْتُ﴾ (الشورى: ١٥).

١٢- موعظة الله في القيام ذات أفضلية ورجحان على غيرها من المواعظ. والقيام إن لم يكن لله فهو قيام شيطاني، وقيام للطاغوت. فالقيام لا يخرج عن واحدة من حالتين: فأما أن يكون لله وأما أن يكون لغير الله. والقيام الذي لغير الله إنما يكون للطاغوت حتى وإن كان فيه انتصار على الظلم والظالم؛ لأنه سينتهي إلى وقوع ظلم آخر وإلى ظهور ظالم آخر. فيجب ان ينتهي قيام الجميع إلى قيام واحد.



﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَجَاعِلِ الْمَلَكَةِ رُسُلًا أُولِي أجنحة مثنى وثلاث و
رَبْعَ يزيدُ في الخلق ما يشاءُ إن الله على كل شيء قدير﴾ ١

[أقسام وأنواع الملائكة]

إعلم أن ملائكة الله على أصناف وأنواع كثيرة كلهم جنود الحق المتعالي،
ولا يعلمهم أحد
إلا الذات المقدسة علام الغيوب ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾^١.

١ . وصفت الموجودات والأشياء المختلفة في القرآن الكريم بأنها جنود الله . ففي آية علة الجن،
والإنسان، والطيور على انها من جنود الله، التي كانت تحت تصرف النبي سليمان ﴿وَوَحَّشٍ
لِسُلَيْمَانَ جُنُودًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ (النمل (٢٧): ١٧)، وفي أربعة مواضع
اخرى وصفت الملائكة، على أنها من جنود الله، وهي ما يلي:
أ: في قصة صلح الحديبية: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (الفتح (٤٨): ٤ و ٧).
ب: في واقعة معركة حنين وارسال جنود الهيبين غير مرئيين، لتبديد حالة القلق والاضطراب: ﴿ثُمَّ
أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ (التوبة (٩): ٢٦).

صنف منهم ملائكة مهيمون - عاشقون - مجذوبون، لا يلتفتون نهائياً إلى عالم الوجود، ولا يعرفون بأن الله قد خلق عالماً أم لا، وإنما هم مستغرقون في جمال الحق وجلاله، ومنصهرون في كبرياء ذاته المقدسة^١. ويقال بأن كلمة ﴿ن﴾ المباركة في الآية الشريفة: ﴿ن * وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾^٢ إشارة إلى هذا الصنف من الملائكة^٣.

وصنف آخر منهم، ملائكة مقربون ومن سُكَّانِ الجبروت الأعلى، وهم أنواع كثيرون ولكل منهم شأن وتدير في العالم لا يكون لغيرهم من الملائكة^٤. وطائفة ثالثة ملائكة عالم الملكوت الأعلى والجنات العليا، على مختلف أصنافهم وتشتت أنواعهم.

وطائفة رابعة ملائكة عالم البرزخ والمثال.

وطائفة خامسة الملائكة الموكِّلون على عالم الملك والطبيعة، حيث يتولى

ج: في قصة غار ثور وحفظ النبي من شر المشركين: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾ (التوبة (٩): ٤٠).

د: في واقعة حرب الأحزاب التي حصل فيها امداد غيبي للمسلمين: ﴿إِذْ جَاءَ تَكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ (الأحزاب (٣٣): ٩).

١. علم اليقين، ج ١، ص ٢٥٦، المقصد الثاني، الباب الأول، الفصل الأول.

٢. القلم (٦٨): ١.

٣. الصدوق، معاني الاخبار، ص ٢٣، ح ١ و ص ٣٠، ح ١.

٤. أشار القرآن الى اهم هذه الاقسام وشؤونها ومهامها في المواضع التالية: الرسل (فاطر (٣٥): ١،

الأنعام (٦): ٦١، يونس (١١): ٢١، العنكبوت (٢٩): ٣١، الإسراء (١٧): ٩٥، المقربون (النساء (٤):

١٧١، المطففين (٨٣): ١٨ - ٢١؛ المسبحون (الصفات (٣٧): ١٦٦؛ الكرام الكاتبين (الانفطار

(٨٢): ١١؛ المقسمات (الذاريات (٥١): ٤؛ المدثرات (النازعات (٧٩): ٤؛ الصافات (الصفات

(٣٧): ١؛ السابقات (النازعات (٧٩): ٤؛ المرسلات (المرسلات (٧٧): ١؛ السابقات (النازعات

(٧٩): ٣) وغير ذلك من التعبيرات الاخرى التي ذكرت في القرآن الكريم كأوصاف واقسام

وشؤون الملائكة.

كلّ منهم أمراً ويدبرُ شأنًا، وهذا القسم من الملائكة المدبرين في عالم الملك، غير الملائكة الموجودين في عالم المثال والبرزخ. كما هو مقرر في محلّه، ومستفاداً من الأخبار أيضاً.

ولابد من معرفة أنه لا توجد أجنحة وريش وأعضاء أخرى للملائكة بجميع أصنافها، فإن الملائكة المهيّمين حتى سكان الملكوت الأعلى متزهون ومبرأون من هذه الأعضاء والأجزاء المقدرية، ومجردون من المادة ولوازمها ومقدارها وعوارضها. وأما ملائكة عالم المثال والموجودات الملكوتية البرزخية، فمن المحتمل أن تكون في هذه الطائفة من الملائكة، جوارح وأعضاء وأجنحة ورياش وغيرها، ولما كانوا من عالم المثال والبرزخ، وكان لهذا العالم كمية وكيفية، كان لهذه الطائفة قدر خاص، وجوارح مخصوصة وإن قوله تعالى: ﴿وَالصّٰفّٰتِ صَفّٰٓءً﴾^١، و﴿أُولٰٓئِكَ أَجْنِحَةٌ مِّنْهُنَّ وَّلَا تُرَٰى لَهُنَّ أَرْجُلٌ وَلَا يَمْلِكُنَّ أَثْقَالَهُنَّ﴾^٢ يرتبط بهذه الطائفة من الملائكة. ولكن للملائكة المقربين والقاطنين^٣ في الجبروت الأعلى، الإحاطة الوجودية القيومية، فهم يستطيعون، أن يتمثلوا في كل واحد من العوالم بهيئة وصورة تتناسب مع ذلك العالم. كما أن جبرائيل الأمين، الذي هو من المقربين للساحة المقدسة، وحامل الوحي الإلهي، ومن أعلى مراتب موجودات سُكَّان الجبروت، كان يتمثل لرسول الله (صلى الله عليه وآله)، في المثال المقيد دائماً، وفي المثال المطلق، مرتين، وفي عالم الملك حيناً، وفي عالم الملك في صورة دحية الكلبي رضيع رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي كان أجمل

١. علم اليقين، الفيض الكاشاني، ج ١، ص ٢٦٨ - ٢٥٩ «المقصد الثاني»، الباب الثاني، الفصل الأول.

٢. الصافات (٣٧): ١.

٣. سكرة ومستوطنو العالم الأعلى، هم من يسكنون في ذلك العالم، ومخلوقون بما يتناسب مع ذلك العالم.

الناس، حيناً آخر^١.

ولابد من معرفة أن التمثل الملكي للملائكة، لا يكون مثل الموجودات الملكية، كي يراه كل سليم الحس والبصر، بل الجانب الملكوتي للملائكة يغلب الجانب الملكي. ولهذا لا يراهم الناس مع أبصارهم الملكية، بل رأى بعض أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) جبرائيل وهو في صورة دحية الكلبي، بعد تأييد من الحق المتعالي، وإشارة من خاتم الأنبياء (صلى الله عليه وآله).^٢

[درجة من الذنب تغيير الرؤية وتزيين القبائح]

لقد تأصلت في قلوبهم الخصال القبيحة والسيئة وأصبحوا يأنسون بها، وبها امتلأت أعينهم وآذانهم فأروها حسنة، وتصوروها، كمالاً مثلما وردت الإشارة إلى ذلك في هذا الحديث الشريف^٣ حيث قال: «العُجْبُ دَرَجَاتٌ، مِنْهَا أَنْ يُزَيَّنَ لِلْعَبْدِ سُوءُ عَمَلِهِ فَيَرَاهُ حَسَنًا فَيَعْجِبُهُ وَيَحْسَبُ أَنَّهُ يُحْسِنُ صُنْعًا» وهذه إشارة إلى قول الله تعالى: ﴿أَلَمَْنْ زَيَّنْ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ فَرَأَاهُ حَسَنًا...﴾ وكما يقول: ﴿وَيَحْسَبُ أَنَّهُ يُحْسِنُ صُنْعًا﴾ يشير إلى قول الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَاءِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾ تلك المجموعة من الناس الذين هم في الواقع جهلة ويحسبون أنفسهم علماء. أولئك هم أكثر الناس مسكنة وأسوأ الخلائق حظاً، أولئك يعجز أطباء النفوس عن

١. بحار الأنوار، ج ١٨، ص ٢٦٧ «تاريخ النبي»، الباب ٢، ح ٢٩.

٢. الأربعون حديثاً، ص ٤١٤ - ٤١٥.

٣. المقصود هو الحديث الثالث من الأربعون حديثاً للامام الخميني (رحمه الله)؛ اصول الكافي،

ج ٢، ص ٣١٣، كتاب الإيمان والكفر، باب العُجب، ح ٣.

٤. الكهف (١٨): ١٠٣، ١٠٥.

علاجهم، ولا تؤثر فيهم الدعوة والنصيحة، بل قد يعطي أحياناً نتيجة عكسية. أولئك لا يعون الدليل، ويسدّون أسماعهم عن هداية الأنبياء (عليهم السلام) وبرهان الحكماء ومواعظ العلماء.

وعليه فتجب الاستعاذة بالله من شرّ النفس ومكائدها التي تجر الإنسان من المعصية إلى الكفر ومن الكفر إلى العُجب بالكفر. إن النفس والشيطان، يتهوئنهما بعض المعاصي، يلقيان بالإنسان في المعصية، وبعد تأصيلها في قلبه وتحقيرها في عينه، يتلى الإنسان بمعصية أخرى أكبر قليلاً من الأولى، ومع التكرار تسقط المعصية الثانية من النظر أيضاً وتبدو صغيرة وهينة في عين الإنسان، فيبتلى بما هو أعظم^١.

[مراتب الهداية والاحتجاب]

ان للهداية مراتب ومقامات تتناسب مع مسارات السائرين ومراتب سلوك السالكين الى الله... المرتبة الاولى: نور الهداية الفطرية... ويكون «الصرراط المستقيم» في هذه المرتبة من الهداية، عبارة عن السلوك الى الله دون الاحتجاب بالحجب المُلْكِيّة أو الملكوتية او دون الاحتجاب بحجب المعاصي القالبية او القلبية، أو دون الاحتجاب بحجب الغلوّ أو التقصير، او دون الاحتجاب بالحجب النورانية أو الظلمانية، او دون الاحتجاب بحجب الوحدة او الكثرة.

ولعلّ الآية الكريمة: ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ تشير الى هذه المرتبة من الهداية والى الاحتجابات التي ذكرناها، الأمرين اللذين يقدران بالتجلي بحضرات الاعيان الثابتة في «حضرة القدر» وهي عندنا «مرتبة الواحدية»^٢.

١. الاربعون حديثاً، ص ٦٥ - ٦٦.

٢. آداب الصلاة، ص ٢٨٩ - ٢٩٠.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ ١٥

[الذات الممكنة مقرونة بالفقر]

لو جمعنا كل الموجودات الممكنة في صف واحد ونظرنا إلى ناصيتها لوجدنا مكتوباً على ناصيتها بخط جليّ ومقروء: ﴿أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾ ولسان حالهم يقول "ينادون من مكان قريب نحن فقراء الله؛ لأننا إذا ألقينا نظرة على ذات الممكن لرأيناه جالساً يترقب على طريق الوجود والعدم، والماهية من حيث هي لا موجودة ولا معدومة.

وعلى هذا بما ان فطرة الماهية على هذه الشاكلة وهي انه ليست الماهية إلا سوقها إلى مساق محتاج إلى سائق لكي تنساق له، ولا بد أن يكون السائق صرف الوجود وعين الوجود لكي لا يكون بحاجة إلى موجود آخر في السوق إلى الوجود. ولكن الماهيات الممكنة - التي يكون الوجود بالنسبة لها مثل كفتي الميزان المتساويتين، لا ترجح أي منهما على الأخرى - لو أراد أحد طرفيها ان يتقل من تلقاء ذاته، فهذا ليس ترجيحاً بلا مرجح بل ترجح بلا مرجح. والترجح بلا مرجح غير جائز حتى عند من يقولون بجواز الترجيح بلا مرجح. واستناداً إلى ما سبق ذكره فان كل شيء موجود في العالم يقول ان أحداً ساقني إلى هذا المسار. ولهذا فان ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ وفي كل شيء له

١. فاطر (٣٥): ١٥.

٢. راجع: المباحث المشرقية، ج ١، ص ٢١٨ - ٢١٩؛ شرح المواقيف، ج ٣، ص ١٣٦ - ١٣٨؛ شرح المقاصد، ج ١، ص ٤٨١.

٣. راجع: شرح المواقيف، ج ٣، ص ١٥٦ و ١٥٩؛ شرح المقاصد، ج ١، ص ٤٨١؛ الأسفار الأربعة، ج ١، ص ٢٠٨.

٤. الاسراء (١٧): ٤٤.

كل نبات يخرج من الارض يقول وحده لا شريك له^١

[كل ما هو بالقوة يجب ان يصل إلى بالفعل بسبب فقره]

ان كل ما يكون بالقوة لابد ان يتحول إلى الفعل من جميع الجهات وجميع الجمع، مما لا تكون له أية ماهية، وإنما يكون صرف الوجود ليكون قيوماً على جميع الموجودات ومكوّناً لجميع الأشياء التي تكون بالقوة. وذلك هو الذات الأحدية التي هي صرف الوجود والوجود الكامل والشديد والقوي والقاهر المفيض والمشرق على كل نظام سلسلة الوجود. وإلا فلولم يكن الأمر كذلك، ولو كانت هذه الحركة التي تلاحظ في الموجودات وهي الانتقال من القوة إلى الفعل من عند ذاتها، أي لو كانت هي التي تنقل ذاتها من مرتبة القوة إلى الفعلية، لكان ذلك يستلزم ان تكون في مرتبة المحركة متحركة، والحال هو ان المحرك يجب ان يكون بالفعل ويكون المتحرك بالقوة، وإلا لاستلزم ذلك اجتماع النقيضين؛ اذ كيف يتسنى للساكن ان يخرج من حالة سكونه بدون ان تكون هناك علّة تخرجه منها؟ وكيف يتسنى للشيء الفقير المفتقر ان يزيل بذاته حالة فقره؟ في حين ان فاقد الشيء لا يُعطيه. إذاً فعين الفقر يجب ان يكون

١. شعر منسوب لأبي العتاهية. راجع: الفتوحات المكية، ج ١، ص ١٨٤.

٢. تقريرات فلسفة الإمام الخميني، ج ١، ص ٣٢ - ٣٣.

٣. برهان لاينات واجب الوجود بالذات عن طريق حاجة الممكنات. والتعبير الذي جاء في الآية الشريفة يدل على حاجة وفقر جميع الموجودات. وبعبارة اخرى رغم ان الكلام يدور حول العلة والمعلول، ان القضية المهمة بالنسبة الى الموجودات هي حاجتها وفقرها الى الوجود والافاضة، والآية الشريفة يعبر عن هذا الادراك الفطري. وفي الجانب الفلسفي توفر المجال البرهاني لاينات واجب الوجود. مثلما يُسَطر هذا البرهان في المقاطع التالية.

صرف الغنى، والحال ان: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾^١.

[النسبة بين الحق والواجب بالممكن والناقص]

ان قدرتنا بقدره الله وعلما بعلمه. وعلى العموم: ان جميع الشؤون الكمالية الموجودة في المراتب النازلة موجودة على نحو أكمل وأتم في المرتبة الأعلى. وطبعاً الأكمل، قيوم كامل والكامل قيوم ناقص. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾^٢.

وبالجملة: عندما أشرق جمال الجميل أجمل الجمال، إشراق النور، وتنتجت عنه صفحة منبسطة وظل جميل لذلك الجمال ووجب ذو الجمال الواجب وجمال الواجب، يكون الجمال في عين الوجوب صرف التعلق والربط ولا يتنافى مع الامكان في الوجود.^٣

[البرهان القرآني الأمتن في حاجة الموجودات]

هناك أدلة اخرى لاثبات واجب الوجود مثل دليل الخلف السابق الذي لا يحتاج إلى إبطال التسلسل. نذكر من ذلك ما يتطابق مع لسان القرآن ولا يتمسك بأساليب معقدة وملتبسة، وهو تفسير الآية الشريفة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾^٤.

١. فاطر (٣٥): ١٥.

٢. تقارير فلسفة الإمام الخميني، ج ١، ص ٣٠٩ - ٣١٠.

٣. فاطر (٣٥): ١٥.

٤. تقارير فلسفة الإمام الخميني، ج ٢، ص ٢٢.

الله. ولا بد ان نضع في الحسبان بأننا قد ذكرنا في الامور العامة: ان الوجود الطبيعي ليس شيئاً آخر غير وجود الأفراد، وكل ما موجود في الخارج إنما هو افراد الطبيعة، والطبيعة التي وراء الأفراد ليست وجوداً مستقلاً بمعزل عن الأفراد. إذا لو افترضنا أي نوع من سلسلة الأفراد - ولو بالفعل غير المتناهي - كأن نلاحظ مثلاً مجموعة غير متناهية من النبات، أو مجموعة غير متناهية موجودة بالفعل من الإنسان، أو مجموعة غير متناهية من الحيوان، ونأخذ بنظر الاعتبار فرداً من هذه السلسلة ونثبت له حكماً بذاته، فيما أنه فرد من تلك الطبيعة الكلية، ورغم ان الأفراد لا نهاية لهم، ولكن انطلاقاً من الطبيعة التي أخذت بعين الاعتبار، تتكون لدينا احاطة عقلية بجميع الأفراد غير المتناهي من السلسلة؛ بحيث لا يشذ عن نظر العقل شيء من الأفراد وينطبق ذلك الحكم عليها برمتها؛ لأن وجهة جميع الأفراد - وان كانوا غير متناهي - واضحة لدى العقل البصير والناظر إلى الحق. وإذا تحقق وضع ووجهة فرد واحد منها بشكل كامل، لا بد أن يكون لجميع الأفراد ذلك الوضع وتلك الوجة. ولهذا فعلى الرغم من كَوْن هذه السلسلة غير متناهية فان هذا العقل الغريب والعجيب والمُعجز يدلي - بواسطة ما لديه من نظر عميق وخارق للعادة - برأي في هذا الأمر ويحكم بشأن سلسلة افراد الإنسان مثلاً بأن: "كل ما في هذه السلسلة ناطق" بعد ان رأى بأن ذات الإنسان ناطقة. وكما قلنا بأن سلسلة الإنسان تتألف من هذا الفرد وذاك الفرد وذلك الفرد، ومجموع السلسلة ليس موجوداً آخر من حيث المجموع، بل المجموع سلسلة اعتبارية، ووجود السلسلة الاعتبارية والوهمية هو الذي يوحى بالسواس والهواجس، ويجعله يشعر أمام المجموع وكأنه في مقابل عفريت هائل. وبعدما لاحظنا ان الفرد ناطق، وبما ان الناطق جامع لكلمات العلم،

والشعور، والقدرة، وهو ضاحك ومتعجب - إذ مع بساطة عينة هذا الشتات الذي هو مفهوماً متشتت ووجوداً واحد - اذاً فعلى وتيرة واحدة كل ما في هذه السلسلة ناطق، وضاحك، وحساس، ومتحرك. وكل فرد في هذه السلسلة شريك مع الأفراد الآخرين، ولا يوجد غير هؤلاء الأفراد شيء آخر بحيث يمكن القول في انه قد لا يخضع لهذا الحكم.

وفي ضوء هذه المقدمة نقول: إذا رأينا في هذه السلسلة فرداً ممكناً وليس له وجود من ذاته، وفي مرتبة الذات يكون "ليس"، ويكون فقيراً وخالي اليد، والفقير مكتوب على ناصيته، نستطيع على أساس ما ذكر أن نحكم بأن جميع افراد هذه السلسلة فقراء، وغبار الفقر باد على نواصيهم أجمعين، ومكتوب على جبهة كل واحد منهم بخط واضح "أنت الفقير". وختم عليه بختم جاء فيه: أنت فقير. ولو تتبعنا كل سلسلة من الموجودات غير المتناهية من النبات والجماد والإنسان والحيوان، لوجدنا انها كلها ممكنة وخالية الوفاض. وليس في هذا الحكم أي تأثير لتناهي أو عدم تناهي السلسلة ونقطة ختمها أو عدمه. ولو لم تكن نقر يبطل التسلسل، مع ذلك فنحن نرى هذا الحكم معلقاً في رقاب الأفراد. ولو كان هناك فردان من هؤلاء الأفراد الممكني الوجود، لقرأنا هذا الحكم على ناصيتهما أيضاً. وأما إذا كانت السلسلة غير متناهية فسينطبق هذا الحكم أيضاً على جميع أفرادها. فهذا الوجود أصلاً ليس له وجود من ذاته.

وينبغي أن لا يقع خطأ وهو ان كل واحد من هؤلاء الأفراد لو سُئِل: هل انت فقير أم غني؟ سيقول: أنا فقير، معناه انني فقير إلى ما بين يدي، بل ان الجميع في هذه السلسلة وإن كانوا غير متناهين، لديهم جواب واحد وهو: نحن فقراء وليس بيننا غني، والكل على حالة فقرهم المزري. وكل ذرات عالم الممكنات كالنحل تهمس معبرة عن مسكنتها وتنادي معربة عن فقرها.

وعلى هذا الأساس نقول: إن كانوا كلهم فقراء وليس بينهم غني واحد،

والمجموع أيضاً لا شيء لديه حتى نقول انه غني وان العطاء قد جاء منه، كيف يمكن، حين تجتمع جماعة من الفقراء، ان يكونوا اغنياء؟ فهل إذا دخلوا الغرفة بأيدي خالية، يخرجون منها وهم مليئة أيديهم؟ إذا فلا بد أن وجود العطاء غني بالذات على هؤلاء الفقراء، وان يمنح هؤلاء الخالية أيديهم من الوجود والعلم والقدرة والإرادة والحسن والكمال، علماً ووجوداً وقدرة وكمالاً ويزينهم بزينة الوجود، وان تكتسب هذه الموجودات على أثر عكوفها بين يدي القادر المطلق، أسباب الحياة والوجود. ومن هنا يخاطب القرآن الكريم بهذا اللحن جميع الموجودات بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾^١ بورك هذا الغنى الذي ملأ أيدي الجميع بالعطاء وشرفهم جميعاً بشرف خلعة الوجود. ولم يقصر شرف خلعة وجوده عن أي أحد. وإنما جاد على كل عين من الأعيان الثابتة القادرة على السؤال. ما أسنى كرم هذا الكريم الذي جاد بالعطاء على السائلين قبل سؤالهم، والعالم كله عينة من اسمه "يا كريم". ولهذا فان كل واحدة من هذه السلاسل تسبق الأخرى في الفقر والفاقة إليه، وهكذا وان كانت غير متناهية. ومن هنا قال العارفون ببحر الحقائق: "يا قديم الاحسان"^٢ أحسن إلينا باحسانك القديم. إذا فهذا البرهان تام؛ وإن قلنا بعدم بطلان التسلسل. وهذا البرهان يأتي من معرفة الإنسان بذاته، وقد أكمل الله العليم جميع البراهين والآيات في الفطرة الانسانية.^٣

١. فاطر (٣٥): ١٥.

٢. بحار الأنوار، ج ٨٨ ص ٤٩؛ ج ٩٠، ص ٢٦٥.

٣. تقريرات فلسفة الإمام الخميني، ج ٢، ص ٢٧ - ٣٠.

[جميع مراتب وجود العين تعلق وارتباط وفقر]

قال الامام الصادق (عليه السلام): «إن روح المؤمن لأشدُّ اتصالاً بروح الله من اتصال شعاع الشمس بها»^١. وقد ثبت بالبرهان المتين في العلوم العالية أن دائرة الوجود بأجمعها - بدءاً بأعلى مراتب الغيب وانتهاءً بأدنى منازل الشهود - هي التعلق والارتباط المحض بالقيوم المطلق والفقر الصرف اليه حيث عظمته، ولعل الآية الشريفة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ تشير الى هذا المعنى. ولو لم يكن لأي موجود من الموجودات - في آية حال من الأحوال أو وقت من الأوقات وبناءً على أي اعتبار من الاعتبارات - تعلق بعزّ القدس الربوبي، فإنه يخرج بذلك عن دائرة الفقر والإمكان الذاتي ويدخل في حريم الغنى والوجوب الذاتي. ولكي تتجلى في قلب العارف بالله والسالك اليه تعالى حقيقة الايمان ونوره، فإن عليه أن يتقل هذه المسألة البرهانية الحقّة، وهذه اللطيفة العرفانية الإلهية من إطار العقل والبرهان الى القلب فيكتبها بواسطة الرياضات القلبية على لوح القلب ويدخلها في حدّ العرفان.^٢

[ادراك فقر جميع الناس، غير متلائم مع التأثير القلبي وعدم

[الطلب من الآخرين]

انه من الممكن أن يبرهن الإنسان في البحث العلمي البرهاني كلاً من هذه الأركان، ويخضع جميع المراتب للمقياس العقلي، ويثبتها، ولكن لا يؤثر هذا العلم البرهاني فيه بأي وجه. فربما أثبت فيلسوف قوي البرهان بالعلم البرهاني،

١ . اصول الكافي، كتاب الايمان والكفر، ج ٣، ص ٢٤٢، باب اخوة المؤمنين بعضهم لبعض، ح ٤.

٢ . آداب الصلاة، ص ٩٤ - ٩٥.

أن للحق تعالى إحاطة علمية بجميع ذرات الوجود، وهو يرى جميع نشآت الغيب والشهادة حاضرة في محضر الحق تعالى، وقد أثبت التجرد التام للحق بجميع أنواع التجرد، والإحاطة القيومية للذات المقدسة بالبراهين المتقنة القطعية، ولكن هذا العلم القطعي لا يؤثر فيه، على نحو أنه لو اشتغل بمعصية في خلوة، فبورود طفل مميز يستحيي وينصرف عن العمل القبيح، وعلمه بحضور الحق تعالى بل حضور ملائكته، بل إحاطة الأولياء الكُمَّل به، الثابت عنده في الميزان البرهاني العلمي لم يبعث به الحياء، ولم يصرفه عن قبائح الأعمال رغم أن حفظ المحضر، واحترام الحاضر، واحترام العظيم، واحترام المنعم، واحترام الكامل كلها من فطر العائلة الإنسانية، وليس هذا إلا لأن العلوم الشكلية البرهانية هي من حظ العقل، ولا يحصل منها كيفية أو حال، وهكذا ربما وجد حكيم عظيم الشأن قد صرف عمره في إثبات سعة إحاطة القدرة الإلهية، وأثبت معنى: «لا مؤثر في الوجود إلا الله» بالبرهان العلمي القطعي، وقطع يد تصرف الموجودات العالية والدانية، وقوى الغيب والشهادة من مملكة الوجود الخاصة بذات المالك المقدسة، ووصف جميع العالم بالعجز والإحتجاج إلى الحق ساحة المقدسة، وأوضح بالبحث البرهاني المشائي حقيقة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾^١ وأخضع توحيد الأفعال للموازين العلمية، ورغم هذه الأوصاف يطلب الحاجات من مخلوق ضعيف فقير، ويمد يد الحاجة إلى الغير.

وليس هذا إلا لأنه ليس للإدراك العقلي ولا العلم البرهاني تأثير في أحوال القلب، ووراء هذه القرية قرى وخلف هذه المدينة مدائن للعشق، ونحن في

[الغنى من الصفات الكمالية للنفس وهو غير الثراء المالي]

لا بد من معرفة أن الغنى من الأوصاف الكمالية للنفس، بل يكون من الصفات الكمالية للموجود بما أنه موجود، ولهذا، يكون الغنى من الصفات الذاتية للذات الحق المقدس جلّ وعلا، وإن الثروة والأموال لا توجب الغنى في النفس، بل نستطيع أن نقول إن من لا يملك غنى في النفس، يكون حرصه تجاه المال والثراء والمنال أكثر، وحاجته أشد. ولما لم يكن أحد غنياً حقيقياً أمام ساحة الحق جلّ جلاله المقدسة الغنى بالذات، وكانت الموجودات كلها من أذنيها وهو التراب إلى ذروة الأفلاك، ومن الهبولى الأولى إلى الجبروت الأعلى، فقيرة ومحتاجة، لهذا كلما كان تعلق القلب إلى غير الحق، وتوجه الباطن نحو تعبير الملك والدنيا أشد، كان الفقر والحاجة أكثر، أما الحاجة القلبية، والفقر الروحي، فواضح جداً، لأن نفس التعلق والتوجه فقر. وأما الحاجة الخارجية التي تؤكد بدورها الفقر القلبي، فهي أيضاً أكثر، لأن أحداً لا يستطيع النهوض بأعماله بنفسه، فيحتاج في ذلك إلى غيره. والأثرياء وإن ظهروا في مظهر الغنى ولكنهم بالتمتع يتبين أن حاجتهم تتضاعف على قدر تزايد ثرواتهم. فالأثرياء فقراء في مظهر الأغنياء، ومحتاجون في زيّ من لا يحتاج. وكلما اتجه القلب نحو تدبير الأمور وتعمير الدنيا أكثر، وكان تعلقه أشد، كان غبار الذل والمسكنة عليه أوفر، وظلام الهوان والحاجة أوسع، وعلى العكس كلما ركّل بقدميه التعلق بالدنيا، ووجه وجه قلبه إلى الغنى المطلق، وآمن بالفقر الذاتي للموجودات، وعرف بأن أحداً

من الكائنات لا يملك لنفسه شيئاً، وأن جميع الأقوياء والأعزاء والسلاطين قد سمعوا بقلوبهم أمام ساحة الحق المقدسة من الهاتف الملكوتي، واللسان الغيبي، الآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ كلما استغنى الإنسان عن العالمين أكثر، وبلغ مستوى استغناؤه درجة لا يرى لملك سليمان قيمة، ولا يابه بخزائن الأرض عندما توضع بين يديه مفاتيحها.^١

[الأناية في مقام الدعاء ليس من قبيل التذلل المذموم]

قول الداعي «إني» - لم يكن هذا في الحقيقة إثبات الأناية، لأن الأناية تنافي السؤال، والداعي يقول: «اني أسألك.» وهذا نظير قوله تعالى: ﴿أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾، مع ان الانتمية السوائية مدار الاستغناء لا الفقر. فما كان منافياً لمقام السالك الى الله تعالى [هو] إثبات الاستقلال والاستغناء، كتسمية «انتم» في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ﴾^٢. واما إثبات الأناية في مقام التذلل، و اظهار الفقر فليس مذموماً، بل ليس من اثبات الأناية، نظير «انتم» في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾. بل حفظ مقام العبودية و التوجه الى الفقر و الفاقة، ان كان في الصحو الثاني فهو من اتم مراتب الإنسانية؛ المشار اليه بقوله، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، على ما حكى: «كان اخي موسى عينه اليمنى عمياء، و اخي عيسى

١. الاربعون حديثاً، ص ٤٤٤ - ٤٤٥.

٢. النجم (٥٣): ٢٣.

٣. كناية عن انكم قد افترضتم لانفسكم اسماً آخر ووجود آخر في مقابل تسمية الله و نسجتم علاقة خيالية في العلاقة بين الحق و العالم.

عينه اليسرى عمياء، وانا ذو العينين.»^١ فحفظ مقام الكثرة في الوحدة والوحدة في الكثرة لم يتيسر لاحد من الانبياء والمرسلين، الا لخاتمهم بالأصالة و اوصيائه بالتبعية، و صلى الله عليه و عليهم اجمعين.^٢

[في العلاقة والتناسب بين وصف الغني والحميد بالنسبة

[إلى الله]

ان العلة المستقلة التامة ما تسد بذاتها جميع الأعدام الممكنة على المعلول و بهذا المعنى لم يكن ولا يكون في نظام الوجود ما يستقل بالعلية والتأثير إلكا ذات واجب الوجود - علت قدرته -، و غيره تعالى من سكان بقعة الإمكان ليس له هذا الشأن؛ لكونهم فقراء إلى الله ﴿وَ اللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ و لعل في توصيف الغني بالحميد في المقام في القرآن الكريم إشارة لطيفة إلى ما أشرنا سابقاً من أن المحامد كلها من مختصات ذات الواجب الغني الذي بغناه الذاتي أعطى كمال كل ذي كمال و جمال كل ذي جمال. فمبادي المحامد والمدائح منه و إليه ف: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.^٣

[الجانب الامكاني مدعاة للاحتياج]

ان موجودات العالم بجهة الامكان محتاجة الى الجعل من قبل الحق تعالى. و جهة الامكان هذه هي التي دفعتها الى العكوف على باب الغني الحميد.

١ . لا يوجد في المصادر الحديثية مثل هذا الكلام المنسوب الى النبي، ولكنه موجود في الكتب

العرفانية. راجع: ابن عربي، الفتوحات المكية، ج ٣، ص ١٤.

٢ . شرح دعاء السحر، ص ٩ - ١٠.

٣ . الطلب والإرادة، ص ١٢٢ - ١٢٥.

وبسبب هذه الجهة فهي مكتوب على ناصيتها: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾^١ وهذه الصفة هي التي جعلتها سوداء الوجه في الدارين.^٢

[خلاصة اجمالية لتفسير الآية]

من الآيات الاخرى التي لفتت انتباه سماحة الامام الخميني، وكانت مشهودة في مختلف آثاره، ومن غرر الآيات عنده هي الآية الشريفة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾ ونظر اليها من مختلف الجوانب العرفانية والفلسفية والاجتماعية والتربوية، وبحثها وفسرها تفسيراً واقعياً. اهم هذه المقاطع في الجانب الفلسفي والاستناد الى هذه الآية لاثبات واجب الوجود جاء في تقريرات الفلسفة ومن بعدها في المباحث العرفانية وخاصة في العرفان العملي وفي التعاليم الاخلاقية والتربوية. وفي حقل المباحث الاجتماعية رغم ان الامور التي ذكرت ربّما تشير الى المجتمع والى التصرفات المغرورة لأفراده، الا انها ذات جانب اخلاقي وتربوي أيضاً. وخلاصة هذه المباحث تتكون مما يلي:

١. ان الذات يمكن ان تكون مقرونة بالفقر، وكل الموجودات تنادي بأعلى صوتها بأننا بحاجة الى وجود عظيم غني تمام الغنى. وهذا النداء لا يأتي بالكلام والالفاظ بل هو مقتضى طبيعتها الذاتية وبيان فطرتها.

٢. النسبة بين الله والواجب بالامكان نسبة الكامل الى الناقص، بل يمكن القول في الواجب عين الكمال والقيومية، وفي الممكن عين التعلق والربط. واما قول الله انتم الفقراء والله الغني؛ فلأن جميع الشؤون الكمالية للموجودات موجودة في الله، وبشكلها الناقص في الموجودات.

١. فاطر (٣٥): ١٥.

٢. تقريرات فلسفة الامام الخميني، ج ٢، ص ٢٩٦.

٣. المقطع المهم والمبسوط في باب المباحث الفلسفية لهذه الآية هو تقرير البرهان القرآني المتين في حاجة الموجودات، والاستناد الى هذه الآية الشريفة في توضيح تقرير البرهان. في هذا التقرير لا حاجة الى طرق مطولة والى دليل الخلف والتسلسل لاثبات واجب الوجود، بل من خلال النقطة التي تبينها هذه الآية الشريفة وتنبئ بها عن الواقع العيني للموجودات وهو ان سلسلة الممكنات ليس لها وجود مستقل، وفي مرتبة الذات فقيرة وخالية الوفاض. ولا بد لها من الغني بالذات لكي يخرجها من فقرها. وهذا الموجود هو الذي يهب الوجود والكمال والعلم والقدرة.

٤. وفي البعد العرفاني يمكن الاشارة الى هذه النقطة وهي ان الموجودات ليست هي وحدها هي الفقيرة؛ بل ان اعلى مراتب الغيب وحتى ادنى منازل الشهود تمثل عين التعلق والتبعية والفاقة والحاجة. ولهذا يجب على العارف بالله ان يضع هذه المسألة دوماً نصب عينيه، وهي ان لا شأن ولا حيشة له الا ما كان من الله.

٥. لاشك طبعاً في ان هذا الكلام لا يراد به انه لا يطلب شيئاً من الآخرين، بل ليعلم ان ما عند الآخرين انما هو من الله أيضاً، ولهذا لا يفترض ان يعول عليهم ولا ان يرى لهم شأنًا مستقلاً.

٦. الغنى من الاوصاف الكمالية للنفس. وهذا الغنى الذي يكونه الانسان في ذاته ويجعله يستشعر بالاستغناء عن غيره، غاية الاستغناء عن الآخرين حتى وان لم يكن لديه شيء من المال والقدرة. واما من لا يستشعر في ذاته بالفقر والتبعية فهو من أفقر الناس حتى وان كان عظيم الثروة.

٧. لاشك طبعاً في ان التمني في مقام الدعاء، وعرض الحاجات في مواقف

التضرع يُعدّ دليلاً على الارتباط بالله وليس مذموماً.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْواتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ

فِي الْقُبُورِ﴾ ٢٢

[حجاب الباطن والفطرة يبلغ حدّاً يكون معه كتكليم الموتى]

فلو افترض هذا إنسان محجوب (لا سمح الله) لا بل حيوان على صورة إنسان، بسبب مرض قلبه الذي هو منشأ لجميع الأمراض الباطنية، فهو خارج عن الفطرة الإنسانية، ولا بد له من العلاج القطعي لهذا المرض الباطني. هذا هو الميت الذي هو حي بصورته والذي يقول الله تعالى، في حقه مخاطباً الرسول العزيز في سورة فاطر آية ٢٢ ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾^١.

﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ

الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ ٢٨

١. ان لا يكون لهذا العالم مدبّر أو صانع، وليس لهذا الكون من خالق، بينما هذا النظام الذي يسود حياة الانسان نظام دقيق، ويحتاج الى وجود صانع لهذا العالم.
٢. شرح حديث جنود العقل والجهل، ص ١٢٢.

[التعبير عن المؤمنين بالعلماء]

يطلق وصف «العالم» أحياناً على مَنْ عبر حدَّ العلم وبلغ حدَّ الإيمان، ولعلَّ الآية الشريفة: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ تشير الى هذه الفئة من العلماء.^١



[الميزان في معرفة العلماء خشية الله]

لا يظنَّ علماء المفاهيم والمصطلحات والعبارات، وحافظو الكتب في الصدور، بأنهم من أهل العلم بالله والملائكة واليوم الآخر، فلو كانت علومهم علامة وآية - على معرفة الله - فلماذا لم تتنور قلوبهم من الآثار النورانية؟ نعم قد أضيفت على ظلمات قلوبهم ومفاسد أخلاقهم وأعمالهم الظلمات والفساد. والقرآن الكريم قد ذكر المقياس لمعرفة العلماء حيث يقول: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ فمن لا يخشى ولا يخاف من الحقِّ المتعالي فلا يعدُّ من العلماء.^٢

[الخوف المستمر مع القيام بالعبودية]

ومن علامات هذا العالم الرباني أنه رغم قيامه الكامل بوظائف العبودية يعيش حالة الخوف، لأن نور العلم يهديه إلى أنه كلما أذى وظانفه، يشعر بأنه قاصر أو مقصّر، وأنه لا يستطيع أن يخرج من مسؤولية شكر نعمه وحقيقة عبادته. فيكون

١. أي ان لا يكون العلم معرفة فقط، بل لابد من حضور تلك العلوم في ذهن العالم وضميره بالشكل الذي يدعو الى التسليم والعمل بما علم وفهم.

٢. آداب الصلاة، ص ١٥.

٣. مع التحفظ على هذا الاصل وهو ان العلم ليس بالمعرفة وحدها، وانما العلم بمعنى حضور المعلوم لدى العالم بالنحو الذي سبق بيانه في المقطع الآنف ذكره.

٤. الاربعون حديثاً، ص ٣٩٢ - ٣٩٣.

قلبه مملوءاً من الخشية والذعر. وقال الحق جل جلاله فيهم: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾. إن نور العلم يبعث على الخشية والحزن، وصاحبه رغم إقباله على إصلاح نفسه لا يقرّ له قرار من جراء خوفه من يوم القيامة، ويدفعه نحو الطلب من الله في أن يصلحه، ويحذره من الانشغال بغير الحق، ويبعده عن أهل زمانه، ويجعل هاجسه الخوف من أنهم - أهل زمانه - يمنعونه من السير إلى الله، والسفر إلى عالم الآخرة، ويزينون الدنيا ولذائدها في عينه. والحق سبحانه يؤيد مثل هذا الإنسان، ويقوّي وجوده وينعم عليه بالأمان يوم القيامة.^١

[سبب الأمر بالخشوع لأهل العلم]

أما قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾^٢ فلعله إشارة إلى الإيمان الصوري، أي الاعتقاد بما جاء به النبي (صلى الله

١. الأربعون حديثاً، ص ٣٨٠ - ٣٨١.

٢. اعتبر سماحة الامام في كتاب آداب الصلاة (ص ١٤) الخشوع من علائم الايمان، وأكد ان من لا يخشع في الصلاة فهو حسب قول الله تبارك وتعالى ليس من أهل الايمان. إلا ان سماحته يشير هذا السؤال أيضاً ويقول: ان كان الأمر كذلك فلماذا توجه في الآية ٢٨ من سورة فاطر، بالخطاب إلى المؤمنين مستوحياً: ألم يحن الوقت لتخشع قلوبهم لله؟ إذاً فان كانوا مؤمنين فلا بد ان تكون قلوبهم خاشعة أيضاً. فما معنى اصدار الأمر اليهم ثانية في هذه الآية؟ يطرح سماحته ثلاثة احتمالات في هذا المجال وهي:

أ. المقصود بالمؤمنين المؤمنين الظاهريين؛ أي من لديهم ايمان بالله ورسوله على اساس اعتقاد صحيح، وليس ايماناً حقيقياً ومقروناً بالعمل والخشوع.

ب. ان هذا الكلام جاء على غرار ما ورد في الآية الشريفة: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَأْمُونًا﴾ (النساء ٤)، (١٣٦)، التي فيها دعوة إلى الخشوع التام. فهم خاشعون ولكن خشوعهم غير تام.

ج. ان يكون المقصود بالمؤمنين هم المؤمنون العالمون بالعقيدة؛ أي لديهم علم ولكن ليس لديهم ايمان قلبي، ويريدهم الله ليتجاوزوا هذه المرحلة ويصلوا إلى مرتبة العين واليقين والتصديق، كما جاء في الآية الشريفة: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ﴾ التي تبين ان هناك من العباد العلماء من يخشى الله.

عليه وآله) وإلا فإن الإيمان الحقيقي ملازمٌ لمرتبة من الخشوع. أو لعلّ المراد من الخشوع في الآية الشريفة هو الخشوع بمراتبه الكاملة، كما يطلق وصف «العالم» أحياناً على مَنْ عبر حدّ العلم وبلغ حدّ الإيمان، ولعلّ الآية الشريفة: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ تشير الى هذه الفئة من العلماء. وأوصاف «العلم» و«الإيمان» و«الإسلام» أُطلقت في الكتاب والسنة على مراتب مختلفة منها.^١



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قَالُوا مَا آتَيْنَا إِلَّا بَشْرًا مِثْلْنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْتُمْ إِلَّا تُكذِّبُونَ﴾ ١٥

[**التعجب من نعمة الرسالة يبعث على نشوء الحسد**]

للحسد أسباب كثيرة، يرجع أكثرها إلى رؤية الذلة في النفس، تماماً كما أن الكبر، - نوعاً - يتم على عكس ذلك. فكما أن المرء عندما يجد في نفسه كمالاً لا يجده في غيره، تنشأ عنده حالة من الترفع والتعزز والتعالي في نفسه، فيتكبر. وإذا لاحظ الكمال في غيره، انتابته حالة من الذل والإنكسار. ولولا وجود عوامل خارجية ولياقات نفسانية، لتتج من ذلك الحسد...

وقد حصر بعضهم أسباب الحسد في سبعة أمور:

الأول: العداوة؛

الثاني: التعزز؛...

الثالث: الكبر؛...

الرابع: التعجب؛ أن تكون النعمة عظيمة والمنصب كبيراً فيتعجب من فوز مثله

بمثل تلك النعمة كما أخبر الله تعالى عن الأمم الماضية إذ قالوا: ﴿مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ و﴿أَنْتُمْ مِنْ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾^١ وأمثال ذلك كثيرة فتعجبوا من أن يفوزوا برتبة الرسالة والوحي والقرب مع أنهم بشر مثلهم فحسدوهم وهو المراد بالتعجب.^٢

[بشرية النبي مستمسك لانكار النبوة]

ومن هذا الخطاء والغلط والنظر إلى الظاهر و سدّ أبواب الباطن إنكار الناس للأنبياء والمرسلين بملاحظة انهم، عليهم السلام، [كانوا] يمشون في الأسواق يأكلون ويشربون مثلهم، كما قال تعالى حكاية عنهم: ﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾.^٣

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَ نَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ﴾ ٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا
الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ هُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ ٧٩

[المعنى الواقعي لاهياء العظام]

الآية الصريحة التي يتشَبَّث بها أهل التناسخ لاثبات عقيدتهم وهي: ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ هُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾، تنفي المثلية، بينما يظنون هم ان معنى هذه الآية هو انه يجمع هذه العظام الرميم المتبقي رسيها - إن كان قد بقي ولم تقع فيه تبدلات واستحالات - ويخلق منها

١ . المؤمنون (٢٣): ٤٧.

٢ . الاربعون حديثاً، ص ١٠٧.

٣ . شرح دعاء السحر، ص ٦٠ - ٦١.

٤ . يس (٣٦): ٧٨ - ٧٩.

عظماً من جديد. وهو تعالى يُخبر في هذه الآية الشريفة عن قضية وهي ان ما أنشأه أول مرة يعيده مرة اخرى عظماً على هذا النحو، مع انها بالبداهة ستكون غير تلك العظام، ولن تكون عينها. وان تنزلنا كثيراً ستكون مثلها.

ولكن هذه الآية تريد أن تقول شيئاً آخر، بينما يقولون هم ان العظام لا تحيي مرة اخرى، في حين انه الله عز وجل يقول: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا﴾. وقد عبّر عن القيامة بكلمة "ايحاء"، وعبّر عن الخلق الأول بالإنشاء. فهنا عبّر عن الایجاد الأول بالإنشاء ولكن لم يعبر عن القيامة بكلمة الانشاء وإنما بكلمة الإحياء؛ لأنه قال ان العليم بكل خلق هو الذي يحييها؛ أي ان العظيم كلّه يكتسب الحياة دفعة واحدة. طبعاً الاحياء والحياة بتعابيرنا وكلماتنا نحن، وإلا فالجسم هناك كلّه حياة، وهو تعالى يبيّن الحقائق ويكشف عما سيقع؛ لأن كلام الله حق، ولكن العوام من الناس يفهمون معاني الأشياء حسبما تمليه تصوراتهم، ويمرون عليها؛ لأن أذهانهم لا تأنس تلك المعاني؛ مثلما ظن ذلك الشخص ان هذا العظم نفسه بعدما يتفسخ ويتحول الى رميم وتراب متناثر يحيى مرة اخرى^١.

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ٨٢

[لا معصية في الأمر التكويني]

و تحقق لك أن لا عصيان في الأمر التكويني، وإن من شيء إلا وهو مسخر تحت كبريائه، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، بلا تأب عن الوجود وقدرة على التخطي والعصيان، وكل المهيآت مؤتمرات بأمره مخذولات تحت سلطنته: ﴿مَا مِنْ ذَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾^١.

[ارادة الله بتحقيق الافعال لا بصوت ولا بندااء مسموع]

وانت اذا كنت ذا قلب منور بالأنوار الالهية و ذا روح مستضيء بالأشعة الروحانية، و اضاء زيت قلبك و لو لم تمسه نار التعاليم الخارجية، و كنت مستكفياً بالنور الباطني الذي يسعى بين يديك لانكشف لك سر الكتاب الالهي، بشرط الطهارة اللازمة في مسر الكتاب الالهي، و لعرفت في مرآة المثل الاعلى و الآية الكبرى حقيقة الكلام الالهي و غاية تكلمه تعالى، و ان مراتب الوجود و عوالم الغيب و الشهود كلام الهي خارج بالهواء الذي هو المرتبة العمانية من مرتبة الهوية الغيبية، نازل من سماء الالهية للحب الذاتي لإظهار كماله و التجلي بأسمائه و صفاته لكي يعرف شأنه. كما في الحديث القدسي:

«كنت كنزاً مخفياً، فاحببت ان اعرف، فخلقت الخلق لكي اعرف»^٢.

و عن علي، عليه الصلاة و السلام: «لقد تجلّى الله لعباده في كلامه، و لكن لا

١. هود (١١): ٥٦.

٢. شرح دعاء السحر، ص ٦٠ - ٦١.

٣. بحار الأنوار، ج ٨٤ ص ١٩٩ و ٣٣٩، كتاب الصلاة، الباب ٨١ و ٨٢ ج ٦، ١٩.

يبيرون.^١

و عنه، عليه السلام يقول: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾؛ لا بصوت يقرع ولا بنداء يسمع، وإنما كلامه سبحانه فعله.^٢
وقال اهل المعرفة: تكلمه عبارة عن تجلي الحق الحاصل من تعلقي الارادة و القدرة بإظهار ما في الغيب و ايجاده.^٣

[الكثرة في وحدة الكلمة الواحدة "كن" وجودية]

لا يخفى ان لسلسلة الوجود اعتبارين آخرين: احدهما- اعتبار الكثرة في الوحدة، و الثاني- اعتبار الوحدة في الكثرة. فهي بالاعتبار الأول كلمة واحدة هي كلمة «كن» الوجودي، و اشار اليها بقوله تعالى: ﴿إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾. و في خطبة يوم الفطر عن أمير المؤمنين، عليه السلام: «الذي بكلمته قامت السماوات السبع و قررت الارضون السبع، و ثبتت الجبال الرواسي و جرت الرياح اللواقح، و سار في جو السماء السحاب و قامت على حدودها البحار، فبارك الله رب العالمين.»^٤ و بالاعتبار الثاني كلمات و كتاب، كما اشار

١. بحار الأنوار، ج ٨٩، كتاب القرآن، باب فضل التدبر في القرآن، ح ٢. باختلاف ضئيل في الفاظ الحديث. وهذا الحديث منقول عن الامام الصادق (ع).

٢. نهج البلاغة، الخطبة ١٦٨، (باختلاف ضئيل في العبارة)، راجع أيضاً: نهج البلاغة، الخطبة ١١٤٧، الروضة من الكافي، ص ٣٨٧.

٣. مقدمة القيصري، الفصل الثاني «في معرفة اسمائه وصفاته»؛ وأيضاً راجع: الآشتياني، شرح مقدمة القيصري، ص ٢٤٩.

٤. شرح دعاء السحر، ص ٥٧.

٥. مصباح المتهجد، ص ١٦٠٤ من لا يحضره الفقيه، ج ١، ص ٣٢٥ - ٣٢٦، باب صلاة العيدين، ح ٣٠، (باختلاف ضئيل في العبارة).

اليه في هذه الفقرة من الدعاء؛ فتدبر.^١

[المراد من قول الله الانفاضة الاشراقية والتجلي الغيبي]

حقيقة ادبار العقل الكلي... عبارة عن ظهور نوره من ما وراء الحجب الغيبية في تعيينات الخلقية بالترتيب النزولي، مرتبة بعد مرتبة، حتى النزول الى حضرة الشهادة المطلقة. التي يكون مرآة للطبيعة الكل وفي كلمات شريفة معلم الاول ارسطاطاليس: «العقل نفس ساكن و النفس عقل متحرك».^١

وهذا الإقبال دليل على الاتصال الكامل والاتحاد الشديد بين العوالم، عبّر عنه بالظاهرية والمظهرية والجلاء والتجلي والكمون والظهور. وأمر الله سبحانه وتعالى بالإقبال والأدبار إنما هو أمر تكويني كقوله في القرآن الكريم: ﴿إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^٢ فهو إذاً عبارة عن فيض إشراقي وتجلّ إلهي غيبي. وفي الروايات الشريفة، اختلاف في التعبير حيث يذكر الإقبال بدل الأدبار، والأدبار بدل الإقبال، ولعل هذا الاختلاف يشير إلى أن إقبال الحقيقة العقلية هو عين أدبارها، وأدبارها عين إقبالها، أو بتعبير آخر أنها حركة دورية في قوس

١. شرح دعاء السحر، ص ٥١ - ٥٢.

٢. عقل النفس الساكنة ونفس العقل المتحرك. راجع: الاثنولوجيا «النفس تتحرك على شيء ساكن غير متحرك وهو العقل». وكان هذا الكتاب يُنسب في ما مضى الى ارسطو خطأ، ومؤلفه هو فلوطين. ولزميد من الاطلاع على هذه النسبة راجع: دائرة المعارف الاسلامية الكبرى، مدخل الاثنولوجيا، ج ٦، ص ٥٧٩.

٣. بونس (١٠): ٨٢

٤. الكليني، اصول الكافي، ج ١، ص ٨، كتاب العقل والجهل، ح ١. و ج السابق، ص ٢٠، ح ٢٦، الذي جاء فيه حول العقل ما يلي: قال له أقبل فأقبل، ثم قال له أدبر فأدبر.

الصعود والنزول، وفي الحركات الدورية المبدأ والمنتهى واحد. وإن كانت هذه الحركة الدورية المعنوية أو من جهة إحاطة القومية للحق تعالى كما ورد في الحديث: «إن بطن الحوت كان معراجاً ليونس عليه السلام»^٣.

[تقرير العالم أمر الله بلغة فلسفية]

ان إشراق الوجود على الموجودات على نوعين: قسم من الموجودات تنتظر في نشأتها أمر "كُنْ" [في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾]؛ لأنها لا مادة لها ولا زمان ولا تحتاج إلى مكان، وهي صرف الوجود. وهذا القسم في نشأته يظهر الى الوجود بـ"كُنْ".

والقسم الآخر من الموجودات ذات مكان وزمان ومادة. ومثل هذه الأشياء تكون في نشأتها محتاجة فضلاً عن لفظ الأمر "كُنْ"، إلى مُعدّات وسير تكاملي، كالإنسان الذي يحتاج في نشأته إلى أب وأم، لأنه ذو زمان ومكان ومادة، ولا يمكنه قطع هذا الشئو والمسير التدريجي بـ"كُنْ".

ولأجل توضيح هذا المعنى وتقريبه إلى الأذهان نقول: إن الآيات القرآنية قد

١. المقصود بالحركة الدورية، الحركة من قوس الصعود الى النزول ومن النزول الى الصعود.

٢. لم نجد هذا الحديث في المصادر الحديثة المستقلة، وخاصة في التراث التفسيري، في ذيل الآية ٨٧ من سورة الانبياء، والآيتين ١٤٣ و ١٤٤ من سورة الصافات، ولكن المرحوم الفيض الكاشاني ذكر في كتاب "علم اليقين"، ج ٢، ص ٥٢٠ ما يلي: "ان معراج يونس عليه السلام كان في بطن الحوت عرائس البيان" للبقلي (نقلًا عن: روح البيان، ج ٥، ص ٥١٧ في ذيل الآية ٨٧ من سورة الانبياء) ذكر معراج النبي يونس دون ان يبرهن على ذلك برواية.

٣. يقول المرحوم الفيض رضي الله عنه "إن معراج النبي أعظم معجزة إلهية وبعض الأنبياء كان لهم معراج، ومعراج يونس كان بطن الحوت فإنه نزل في الأرض السابعة، واطلع على مكنوناتها وهذا هو المعراج.

٤. شرح حديث جنود العقل والجهل، ص ٣٩ - ٤٠.

أوصلت المطالب إلينا وفي أفق فهمنا، وإلا فلو أنه تعالى كان قد كلّمنا بأفق إلهي لما فهمنا أصلاً. مثلاً لو أراد حكيم وعاقل ان يتكلّم مع طفل، فلا بد له من النزول إلى مستوى فهمه والتحدّث معه في حدود أفق فهمه.

[تفاوت معنى الامر عند الحكماء وغيرهم]

ولا يخفى أن وضع الألفاظ يأتي على أساس فهم أرباب المعاني، وإلا فإنّ دائرة الوضع عند الحكماء أشمل من هذه. مثلاً الأمر في رأي أهل البساطة هو الأمر القولي، ولكنه في رأي أرباب الحكمة أوسع من هذا. وعلى العموم فإن الأمر يعني في رأينا انه في حالة ارادة تحقق الشيء، يتم تحفيز شيء غيره ودفعه بالقول نحو تحقيق الشيء المراد. لأن الأمر في نظرنا نحن الصغار هو ذا. ولهذا جاء في القرآن الكريم: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾. فمن يكون في حالة نوم يظن ان الذات الأحدية عندما تريد تحقيق شيء تقول له بالكلام "كن"، ولكن من يستيقظ من النوم ويريد طرد النعاس عن عينيه، يُقال له: "ان أمر الله لا بلفظة ولا بقول ولا بتفكير...".^١

ولكي يتضح معنى أمر الله، نسوق في ما يلي مثلاً لتقريب المعنى إلى الأذهان: رغم ان ذلك الرجل قد قال: "فيا لسوأتي ولسوء تشبيهي"، ولكننا نشبه هذا الحال بالمثال التالي: إن النور الذي يملأ الفضاء مثلاً، ليس له أي تحديد وتعيّن من حيث النور، وبعد ان اشرق هذا النور على عالم الطبيعة، حصلت أشكال وصور معيّنة من هذه الطبيعة. وطبق هذه الامكنة اتخذت الأنوار لذاتها

١. يس (٣٦): ٨٢

٢. اصول الكافي، ج ١، ص ١٠٩، ح ٣، مع اختلاف ضئيل.

٣. المشوي المعنوي، ص ٨٨٠، ج الخامس، البيت ٣٣١٨.

أشكالاً معينة كأن تكون مربعة، أو مثلثة، أو مدوّرة. ولكن لو رفعنا النظر فوق مستوى هذه الأشكال المعينة، ونظرنا إلى النور من نافذة فوق هذه التعينات، سنرى حقيقة واحدة لا غير. وهذه التعينات كلّها، خارج هذا النور، وهذه الكثرات بعيدة عنه.

وإذا تجاوزنا هذا النور وأخذنا بنظر الاعتبار نور الوجود، نلاحظ حقيقة واحدة منبسطة في العالم كلّه، وهي نور الوجود. وإفاضة الحق وأمر الله، هي إفاضة نور الوجود هذا، التي يسمونها كلمة النور وكلمة نور الوجود. ولقد جاءت تعينات الوجود والنقص من هذه الشجرة الخبيثة للماهيات. إن أصل كلمة نور الوجود هو إشراق نور الوجود وتلك الإفاضة من الحق. وهذا هو معنى القول الإلهي. ولهذا قالوا: "وأنت الكتاب المبين"، "ونحن الكلمات التامات"، وسمّوا عيسى كلمة الحق^١.

ونحن لو تعدّينا أفق التعينات هذا وألقينا نظرة على هذا العالم من الأعلى ومن الذرى، لرأينا صرف الوجود. ومع ان هذا الوجود ذو مراتب ولكن هذه المراتب من ذات الوجود، والوجود لا ماهية له، وهو صرف الكمال.

وهذا الوجود الكامل الذي لا ماهية له عبارة عن الإفاضات والإشراقات المبسوطة في جميع العوالم. وهذه الحقيقة النورية فيء لوجود الحق الذي ألقى بظّله على جميع العالم من الصرح الشامخ لحقيقته. ومن هنا فقد قال القائل: "طلّلت من أعلى الدار ونفضت السجّادة، ولم يكن في السجّادة غبار ولكن اظهرت ذاتك".

١. وأنت الكتاب المبين الذي بأحرفه يظهر المضمّر

من الأشعار المنسوبة لأمير المؤمنين (عليه السلام). راجع: الكلمات المكنونة، ص ١٢٤.

٢. راجع: بحار الأنوار، ج ٤، ص ١٥١، ح ٣.

٣. إشارة إلى ما ورد في سورة النساء (٤): ١٧١.

والخلاصة هي: تجاوزَ هذا النور المحسوس وافترض موجوداً ذا قرب من الحق وصرف الكمال، وهو فاعل في هذا العالم بإذن الله، ومنبسط في جميع العالم، وتجاوز التعينات. ومن هنا يمكن أن يُسمى عالم الجبروت في اللسان الإلهي الحق بعالم الأمر؛ لأن كل النواقص فيه قد جُبرت، والنقص يأتي من الكثرات والتعينات. هذه المادة والطبيعة التي تقع في أقصى الوجود، ظهرت كثرات ومثية. فأنت تقول: أنا هنا والخواجة حافظ في شيراز. في هذه الزاوية من العالم حيث ضعف الإشراق، تحصل ماهيات مختلفة وتعينات متعددة، وتضطرم نيران الافتراق.

ومن هنا قال أولياء الله: "جزنا وهي خامدة؟" أي جتنا وعبرنا من عالم الطبيعة وكان خامداً. فلم يدنسوا أنفسهم بهذه القاذورات وبهذه الكثرات. يقول شيخ الإشراق: "أحياناً أرى ذاتي وقد تجردتُ من الماهية".^٢

وعلى الاجمال: ان أهل الله أطلقوا على هذا الوجود المنبسط القريب، وأوّل مرتبة لظل الأحدية في الكمال، والظلال الاخرى منه، تسمية عالم الأمر، وهو

١. راجع: علم اليقين، ج ٢، ص ٩٧١.

٢. أبو الفتح شهاب الدين يحيى بن حبش بن أميرك السهروردي، شافعي المذهب إشراقي المشرب. من مشاهير الفلاسفة والحكماء المسلمين، وكان أفضل أهل زمانه في اصول الفقه والحكمة والفلسفة والفقه والحديث، وكان له باع طويل في المراتب العرفانية وفي الجدل والمناظرة. درس الحكمة واصول الفقه في مراغة على يد مجد الدين الجيلي، ورسخ أساس حكمة الإشراق - التي كانت طريقة قدماء حكماء اليونان - من مؤلفاته: آواز پر جبرائيل، حكمة الإشراق، التلويحات، التنقيحات، شرح الاشارات، صفيير سيمرغ، اللمحات، المبدأ والمعاد، المطارحات، هياكل النور، يزدان شناخت. واخيراً أتهم بفساد العقيدة في حلب، في عهد الملك الظاهر - ابن صلاح الدين الأيوبي - وقُتل بناء على فتوى علماء حلب في عالم ٥٨٧هـ. وكان له من العمر ست وثلاثون سنة.

٣. التلويحات، في مجموعة مصنفات شيخ الإشراق، ج ١، ص ١١٥.

مُنْدُكُ وذَائِبٌ فِي نَورِ الأَحَدِيَةِ مِنْ كَثْرَةِ القَرَبِ. بِلِ الأَنوارِ الإسْفَهْئِيَةِ التي لَهَا مَنصِبُ الفاعِلِيَةِ - يَمكُنُ القَولُ أن هَذَا اللفظَ مَقْتَبَسٌ مِنَ العَجمِ الَّذينَ يَقولونَ لِصاحبِ المَنصِبِ سَيَبْهَدُ - بِلا مَهِيةِ وَذاتِ بَسَطٍ وَمرتَبَةٍ عَاليَةٍ فِي الوجودِ، وَلا يَبينونَ لَهَا مِنَ المَنشَأِ؛ لأنَّ مَنشَأَ البينونةِ المَهِياتِ التي هِيَ المادَّةُ - سِواءَ كَانتَ مادَّةً خارِجِيَةً أَمْ عَقَلِيَةً - مَفقُودَةً فِيهَا. وَمِنَ هَنا فِانَ مَجْرَدُ الوجودِ هُوَ أَمْرُ اللَّهِ وَكَلِمَةُ كِنِ الوجودِيَةِ النُورِيَةِ.^١

﴿لَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ٨٣

[لكل موجود وجهة ملكوتية متصلة بعالم الملائكة]

ولهذا القسم صنوف كثيرة وطوائف لا تُحصى، إذ إن لكل موجود علوي أو سفلي فلكي أو عنصري، ووجهة ملكوتية يتصل من خلالها بعالم ملائكة الله ويرتبط بجنود الحق، كما تدلّ عليه الإشارة الواردة من قبل الحق تعالى في الآية الكريمة: ﴿لَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.^٢



١. للاطلاع على مزيد من التفاصيل والشرح حول الأنوار الإسْفَهْئِيَةِ، راجع: حكمة الإشراق، في

مجموعة مصنفات شيخ الإشراق، ج ٢، ص ١٤٧ و ٢٢٣ - ٢٢٥.

٢. تقارير فلسفة الإمام الخميني، ج ١، ص ٢٠ - ٢٣.

٣. آداب الصلاة، ص ٣٤١. في هذا الكتاب استشهد على الصفحات ٩٣ و ٩٤ و ١٧٣ بهذه الآية

بنحو ما، ولكن بما أنها لا تنطوي على نقطة تفسيرية فقد امتعنا عن ذكرها.





بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ
﴿إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِزَيْنَةِ الْكَوَاكِبِ﴾ ٦

[السماء الدنيا هي الطبقة الاخيرة من السماوات السبع]

من المسلّم به طبعاً انه ليس لدينا برهان على ثبوت الافلاك - كما قال بطليموس - وهذه فرية ألصقت زوراً بالقرآن ونُسبت الى الشريعة الإسلامية. لأن القرآن نفسه ينفي هذه الفرية صراحة، وذلك في قول الله تقدّمت أسماؤه: ﴿إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِزَيْنَةِ الْكَوَاكِبِ﴾^١

السماء الدنيا هي الطبقة الاخيرة من السماوات السبع، وكل الكواكب الى الاسفل منها. وبالنتيجة فان كل ما كشفه المتجددون من ملايين الكواكب مع ما ذكروه من مسافات طويلة بينها، إنّما تقع كلها الى الاسفل من السماء الاولى، وكل السماوات السبع الى الأعلى من هذه الكواكب. ويُفهم من هذا ان هناك بعد كل هذه التفصيلات الكوكبية، مجال آخر.

إذا صريح القرآن يخالف قول بطليموس، ولا يتعارض مع الاكتشافات الحديثة في حقل الكواكب. وان البشر لن يصل ابداً الى قضية السموات وطبقاتها السبع. وبعد كشف كل الكواكب التي تقع تحت السماء الاولى، يصل الدور حينذاك الى السماء. إذا فدورها متأخر عن دور كشف كل الكواكب^١.

[الدنيا هي المرتبة الأدنى من عالم الخلق]

لا نتمكن من إدراكها في هذا العالم الذي نحن فيه، لا ندرك ما هي المدارج، وما هي العوالم؟ وما كُنْه هذه الدنيا؟ فكل ما أدركناه هو هذا العالم الذي تصفه الروايات بأنه "ما نظر الله اليه منذ خلقه"^٢ عالم الاجسام هذا الذي لم ينظر اليه الله - تبارك وتعالى - نظرة لطف منذ خلقه.

مع أن ما أدركناه واكتشفناه عن عالم الأجسام هذا، وعالم الطبيعة محير

١ . الملاحظة الجديرة بالذكر في ما يخص هذا التحليل هو اتجاه التفسير العلمي الذي نذكر بشأنه، أولاً: انه يرفض ما ذهب إليه عدد ممن ظنوا ان طبقات السماء مطويات واحدة فوق الاخرى مثلما هو الحال في قشرة البصل، استناداً الى نظرية بطليموس . ويريد القرآن ان يقول من خلال هذا التعبير الذي ذكر فيه ان الله زَيَّن السماء بالكواكب، ان السماء الدنيا هي آخر السماوات السبعة. وهذا المعنى يتطابق مع نظرية علماء الفلك المتأخرين.

ثانياً: هذا التفسير العلمي يأتي رداً على من يثيرون شبهة مبنية على أساس تفسير العلماء المتقدمين ويقولون فيها بتعارض العلم مع الدين. ولهذا فقد أدلى برأيه على النحو الذي يفند هذه الشبهة في ما يخص طبقات السماء.

٢ . تفريرات فلسفة الإمام الخميني، ج ٣، ص ٤٢٩.

٣ . كنز العمال، ج ٣، ص ٢١٤، ح ٦٢١٦ . ورد نص هذه الرواية كالآتي: "إن الله عز وجل خلق الدنيا منذ خلقها فلم ينظر اليها بعد الإمكان المتعبدن فيها منها، وليس بناظر اليها إلى يوم ينفخ في الصور ويأذن في هلاكها مقتاً لها، و لم يؤثرها على الآخرة . ولكن هذه الرواية لم تأت في المصادر الحديثة بالنحو الذي ذكره طبعاً ولكن مع ذلك، راجع: بحار الأنوار، ج ٧٠، ص ١١٠، كتاب الايمان والكفر .

للعقول، فعقولنا لا تصل جوهر هذا العالم إلا هذا القدر الذي فهمه الإنسان حتى الآن، وما عداه موجود إلى ما شاء الله حيث لا يبلغ نوره أحد.

هناك كواكب تبعد عنا بلايين السنين الضوئية، ويصل ضوءها إلى الأرض في ستة بلايين من السنين، هذا الرقم لا نتمكن من فهمه. وقد ذكر في بعض الكتابات أن بعض الكواكب لو فتح جوفها لاستوعب خمسمائة مليون شمس. ومن الكواكب ما لو وُضع في مركز الشمس لوصل إلى الأرض، هذه السعة لا تدركها العقول، لا يستطيع أحد إدراكها.

وهذه كلها في عالم «الدنيا» وهو عالم حقير. كان من أهل المعرفة من يقولون: تسمية هذا العالم بالدنيا هو بسبب الخجل من ذكر حقيقتها. وبهذا التشابك والتعقيد هو عالم «دنيا» هذه السماوات - مع كل ما اكتشف منها حتى الآن - فهي كما جاء على لسان القرآن ﴿زَيْنَا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾.

السما «السفلى» هي مع كل ما اكتشف فيها حتى الآن، سماء «سفلى» في لغة القرآن، والسماوات العليا لم يكتشف ما فيها، وفي الوقت نفسه تعبّر الرواية عن هذا العالم بأنه «ما نظر إليه نظر لطف منذ خلقه». ويعبّر القرآن عن الدنيا بأنها: «متاع»، وعن الآخرة بأنها الحياة. هنا في الدنيا لا حياة، هنا موت، وحياة الآخرة هي الحياة: ﴿إِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لِمَ الْحَيَوَانُ﴾ ونحن غير مطلعين على ذلك.^١

١. إشارة إلى الآية الشريفة: ﴿إِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ العنكبوت (٢٩): ٦٤.

٢. صحيفة الامام، ج ٣، ص ٢٣٦، من كلمة ألقاها بتاريخ ١٠ / ٨ / ١٣٥٦.

[تفسير علمي حول السماء الدنيا]

انظروا إلى لغة القرآن: ﴿زَيْنًا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾ فانها على العكس من هيئة بطليموس.. السماء الدنيا تعني هذه الكواكب التي ترونها. كل هذه السماء الدنيا وبالقدر الظاهر منها تعتبر زينة. وفوقها ملايين الشمس وفوقها مليارات الأجرام السماوية، وما وراء ذلك ما لا يعلم به غير الله. إن هذا العالم المادي الذي وصلت إليه يد الإنسان حتى الآن، ليس في ذروته ولا في حضيضه. فالإنسان بما لديه من أجهزة دقيقة يستطيع رؤية الذرات المتناهية في الصغر ولكنه غير قادر على فهم ما دون ذلك... إن ضعف الإنسان يتجلى في انانيته وعبادته للمنصب والمقام. فكم الإنسان ضعيف كي تستحوذ عليه أنانيته في هذه الدنيا. وكم الإنسان جاهل حتى ينظر إلى كل هذه الأمور ويعتبرها منصباً وجاهلاً!

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ * إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ ٨٤

[ولاية علي بن ابي طالب مما يُسأل عنه يوم القيامة]

هناك ثمانية أحاديث وردت عن أهل السنة بأنهم يوقفون الناس في يوم القيامة، ويسألونهم عن ولاية علي بن أبي طالب، وتروي بعض تلك الأحاديث بأنه يتم في يوم القيامة السؤال عن تلك الولاية التي أكدها النبي لعلي؛ حيث قال: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه»^١.

١ . المصدر السابق، ج ١٧، ص ٥٢٦.

٢ . البحراني، السيد هاشم، غاية المرام، ج ٣، ص ٨٧ المقصد الاول، الباب ٥٠.

٣ . كشف الاسرار، ص ١٧٨ . وكذلك ص ١٣٩.

[الشيعة يجب ان يكون اتباعهم كاتباع ابراهيم بقلب سليم]

نعم ﴿وَإِنْ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ * إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾^١ قد فسر في الروايات الشريفة أن إبراهيم كان من شيعة أمير المؤمنين^٢ لأنه ورد على ربه بالقلب السليم،^٣ والقلب السليم فسر بقلب سلم من غير الله ولم يكن متعلقاً بشيء سوى الحق تعالى.

وفي تفسير البرهان في حديث مطول عن تفسير الإمام عليه السلام يقول: «وقال رجل لعلي بن الحسين عليه السلام يا ابن رسول الله أنا من شيعتكم الخالص.. فقال عليه السلام: فإذا أنت كإبراهيم الخليل عليه السلام إذ قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شِيعَتِهِ لَأِبْرَاهِيمَ * إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ «فإن كان قلبك كقلبه فأنت من شيعتنا» الحديث.^٤

﴿فَبَشِّرْهُنَّ أَهْلًا سَلِيمًا﴾ ١٠١



١. سورة الصافات: ٨٣ - ٨٤.

٢. تفسير البرهان، ج ٦، ص ٤١٩، هذه الرواية يفسرها الحديث الذي نقله بعدها؛ أي لو كان لك قلب كقلب إبراهيم فأنت من شيعتنا.

٣. روي عن مولانا الصادق (عليه السلام) انه قال: قوله عز وجل ﴿وَإِنْ مِنْ شِيعَتِهِ لَأِبْرَاهِيمَ﴾ أي إبراهيم (عليه السلام) من شيعة علي (عليه السلام). تفسير البرهان، ج ٤، ص ٢٠، ذيل الآية ٨٣ من سورة الصافات.

٤. تفسير البرهان، ج ٤، ص ٢٢.

٥. شرح حديث جنود العقل والجهل، ص ٢٩١.

[أهمية الحلم وبشارة الله باعطائه ولد حلیم]

كذلك وصف سبحانه وتعالى إبراهيم خليل الرحمن ﷺ، وهو من أعظم كمل دار الوجود، بالحلم؟ ففي سورة هود الآية ٧٥ يقول تعالى: ﴿إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمًا أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ ووصف إسماعيل ﷺ ذبيح الله، أيضاً بالحلم في سورة الصافات الآية ١٠١: ﴿فَبَشِّرْنَاهُ بِأَبْنَاءٍ حَلِيمِينَ﴾ في مقام البشارة لإبراهيم ﷺ، فانتخب هذه الصفة من بين جميع أوصاف الكمال، وهذا من غاية عناية إبراهيم الخليل بهذه الصفة الكمالية، أو عناية الحق تعالى بهذه الصفة أو الأمرين معاً. وعلى أية حال يثبت تقدم هذه الملكة الشريفة. وقد مدح هذا الخلق الشريف في الروايات الشريفة مدحاً لائقاً. ففي الكافي الشريف عن باقر العلوم ﷺ أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ الْحَيَّ الْحَلِيمَ» وفي رواية أخرى قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْحَيَّ الْحَلِيمَ الْعَفِيفَ الْمُتَعَفِّفَ» وهذا المدح عند أهل المحبة والمعرفة هو أعظم المدائح، لأن المحبة الإلهية لا تقاس عندهم بشيء ولا يوازيها شيء.^٢

﴿وَإِنْ يَأْتِ بِبَشِيرٍ سَلِيمٍ﴾ ١٣٩ ﴿إِذْ أَتَى إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ ١٤٠

﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ ١٤١ ﴿فَالْتَقَمَهُ الْخَوْتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ ١٤٢

[استفادة صحّة القرعة من قصة يونس]

القرعة لدى العقلاء أحد طرق فصل الخصومة، لكن في مورد لا يكون

١. اصول الكافي، ج ٢، ص ٩١، باب الحلم، ح ٤.

٢. المصدر نفسه، ص ٩٢، ح ٨.

٣. شرح حديث جنود العقل والجهل، ص ٣٨٣.

ترجيح في البين، ولا طريق لإحراز الواقع.

ويشهد لما ذكرنا: مُضافاً إلى وضوح قضية مُساهمة أصحاب السفينة التي فيها يونس، فعلى نقل كانت المُقارعة من قبيل الأول، والعتور على العبد الآبق، وعلى نقل كانت من قبيل الثاني؛ لأنهم أشرفوا على الغرق، فرأوا طرح واحد منهم لنجاة الباقيين، وهذا أقرب إلى الاعتبار، ومعلوم أن مُساهمتهم لم تكن لدليل شرعي، بل لبناء عملي عقلائي، بعد عدم الترجيح بينهم بنظرهم.^٢

[تأييد صحة الاستناد إلى آية القرعة، واستشهاد الإمام بها]

وقريب منه ما عن أمير المؤمنين عليه صلوات الله في ذيل رواية العباس بن هلال^١ ومُرسله الصدوق عن الصادق عليه السلام^٢ ومُرسله «فقه الرضا» عنه عليه السلام قال: أي قضية أعدل من القرعة إذا فوّض الأمر إلى الله، أليس الله تعالى

١ . مجمع البيان، ج ٧، ص ٧١٦.

٢ . مجمع البيان، ج ٧، ص ١٧٦؛ تفسير البرهان، ج ٤، ص ٣٦ / ٣.

٣ . الاستصحاب، ص ٣٩٢.

٤ . التهذيب، ج ٩، ص ٣٦٣ / ١٢٩٨، وسائل الشيعة، ج ١٧، ص ٥٩٣ / ٤، الباب ٤ من أبواب ميراث الغرقى.

العباس بن هلال: وهو الشامي عدّه الشيخ في أصحاب الرضا عليه السلام والرواة عنه، وكان مولى للإمام الكاظم عليه السلام، روى عنه إبراهيم بن هاشم، ومحمد بن الوليد، ويعقوب بن يزيد وغيرهم . أنظر رجال النجاشي: ٢٨٢ / ٧٤٩؛ رجال الطوسي: ٣٨٢ / ٣٩؛ معجم رجال الحديث، ج ٩، ٦٢٠٩ / ٢٥٠.

٥ . الفقيه، ج ٣ / ٥٢ / ١٧٥؛ وسائل الشيعة، ج ١٨، ص ١٩٠ / ١٣؛ الباب ١٣ من أبواب كيفية الحكم وأحكام الدعوى.

يقول: «فساهم فكان من المُدحّضين»^١.

وكذا رواية أحمد البرقي^٢.

﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ﴾

[أهِمِّيَّةُ الْإِخْلَاصِ فِي الْعَمَلِ]

وبعد تحصيل الإخلاص إجمالاً يمكن التطرق إلى الحقيقة - كما في القرآن الشريف في السورة المباركة: الصفات في الآيتين ١٥٩-١٦٠ حيث يقول تعالى: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ﴾ فإلا العباد المخلصين الذين خلصوا من مراتب الشرك وازدواج الرؤية، وخلصوا من قذارات الطبيعة، فالله منزّه عما يصفه به سائر الناس، وإن كان المخلصون «بفتح اللام» أرفع مقاماً من المخلصين «بكسر اللام»....

وعلى أي حال فالإخلاص في تحصيل التوحيد والتجريد من مهمات

١ . راجع: فقه الرضا عليه السلام، ٢٦٢؛ ومستدرک وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٢٠٠ / ٤، الباب ١٣ من أبواب كيفية الحكم وأحكام الدعوى.

٢ . المحاسن، ص ٦٠٣ / ٤٣٠ وسائل الشيعة، ج ١٨، ص ١٩١ / ١٧، الباب ١٣ من أبواب كيفية الحكم وأحكام الدعوى.

٣ . أحمد البرقي: وهو أبو جعفر أحمد بن محمد بن خالد البرقي، عدّه الشيخ في أصحاب الإمامين الجواد والهادي عليهما السلام، خلف كتباً كثيرة، روى عن أبيه، وعثمان بن عيسى، ومحمد بن علي وغيرهم، وروى عنه سعد بن عبد الله الأشعري، وعلي بن إبراهيم، وسهل بن زياد وغيرهم . أنظر رجال النجاشي، ٧٦ / ١٨٢، رجال الطوسي، ٣٩٨ / ٨ و ٤١٠ / ١٦، معجم رجال الحديث، ج ٢، ٢٦١ / ٨٥٨.

٤ . الاستصحاب، ص ٣٨٧.



[ادراكات المسالك في مراتب الاعتقاد]

السائر الى الله حين يتخطى الأسماء والصفات ويبلغ مرتبة أكمل، لا يرى بعدئذ تجليات أسمائية وصفاتية، وإنما يكون في هذه المرتبة التجلي الذاتي فقط.

ولهذا يداوم بعد هذا على ذكر "ياهو"، كما يكون في المرحلة المتوسطة أي التجليات الصفاتية متذكراً وذاكراً لذلك الاسم والصفة التي تجلّت له، مثل يارحمن، ويا كريم، وياعليم، وياقادر. ولكن بعدما يبلغ أعلى درجة ممكنة للبشر وتتجلى على قلبه الذات، يقول: "يا هو يا هو" كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: "يا هو يا من لا هو الا هو".^٢ ولهذا يراه في كل ما يرى ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾^٣.

وخلاصة الكلام انه عندما تُنال هذه المرحلة تتمحي كثرات الأوصاف والأسماء. ويحصل فقط لقاء الذات الأقدس بالتجلي الذاتي. وهذه المرحلة محو وطمس الفعل والأوصاف والأسماء والبقاء وشهود الذات ومرتبة الاخلاص الكامل وكمال التوحيد. ولهذا قال في الآية الشريفة: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾^٤ إلاً عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ^٤. حيث ينبغي ان يُنظر في العبارة من ناحية وفي تحقيق

١. شرح حديث جنود العقل والجهل، ص ١٠٥.

٢. توحيد الصدوق، ص ٨٩ ح ٢٢ بحار الأنوار، ج ١٩، ص ٣١٠، ح ٥٨.

٣. الحديد (٥٧): ٣.

٤. الصافات (٣٧): ١٥٩ - ١٦٠.

معناها من ناحية اخرى.

وخلاصة القول هي ان هذه المرحلة أتمّ مرحلة في التوحيد وآخر نقطة للسير الانساني. ولهذا فان بعض الأشخاص الذي دخلوا للتربية البشرية من الطريق الصحيح اليهودي والعياني المعزون في خزائن الله، أحاطت بهم العناية ووصلوا الى توحيد الذات مع فاروق ان قسماً منهم بلغوا الاسم الجامع "الله"، بينما بلغ قسم آخر اسم "الخلّة" و"المهيمنية"، والقسم الآخر بلغوا اسم "الغضب".

من الفضل اللامتناهي الذي منّ به الله على البشر انه يعيد هؤلاء الأشخاص بعد المحو وبعدما يصبحوا خلصاً وفي اعقاب انمحاه الأفعال والأسماء والصفات، يعيدهم الى التربية؛ فيعود كلّ منهم الى الصفة التي وصل عن طريقها. فمن وصل عن طريق الاسم الجامع يعود عن جميع الأسماء، وفي العودة يطلع على لوازم الأسماء والصفات وهي الأعيان الثابتة ويدرك الطريق الصحيح للوصول إلى الله كما هو حقّه. ومن هنا ينشأ الاختلاف بين النبوات.

[الفارق بين النبوة الخاتمة وسائر النبوات]

إنّ من بلغ جميع الأسماء والصفات له النبوة الخاتمة، ومن وصل عن طريق صفة محدودة وخاصة، له نبوة محدودة وهو يدعو الناس الى الحق عن طريق تلك الصفة التي وصل عن طريقها. كما هو الحال بالنسبة الى النبي يحيى الذي وصل عن طريق الخوف، فدعا الناس هو أيضاً عن طريق الانذار والتخويف. وكذلك بالنسبة الى موسى وعيسى اللذين وصلا عن طريق اسم أجمع من ذلك، فكانت بنوتهما أيضاً ذات طابع أجمع وأشمل، الى ان وصل الحال الى خاتم الأنبياء ﷺ الذي حوى جميع الأوصاف والأسماء فكانت له النبوة الخاتمة. إنّ جامعية آية نبوة بأي قدر كانت، تكون إمامتها ونيابتها على قدر جامعيتها أيضاً؛ لأن نواب الأنبياء لم يصلوا بالأصالة وإنما وصلوا بالتبع. ولهذا فان ولاية أمير

المؤمنين ﷺ الذي هو وصي خاتم الأنبياء ﷺ هي ولاية خاتمة.

وبما ان رسول الله ﷺ كانت نبوته جامعة وانه قد وصل بجامعة اخرى الى الصفات التي بلغها الأنبياء السالفون، لهذا فإن الولاية التي كانت باطن نبوته جامعة أيضاً. إذا فإن كانت نبوته جامعة لكلّ النبوات السالفة، فلا بد أن تكون ولاية نبوته جامعة أيضاً لكلّ النبوات. ولهذا فقد قال أمير المؤمنين ﷺ: "كنت مع جميع الأنبياء سرّاً ومع خاتم الأنبياء ﷺ جهراً".

وعلى العموم: بعدما يحصل التوحيد الذاتي لبعض الدرر المخزونة في خزائن الله، يُعادون في عين حال الانمحاء والمحو في الوحدة، نحو الكثرة والسهو، ويوجّهون من عالم الغيب نحو عالم الطبيعة ليضطلعوا بتربية الأسرة البشرية، مثلما شهد القرآن الكريم مثل هذه الهجرة وتنزّل حتى هبط في حدّ الوحي حيث يقول: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾،^١ بمعنى انه كان باطناً ثم ظهر.^٢

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ١٨٠ ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ ١٨١

﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ١٨٢

[فضيلة قراءة الآيات]

الكافي بسند موثق عن أبي جعفر (عليه السلام): «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكْتَالَ بِالْمُكَيَّالِ فَلْيَقُلْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ *

١. لم نثر على هذه الرواية في المصادر الحديثية، ولكن وردت عن خاتم الأنبياء ﷺ روايات

اخرى بهذا المضمون مثل قوله: «بِئْسَ عَلِيٌّ مَع كُلِّ نَبِيٍّ سَرّاً وَمَعِي جَهراً». راجع: الكلمات

المكتوبة، ص ١٨٦؛ جامع الأسرار، ص ٣٨٢ و٤٠١.

٢. الحديد (٥٧): ٣.

٣. تقريرات فلسفة الإمام الخميني، ج ٢، ص ٢٤٦ - ٢٤٨.

وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾.

ونقل عن الإمام الصادق (عليه السلام) بأن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَيْلَهُ تَاماً مِنَ الثُّوَابِ فَلْيَتْلُوا هَذِهِ الْآيَاتِ الْمُبَارَكَةَ - ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ﴾ إِلَى آخِرِهِ - فِي دَبْرِ كُلِّ صَلَاةٍ».

وَعَنْ الصَّادِقِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) مُرْسِلاً، كَفَّارَاتُ الْمَجَالِسِ أَنْ تَقُولَ عِنْدَ قِيَامِكَ مِنْهَا: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^{١،٢}.

-
- ١ . أصول الكافي، ج ٢ ص ٤٩٦، كتاب الدعاء، باب ما يجب من ذكر الله في كل مجلس، ح ٣.
 - ٢ . من لا يحضره الفقيه، ج ١ ص ٢١٣، الباب ٤٦، ح ٧ . وجامع الأحاديث، كتاب الصلاة، ح ٣٤٨٧.
 - ٣ . وسائل الشيعة، ج ١٥ ص ٥٨٥، كتاب الإيلاء والكفارات، أبواب الكفارات، الباب ٣٧، ح ١.
 - ٤ . الاربعون حديثاً، ص ٢٩٤.



بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

﴿أَجْعَلِ الْاِلٰهَةَ اِلٰهًا وَّاحِدًا اِنْ هٰذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾ ٥ ﴿وَاطْلُقَ الْمَلَأَ مِنْهُمْ اِنْ
امشوا و اصبروا على آلهتكم اِنْ هٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ ٦

[عبادة الله الواحد بدلاً من الالهة المتعددة اهم توجهات
النبي واعظم جرم له عند الكفار]

قال المجلسي (رحمه الله): «وقَدْ رَوَى الصَّدُوقُ فِي الْعَيْوُنِ بِاسْنَادِهِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ
مُحَمَّدِ بْنِ الْجَهْمِ قَالَ: حَضَرْتُ مَجْلِسَ الْمَأْمُونِ وَعِنْدَهُ الرِّضَا (عليه السلام) فَقَالَ
لَهُ الْمَأْمُونُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ آتَيْسَ مِنْ قَوْلِكَ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ مَغْضُومُونَ؟ قَالَ: بَلَى،
قَالَ: فَمَا مَعْنَى قَوْلِ اللَّهِ: ﴿لَيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾؟ قَالَ
الرِّضَا (عليه السلام): لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ عِنْدَ مُشْرِكِي مَكَّةَ أَعْظَمَ ذَنْبًا مِنْ رَسُولِ
اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ثَلَاثِينَ وَسِتِّينَ صَنَمًا،
فَلَمَّا جَاءَهُمْ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بِالذَّغْوَةِ إِلَى كَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ كَبَّرَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ

وَعَظَّمُوا وَقَالُوا: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِيَّاهَا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ — إِلَى قَوْلِهِ: — إِنَّ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾.

فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى نَبِيِّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) مَكَّةَ قَالَ لَهُ: يَا مُحَمَّدُ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا * لِيُفَيِّرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ عِنْدَ مُشْرِكِي أَهْلِ مَكَّةَ بِدُعَائِكَ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ فِيمَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ، لِأَنَّ مُشْرِكِي مَكَّةَ أَسْلَمَ بَعْضُهُمْ، وَخَرَجَ بَعْضُهُمْ عَنِ مَكَّةَ، وَمَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى انْتِكَارِ التَّوْحِيدِ عَلَيْهِ إِذَا دَعَا النَّاسَ إِلَيْهِ. فَصَارَ ذَنْبُهُ عِنْدَهُمْ فِي ذَلِكَ مَغْفُورًا بِظُهُورِهِ عَلَيْهِمْ. فَقَالَ الْمَأْمُونُ: اللَّهُ ذَرَكُ يَا أَبَا الْحَسَنِ^١.

﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ ٢٦

[في ذم اتباع الهوى والهوس]

كما أن ميزان منع الحق والصدقة عنه هو اتباع الهوى، فكذلك ميزان اجتذاب الحق وسيادته هو متابعة الشرع والعقل. وبين هذين المقياسين وهما التبعية التامة لهوى النفس والتبعية التامة المطلقة للعقل منازل غير متناهية، بحيث أن كل خطوة يخطوها في اتباع هوى النفس، يكون بالمقدار نفسه قد منع الحق، وحبس الحقيقة، وابتعد عن أنوار الكمال الإنساني وأسرار وجوده. وبعكس ذلك، كلما خطا خطوة مخالفة لهوى النفس ورغبتها، يكون بالمقدار نفسه قد

١. بحار الأنوار، ج ١٧ ص ٨٩ - ٩٠، تاريخ نبينا، الباب ١٥، ح ٢٠؛ عيون أخبار الرضا، ج ١، ص

٢٠٢ الباب ١٥، ح ١.

٢. الأربعون حديثاً، ص ٣٤٠ - ٣٤١.

أزاح الحجاب وتجلّى نور الحق في المملكة.

يقول الله تعالى في ذم اتباع النفس وأهوائها: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ

سَبِيلِ اللَّهِ﴾

﴿... وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾!

وجاء في الكافي الشريف، بسنده عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وَعَظَمَتِي وَكِبْرِيَانِي وَتُورِي وَعُلُوبِي وَارْتِفَاعُ مَكَانِي لَا يُؤَثِّرُ عَبْدٌ هَوَاهُ عَلَى هَوَايَ إِلَّا شَتَّتْ عَلَيْهِ أَمْرَهُ وَكَبَسَتْ عَلَيْهِ ذُنْيَاهُ وَشَغَلَتْ قَلْبَهُ بِهَا وَلَمْ أَوْتِهِ مِنْهَا إِلَّا مَا قَدَّرْتُ لَهُ وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وَعَظَمَتِي وَتُورِي وَعُلُوبِي وَارْتِفَاعُ مَكَانِي لَا يُؤَثِّرُ عَبْدٌ هَوَايَ عَلَى هَوَاهُ إِلَّا اسْتَحْفَظْتَهُ مَلَائِكَتِي وَكَفَلْتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَيْنِ رِزْقَهُ وَكُنْتُ لَهُ مِنْ وِرَاءِ نِجَارَةٍ كُلِّ تَاجِرٍ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ»!

وهذا الحديث الشريف من محكمات الأحاديث التي يدل مضمونها على أنه

ينبع من علم الله تعالى الرائق حتى وإن كان مطعوناً فيه بضعف السند^١.

﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّهُ أَلْبَسْتَنِي الْبَشَرَةَ لَوْلَا فَضْلُكَ لَكُنْتُ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ٤١

﴿إِنْ كُنْ مِنْكُمْ إِلَّا جَمْعٌ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ إِنَّكَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ لَلَنَصِيرِينَ﴾ ٤٢ ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّهُ أَلْبَسْتَنِي الْبَشَرَةَ لَوْلَا فَضْلُكَ لَكُنْتُ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ٤٣

﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّهُ أَلْبَسْتَنِي الْبَشَرَةَ لَوْلَا فَضْلُكَ لَكُنْتُ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ٤٣

١. القصص (٢٨): ٥٠.

٢. أصول الكافي، ج ٢ ص ٣٣٥، كتاب الإيمان والكفر، باب اتباع الهوى، ح ٢.

٣. هذا الخبر ضعيف سنداً بسبب وجود أبي حمزة في سنده. ولكنه عدُّ خالياً من الأشكال ويمكن الاستناد إليه بسبب قوة مضمونه وعدم تعارضه مع الكتاب.

٤. الأربعون حديثاً، ص ١٦٩ - ١٧١.

إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾

[تعريف الصبر]

قال 'محقق الطائفة الحقة ومدقق الفرقة المحقة، الكامل في العلم والعمل نصير الدين الطوسي^١ - قدس الله نفسه القدوسية - في تعريف «الصبر»: إنه كَفَ النفس عن الجزع عند حلول مكروه^٢. وقال العارف المحقق المشهور في كتاب «منازل السائرين» إنه: امتناع النفس عن الشكوى على الجزع المستور^٣.

[الصبر لا يتنافى مع اظهار الجزع بين يدي الله]

...أما الشكوى عند الحق المتعالي وإظهار الجزع والفرزع أمام قدسيته فلا تتنافى مع الصبر. كما اشتكى النبي أيوب عند الحق سبحانه قائلاً: ﴿أَلَيْ فَسْتَبِي الشَّيْطَانُ بُنْصَبٌ وَعَذَابٌ﴾ رغم أن الله تعالى أثنى عليه بقوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾...

ويبدو من تراجم حياة الأنبياء العظام والأئمة المعصومين - صلوات الله عليهم أجمعين - رغم أن مقاماتهم كانت أرفع من مقام الصبر ومقام الرضا والتسليم،

١. كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، ص ٢١٨، المقصد الرابع في وجوب العصمة.

٢. الطوسي، محمد بن محمد بن الحسن، المعروف بالخواجة نصير الدين الطوسي (٥٩٧ - ٦٧٢هـ) من اساطين العلم والحكمة والرياضيات، أشهر مؤلفاته: شرح الاشارات ابن سينا، تجريد الاعتقاد، تحرير اقليدس، اخلاق ناصري، أوصاف الأشراف.

٣. أوصاف الأشراف، ص ١٠٨ الفصل ٥، الباب ٣.

٤. منازل السائرين، ص ٣٨، باب الصبر.

إنهم لم يمتنعوا من الدعاء والتضرع والعجز أمام المعبود، وكانوا يسألون حاجاتهم من الحق سبحانه. وهذا لا يكون مغايراً للمقامات الروحية، بل إن تذكر الحق جل وعلا والخلوة والمناجاة مع المحبوب وإظهار العبودية والذل أمام عظمة الكامل المطلق، غاية آمال العارفين وثمرة سلوك السالكين.^١

[حَقِيقَةُ الصَّبْرِ]

للصبر تعاريف كثيرة... منها قول العارف الخواجة عبد الله الانصاري: «الصبر حبس النفس على جزع كامن عن الشكوى» أي انه يعني الامتناع عن الشكوى مع الشعور بالجزع في الباطن. إذا فالصبر هو عبارة عن عدم اظهار الجزع وعدم الشكوى من المصاعب والملمات حسب ما يفيد به هذا التعريف. وعرفه الحكيم الكبير الخواجة نصير الدين الطوسي بشي قريب من هذا التعريف.^٢

إذا فالصبر متقوم بأمرين، أحدهما ان يكون في سريرته كارهاً لما نزل به من البلاء، والآخر ان لا يظهر تلك الكراهية والجزع والشكوى.

وقال الشيخ العارف عبد الرزاق الكاشاني: إن المقصود من الشكاية هي الشكاية إلى غير الحق وأما الشكاية إلى الله فهي لا تتنافي مع مقام الصبر. كما أن أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ شكَا إلى الله حيث قال: ﴿إِنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾^٣ ومع

١. الاربعون حديثاً، ص ٢٦٠ - ٢٦١.

٢. الكاشاني، عبد الرزاق، شرح منازل السائرين، ص ١٩٥ - ١٩٦.

٣. الطوسي، الخواجة نصير الدين، أوصاف الأشراف، ص ٥٩.

٤. الكاشاني المكتنى بأبي الغنائم والملقب بكمال الدين، من عرفاء القرن الثامن ومن كبار شراح فصوص الحكم. من آثاره: اصطلاحات الصوفية، تأويل الآيات أو تأويلات القرآن، شرح فصوص الحكم، شرح منازل السائرين.

هذا قال الله في حقه: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ انتهى^١.

﴿أَتَخَذْنَا هُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ﴾ ٦٣

﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ ٦٤

[لاشك في ان تخاصم اهل النار في ما بينهم مسلم وقطعي]

[نزاع اهل النار ومنشؤه في الدنيا]

يجب أن تكونوا واعين يقظين. لا تجعلوا أنفسكم العوبة بيد الشيطان ؛ كأن يقول أحدكم: إن تكليفي الشرعي يقتضي كذا، ويقول الآخر: إن تكليفي الشرعي عكس ذلك. ففي بعض الاحيان يتولى الشيطان نسج التكاليف الشرعية للإنسان ويملي عليه واجبات معينة . وفي أحيان أخرى تدفع الأهواء النفسية الإنسان لأداء بعض الأعمال على أنها واجب شرعي . فليس من الواجب الشرعي أن يهين مسلم مسلماً . ليس من الواجب الشرعي أن يسيء المسلم إلى أخيه في الدين . إنه حب الدنيا وحب النفس . إن الإيحاءات الشيطانية هي التي توصل الإنسان إلى هذا اليوم الأسود. إن هذا التخاصم تخاصم أهل النار: ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾. ففي جهنم مكان للخصومات والنزاعات . أهل جهنم يتنازعون ويتخاصمون ويتكالبون فيما بينهم . فإذا ما تنازعتم على الدنيا فاعلموا أنكم تعدون جهنم لأنفسكم وتسيرون نحوها .

الأمور الأخروية لا صراع عليها ولا اختلاف فيها . فأهل الآخرة يعيشون مع

١ . سورة ص: ٤٤.

٢ . شرح حديث جنود العقل والجهل، ص ٤٠٩ - ٤١٠.

بعضهم في سلام وصفاء . قلوبهم مفعمة بحب الله وعباده، ذلك أن حب الله تعالى يقود إلى حب الذين يؤمنون بالله . وإن محبة عبادة الله هي ظلال محبة الله تعالى^١.

﴿إِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتَ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ ٧٢ ﴿لَسَجَدَ الْمَلَائِكَةَ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ ٧٣

[سر نسبة روح الإنسان إلى الله تعالى]

إن الإنسان الكامل الذي يكون آدم أبو البشر فرداً منه، أكبر آية ومظهر لأسماء وصفات الحق سبحانه، وإنه مثل الحق المتعالي وآيته. ولا بد من تنزيه الله سبحانه وتقديسه عن المثل بمعنى الشبه ولا يلزم تنزيه ذاته المقدسة عن المثل الذي هو بمعنى الآية والعلامة. ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾^٢.

إن كافة ذرات الكون، آيات ومرآة تجلي ذلك الجمال الجميل عز وجل كل حسب حجمه ومنزله الوجودية... وتبين من بحثنا هذا السالف الذكر، السبب في إصطفاء وإختيار الحق المتعالي للصورة الجامعة الإنسانية من كل الصور المختلفة للكائنات بأسرها. كما تبين السر في تفضيل الحق سبحانه لآدم (عليه السلام) على الملائكة، وتكريمه دون كافة المخلوقات وفلسفة نسبة روحه إليه في الآية الكريمة: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾^٣.

١ . الجهاد الأكبر، ص ٣١ - ٣٢.

٢ . الروم (٣٠): ٢٧.

٣ . تجدر الإشارة الى ان هذا البحث بسبب تكرار التعبير قد ورد أيضاً في ذيل الآية ٢٩ من سورة الحجر.

٤ . الاربعون حديثاً، ص ٦٣٦.

﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإَيْدِي أَسْتَكْبِرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ

الْعَالِينَ﴾ ٧٥

[الإسان مخلوق يدي الله (الصفات المتضادة)]

فهو تعالى بحسب مقام الإلهية مستجمع للصفات المتقابلة، كالرحمة والغضب، والبطون والظهور، والأولية والآخيرية، والسخط والرضا. وخليفته لقربه اليه وذنوه من عالم الوحدة والبساطة مخلوق بيديه اللطف والقهر. وهو مستجمع للصفات المتقابلة كحضرة المستخلف عنه. ولهذا اعترض على إبليس بقوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإَيْدِي﴾ اي: مع انك مخلوق بيد واحدة.^١

[الإسان جامع لجميع مراتب الوجود]

قال العارف الكامل كمال الدين عبد الرزاق الكاشاني في تأويلاته: «الانسان هو الكون الجامع الحاصر لجميع مراتب الوجود. فرُّبه الذي اوجده فأفاض عليه كماله هو الذات باعتبار جميع الاسماء بحسب البداية، المعبر عنه بالله؛ ولهذا قال تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإَيْدِي﴾ بالمتقابلين من اللطف والقهر والجمال والجلال الشاملين لجميعها.^٢ انتهى بعين الفاظه.

١ . شرح دعاء السحر، ص ٢٧.

٢ . الكاشاني، عبد الرزاق، التأويلات المعروفة بتفسير القرآن الكريم المنسوب لابن عربي، ج ٢،

ص ٨٧٣، ذيل سورة الناس.

فالتكفل لعوده من اسفل السافلين، و استرجاعه من الهاوية المظلمة إلى دار كرامته و امانه، و اخراجه من الظلمات الى النور، و حفظه من قطاع طريقه في السلوك هو الله^١.

﴿قَالَ أَلَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ ٧٦

[عاقبة حب الذات وعبادة هوى النفس]

إن أدبار العقل الكلي عبارة عن الدخول في الكثرة والتفصيل، بلا احتجاب. وإقباله عبارة عن خرق الحجب والوصول إلى معدن العظمة، فأدبار العقل في الحقيقة إقبال كما كان دخول يونس عليه السلام في بطن الحوت معراجاً له. أما أدبار الجهل فلم يكن لإطاعة أمر الله تعالى والإلتزام بأمر الأدبار بل كان لحب النفس والإعجاب بها والشيطنة وقضاء الشهوات ففي هذا الأدبار كان بعيداً ومطروداً ومعزولاً عن ساحة القدس والقرب منه تعالى، فوقع في بئر عالم الطبيعة المظلم بحيث لم تكن النجاة ميسورة له أبداً واستسلم لهذا العالم الذي هو في الظاهر استسلام لجهنم، وكان جميع سيره طبيعياً وغاية سيره الطبيعة ومن النفس إلى النفس ومن الهوى إلى الهوى كما أن سيره الكمالي أيضاً كان إلى كمال الجهل فالجهل الكلي - الذي هو الوهم الكلي وإبليس الأعظم - وإن كان من عالم الغيب وله تجرد برزخي ومقام مثالي وله إحاطة كاملة بالمظاهر ويجري مجرى

١. شرح دعاء السحر، ص ٨

٢. كما ذكرنا في ذيل الآية ٨٢ من سورة يس اننا لم نجد نصاً روائياً بهذا المعنى. ولكن جاء في كتاب علم اليقين، ج ٢، ص ٥٢٠، ذكر معراج النبي يونس في بطن الحوت. وقال البروسوي في روح البيان، ج ٥، ص ٥١٧، نقلاً عن عرائس البيان للبقلي. ويُحتمل طبعاً أن العرفاء اخذوا قضية سجن النبي يونس في بطن الحوت على انها شيء شبيه بالمعراج وفيها سير معنوي الى مدارج ومقامات عالية، وتفسيراً لتجربة يونس الباطنية، ولا تستند الى رواية معينة.

الدم من ابن آدم في حقه^١ لكنه محتجب بالذات مطرود وملعون بالفطرة ولو سجد سجدة أربعة آلاف سنة فتلك السجدة تبعده عن ساحة القرب وتمنعه من وصال المحبوب لان عبادته عبادة الهوى وحب النفس ولذا كانت نتيجة عبادات إبليس كلها التكبر والمعجب وقال في آخر الأمر مواجهاً أمر الله تعالى: ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾^٢، وطرد من جناب القدس ومقالم الأنس بسبب التكبر وحب النفس والإعجاب بها، فأقبله وسجدته وصلاته كانت في الحقيقة أدباراً فلم يطع أمر الإقبال بأي وجه^٣ ثم قال له أقبل فما أقبل^٤.

[حجاب الأنانية وعبادة الذات وعاقبته]

ادعاء مماثلة العقل مع الجهل لأن ادعاء إبليس انه اشرف من آدم وذلك بقوله: ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ عن طريق احتجابه عن مقام العقل. وهذا بسبب الأنانية والغرور. ومن المعلوم ان حجاب الأنانية والغرور من الحجب السميكة التي تحول بين من يُبتلى بها وبين ادراك جميع الحقائق وادراك كل مكارم وكمالات الغير ونواقصه وقبائحه هو. وهذا الحجاب ارث إبليس وكل منه تتكرس فيه هذا الحال ينخرط في سلك ذرية إبليس، حتى وان جاء على الصورة والولادة الملكية وكان من ذرية آدم؛ وذلك لان الميزان والمعيار في عالم الانسانية والملكوت الذي تُقاس به شيئية الاشياء، الولادة الملكوتية، ومن يولد على الملكوت، قال عيسى المسيح: «لَنْ يَلْبِغَ مَلَكَوَتِ السَّمَاءِ مَنْ لَمْ يُولَدْ مَرَّتَيْنِ»^٥.

١. سورة الأعراف: ١١٢ وسورة ص: ٧٦.

٢. شرح حديث جنود العقل والجهل، ص ٤٩ - ٥٠.

٣. شرح اصول الكافي، ج ١، ص ٣٦١، ٤١٧.

وهذه الولادة الثانوية التي هي مبدأ الولوج الى العالم الأعلى - الذي يُعبر عنه أيضاً بملكوت السماء - يتوقف على الخروج من هذه الحجب التي هي ارث ابليس وان يتحقق بحقائق الاسماء التي هي ارث آدم عليه السلام. والتحقق بحقائق الجنود العقلية من مقدمات التحقق بحقائق الاسماء.^١



[مخاطر واضرار الاتية ونتيجتها]

إن المعيار في الصور الملكوتية والبرزخية وفي يوم القيامة هو الملكات وقوتها، وإن ذلك العالم هو محل ظهور سلطان النفس الذي لا يعصي له الجسم أمراً. فقد يحشر الإنسان في ذلك العالم على صورة حيوان أو شيطان...
 إن الإنسان الذي فيه هذه الرذيلة، لعله عندما ينتقل إلى العالم الآخر يرى نفسه من أعراب الجاهلية من دون أن يؤمن بالله تعالى ولا بالنبوة والرسالة، ويرى أنه في الصورة التي يحشر بها أولئك الأعراب، دون أن يعلم أنه كان في الدنيا يعتقد العقيدة الحققة من الإيمان بالله وبرسوله وأنه من أمة الرسول الخاتم (صلى الله عليه وآله). كما جاء في الحديث عن أهل جهنم ينسون اسم رسول الله، ولا يستطيعون أن يعرفوا أنفسهم، إلا بعد أن يشاء الحق سبحانه أن ينجيهم أو بما أن هذه السجية من سجايا الشيطان، كما ورد في بعض الأحاديث، فلعل أعراب الجاهلية وأصحاب العصبية يحشرون يوم القيامة على هيئة الشياطين.
 في الكافي في الصحيح، عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال: «إن

١. شرح حديث جنود العقل والجهل، ص ٦٥ - ٦٦.

٢. الفيض الكاشاني، علم اليقين، ج ٢ ص ١٠٤٢، ١٠٤٣ نقل رواية بهذا المضمون.

المَلَائِكَةَ كَانُوا يَحْسَبُونَ أَنَّ إِبْلِيسَ مِنْهُمْ وَكَانَ فِي عِلْمِ اللَّهِ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْهُمْ فَاسْتَخْرَجَ مَا فِي نَفْسِهِ بِالْحَيَاةِ وَالْغَضَبِ. فَقَالَ: ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾^١.

فاعلم أيها العزيز! أن هذه الخصلة الخبيثة، من الشيطان، وإنها من مغالطات ذلك الملعون ومعايره الباطلة. إنه يغالط عن طريق هذا الحجاب السميك الذي يخفي عن النظر كل الحقائق، بل يظهر كل رذائل النفس محاسن، وجميع محاسن الآخرين رذائل، ومعروف مصير الإنسان الذي يرى جميع الأشياء على غير حقيقتها وواقعيتها.

وفضلاً عن كون هذه الرذيلة هي نفسها تكون سبب هلاك الإنسان، فإنها كذلك منشأ الكثير من المفساد الأخلاقية والأعمال القبيحة التي لا يتسع المجال لذكرها.^٢

[في ذم الانخداع بالظاهر وجهل الباطن]

فإن أول من وقف عند الظاهر و عمي قلبه عن حظّ الباطن هو الشيطان اللعين، حيث نظر الى ظاهر آدم، عليه السلام، فاشتبه عليه الامر وقال: ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾، وانا خير منه؛ فإن النار خير من الطين. ولم يتفطن ان جهله بباطن آدم، عليه السلام، والنظر الى ظاهره فحسب بلا نظر الى مقام نورانيته وروحانيته خروج من مذهب البرهان، و يجعل قياسه مغالطياً عليلاً، كما ورد في اخبار اهل البيت، عليهم السلام.

فمن طريق الكافي عن عيسى بن عبد الله القرشي قال: «دخل أبو حنيفة على

١. أصول الكافي، ج ٢ ص ٣٠٨، كتاب الإيمان والكفر، باب المعصية، ح ٦.

٢. الاربعون حديثاً، ص ١٤٨ - ١٤٩.

أبي عبد الله، عليه السلام، فقال له: «يا أبا حنيفة، بلغني انك تقيس». قال: «نعم». قال: «لا تقس، فإن أول من قاس ابليس، حين قال: ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾. فقاس ما بين النار والطين؛ ولو قاس نورية آدم بنورية النار عرف فضل ما بين النورين و صفاة احدهما على الآخر.»^١

[أم الاوثان، وثن الأتانية واستعظام النفس]

الشیطان الذي عارض امر الله ولم يخضع لآدم، كان يرسف في قيود حجاب الكبر الظلماني و﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ وانا خير منه فطرده من ساحة الربوبية ونحن ايضا في حجاب ذاتنا ومغرورون وانانيون، نحن شيطانيون ومطرودون من محضر الرحمن، وما اصعب تحطيم هذا الصنم الكبير^٢ الذي هو أم الاصنام^٣!

﴿قَالَ لِعِبْرَتِكَ لَأَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ٨٢ ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ ٨٣

١. الكليني، اصول الكافي، ج ١، ص ٥٨، كتاب فضل العلم، باب البدع والرأي والمقائيس، ح ٢٠.
٢. شرح دعاء السحر، ص ٦٠.
٣. اشارة الى شعر جلال الدين الرومي (المولوي)،
مادر بتها بت نفس شماست
ز آنکه آن بت مار و اين بت ازدهاست

المنوي المنوي، ج الأول، ص ٣٨، هرمس.

٤. ورد هذا البحث لدواعي مختلفة في سورة الاعراف: ١٢. وكان هذا المقطع من الآية موضع استشهاد اورده في كلامه مع اختلاف ضئيل وتبديل في العبارات. ومن جملة ذلك راجع: صحيفة الامام، ج ١٧، ص ٥٣١ وج ١٩، ص ١٣٢.
٥. صحيفة الامام، ج ١٦، ص ٢١٤.

[عدم الاخلاص عامل اغواء وقدرة للشيطان على التصرف]

إن أعمالنا ليست خالصة لله، وإلا فإذا كنا عباداً لله مخلصين، فلماذا تكون للشيطان علينا هذه السيطرة وبهذا القدر؟ مع أنه أعطى لربّه عهداً أن ليس له سلطان على ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾، وأنه لا يمدّ يده إلى ساحتهم المقدسة^١ وعلى حد قول شيخنا الكبير دام ظلّه: فإن الشيطان كلب أعتاب الحضرة الإلهية، فلا ينبع في وجه من كانت له معرفة بالله ولن يؤذيه وكلب الدار لا يطارد معارف صاحب الدار، ولكن الشيطان لا يسمح بالدخول لمن ليست له معرفة بصاحب الدار، إذأ؛ إذا رأيت أن للشيطان شأناً معك وسيطرة عليك فاعلم أن أعمالك غير خالصة. وأنها ليست لله تعالى.

وإذا كنت مخلصاً، فلماذا لا تجري ينابيع الحكمة من قلبك على لسانك مع أنك تعمل أربعين «سنة» قربة إلى الله حسب تصورك؟ في حين أنه ورد في الحديث الشريف عن الرضا عن آبائه (عليهم السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «ما خلصَ عَبْدٌ لَهِ عَزَّ وَجَلَّ أَرْبَعِينَ «صَبَاحاً» إِلَّا جَرَتْ يَنَابِيعُ الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ»^٢. إذأ؛ فاعلم أن أعمالنا غير خالصة لله، ولكننا لا ندري، وههنا الداء الذي لا دواء له! ويل لأهل الطاعة والعبادة والعلم والديانة الذين عندما يفتحون أبصارهم ويقيم سلطان الآخرة قدرته، يرون أنفسهم من أهل كبائر المعاصي، بل وأسوأ من أهل الكفر والشرك، بحيث أن صحيفة

١ . إشارة الى الآية المباركة: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا

عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾. الحجر (١٥): ٤٠، ٤١.

٢ . المراد به آية الله الشاهابادي (رحمه الله) .

٣ . بحار الأنوار، ج ٦٧ ص ٢٤٢، كتاب الإيمان والكفر، باب الإخلاص، ح ١.

أعمالهم تكون أشد سواداً من صحائف الكفار والمشركين.^١

[فهم الاخلاص يتحقق من خلال المعرفة التامة للشيطان ودوره التخريبي]

الشيطان لا يتخلى عن الإنسان لأنه قد تحدى الله وأقسم بأنه لا يترك العباد وشأنهم بل سيغويهم أجمعين ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصِينَ﴾، فأنتم تواجهون مثل هذا العدو اللدود فاتجهوا لمحاربهه الآن وعند ما تعودون إلى مدنكم أطلعوا الناس على أنهم يواجهون مثل هذا العدو الباطني الذي أدى إلى أن يتسلط علينا الجبابرة الظاهرون.^٢

[أهمية الخلوص والاخلاص وتحققه في الهوية الإنسانية]

أحد أهم آداب الاستعاذة: الاخلاص، ينقل تعالى عن الشيطان قوله: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لأَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصِينَ﴾. وحسبما يظهر من الآية الكريمة، فإن هذا الاخلاص أعلى من الاخلاص الأعمالى - سواء عمل الجوانح او الجوارح - ذلك لأنه ورد بصيغة المفعول، ولو كان المراد هو «الاخلاص الاعمالى» ذاته لجاه التعبير عنه بصيغة الفاعل. فالمقصود من هذا الاخلاص إذن: خلوص الهوية الانسانية بجميع شؤونها الغيبية والظاهرية التي يكون الاخلاص الاعمالى رشحة من رشحاته.^٣

١. الاربعون حديثاً، ص ٥٢.

٢. صحيفة الامام، ج ١٩، ص ٤٨٤ - ٤٨٥.

٣. آداب الصلاة، ص ٢٢١ - ٢٢٢. سيأتي المزيد من التفصيل في الفصول القادمة من الكتاب.

[مراتب الاخلاص وآثار كل مرتبة]

وعليه، يتضح أن هذه المرتبة من الاخلاص - المشفوعة بالسلامة منذ اول مرحلة في السير الى الله الى آخر مرحلة منه، حيث حصول الموت الحقيقي بل لما بعد «الحياة الحقاينة الثانية» حيث الصحو بعد المحو^١ - لا تتحقق لأهل السلوك واصحاب المعرفة والرياضة المتعارفة.

وعلاوة هذا النحو من الاخلاص هو انعدام أثر غواية الشيطان في اهل هذا الإخلاص، فالشيطان يانس منهم تماماً بشهادة ذاك الخبيث الذي تنقل الآية الكريمة قوله: ﴿فَجَبَّزْتِكَ لِأَغْوِيَتِهِمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾.

وواضح أن الإخلاص - المشار اليه في الآية - منسوب الى ذات العبد لا الى عمله، وهو مقام فوق مقام الاخلاص في العمل. وقد يكون الحديث النبوي المعروف: «من أخلص لله أربعين صباحاً جرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»^٢ مشيراً الى جميع مراتب الاخلاص: الافعالي والصفاتى والذاتى، وقد يكون فيه ايضاً ظهور الاخلاص الذاتى الذى تكون مراتب الاخلاص الاخرى من لوازمه.^٣

[منشأ ادعاء الاستقلال في العالم، الأنانية]

فيا أيها المشرك المتحلل التوحيد، ويا ابن آدم، إنك ترث هذا كله من ابليس

١. المراد من الصحو اليقظة والانتباه والرجوع عن حالة لا تُرى فيها الموجودات وبعد الوحدة الصرفة. وفي هذه الحالة يكون العبد في مقام الفرق والبسط ويشاهد الموجودات بالتفصيل. راجع: منازل السائرين، ص ٢٤١ - ٢٤٢ وسجادي، فرهنگ اصطلاحات عرفاني، ص ٥٢٧.

٢. عيون أخبار الرضا، ج ٢، ص ٢٤٩، ح ٢٥، وعنه بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٢٤٢ باختلاف ضئيل.

٣. آداب الصلاة، ص ١٦٢ - ١٦٣.

اللعين، الذي يرى نفسه ذا سلطة ويضجُّ بالقول: ﴿لَأَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ والحال أنه بانس شقي واقع في حُجُب الشرك والعجب.
 إن أولئك الذين يرون للعالم ولأنفسهم وجوداً مستقلاً غير مستظل، ويرون مالكيها لا مملوكيها إنما ورثوا شيطنة ابليس.^١

[المكائد المختلفة للشيطان حتى في قراءة القرآن]

الشيطان يشغل قارئ القرآن بالألفاظ وبمخارج الحروف. فالشيطان استاذ ماهر يصد كل شخص عن غايته وفقاً لمذاقه؛ فهو يصد الحكيم عن طريق إلهائه بصياغة البراهين، ويصد الفقيه بايجاد المسائل الفقهية وتطبيق الاصول. ولذلك فهو يجلس على طريق كل شخص ويتعامل معه وفقاً لمرامه، بل انه اعرف من الجميع بالاذواق والتوجهات، وذلك انه يجعل كل شخص يأنس بباطن ذاته. ومن هنا نلاحظ انه قد أقسم ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾^٢ - بفتح حرف اللام في كلمة المخلصين - وهم عدد قليل جداً من الكُمَّل مثل نبيِّنا محمد ﷺ وأمير المؤمنين عليّ عليه السلام وموسى بن عمران وعيسى عليه السلام وكل الأنبياء.

[كَوْنُ الاسْتِزَادِ مَفِيداً فِي تَهْذِيبِ النَفْسِ]

إذا فالشيطان يصد كل شخص عن غايته بنحو ما، ويطبخ لكل مريض طعاماً يتناسب مع حالته ومزاجه. ولهذا نقول ان من يعرف مكائد الشيطان ومصانده ويدري ما الكيد الذي يدبره الشيطان لكل شخص وكيف يمكن انتشال هذا

١. آداب الصلاة، ص ١٧٢.

٢. ص (٣٨): ٨٢ - ٨٣.

الشخص المريض من كيدِه، فلا بأس بذلك، وعليه ان يرشد ذلك المريض^١.

[خلاصة اجمالية لرسالة الآية]

من الآيات الاخرى التي لفتت انتباه الامام الخميني في الاتجاهات الاخلاقية والتربوية هي هذه الآية الشريفة: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغَوِّيَهُمْ أُجْمَعِينَ﴾ ٨٢ ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾. وتكمن أهمية هذه الآيات في ما تنطوي عليها من معرفة للانسان وتصوّر للمخاطر والاضرار التي قد تلحق بالشخص في حياته المادية. والنقطة المهمة التي يؤكد عليها في هذه المقاطع تعود الى الجهة التي يُحتمل ان يضرب العدو منها ضربته واين يكون موقع التأثير، وكيف ينبغي التخلص من ذلك؟

يذهب في تحليله الى ان الضربة التي يضربها العدو الباطني والمعنوي، تأتي من فساد الباطن. والعدو يستطيع التغلغل متى ما كان الداخل مهيناً لقبول هذا العدو. والشخص يمهد الاجواء لدخول الشيطان واستيلائه على الذات، عن طريق ما يتصف به ذلك الشخص من الإنانية والانهماك في الامور التافهة ونسيان الحق، خاصة وانه قد أقسم بان يضلهم أجمعين الا العباده المخلصين. وهذا يعني انه قد اتخذ قراراً قاطعاً.

ومن ناحية اخرى يبيّن في هذه المقاطع السبيل الكفيلة باغلاق المنافذ امام الشيطان، والخطوة الاولى تبدأ بالتعرف على الله. فالتعرّف على صاحب الدار يقينا من شر الشيطان اي الكلب الرابض على طريق الوفود على الله. فكلب الدار لا يتعقّب معارف صاحب الدار.

والمرحلة التالية هي الاخلاص في العمل. فاذا كان هناك اخلاص في العمل

تتلاشى مخططاته في الخداع والاعواء.

وهذا الاخلاص له جوانب متعددة؛ منها الاخلاص في القول والفعل، والا ففي المرحلة الاعلى من الاخلاص يأتي خلوص الهوية الانسانية من كل ما يحول بيننا وبين معرفة الله ويغير نظرتنا ويجعلنا نفكر في ما سواه وننظر الى ما سواه. وفي هذه المرحلة بالذات ينبغي بث اليأس في نفس العدو، وفعل ما يقطع أمله. ومن هنا يفهم ان للاخلاص مراتب ولكل مرتبة منها آثار.

والنقطة الاخرى هي ضرورة وجود المعلم ليقوم بدور التوعية والتحذير من مخططات الشيطان وتبيين طرق التخلص منها وتوجيه ضربة الى الشيطان. ورغم ان كلامه في هذا المجال جاء على سبيل الاجمال والاشارة وبصيغة الكلام المبطن، ولكنه يكشف عما يشير إليه من السير والسلوك وتهذيب النفس، بمرافقة المعلم والاستعانة بمن يعرف المرض ويعرف المريض، ممن مرّوا بهذه التجربة، ولديه القدرة على معالجة الداء.



المحتويات



- ٩ سورة ابراهيم
- ٩ [اللغة وتعليم الوحي ذو مراتب]
- ١٠ [رؤية العزة والذات في صورة التوحيد الفعلي]
- ١١ [ذكر أيام الله ودوره في بناء المجتمع]
- ١٢ [أهمية ذكر أيام الله]
- ١٢ [المأمورية الأولى لموسى]
- ١٢ [نماذج من أيام الله]
- ١٥ [في معنى الشكر]
- ١٧ [الدعوة إلى التفكر في اتقان الصنع وخالق الكون]
- ١٩ [العلاقة بين القلب وقول وفعل الإنسان في النور والظلمة]
- ٢٠ [مراتب ودرجات النعم الإلهية]
- ٢٣ [تأويل الأرض بقلب الإنسان وتبديله عن حالته السابقة]
- ٢٥ [المراد من تبديل الأرض]
- ٢٧ سورة الحجر
- ٢٧ [نتيجة عدم الانتباه إلى حجاب الباطن، العشى واللهاؤ]
- ٢٨ [العظمة وعدم التحريف، من خصائص القرآن]

- ٢٩..... [عدم نيل الجميع لكل معارف القرآن]
- ٣٠..... [شواهد على عظمة القرآن]
- ٣٣..... [الشكر على حفظ القرآن]
- ٣٣..... [تطبيق الدين على القرآن وتفسير آخر لذكر القرآن]
- ٣٤..... [شرف الإنسان بنفخة الروح الإلهية فيه]
- ٣٦..... [تفسير الروح بالنفس الرحمانية والفيض المستبطن]
- ٣٨..... [السرف في نسبة روح الإنسان إلى الله]
- ٣٩..... [تفسير الروح في عرف الاطباء والحكماء]
- ٤١..... [الغاية من العذاب الإلهي في القيامة]
- ٤٢..... [أهل الجنة مثل اعلاء المؤمنين في الدنيا]
- ٤٣..... [الاخوة والمحبة احدى صفات أهل الجنة]
- ٤٣..... [احد اسماء سورة الحمد، السبع المثاني]
- ٤٤..... [مجيء اليقين بمعنى مجيء الموت]
- ٤٧..... [سورة النحل]
- ٤٧..... [وصف موضع المتكبرين]
- ٤٧..... [عوامل شدة العذاب وتخفيفه]
- ٥١..... [أسباب رجحان دار الآخرة]
- ٥٢..... [الزوم اسقاط القوى الطاغوتية]
- ٥٣..... [المصداق الاكمل لأهل الذكر]
- ٥٤..... [أهمية التفكر]
- ٥٥..... [المراد من التفكر]
- ٥٥..... [تعيين المقصد والغاية من انزال الكتاب]
- ٥٦..... [الماء النازل، تأويل لوجه الحق النوراني]
- ٥٧..... [كؤن العسل شفاء لا يمنع من مراجعة الطبيب]
- ٥٨..... [الحكمة من الدعاء والتوسل بدلاً من الأخذ بأسباب الطبيعة]

- ٥٩ [الشيخوخة استدراج وامهال احياناً]
- ٦٠ [جامعية القرآن]
- ٦٠ [أهمية التوجه إلى القرآن الجامع]
- ٦٢ [بما ان جميع مراتب الوجود مظاهر لجمال وجلال الحق، فهو الهادي والمُضِلّ]
- ٦٦ [توجه الإنسان إلى نفسه زائل، وتوجهه إلى الله باق]
- ٦٧ [لا اعتبار لمعطيات الدنيا]
- ٦٧ [ما يكون لله ويقدم له، باق]
- ٦٨ [العمل الذي يتناسب مع الإنسانية والحياة الطيبة، عمل مخلص]
- ٧٠ [أهمية الاستعاذة بالله من شر الشيطان]
- ٧٢ [الاستعاذة ليست بملققة اللسان والصورة الخالية من الروح]
- ٧٣ [في ذم الكذب وحرمة]
- ٧٤ [احتمالات اخرى في ذم الكذب]
- ٧٧ [هل دليل جواز الدخول بالاكراه في ولاية الجائر يشمل حق الناس أيضاً]
- ٧٨ [استفادة الاطلاق من آية الاكراه والاحاديث]
- ٨٤ [الاكراه كالاضطرار يوجب رفع التكليف]
- ٨٧ [معنى الاسراء في الآية]
- ٨٩ [المعراج الحقيقي ممكن بقدم العبودية فقط]
- ٩١ [الاستدلال على البراءة بآيات القرآن]
- ٩٢ [الآية الأولى]
- ٩٣ [نقد النائيني لدلالة الآية على البراءة]
- ٩٣ [رد على اشكال النائيني بالغاء الخصوصية]
- ٩٤ [اشكالات على دلالة الآية على البراءة]
- ٩٤ [رد على اشكالات الاستدلال على البراءة]
- ٩٥ [مناقشة الاشكال الثاني بالنسبة إلى البراءة]
- ٩٦ [عدم لزوم سعادة أو شقاء جميع افراد بني الإنسان]

- ٩٨..... [اهل القضاء في الآية قضاء تكويني]
- ٩٩..... [كل ذكر ذكر الله]
- ١٠٠..... [معنى القضاء في العبادة]
- ١٠١..... [شرط جواز التصرف في مال اليتيم رعاية المصلحة]
- ١٠٢..... [حول مفاد الآية: "ولا تقربوا مال اليتيم"]
- ١٠٤..... [المراد من معنى القرب، التصرف العيني]
- ١٠٥..... [شواهد على كَوْن النهي عن الاقتراب في مال اليتيم تكليفاً]
- ١٠٦..... [في معنى أحسن في الآية]
- ١٠٧..... [العلاقة بين الأحسن والتصرفات الاعتبارية]
- ١٠٨..... [رعاية الاحسن في مال اليتيم لا يقتصر على الجانب المالي]
- ١١٠..... [انبات حجية خبر الواحد بسيرة العقلاء وعدم نهى القرآن عنه]
- ١١٠..... [شبهة حول دلالة آية النهي عن العمل بالظن بالنسبة لأنفسهم]
- ١١١..... [النهي عن الاقتراب من مال اليتيم حكمة]
- ١١٢..... [أدلة عقلية ونقلية قطعية على تسييح الموجودات عن معرفة]
- ١١٤..... [جميع عالم الموجودات يلهج بالحمد والثناء على الله]
- ١١٤..... [التسييح دليل على شعور وادراك الموجودات]
- ١١٥..... [كل ذرات الوجود واعية وفاعلة]
- ١١٦..... [كمال الله هو الباعث على تسييح الموجودات]
- ١١٧..... [التسييح علامة ادراك الموجودات]
- ١١٧..... [كمالات الموجودات ناقصة على قدر سعتها الوجودية]
- ١١٨..... [ادراك الموجودات على قدر سعتها الوجودية]
- ١١٩..... [شكر كل شاكر وحمد كل حامد يعود لله]
- ١٢٠..... [تفسير الحلم والغفران]
- ١٢١..... [العلاقة بين العمى في الدنيا وعمى الآخرة]
- ١٢١..... [العمى المعنوي بفقدان الإيمان]

- ١٢٢..... [المقصود من دلوك الشمس وغسق الليل وقرآن الفجر]
- ١٢٣..... [الغسق انتهاء الوقت]
- ١٢٣..... [المراد من الغسق نصف الليل]
- ١٢٤..... [احتمالات في معنى أقم الصلاة]
- ١٢٦..... [تعيين وقت الصلاة يشير إلى الظروف الاختيارية]
- ١٢٦..... [شرط وجوب الصلاة، دخول الوقت]
- ١٢٧..... [في مقام بيان أسرار الوقت]
- ١٣١..... [إذا جاء الحق يزول الباطل تلقائياً]
- ١٣١..... [المراد من الغلبة والزهوق ليس في عالم المادة]
- ١٣٢..... [وظيفة المفسر لفت الانتظار إلى القرآن في حد شفاء القلوب]
- ١٣٢..... [سبل الوصول إلى الاستشفاء بالقرآن]
- ١٣٣..... [الصورة الفعلية والجانب الملكوتي في العمل، النيّة]
- ١٣٤..... [روح العمل وتام حقيقة النيّة]
- ١٣٦..... [العلاقة المتبادلة بين العمل والنيّة]
- ١٣٧..... [العالم علامة وظل لله]
- ١٣٧..... [المراد من الروح في الآية الروح الإنسانية]
- ١٣٩..... [الرحمانية هي مقام الألوهية]
- ١٤٠..... [حقيقة الأسماء في ذاتها هي الحقيقة الغيبية المطلقة]
- ١٤١..... [كل الخصائص الموجودة في الله، موجودة في الرحمن أيضاً]
- ١٤٣..... [جميع أسماء الحق تعالى واجدة لجميع مراتب الوجود]
- ١٤٥..... [سورة الكهف]
- ١٤٥..... [بخوع نفس النبي ليست علّة غائية لعدم إيمان الكفار]
- ١٤٦..... [عشق الحق هو الدافع لعشق الناس لدى الأنبياء]
- ١٤٧..... [شدة شفقة النبي على الأسرة البشرية]
- ١٤٨..... [أسف وحسرة النبي لم يكن لأجل الفتح]

- ١٤٩ [لماذا لا توجد في قلوبنا ذرة واحدة من جهود وأسف النبي]
- ١٥٠ [دعوة النبي وهمومه كانت لأجل سعادة الناس]
- ١٥١ [مسؤولية الأنبياء على قدر استطاعتهم]
- ١٥١ [سبب حسرة الأنبياء كَوْنَهُمْ مظهرًا لرحمة الحق]
- ١٥٢ [جهنم الأعمال حاضرة القيامة]
- ١٥٣ [بكشف الحجب تنكشف صورة الأعمال]
- ١٥٣ [حقيقة الجنة والنار، صورة الأعمال]
- ١٥٤ [احصاء الأعمال بالنسبة إلى جميع أفعال الإنسان]
- ١٥٥ [نسبة الجنة إلى العبد لكَوْنِهَا وليدة عمله]
- ١٥٥ [حضور الصورة الباطنية الغيبية للأعمال لدى الأفراد]
- ١٥٦ [فوائد اخلاقية وعرفانية غير متعلقة بالتفسير لكي لا يكون التفسير بالرأي]
- ١٥٨ [تحليل لقصة موسى والخضر في القرآن]
- ١٦٠ [الحكمة من سرد القصص في القرآن]
- ١٦١ [ادب حفظ حضور الحق]
- ١٦٢ [لزوم عدم الاكتفاء بحد معين من المعارف]
- ١٦٣ [تفاوت حالات نسبة الأعمال إلى الأشخاص وإلى الله]
- ١٦٤ [تفاوت حالات نسبة الأعمال إلى الأشخاص أو إلى الله]
- ١٦٧ [من اخطر مراحل المعصية تزوين القبح]
- ١٦٩ [عظمة قدرة الله في الخلق]
- ١٧١ [إذا كانت البحار لا تكفي لكتابة كلمات الله، فما بالك بكتابة مبدأ الكلمات!؟]
- ١٧٢ [مظاهر الأسماء الإلهية في الاعتبار الأول غير محصورة]
- ١٧٣ [الأنبياء كانت لهم حيثيات بشرية حسب الشؤون الدينية]
- ١٧٤ [شرط تحقق العمل الصالح اجتناب طلب الرئاسة]
- ١٧٥ [كَوْنُ نفس النبي ذات مراتب]
- ١٧٧ [سورة مريم]

- ١٧٧..... [طلب زكريا ان يكون له ولد يرثه ويرث أجداده]
- ١٧٨..... [تمثل البشر لمريم كان بصورة جسمانية]
- ١٧٨..... [اتنزل الملائكة عن طريق التمثل الملكوتي أو الملكي]
- ١٧٩..... [المراد من السلام يوم الوفاة]
- ١٨٠..... [حشرات لا متناهية بعد ازالة الحجاب]
- ١٨١..... [حسرة يوم القيامة لا نهاية لها ولا جدوى منها]
- ١٨٣..... [لأن يوم القيام يوم خجل فهو يوم حسرة]
- ١٨٤..... [المقصود من الورود الحتمي لكل الناس في جهنم]
- ١٨٤..... [النسبة بين عذاب جهنم وعالم الطبيعة]
- ١٨٥..... [في حالة التهذيب وخدمة الناس يستميل الله القلوب اليكم]
- ١٨٧..... سورة طه
- ١٨٧..... [في فضيلة سورة طه ومعناها]
- ١٩٠..... [ايداء النبي من اجل وصول الناس إلى ذروة الكمال الإنساني]
- ١٩٠..... [توجه النبي إلى العبادة واهتمامه بها]
- ١٩١..... [مدى اهتمام النبي بتبليغ الدين]
- ١٩٢..... [معاني واحتمالات عرفانية في كلمة العرش]
- ١٩٤..... [النار التي ادركها موسى لم تكن قابلة للمشاهدة من قبل الآخرين]
- ١٩٥..... [خلع التعلين ذو معنى تاويلي كخلع محبة الزوجة والأولاد]
- ١٩٧..... [تاويل آخر لخلع التعلين]
- ١٩٨..... [كَوْن الأنبياء مصطفين من بين الموجودات]
- ٢٠٠..... [البناء والتربية لأهداف خاصة ومهمة]
- ٢٠٠..... [الغاية من ذكر "انني أنا الله" في خلوة انس الكلیم]
- ٢٠١..... [انعقاد لسان الأنبياء في بيان المشاهدات والمعاني الغيبية]
- ٢٠٢..... [تربية و اختيار موسى بعد رياضات روحية]
- ٢٠٣..... [الإنسان مخلوق لأجل الله]

- ٢٠٤ [البناء والتربية لأهداف خاصة ومهمة]
- ٢٠٥ [أدب التبليغ والشرط المهم للرسالة]
- ٢٠٩ [الرفق والمداراة شرط لنجاح دعوة موسى]
- ٢١١ [التأثير الخارق للعادة لحفنة من التراب، دليل على امكان تأثيره في مواضع اخرى]
- ٢١٢ [دعاء الأنبياء لزيادة العلم دليل على وجوب عدم الاقتناع بحد معين من المعارف]
- ٢١٣ [المراد من عصيان آدم ووجه اعلاته على لسان الأنبياء]
- ٢١٤ [استفادة اصحاب القلوب من قصة آدم]
- ٢١٥ [مفهوم عصيان آدم]
- ٢١٦ [رمزية بيان قصة آدم والشيطان]
- ٢١٧ [معنى آخر للهبوط والشجرة المنهي عنها والعصيان]
- ٢١٨ [كل ما يدعو الإنسان إلى غير الله، شيطان]
- ٢١٩ [المراد من عصيان آدم التوجه إلى كثرات الطبيعة]
- ٢١٩ [مبدأ شروع الخطيئة كان من تعلم الأسماء]
- ٢٢١ [التوجه إلى الكثرة، ارضية يستغلها الشيطان]
- ٢٢٢ [المراد من التعليم وكيفيته]
- ٢٢٣ [جبران الخطيئة لأبناء آدم]
- ٢٢٣ [إذا كان تحصيل العلوم لايراد به وجه الله، فيكون نيلها حجاً أيضاً]
- ٢٢٤ [المراد من البصيرة والعمى في عالم الآخرة]
- ٢٢٥ [مصدر السعادات كلها ذكر الله]
- ٢٢٦ [العمى المعنوي في الدنيا مقدمة لعمى الآخرة]
- ٢٢٦ [العلاقة بين نسيان الآيات والعمى، عدم العمل]
- ٢٢٦ [العلاقة المتبادلة بين الله وعباده في الذكر والنسيان]
- ٢٢٧ [العمى الباطني عدم وجود عين البصيرة بالنسبة لآيات الله]
- ٢٢٩ [سورة الأنبياء]
- ٢٢٩ [أدلة جواز الرجوع إلى المفضل]

- ٢٢٩.....[مناقشة الدلالة].....
- ٢٣٠.....[مكانة واهمية آية 'لو كان' في مقام الاستدلال على التوحيد].....
- ٢٣١.....[تنوع الاستنباط وفهم المعاني من الآية].....
- ٢٣٢.....[البرهان على تفنيد مذهب الثنوية].....
- ٢٣٣.....[معنى الآية الشريفة: 'لَوْ كَانَ فِيهَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا'].....
- ٢٣٥.....[اسلوب استناد الحكيم الى الآية].....
- ٢٣٥.....[حتمية الفساد في حالة تعدد الآلهة].....
- ٢٣٦.....[السبب في عدم السؤال عن افعال الله].....
- ٢٣٩.....[الخير الكلي هو الماء].....
- ٢٣٩.....[مفهوم الماء في العلم، والعرفان، والفلسفة].....
- ٢٤١.....[الرحمة الاطلاقية للوجود في اصل الماء].....
- ٢٤٢.....[حالات من استعمال التورية في القرآن].....
- ٢٤٢.....[روايات التورية والجمع بينها].....
- ٢٤٥.....[التأثير التكويني لخضوع ذرات العالم].....
- ٢٤٥.....[في فضيلة المواظبة على ذكر اليونسية وأهميتها في الرقي الروحي].....
- ٢٤٦.....[حروب النبي أيضاً كانت من معالم رحمة الله].....
- ٢٤٧.....[الاستدلال على عالمية رسالة النبي].....
- ٢٤٩.....[سورة الحج].....
- ٢٤٩.....[وصف اهمية وعظمة يوم القيامة].....
- ٢٥٠.....[التسبيح النظفي لجميع الموجودات].....
- ٢٥٢.....[تطهير بيت الله من الشرك].....
- ٢٥٣.....[الطريق الى الله يمر عبر رسول الله].....
- ٢٥٣.....[مسألة الاتيان الى النبي ميزة في الذهاب الى الحج].....
- ٢٥٤.....[سير خاص في الحج الابراهيمي].....
- ٢٥٤.....[شهود المنافع أحد الحكم من الحج].....

- ٢٥٥ [تأثير النذورات في المجتمع].
- ٢٥٦ [في معنى قول الزور ودلالته على الغناء].
- ٢٦٠ [في دلالة قول الزور والروايات على حرمة الشطرنج].
- ٢٦٢ [الكذب، من الكبائر].
- ٢٦٢ ذكر الروايات الدالة على «أن قول الزور عدل الشرك».
- ٢٦٤ [أحد مصاديق قول الزور مطلق الكذب].
- ٢٦٦ [العلاقة بين تعظيم الشعائر وتطهير القلب].
- ٢٦٧ [خلود الدين وضرورة اقامة الحكومة].
- ٢٦٧ [التفويض في الخلق محال ولو في خلق ذبابة].
- ٢٦٨ [لليقظة من السبات العميق يجب أن تدرك أن لا قدرة مستقلة لديك].
- ٢٦٩ [في معنى العزيز].
- ٢٧٠ [السجود لله على طرق عديدة من علائم الايمان].
- ٢٧١ [المراد من «الخرج»].
- ٢٧٣ [الامتنان يختص بمن يقع في حرج].
- ٢٧٤ [رفع الامور المحرجة في الاطار والمدلول العرفي].
- ٢٧٤ [سيادة دليل لا حرج على الادلة الاخرى للأحكام].
- ٢٧٥ [لسان نفى الحرج، نفى للحكم الحرجي].
- ٢٧٥ [نفى الحرج شامل لكل الاحكام الوضعية والتكليفية].
- ٢٧٥ [نفى الحرج امتنان و تفضل من الله].
- ٢٧٧ [سلب اختيار الانسان في التكليف الحرجية].
- ٢٧٩ [اقتضية والزامية احكام رفع الحرج].
- ٢٨١ سورة المؤمنون.
- ٢٨١ [احدى مراتب الفلاح المطلق للمؤمنين، الخلاص من سجن الطبيعة].
- ٢٨٢ [مراتب الخشوع].
- ٢٨٣ [الخشوع من علائم الايمان].

- ٢٨٤.....[النسبة بين العلم والايمان في مسألة الخشوع]
- ٢٨٤.....[سبب دعوة اهل الايمان الى الخشوع]
- ٢٨٥.....[من اوصاف المؤمنين الاعراض عن اللغو واللغو]
- ٢٨٦.....[الحفظ من تأثير الشيطان أهم مراتب الحفظ]
- ٢٨٨.....[شاهد قرآني على تجرد النفس]
- ٢٨٩.....[بحث حول آيات المعاد]
- ٢٩١.....[المراد من خلق النطفة والمضغة]
- ٢٩٣.....[النطفة في السير الوجودي قادرة على التحلي بأوصاف الكمال]
- ٢٩٣.....[اسباب الاعراض عن الانبياء]
- ٢٩٤.....[خاصية القرآن في طرح المباحث]
- ٢٩٥.....[اسلوب القرآن في طرح المعارف وعدم التعرض الى التعريف بالذات]
- ٢٩٦.....[اسباب عدم ادراك وعضه في الدنيا، وطلب العودة في الآخرة]
- ٢٩٦.....[توضيح حول سبب انقطاع الأنساب في عالم الآخرة]
- ٢٩٧.....[في معنى "إخساً" في الاستعمال القرآني لها]
- ٢٩٨.....[تفنيد ادلة اهل التناسخ]
- ٣٠١.....سورة النور
- ٣٠١.....[الدليل على حرمة اشاعة الفحشاء]
- ٣٠٢.....[رد على شبهة وعدم دلالة آية الافك على اصالة الصحة]
- ٣٠٣.....[عدم الدلالة على اصالة الصحة والدلالة على حرمة اشاعة الفحشاء]
- ٣٠٤.....[استدلال على كون الغيبة من الكبائر]
- ٣٠٥.....[معنى النور واستعماله بحق الله والموجودات الاخرى]
- ٣٠٦.....[نور الموجودات جلوة من نور الله]
- ٣٠٧.....[النظر الى نور السموات والارض نظر الى النور الالهي]
- ٣٠٨.....[معنى كَوْن الله نوراً]

- ٣٠٩..... [لزوم توسيع مفهوم النور]
- ٣١٠..... [المراد من بطن القرآن وحدود الاخذ عنه]
- ٣١١..... [تفسير النور وحقيقته في الآية]
- ٣١٤..... [سلوك الاولياء الالهيين من مقام ظهور الآلاء والنورانية]
- ٣١٦..... [في سفر السالك، الله مبدأ السفر والسير في انواره وتجلياته]
- ٣١٨..... [وجه الله نور الله]
- ٣٢٠..... [حقيقة الوجود عين النور وعين العلم]
- ٣٢١..... [النور المقدس لله، مصدر الكمالات]
- ٣٢٣..... [من شع نور الحق في قلبه يأنف عار المذلة]
- ٣٢٤..... [الحقيقة النورية لله حافظة للمراتب الاخرى وقيمة عليها]
- ٣٢٤..... [لنبي ضمير صاف ونوراني ومؤهل لتقبل الفيوضات]
- ٣٢٥..... [انقاء الضمير مدعاة لكسب مراتب الكمالات]
- ٣٢٦..... [الممكّنات تحتاج في بقائها إلى النور]
- ٣٢٩..... [النور الالهي نور التجلي]
- ٣٢٩..... [مفهوم النور في الله]
- ٣٣٠..... [دفع شبهة حول وضع الألفاظ لجوهر المعاني]
- ٣٣١..... [مفهوم الظلمة في مقابل النور]
- ٣٣٣..... [وصف النور للحق عين ذاته]
- ٣٣٤..... [النور حقيقة وواقعية]
- ٣٣٤..... [بواسطة اشعاع نور الله يسطع نور موجودات العالم]
- ٣٣٦..... [تجليّ النور المنبسط الاطلاقي]
- ٣٣٦..... [العلاقة بين الخدمة والسعي والملكية، القوة والنور الالهي]
- ٣٣٦..... [آية اهل المعرفة، آية النور]
- ٣٣٧..... [قصور ادراك بني الانسان عن فهم معنى نور السموات والارض]
- ٣٣٨..... [كل الانوار تعود الى نور الله]

- ٣٣٨.....[الفارق بين معرفة نور الله وتلقّي نور الله].
- ٣٣٩.....[تلخيص وتحليل لمغزى آية النور].
- ٣٤٦.....[الحكمة من بيت الله المرفوع والشعائر في الاسلام].
- ٣٤٧.....[من لا يدرك المعارف، لم يجعل الله نوراً في قلبه].
- ٣٤٨.....[الايمان والعلم نوراً].
- ٣٤٩.....[من لا نور له الى المعارف الباطنية، يفسّر كل تلك الآيات بالامور الظاهرية].
- ٣٤٩.....[انعدام النور الالهي يمنع من السلوك والعروج].
- ٣٥٠.....[كيف لانجعل لله شريكاً في عبادته].
- ٣٥٣.....[سورة الفرقان].
- ٣٥٣.....[نفس النبي ذات مراتب].
- ٣٥٤.....[مهجورية القرآن ذو مراتب].
- ٣٥٦.....[آثار المهجورية].
- ٣٥٨.....[مهجورية القرآن بترك المعارف والمخالفة في مقام العمل].
- ٣٥٨.....[الألوهية والعبودية بالأثانية واتخاذ أهواؤه النفسانية].
- ٣٥٩.....[انكار الخالق والصانع الحكيم، من قبل الانسان المحجوب، بل الحيوان بصورة انسان].
- ٣٦٠.....[امتداد ظل الوجود وانسباط الرحمة من مظاهر القدرة].
- ٣٦٠.....[تنوع الظلية يتناسب مع الدرجات الوجودية].
- ٣٦١.....[العالم في نظر العارف، ظل الله].
- ٣٦٢.....[الوجودات غير الحقّة - بناءً على تفسير - هي ظلال الحق].
- ٣٦٣.....[معنى الظل في مقابل النور].
- ٣٦٤.....[ابطال قول المفوضة بطلان الموجودات بالنسبة الى الله].
- ٣٦٥.....[لاستدلال بالكتاب على أن الماء طاهر مطهّر].
- ٣٦٨.....[تفسير آخر لوجود الماء].
- ٣٦٩.....[تشبيه رحمة الله بالماء في تظهير الذنوب].
- ٣٧٠.....[تبديل السيئات الى حسنات وشروطه].

- ٣٧٢..... [أهمية الدعاء والذكر].
- ٣٧٥..... سورة الشعراء.....
- ٣٧٥..... [أذى النبي بسبب عدم تربية الناس].
- ٣٧٥..... [أسى النبي على اثر سعيه من اجل سعادة الناس].
- ٣٧٦..... [غمّ النبي لعدم وصول العالم الى النور].
- ٣٧٧..... [أسى النبي للمنحرفين واسلوب دعوتهم].
- ٣٧٧..... [أشدة شفقة النبي على الاسرة البشرية].
- ٣٧٨..... [المرض منا والشفاء منا].
- ٣٧٩..... [المراد من الطمع في المغفرة].
- ٣٨١..... [المراد من سلامة القلب خلوه من الاغيار].
- ٣٨٣..... [القلب السليم لقاء الله والسلامة من حب الدنيا].
- ٣٨٤..... [الوحي وانزال الكتاب من العلوم الربانية].
- ٣٨٤..... [مسألة نزول القرآن الكريم وتنزيله ومشاهدته].
- ٣٨٧..... [اقتران الامامة بالنبوة].
- ٣٨٩..... سورة النمل.....
- ٣٨٩..... [استيرات الانبياء].
- ٣٩٠..... [كل الموجودات ذات شعور وعلم وارادة].
- ٣٩١..... [تكلم النمل دليل على شعور الحيوانات].
- ٣٩٢..... [وهم أفضلية كلّ الناس على جميع الحيوانات وتفنيده].
- ٣٩٥..... [ادراك الموجودات وفقاً لذهنيّاتها ومتطلّباتها].
- ٣٩٦..... [كيفية احاطة الهدهد بما اطعم عليه].
- ٣٩٧..... [في فضلية البسملة واعطائها لسليمان].
- ٣٩٧..... [ليس من الشرك طلب شيء غير عادي من الله].
- ٣٩٨..... [استجابة الدعاء وقضاء الحاجات من نعم الله وقدرته].
- ٣٩٩..... [كرامة من يحبهم الله ويأخذ بأيديهم].

- ٤٠٠ [شرط استجابة الدعاء ان يكون معبراً عن لسان الحال والقلب وبلهجة صدق]
- ٤٠٠ [حالة الاضطراب شرط لاستجابة الدعاء]
- ٤٠١ [بقاء الصورة الجوهرية في كل حال]
- ٤٠٢ [الامان من الفزع يحصل في حالة المحبة والعبادة الكريمة]
- ٤٠٥ سورة القصص
- ٤٠٥ [العلاقة بين تسليط الطاغوت والفساد في الارض]
- ٤٠٦ [بعث الله الى اعلى وافسد الافراد اكثر الناس تواضعاً وكمالاً]
- ٤٠٧ [سنة الله في انقاذ المستضعفين]
- ٤٠٧ [الامل بالمستقبل وتصحيح مفهوم الانتظار]
- ٤٠٧ [الدعوة للقيام من اجل النصر النهائي]
- ٤٠٨ [انتصار المسلمين الاوائل كان بسبب مساعيهم المخلصة]
- ٤٠٨ [الفهوم الصحيح للاستضعاف]
- ٤٠٩ [اجتياز المراحل الصعبة والعسيرة للوصول الى مقام الرسالة]
- ٤١٠ [قبول دعوة الانبياء لم يكن اعتباطاً]
- ٤١١ [بيان المعارف الالهية صعب]
- ٤١٣ [في ذم الانقياد للنفس بدون الهداية الالهية]
- ٤١٤ [التقية وافشاء الاسرار من مصاديق الحسنة والسيئة]
- ٤١٥ [النبي لا يستطيع ان يهدي كل من احب]
- ٤١٥ [الخوف من عدم اعتداء الناس الى الحد الذي يدفع نحو رياضة روحية مطوّلة]
- ٤١٦ [البأس من الهداية يعود الى عدم استعداد الافراد انفسهم]
- ٤١٦ [المقام الاول في الزهد عدم الاهتمام بزينة الدنيا]
- ٤٢٠ [عدم التفاخر بل عدم ارادة العلو شرط لنيل الدار الآخرة]
- ٤٢٠ [دور الاعتقاد بالفناء وهلاك جميع الاشياء في اجتناب الذنوب]
- ٤٢١ [وجه الله الولاية المطلقة والفيض المقدس وكل ما سواه هالك]
- ٤٢٢ [بقاء الوجه الوجوبي مبعثه تلك الذات نفسها]

- ٤٢٢ [مفهوم الهلاك والفناء]
- ٤٢٥ سورة العنكبوت
- ٤٢٥ [امتحان الافراد حسب ادعائهم وموقفهم]
- ٤٢٦ [قصر النظر والاشداد الى عالم الطبيعة كالتعلق بخيوط العنكبوت]
- ٤٢٧ [الدور الرادع للصلاة مشروط بحضور القلب]
- ٤٢٨ [العلاقة بين التسليم في نهاية الصلاة والنهي عن الفحشاء]
- ٤٢٩ [الآخرة دار الحياة]
- ٤٣٠ [الحياة الملكوتية في الآخرة في تجسم أعمال الانسان]
- ٤٣١ [الصورة الغيبية وحياة الأعمال في الآخرة]
- ٤٣٢ [من خصائص الحياة المعنوية التجرد من المادة الجسمانية]
- ٤٣٣ [شرط الاعانة والهداية قَدَمَ الحق والتوجه الى الله]
- ٤٣٥ سورة الروم
- ٤٣٥ [عاقبة المداومة على الذنب وعدم الاهتمام له]
- ٤٣٦ [تقسيم وتنظيم كتاب التكوين ككتاب التدوين]
- ٤٣٦ [الله منزه من الشبيه، ولكن له مثل وآية وعلامة]
- ٤٣٨ [سهولة البعث والنشور عند الله]
- ٤٤٠ [المعنى اللغوي للفطرة]
- ٤٤٠ [معنى الفطرة في الثقافة القرآنية]
- ٤٤٢ [غفلة الناس عن الفطرة]
- ٤٤٣ [مصاديق وكيفية فطرية الدين]
- ٤٤٤ [ادراك وجود الباري تعالى من الامور الفطرية، وتقرير ذلك]
- ٤٤٨ [فطرية ادراك توحيد الله وصفاته الاخرى]
- ٤٤٩ [المعاد من الامور الفطرية]
- ٤٥١ [حقيقة الفطرة]
- ٤٥٢ [خصائص الاحكام الالهية المتطابق مع الفطرة]

- ٤٥٣.....[مشاكل وآفات الفطرة ووجود الحجب]
- ٤٥٤.....[الكمال المطلق والجمال المطلق معشوق الفطرة]
- ٤٥٥.....[كل موجود عاشق للكمالات بالفطرة]
- ٤٥٧.....[من الخصائص المهمة للسان، فطرته الالهية]
- ٤٥٨.....[تقسيم الفطرة الى اصلية وتبعية]
- ٤٥٩.....[كمال كل موجود تبعاً لذاته وعلى اساس ادراكه الفطري]
- ٤٥٩.....[في التحليل العقلي، كل ثناء يعود عليه]
- ٤٦١.....[لادراك الفطري يتضح فقر وحاجة جميع الموجودات الى الموجود الكامل]
- ٤٦٢.....[تلخيص بحث الفطرة]
- ٤٦٧.....سورة لقمان.....
- ٤٦٧.....[معنى لهو الحديث ومصاديقه]
- ٤٧٠.....[العلاقة بين الحكمة الواقعية والتواضع وترك مدح النفس]
- ٤٧٠.....[بقاء الصورة الجوهرية في كل حال]
- ٤٧٢.....[على احد الآراء، الباء بمعنى "من"]
- ٤٧٣.....سورة السجدة.....
- ٤٧٣.....[عدم استقلال العلل عند الباري تعالى]
- ٤٧٤.....[اهمية صلاة الليل]
- ٤٧٤.....[المراد من قرّة الأعين]
- ٤٧٥.....[رجاء رحمة الله والطمع فيها من لوازم الفطرة الالهية]
- ٤٧٧.....سورة الأحزاب.....
- ٤٧٧.....[الامر للنبي بالتقوى ليس دليلاً على عدم تقواه]
- ٤٧٨.....[المراد من الاولوية الامارة]
- ٤٧٩.....[مقام ولاية وحكومة النبي على المؤمنين]
- ٤٨٠.....[المراد من الاولوية الامور الاعتبارية والولاية]
- ٤٨٠.....[النبي اسوة في التضحية لاجل الاسلام]

- ٤٨١ [طهارة اهل البيت من آخر مراتب الطهارة]
- ٤٨٢ [القضاء اشمل من حكم القاضي وأمر الوالي]
- ٤٨٢ [اهمية الحكم ونسبته الى الله]
- ٤٨٣ [وفقاً لأحد المعاني، التكليف الالهي امانة]
- ٤٨٤ [تفسير لمعنى الظلوم والجهول]
- ٤٨٥ [الامانة هي الولاية الالهية المطلقة]
- ٤٨٦ [المقصود من الامانة المقام الاطلاقي]
- ٤٨٧ [تعبير آخر لتفسير الامانة بالولاية]
- ٤٨٧ [عدم قبول السموات للأمانة منشؤه نقص القابلية]
- ٤٨٨ [تلخيص لمعنى الامانة]
- ٤٩٣ سورة سبأ
- ٤٩٣ [العلم بما يلج في الارض وما يخرج منها دليل على علم الله عز وجل بالجزئيات]
- ٤٩٤ [الله مقام التجلّي العلمي، لذلك لا يغيب عن علمه مقدار ذرة]
- ٤٩٤ [سبب عدم الخفاء، علم الله وقدرته]
- ٤٩٥ [علم الله بالأشياء علم تفصيلي]
- ٤٩٦ [كيفية علم الله التفصيلي]
- ٤٩٧ [معنى الشكر وتحققه]
- ٤٩٨ [حقيقة الشكر وكيفية ظهوره في القلب واللسان والجوارح]
- ٤٩٩ [القيام بالشكر لا يقدر عليه كل أحد]
- ٤٩٩ [مراتب شكر الله]
- ٥٠٠ [السبب في قلّة من يتيسر لهم القيام بواجب الشكر]
- ٥٠١ [اول مراتب السلوك القيام]
- ٥٠٢ [اهم موعظة هي القيام لله، ومعطياتها]
- ٥٠٢ [خصائص ونتائج هذا القيام]
- ٥٠٤ [في المرتبة الاولى للقيام، الأهمية للكيفية لا للكمية]

- ٥٠٤.....[المبادئ المعنوية شرط للقيام]
- ٥٠٦.....[العمل الذي لله لا خسارة فيه]
- ٥٠٦.....[أحدى معطيات القيام لله، الأزدهار]
- ٥٠٧.....[القيام والاستقامة شرطان لتحقيق الغايات]
- ٥٠٨.....[يجب ان يتصل قيام الجمع بقيام الواحد]
- ٥١٠.....[القيام لله يقظة من نوم الغفلة]
- ٥١١.....[القيام في البعد المعنوي والتهذيبي]
- ٥١٢.....[النصر حتمي في القيام لله]
- ٥١٢.....[أرجحية الموعدة لله على غيرها من المواعظ]
- ٥١٣.....[لا تخشوا الوحدة في القيام]
- ٥١٣.....[القيام الفردي للوصول الى معرفة الله، والاجتماعي للوصول الى مقاصد الله]
- ٥١٤.....[التركيز على العمل المخلص يؤتي ثماره]
- ٥١٤.....[إخلاصة اجمالية لتفسير الآية]
- ٥١٩.....[سورة فاطر]
- ٥١٩.....[اقسام وانواع الملائكة]
- ٥٢٢.....[درجة من الذنب تغير الرؤية وتزين القبايح]
- ٥٢٣.....[مراتب الهداية والاحتجاب]
- ٥٢٤.....[الذات الممكنة مقرونة بالفقر]
- ٥٢٥.....[كل ما هو بالقوة يجب ان يصل إلى بالفعل بسبب فقره]
- ٥٢٦.....[النسبة بين الحق والواجب بالممكن والناقص]
- ٥٢٦.....[البرهان القرآني الأمتن في حاجة الموجودات]
- ٥٣٠.....[جميع مراتب وجود العين تعلق وارتباط وفقر]
- ٥٣٠.....[ادراك فقر جميع الناس، غير متلازم مع التأثير القلبي وعدم الطلب من الآخرين]
- ٥٣٢.....[الغنى من الصفات الكمالية للنفس وهو غير الثراء المالي]
- ٥٣٣.....[الأناية في مقام الدعاء ليس من قبيل التذلل المذموم]

- ٥٣٤ [في العلاقة والتناسب بين وصف الغني والحميد بالنسبة إلى الله]
- ٥٣٤ [الجانب الامكاني مدعاة للاحتياج]
- ٥٣٥ [خلاصة اجمالية لتفسير الآية]
- ٥٣٧ [حجاب الباطن والقطرة يبلغ حداً يكون معه كتكليم الموتى]
- ٥٣٨ [التعبير عن المؤمنين بالعلماء]
- ٥٣٨ [الميزان في معرفة العلماء خشية الله]
- ٥٣٨ [الخوف المستمر مع القيام بالعبودية]
- ٥٤١ سورة يس
- ٥٤١ [التمتع من نعمة الرسالة يبعث على نشوء الحسد]
- ٥٤٢ [بشرية النبي مستمك لانكار النبوة]
- ٥٤٢ [المعنى الواقعي لآحياء العظام]
- ٥٤٤ [لا معصية في الأمر التكويني]
- ٥٤٤ [ارادة الله بتحقق الافعال لا بصوت ولا بندا مسموع]
- ٥٤٥ [الكثرة في وحدة الكلمة الواحدة "كن" وجودية]
- ٥٤٦ [المراد من قول الله الافاضة الاشرافية والتجلي الغيبي]
- ٥٤٧ [تقرير العالم أمر الله بلغة فلسفية]
- ٥٤٨ [تفاوت معنى الامر عند الحكماء وغيرهم]
- ٥٥١ [لكل موجود وجهة ملكوتية متصلة بعالم الملائكة]
- ٥٥٣ سورة الصفات
- ٥٥٣ [السماء الدنيا هي الطبقة الاخيرة من السماوات السبع]
- ٥٥٤ [الدنيا هي المرتبة الأدنى من عالم الخلق]
- ٥٥٦ [ولاية علي بن ابي طالب مما يسأل عنه يوم القيامة]
- ٥٥٧ [الشيعة يجب ان يكون أتباعهم كأتباع ابراهيم بقلب سليم]
- ٥٥٧ [أهمية الحلم وبشارة الله باعطائه ولد حلیم]
- ٥٥٨ [استفادة صحّة القرعة من قصة يونس]

- ٥٥٩..... [تأييد صحة الاستناد إلى آية القرعة، واستشهاد الإمام بها]
- ٥٦٠..... [أهميّة الاخلاص في العمل]
- ٥٦١..... [ادراكات السالك في مراتب الاعتقاد]
- ٥٦٢..... [الفارق بين النبوة الخاتمة وسائر النبوات]
- ٥٦٣..... [فضيلة قراءة الآيات]
- ٥٦٥..... سورة ص
- ٥٦٥..... [عبادة الله الواحد بدلاً من الإلهة المتعددة أهم توجهات النبي واعظم جرم له عند الكفار]
- ٥٦٦..... [في ذم أتباع الهوى والهوس]
- ٥٦٨..... [تعريف الصبر]
- ٥٦٨..... [الصبر لا يتنافى مع اظهار الجزع بين يدي الله]
- ٥٦٩..... [حقيقة الصبر]
- ٥٧٠..... [الاشك في ان تخاصم اهل النار في ما بينهم مسلم وقطعي]
- ٥٧٠..... [نزاع اهل النار ومنشؤه في الدنيا]
- ٥٧١..... [سر نسبة روح الإنسان إلى الله تعالى]
- ٥٧٢..... [الإنسان مخلوق يدي الله (الصفات المتضادة)]
- ٥٧٢..... [الإنسان جامع لجميع مراتب الوجود]
- ٥٧٣..... [عاقبة حب الذات وعبادة هوى النفس]
- ٥٧٤..... [حجاب الأنانية وعبادة الذات وعاقبته]
- ٥٧٥..... [مخاطر واضرار الانانية ونتيجتها]
- ٥٧٦..... [في ذم الانخداع بالظاهر وجهل الباطن]
- ٥٧٧..... [أم الاوثان، وذن الأنانية واستعظام النفس]
- ٥٧٨..... [عدم الاخلاص عامل اغواء وقدرة للشيطان على التصرف]
- ٥٧٩..... [فهم الاخلاص يتحقق من خلال المعرفة التامة للشيطان ودوره التخريبي]
- ٥٧٩..... [أهميّة الخلوص والاخلاص وتحققه في الهوية الإنسانية]
- ٥٨٠..... [مراتب الاخلاص وآثار كل مرتبة]

- ٥٨٠..... [منشأ ادعاء الاستقلال في العالم، الأنانية]
- ٥٨١..... [المكائد المختلفة للشيطان حتى في قراءة القرآن]
- ٥٨١..... [كُون الاستاذ مفيداً في تهذيب النفس]
- ٥٨٢..... [خلاصة اجمالية لرسالة الآية]